



جامعة الجزائر 02 _ أبو القاسم سعد الله _

كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



لَهْمَانُ انتَاجِ الْوَرَقِ بِالْخَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ

﴿ق 2 = 9/8 = 15 هـ﴾

دِرَاسَةُ تَارِيخِيَّةٍ لَخَرْبَةٍ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د. الطور الثالث) في تخصص التاريخ الوسيط

إشراف الدكتور
عبد القادر شريف

إعداد الطالب
أسامة براهيم

لجنة المناقشة

الرقم	الإسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	مؤسسة الإلتحاق
01	نبيلة عبد الشكور	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر _02_
02	عبد القادر شريف	مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الجزائر _02_
03	نور الدين خرداوي	عضوا مناقشا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر _02_
04	شفيفة عيساني	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الجزائر _02_
05	المنور عواد	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الجزائر -1-
06	مطفى مغزاوي	عضوا مناقشا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف حسيبة بن بوعلي

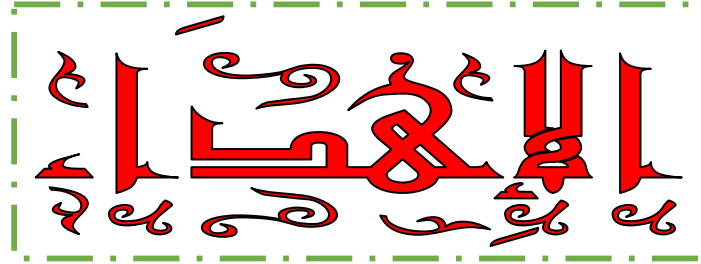
السنة الجامعية: 1444-1445 هـ / 2023-2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعَلَّمَكَ اللَّهُ الْكِتَابَ

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

سورة النساء، الآية: 113



أُهدي عَملي المتواضع:
إلى الوالدين الكريمين اللذين سَهراً على تربيّتي
ابتداءً من أُمِّي التي خصها الله بثلاثة أرباع الصُّحبة
وجعل برها من أعظم الطاعات والقربة
ثمَّ أبي الذي أَرهقتهُ مشقَّةُ الحياة من أجل دراستي
إلى أخي مُحَمَّد المَقاوم في ساحة الشرف
وبأَقِي إخوتي وأبنائهم الذين تقاسمتُ معهم
دِفءَ عَائِلَتِي.

أسامة بن الحارث

شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَبِتَوْفِيقِهِ تَنَالُ الدَّرَجَاتُ

عِبَارَاتُ شُكْرٍ وَتَقْدِيرِ عِرْفَانًا بِالْجَمِيلِ

أَقْدِمُهَا لِكُلِّ مَنْ أَقَادَنِي مُعَلِّمًا أَوْ نَصَحَنِي مُوجِّهًا أَوْ نَاقَشَنِي مُفِيدًا مَنِّهَا

فِي مَسِيرَتِي الدِّرَاسِيَّةِ إِبْتِدَاءً بِأَسْتَاذِي الْمُشْرِفِ الدُّكْتُورِ شَرِيفِ عَبْدِ الْقَادِرِ

الَّذِي كَانَ لِي خَيْرَ مُعَلِّمٍ وَرَفِيقٍ طَوَالَ مِشْوَارِي الْبَحْثِيِّ سَائِلَا الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ

أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ.

وَأَسْتَاذِي الْبَرُوفيسُورِ شَرِيفِي أَحْمَدَ رَأْدَ الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْآسِيَوِيَّةِ

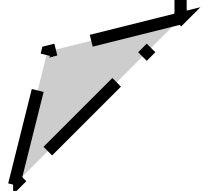
الَّذِي لَمْ يَبْخُلْ عَلَيَّ بِتَشْجِيعَاتِهِ وَنَصَائِحِهِ الْيَوْمِيَّةِ

وَزَمَلَائِي فِي الدَّفْعَةِ مَصْطَفَى صَمْرَانِي ، وَفَتْحِي شَوَاطِي

وَشُكْرٌ خَاصٌّ لِأَصْحَابِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ وَالْمُشْجَعَةِ

الَّتِي أَنْارَتْ دَرْبِي.

فقد



مَقْدَمَة

مُقَدِّمَة:

يُعدُّ الورق من أَشْرَفِ أَوْعِيَةِ الْكِتَابَةِ الَّتِي سَاهَمَتْ الْعَدِيدُ مِنَ الْحَضَارَاتِ فِي تَطْوِيرِ صِنَاعَتِهَا وَإِنْتاجِهَا، بَعْدَ أَنْ نَالَ اهْتِمَامًا سِيَاسِيًّا مِنْ طَرَفِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ وَأَصْبَحَ مَطْلَبًا لِلْعُلَمَاءِ وَالخَطَّاطِينَ وَالنُّسَاحِ، وَمَصْدَرًا مَالِيًّا واقتصاديًا لِلدَّوْلَةِ وَفِتَّةَ الْعُمَالِ وَالتُّجَّارِ وَالوَرَّاقِينَ، بِحَيْثُ مَثَّلَ اكْتِشَافُهُ ثَوْرَةً تَقْنِيَّةً فِي مَجَالِ مَوَادِّ الْكِتَابَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ مُنْذُ الْفَتَرَاتِ الزَّمْنِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، دُونَ أَنْ نَنْفِي قِيَمَتَهَا فِي مُسَاعَدَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى تَدْوِينِ مُخْتَلَفِ إِنْجَازَاتِهِ وَأَفْكَارِهِ سِوَاهُ كَانَتْ حَجَرِيَّةً، طِينِيَّةً، نَبَاتِيَّةً، خَشَبِيَّةً أَوْ مَعْدِنِيَّةً.

إِنَّ التَّارِيخَ لِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ يُمَثِّلُ جُزْئِيَّةً مُهِمَّةً مِنَ التُّرَاثِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي احْتَوَاهُ هَذَا الْوِعَاءُ فِي حِفْظِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَدَوِّنَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمَجَالَاتِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تَرَكَهَا الْجِيلُ السَّابِقُ كَضْمَانٍ فِكْرِيٍّ وَعِلْمِيٍّ وَدِينِيٍّ يَبْنِي عَلَيْهِ الْجِيلُ الْلاحِقُ حَضَارَتَهُ وَفَقَّ الْخِبْرَةَ الْمَاضِيَّةَ وَالسَّيْرَ عَلَى نَجَاحَاتِهِ وَالِاسْتِقَادَةِ مِنْ أَخْطَائِهِ، وَهُوَ فِي حَقِيقَتِهِ يُمَثِّلُ دَوْرَةً انتِقَالِيَّةً إِنْسَانِيَّةً فَرِيدَةً مِنْ نَوْعِهَا خَلَدَتْهَا تِلْكَ الْأَوْرَاقُ الْمُجَلَّدَةُ فِي شَكْلِ مَخْطُوطَاتٍ مُوجُودَةٍ فِي الْمَكْتَنَبَاتِ يُنْظَرُ إِلَيْهَا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ بِشُعُورٍ عَاطِفِيٍّ لِلْمَاضِي الْجَمِيلِ لِلْحَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَكُنُوزٍ عِلْمِيَّةٍ يَتَنَافَسُ عَلَيْهَا الْبَاحِثُونَ فِي تَحْقِيقِهَا وَإِعَادَةِ بَعْثِهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ مَفْقُودَةً أَوْ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ، وَمِنْهُ فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ مِنْ مَرَاجِلِهِ الْأُولَى إِلَى غَايَةِ وُضُوحِهِ إِلَى مَرَحَلَةِ الْإِتْقَانِ لَمْ يَكُنْ لِيَحْدُثْ لَوْلَا تَشَارُكُ الْعَدِيدِ مِنَ الثَّقَافَاتِ الْحَرْفِيَّةِ فِي تَطْوِيرِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قِيَمَةِ التَّوَاصُلِ فِي تَرْقِيَةِ الصِّنَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَإِنَّ إِقْصَاءَ أَيِّ مُسَاهَمَةٍ لِحَضَارَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي إِنْتَاجِ الْوَرَقِ يُعَدُّ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَقْصُودَةِ لِأَنَّ مَفْهُومَ التَّكَامُلِ الْحَضَارِيِّ لَا يَحْتَمِلُ وُجُودَ مِثْلِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُفَرِّضُ عَلَى الْمَنْطِقِ التَّارِيخِيِّ فِي الدِّرَاسَاتِ الْمُعَاصِرَةِ خَاصَّةً مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ يَمْتَلِكُونَ عُقْدَةً حَضَارِيَّةً وَأَزْمَةً مَبْنِيَّةً عَلَى مُعْتَقَدَاتٍ وَخَلْفِيَّاتٍ تَدْفَعُهَا رُوحُ الْعَصَبِيَّاتِ لِإِقْلِيمٍ مُعَيَّنٍ أَوْ خِدْمَةٍ لِمَصَالِحِ فِكْرِيَّةٍ مُوجَّهَةٍ، لِأَنَّ الصِّنَاعَةَ فِي جَوْهَرِهَا تُعْبِرُ عَنْ كُلِّ مَعَانِي التَّضَحِّيَّاتِ الْيَوْمِيَّةِ الَّتِي تُوَاجِهُ الْعُمَالُ الْبُسْطَاءَ قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ أَرْبَابِهَا، لِذَا فَإِنَّ تَرْكَهَا فِي إِطَارِهَا الطَّبِيعِيِّ الْإِنْسَانِيِّ وَفِي عَصْرِهَا الزَّمَنِيِّ مِنْ دُونَ تَشْخِيصِ لِحَضَارَةٍ وَتَهْمِيشِ لِأُخْرَى يُعْتَبَرُ مِنْ شُرُوطِ دِرَاسَةِ الْحَادِثَةِ التَّارِيخِيَّةِ بِكُلِّ مَوْضُوعِيَّةٍ وَفَقَّ مَنَهِجٍ قَائِمٍ عَلَى مُصْطَلَحَاتِ ذَلِكَ الْعَصْرِ.

مَقْدَمَة

وبناءً على ما سبق، فإنَّ الباحثين لا يَخْتَلِفون في مَجَالِ اكتشافه، فَالْحَضَارَةُ الصِّينِيَّةُ قَدْ نَالَتْ الرِّيَادَةَ فِي هَذَا الْإِبْتِكَارِ الْجَدِيدِ وَتَبِعَتْهَا الْحَضَارَاتُ الْمُجَاوِرَةُ لَهَا مِنَ الْيَابَانِيِّينَ وَالْكَورِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مَنَاطِقِ الشَّرْقِ الْآسِيَوِيِّ، ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى غَايَةِ انْتِقَالِهِ لِأُورُوبَا ثُمَّ الْقَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَلَا نَنْسَى جَمِيعَ مَنْ شَارَكَ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ مِنَ الْأُمَمِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا نَعْرِفُهَا أَوْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا أَخْبَارُ الرَّحَالَةِ وَالْمُؤَرِّخِينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَبِهَذَا تَكْتَمِلُ خَرِيطَةُ التَّوْزِيعِ الْكُرُوْنُوْلُوجِيِّ لِلْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ بِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ، الَّذِي أَصْبَحَ مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ مِنَ الصَّرُورِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَأَسَاسًا مَادِّيًّا لِلنَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ لِلدُّوَلِ إِلَى جَانِبِ الْأَدَوَاتِ الْأُخْرَى نَظِيرَ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ خَصَائِصٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ إِلَّا لَجِيلٍ تِلْكَ الْفَتْرَةِ الَّذِيْنَ أَثْقَلَهُمْ حَمْلُ الْجُلُودِ وَالْعِظَامِ وَالصَّفَائِحِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَقَبْلَهُمِ الْأَلْوَحَ الطِّينِيَّةِ الْكَبِيرَةَ وَالْحِجَارَةَ.

فِي إِطَارِ الْمَجَالِ الْوَاسِعِ مِنْ مَرَاحِلِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي امْتَدَّتْ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ سَاهَمَتْ كُلُّ حَضَارَةٍ فِي تَرْكِ لِمَسْتَهْلِ التَّقْنِيَّةِ مِنْ خِلَالِ إِيجَادِ وَسَائِلٍ جَدِيدَةٍ كَانَتْ مُتَوَفَّرَةً فِي مَنَاطِقٍ دُونَ الْأُخْرَى سِوَاءَ عَلَى مُسْتَوَى الْمَوَادِّ الْأَوَّلِيَّةِ أَوْ فِي تَفْعِيلِ الْفِكْرِ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِعَانَةِ بِعُلُومٍ أُخْرَى فِي تَطْوِيرِ خُطَّةِ الْعَمَلِ مِنَ الْمَرَحَلَةِ الْيَدَوِيَّةِ إِلَى تَسْخِيرِ الْإِخْتِرَاعَاتِ الْآلِيَّةِ الَّتِي تَتَكَامَلُ فِي مَهَامِهَا مَعَ الصَّنَاعَةِ الْوَرَقِيَّةِ، وَبِهَذَا تَكُونُ الدَّوْرَةُ الْإِنْتِقَالِيَّةُ لِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ قَدْ حَقَّقَتْ أَهْدَافَهَا بَعْدَمَا نَهَلَتْ مِنْ كُلِّ النِّقَاطَاتِ الشَّعْبِيَّةِ أَسْرَارَ مُحْتَزِفِيهَا الَّذِينَ قَامُوا بِنَقْلِ الصَّنَاعَةِ مِنْ دَوْرِهَا الْمَحَلِّيِّ وَالْإِقْلِيمِيِّ فِي الصِّينِ إِلَى الدَّوْرِ الْعَالَمِيِّ الَّذِي حَمَلَ فِي طَيَّاتِهِ سِلْسِلَةً مِنَ الْحَلَقَاتِ الْمُتَكَامِلَةِ الْمَعَارِفِ، الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُدْرَسَ وَفْقَ مَنَهْجِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ إِلَّا بَعْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى مُسَاهِمَاتِ الْأَوَائِلِ فِي هَذَا الْمِيْدَانِ، مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّةِ رَصْدٍ وَتَتَبُعٍ تَكُونُ مُسْتَنِيرَةً الْمَعَالِمِ تَخْدُمُ عَمَلِيَّةَ التَّأْرِيخِ الْحَقِيقِيَّةَ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ، بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ الْبَاحِثُونَ وَحَتَّى الْمُطَالَعُونَ بِوُجُودِ تَقْرِيطٍ وَتَقْزِيمٍ لِدَوْرِ دَوْلَةٍ عَنِ الْأُخْرَى سِوَى فِي ذِكْرِ الْأَحْدَاثِ الْمُؤَثِّرَةِ الَّتِي كَانَتْ بِمِثَابَةِ الشُّعْلَةِ أَوْ الْإِنْطِلَاقَةِ الْأُخْرَى فِي بَعْثِ الصَّنَاعَةِ نَحْوَ التَّقَدُّمِ وَتَأْسِيسِ أَرْكَانِهَا بَيْنَ الصَّنَاعَاتِ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَهْمِيَّةِ وَالْأَفْضَلِيَّةِ فِي الطَّلَبِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَوُجُودِهَا الْمَرْكَزِيِّ فِي هَيْئَاتِ الدَّوْلَةِ ابْتِدَاءً مِنَ الْحَاكِمِ وَالْوُزَرَاءِ وَصُولاً إِلَى الْمُنَاسَسَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ ثُمَّ الطَّبَقَةِ الْعَامَّةِ.

مَقْدَمَة

في ظلّ الزَّخْمِ الحَضاري الذي شَهِدَتْهُ الصِّناعة الورقية سَاهَمَت الحَضَارَةُ الإسلاميَّة بنقله من الدَّورِ المحليِّ إلى العَالَمي، مُشكِّلَةً إِحْدَى أَهم الرِّكَائِز التي أُخْرِجَت المَادَّة من الطَّوَرِ الصِّينيِّ إلى الطَّوَرِ الجَدِيدِ في عَصْرِ الأَنْوَارِ الإسلاميِّ، الذي كَانَ فَاصِلًا في رَوَاجِ هَذَا الوِعَاءِ الكِتَابِيِّ مُنْذُ مَعْرِفَةِ المُسْلِمِينَ بِهِ في القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِي، الثَّامِنِ المِيلَادِي، مَعَ العِلْمِ أَنَّ طَرِيقَةَ انْتِقَالِهِ قَدْ شَكَّلَتْ اخْتِلَافًا بَيْنَ المُؤَرِّخِينَ حَالِ دُونَ الفَصْلِ في تَحْدِيدِ سَنَةِ مَعِيْنَةِ للمَعْرِفَةِ الإسلاميَّة بِأَسْرَارِ الصِّناعة بِحُكْمِ أَنَّ البَعْضَ مِنْهُمْ قَدْ رَبطَهَا بِإِحْدَى أَهم المَعَارِكِ الإسلاميَّة والصِّينيَّة في مَنطِقَةِ مَاوَرَاءَ النَّهْرِ سَنَةِ (133هـ/751م) في إِطارِ الفَتْحِ الإسلاميِّ للمَنَاطِقِ الوُسْطَى من آسِيَا في مَوْقَعَةِ طَلَّاس، وَهُوَ الرَّأْيُ الذي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أوَائِلُ المُؤَرِّخِينَ لِلْحَادِثَةِ مِنْ أَمْثَالِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ بنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّعَالِبِيِّ أَبِي مَنْصُورٍ (ت429هـ/1037م) في كِتَابِهِ "لَطَائِفُ المَعَارِفِ" وَزَكَرِيَاءُ بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ مُحَمَّدٍ الْقَزْوِينِيِّ (ت682هـ/1283م) في كِتَابِهِ "أَثَارُ البِلَادِ وَأَخْبَارُ العِبَادِ"، بَعْدَ الإِنْتِصَارِ الإسلاميِّ وَقَبُولِ الأَسْرَى الصِّينيِّينَ مِنَ العُمَالِ والمِهْنِيِّينَ بِتَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ تِقْنِيَّةَ الصِّناعة، إِلَّا أَنَّ التَّسْلِيمَ بِالْحَادِثَةِ العَسْكَرِيَّةِ مُبَاشَرَةً سَيُسْقِطُ لَا مَحَالَةَ مَنَاهِجَ التَّأْرِيخِ التَّحْلِيلِيَّةِ وَالِاسْتِدْلَالِيَّةِ بِحُكْمِ أَنَّ العِلَاقَاتِ الصِّينيَّةَ الإسلاميَّةَ كَانَتْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ المَعْرَكَةِ زِدَ عَلَى ذَلِكَ وَجُودَ أَطْوَلِ طَرِيقِ تِجَارِيٍّ بَرِّيٍّ فِي ذَلِكَ العَصْرِ يَرْتَبِطُ بَيْنَ المُدُنِ الصِّينيَّةِ وَالْحَوَاضِرِ الآسِيَوِيَّةِ الوُسْطَى إِلَى غَايَةِ المَشْرِقِ الإسلاميِّ، وَكَذَلِكَ الطَّرِيقُ البَحْرِيَّ عِبْرَ المُحِيطِ الهِنْدِيِّ فِي مَا يُسَمَّى بِطَرِيقِ الحَرِيرِ البَرِّيِّ وَالبَحْرِيِّ.

إِنَّ الإِخْتِلَافَ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ انْتِقَالِ الصِّناعة الورقية لِلبِلَادِ الإسلاميَّة لَا يُشَكِّلُ أَهمِيَّةً كَبِيرَةً مُقَارَنَةً مَعَ الإِنْجَازِ الإسلاميِّ الذي سَيَرْفَعُ مِنْ قِيَمَةِ الوَرَقِ وَيَجْعَلُهُ فِي مَنَازِلَةِ شَرِيفَةٍ بَيْنَ الصِّنَاعَاتِ الأُخْرَى، ابْتِدَاءً مِنَ الحَاضِرَةِ السَّمَرْقَنْدِيَّةِ، وَمِنْهَا إِلَى عَاصِمَةِ الخِلَافَةِ العَبَّاسِيَّةِ بَغْدَادِ التي أَضَحَتْ تُنْتِجُ أَجْوَدَ أَنْوَاعِ الوَرَقِ بِاهْتِمَامٍ مُبَاشَرٍ مِنْ طَرَفِ الخُلَفَاءِ، وَتَبَعَتْهَا المُدُنُ الشَّامِيَّةُ فِي دِمَشْقَ وَطَبْرِيقَ، وَكَذَلِكَ الفَارْسِيَّةُ فِي أَصْفَهَانَ وَكِرْمَانَ، إِضَافَةً إِلَى اليَمَنِ وَمِصْرَ فِي القُسْطَاطِ، فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ لِهَذِهِ الصِّناعة التي بَدَأَتْ تَكْتَسِحُ المَيْدَانَ العِلْمِيَّ كَمَا دُونَ عَلَيْهَا المَعْرِفَةُ، وَالمَيْدَانُ الإِقْتِصَادِيَّ فِي وَلَادَةِ صِنَاعَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لَهَا مَدَاخِيلُهَا المَالِيَّةُ وَنَفَقَاتُهَا العُمَالِيَّةُ.

مَقْدَمَة

انطلاقاً من نظرية الانتقال من الكل إلى الجزء وتطبيقه على تطوّر صناعة الورق، فإنّ الصورة لا تكتمل إلاّ بوجود الجناح الغربي للحضارة الإسلامية ومساهمة الفعّالة في إنتاج الورق الإسلامي، هذا الجناح يُمثّل جزئية مهمّة في انتشار الورق إلى جانب المُنْدن المشرقية وبهذا تكون رحلة الورق المنقولة من الصين إلى الحواضر الإسلامية قد بلغت أوج اتّساعها في عصر الأنوار الإسلامي إلى غاية المُنْدن الأندلسية قبل المُنْدن الأوروبية.

إنّ منطقة الغرب الإسلامي التي مثّلت المرحلة الأخيرة للتوسع الجغرافي في إنتاج الورق الإسلامي لم تتل ذلك الإهتمام الكبير من طرف الباحثين في مجال الوثائق والمخطوطات وحتى الكتب التي تطرقت لمميّزات الصناعة الإسلامية بسبب التّوجه المُسلط على الورق المشرقي، علماً أنّ هذا التّوجه هو قديم المعالم قاداته مُختلف المصادر التي أشارت إلى هذه الصناعة، ومنه فإنّ كفة المُعطيات التاريخية قد انحازت بشكل طبيعي إلى الإنتاج المشرقي وبهذا وقّع التاريخ الإسلامي لهذه الصناعة في إشكالية التّهميش قبل الإقصاء لأنّ الأول سيتسبب في بسط سيطرة الدّراسات التاريخية لِجانب دُون الآخر في مرحلة مُعيّنة، وإذا ما تواصلت سيعتقد الدّارسون الذين سيأتون بعد ذلك بعدم الوجود، وهي من أخطر المراحل التي أصابت العديد من الإنجازات الإنسانية التي هُمّش فيها أصحابها الرّئيسيون والفاعِلون الحقيقيون.

ثمّثل الصناعة الإسلاميّة في عصر الأنوار قِمة الفكر العقلي والذكاء الحرفي الذي وصلت إليه الحضارة من المشرق إلى الغرب الإسلامي سواءً كان اختراعاً خاصاً أو سابقاً مثل الورق الذي أصبح التاريخ له ككتلة واحدة أو في مجموع دراساتٍ مُتنوعة تخدم بعضها البعض أمراً ضرورياً للوصول به إلى مفهوم الإنجاز الإسلامي الحقيقي وما قدّمه المسلمون من خدماتٍ جديدة للورق من أول إلى آخر حاضرة، وستكون لا محالة من الخدمات التي تبعث روح الشّمل للمدرسة التاريخية الإسلاميّة، لكي لا تبقى الثّغرات أمام المدارس التاريخية الغربيّة التي تُحاول وضع توجّه فكري مدروس من خلال المُستشرقين الباحثين ورجال الدّين والسياسيين لِضرب كلّ ما يُثبت تفوّق المسلمين في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا في العصور الوسطى.

مَقْدَمَة

إنَّ البحثَ في تاريخِ صناعةِ الورقِ في العالمِ لا يزالُ يفتقدُ لحلقاتٍ كثيرةً، منها الدَّورُ الإسلاميُّ ومساهمتهُ فيها، وإنَّ كانَ الجانبُ المشرقيُّ قد بدأ يَعرفُ النُّورَ مُنذُ بدايةِ اهتمامِ الباحثينَ بِمجالِ المخطوطاتِ فإنَّ الجانبَ الغربيَّ مِنْهُ لا يزالُ يفتقدُ لدراساتٍ تُحاولُ إبرازَ دورهِ في هذهِ الصِّناعةِ، ومنَ هذهِ الزَّاويةِ جاءتِ رؤيتنا لاختيارِ موضوعٍ يُعْطِي ويكْمِلُ تطوُّرَ الصِّناعةِ الورقيةِ في الحضارةِ الإسلاميةِ الموسومَ بـ: **حَواضِرُ إنتاجِ الورقِ بالغربِ الإسلاميِّ (ق2_9هـ/8_15م) دراسة تاريخية حَضارية.**

1/ التَّعْرِيفُ بالدراسة

يَهْتَمُّ موضوعُ "حَواضِرُ إنتاجِ الورقِ بالغربِ الإسلاميِّ (ق2_9هـ/8_15م) دراسة تاريخية حَضارية"، بالبحثِ عن أَحَدِ أَهمِّ الصِّناعاتِ الإنسانيةِ التي عَرَفَتْها المَنْطِقَةُ، وفقَ تَسلسُلِ جُغرافيٍّ مِنَ المَغْرِبِ الأَدْنَى إِلَى الأَنْدَلُسِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ رَصْدِ وَتَتَبُعِ كُلِّ الشَّواهِدِ الَّتِي تُثَبِّتُ وَجُودَ إنتاجِ لِهَذِهِ المَادَّةِ الجَدِيدَةِ في المَنْطِقَةِ، دُونَ إِهْمَالِ الدَّورِ الإيجابيِّ الَّذِي لَعَبَتْهُ المَوَادُّ الكِتَابِيَّةُ التَّقْلِيدِيَّةُ خَاصَّةً الرِّقَّ والألواحَ في تَدْوِينِ المَعْرِفَةِ للسُّكَّانِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِم بِالورقِ، كما يُبْرِزُ المَوْضُوعُ الحَواضِرَ الَّتِي نَالَتْ شُهْرَةً في الإِنْتاجِ عَلَى غِرَارِ مَدِينَةِ القَيْرَوَانِ، وَفَاسَ إِصْافَةً إِلَى شَاطِئَةِ بِلَنَسِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، وَيَطْرُحُ تَسْأُلاتٍ حَوْلَ نَقْصِ المَادَّةِ في الحَاضِرَةِ التِّلْمَسَانِيَّةِ.

يَدْرُسُ المَوْضُوعُ المَصَادِرَ الَّتِي تَتَنَاوَلَتِ الإِشَارَةُ إِلَى وَجُودِ مَعَامِلٍ للورقِ في الغَرْبِ الإسلاميِّ رَغْمَ قِلَّتِهَا، كَمَا يَتَنَاوَلُ الحَدِيثَ عَنِ المَوَادِّ الأَوَّلِيَّةِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى تَشْكِيلِ قَاعِدَةٍ للصِّناعةِ وَرَوَاجِهَا إِصْافَةً إِلَى مُخْتَلَفِ التَّقْنِيَّاتِ الَّتِي مَكَّنَتْ العَامِلِينَ مِنْ إنتاجِ الورقِ، وَيُبْرِزُ النَتَائِجَ الإِيجَابِيَّةَ للصِّناعةِ عَلَى مُسْتَوَى حَرَكَةِ التَّأْلِيفِ وَازْدَهَارِ المَكْتَبَاتِ كَمَا يَتَنَاوَلُ الحَدِيثَ عَنِ أَبرَزِ الخَطَّاطِينَ والورَّاقِينَ الَّذِينَ شَجَّعَتْهُمُ المَادَّةُ عَلَى الإِسْتِمْرَارِ فِي مِهْنِهِم.

يَطْرُحُ المَوْضُوعُ زَاوِيَةً أُخْرَى وَنَظَرَتَهُ حَوْلَ الورقِ الإسلاميِّ بِصِفَةِ عَامَّةٍ مِنْ خِلالِ الكُتُبِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ جَانِبِ الإِنْصَافِ والإِقْصَاءِ وَكَذَلِكَ المَنَافِذِ والمَعَايِرِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي مَكَّنَتْ الأَوْرُوبِيِّينَ مِنْ صِنَاعَةِ الورقِ خَاصَّةً الأَنْدَلُسَ وَصِقْلِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمَدَى التَّأْثِيرِ الإِسْلَامِيِّ فِي نَهْضَةِ الورقِ الأَوْرُوبِيِّ.

مَقْدَمَة

2/ إشكالية الدراسة

تَوَجَّهَتْ أَغْلَبِيَّةُ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي حَاوَلَتْ التَّارِيخَ لِإِنْتاجِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ نَحْوَ الْمَشْرِقِ لاعتباراتٍ عديدة، منها جُهودُ المؤرخين المحسوبين على المنطقة في تأسيس مدرسةٍ لتحقيق المخطوطات الإسلامية النادرة وهو ما تطلَّب منهم دراسةَ مواد الكتابة التي تُساهم في تحديد زَمَانٍ وَمَكَانٍ كِتَابَةِ المخطوط وأنواع الخطوط وأسماء النساخ وغيرها، وكذلك تمكُّنهم من الوصول إلى الوثائق المتنوعة في مختلف الخزائن والمكتبات، وهو ما سمَّح لهم بنشر بحوثٍ قيِّمة حول مادة الورق، إضافةً إلى الرصيد التاريخي الذي احتوته المصادر الإسلامية المعاصرة لتلك الفترة حول إنتاج الورق في المشرق الإسلامي، وعلى هذا الأساس تكوَّنت لدينا إشكالية الفراغ المعرفي في جزء الغرب الإسلامي بخصوص هذه الصناعة من إمكانية توفير قرائن تاريخية وحضارية تُثبت وجودها ومدى مساهمتها إلى جانب المشرق في تطوير الإنتاج ومختلف الحواضر التي ازدهرت فيها والتقنيات المستخدمة في الصناعة في ظل وجود منفذين حضاريين في الجهة الغربية عبر صقلية والأندلس انتقلت منهما الصناعة نحو أوروبا، وبناءً على إشكالية ندرة التأليف في مجال التاريخ للإنتاج الورقي في الغرب الإسلامي تتبلور لدينا عدَّة تساؤلات فرعية تُوجِّهنا صوب تفكيك الإشكال الرئيسي وتسمح لنا من فتح أبواب الفصول للخروج بنتائج منطقية وهي كالآتي:

- فِيمَ تَتَمَثَّلُ أَوْعِيَةُ الْكِتَابَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَأَهْمِيَّتُهَا فِي تَارِيخِ الْحَضَارَاتِ قَبْلَ اكْتِشَافِ الْوَرَقِ؟
- كَيْفَ انْتَقَلَتِ صِنَاعَةُ الْوَرَقِ مِنَ الصِّينِ إِلَى الْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْمَشْرِقِ؟ وَمَاهِي أْبْرَزُ مُمَيِّزَاتِهَا وَآثَارِهَا عَلَى الْحَرْفِ الْأُخْرَى؟
- مَا هِيَ حَوَاضِرُ إِنتَاجِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ وَأَبْرَزُ التَّقْنِيَّاتِ الْمُسْتَخْدَمَةِ فِي التَّصْنِيعِ، وَآثَارُ الْإِنْتِاجِ فِي الْجَانِبِ الْعِلْمِيِّ؟
- مَا هِيَ مَصَادِرُ التَّارِيخِ لِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ؟
- مَا هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى تَرَاجُعِ إِنتَاجِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ؟
- مَا مَدَى مُسَاهَمَةِ مَنَاطِقِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ الْأُورُوبِيِّ؟
- فِيمَ تَتَمَثَّلُ وَجْهَاتُ نَظَرِ الدِّرَاسَاتِ الْغَرْبِيَّةِ نَحْوَ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ؟

مَقْدَمَة

3/ دَوَافِعُ اخْتِيَارِ مَوْضُوعِ الدِّرَاسَةِ

أ/ الدَوَافِعُ الدَّائِيَّة:

تَتَمَثَّلُ فِي تَوَجُّهِ الدَّاخِلِيِّ نَحْوَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِالْإِبْدَاعِ وَالْجَمَالَ الْفَنِّيَّ وَالذَّوْقَ الْفِكْرِيَّ وَالْعَمَلَ الْيَدَوِيَّ، الَّذِي يُشْعِرُنَا بِقِيَمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَدَى التَّضَحِّيَّاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْأَوَائِلُ فِي سَبِيلِ خِدْمَةِ الْآخَرِينَ، وَمَا صِنَاعَةُ الْوَرَقِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ إِلَّا مِنَ الْمِهْنِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي قَدَّمَ لَهَا الْإِنْسَانُ الْكَثِيرَ فِي سَبِيلِ تَطْوِيرِهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْنَا فِي أَبْهَى صُورِهَا، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ دَفَعْتَنِي رُؤْيَا التَّكَامُلِ الْحَرْفِيِّ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الثَّقَافَاتِ وَالْحَضَارَاتِ رَغْمَ اخْتِلَافِ الطَّبَائِعِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ إِلَى الْخَوْضِ فِي الْكَشْفِ عَنْ مَدَى قُدْرَةِ الصِّنَاعَاتِ فِي خَلْقِ نَوْعٍ مِنَ التَّكَامُلِ الطَّبِيعِيِّ بَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ دُونِ خَلْفِيَّاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَلَا سِيَاسِيَّةٍ، فَيَكُونُ التَّطَوُّرُ فِي إِطَارِ تَنَافُسِيٍّ شَرِيفٍ هَدَفُهُ فِي الْآخِرِ الْوُصُولُ بِتِلْكَ الصِّنَاعَةِ نَحْوَ التَّقَدُّمِ، وَقَدْ لَمَسْتُ هَذَا مِنْ أَنْمُودَجِ الْوَرَقِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِشَافِهِ وَانْتِقَالِهِ إِلَى الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْأَنْدَلُسِ، كَمَا تُثَمِّلُ الصِّنَاعَاتُ بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصِيَّتِي الْمِيلَ لَذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْبَسِيطِ الَّذِي كَانَ يَكْدُ وَيَجْتَهِدُ لِكَسْبِ قُوَّتِهِ الْيَوْمِي.

ب/ الدَوَافِعُ الْمَوْضُوعِيَّة:

إِنَّ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي اِهْتَمَّتْ بِالْجَانِبِ الصِّنَاعِيِّ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ فِي إِطَارِ شَامِلٍ وَمُتَكَامِلٍ قَدَّمْتُ لَنَا الْكَثِيرَ مِنَ الْإِشْكَالِيَّاتِ الَّتِي اسْتَطَعْتُ مِنْ خِلَالِهَا تَبْنِي إِحْدَاهَا كَمَوْضُوعٍ لِلدِّرَاسَةِ بِمُسَاعَدَةِ نُخْبَةٍ مِنْ أَسَاتِذَتِنَا الْأَفَاضِلِ وَتَوْجِيهِهِ مِنْ أَسَاتِذِي الْمُشْرِفِ فِي تَصْوِيبِ الْمَوْضُوعِ ضِمْنَ إِطَارِهِ الزَّمَنِيِّ وَالْجُغْرَافِيِّ، وَكَذَلِكَ الزَّوَايَا الَّتِي حَاولْتُ فِيهَا وَصَلَ حَلْقَةً تَطَوَّرَ الْوَرَقُ الْإِسْلَامِيُّ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تَوَجُّهُ الْبُحُوثِ نَحْوَ دِرَاسَةِ الْمَخْطُوطَاتِ مِنْ حَيْثُ الْمَوْضُوعُ دُونَ الْإِهْتِمَامِ بِالْمَادَّةِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا سَاهَمَتْ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ فِي حِفْظِ الْكَثِيرِ مِنْهَا وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَكْتَبَاتِ وَالْخَزَائِنِ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ تَارِيخَ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْمَنْطِقَةِ بَقِيَ مُهْمَشًا أَمَامَ الدِّرَاسَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ مِنْ أَسَاتِذَتِنَا الْمُحَقِّقِينَ فِي الْمَشْرِقِ، وَمِنْهُ جَاءَتْ مُحَاوَلَتِي كِبْدَايَةَ لِإِعَادَةِ الْإِعْتِبَارِ لِلْمَجْهُودَاتِ الْمُقَدَّمَةِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ لِإِنْتِاجِ الْوَرَقِ، عِلْمًا أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الصِّنَاعَاتِ الَّتِي احْتَرَفَ فِيهَا أَهْلُ الْمَنْطِقَةِ لَا تَزَالُ مَحَلَّ نَظَرٍ، رَغْمَ أَنَّ الدِّرَاسَاتِ

مَقْدَمَة

الإقتصادية في مَجَالِنَا المَدْرُوس قَدْ قَطَعَتْ شَوَاطِئَ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ طَرَفِ البَاحِثِينَ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الجُرْئِيَّاتِ الَّتِي تَبْدُو بِسِيطَةٍ أَصْبَحَتْ تُمَثِّلُ قِيَمَةً حَضَارِيَّةً لِلهُيُوتِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِعَمَلِيَّةِ التَّأْرِيخِ أَمَّا الدِّرَاسَاتِ الَّتِي أَضَحَتْ تُنْسَبُ زُورًا وَكَذِبًا لِمَجَالَاتِ مُعَيَّنَةٍ فِي عَمَلِيَّةِ هَدْمِ مُتَعَمِّدَةٍ لِأَرْكَانِ الحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

4/ أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ:

يَتِمَثَّلُ هَدَفِي مِنَ البَحْثِ مُوَاصَلَةَ مَجْهُودَاتِ البَاحِثِينَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ اعْتَنَوْا بِدِرَاسَةِ تَطَوُّرِ صِنَاعَةِ الوَرَقِ الإِسْلَامِيِّ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَمُشَارَكَةَ الْمُخْتَصِّصِينَ مِنْ مُخْتَلَفِ الجِنْسِيَّاتِ فِي إِثْرَاءِ هَذَا المَوْضُوعِ، المُتَعَلِّقِ بِمَنْطِقَةِ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ كُنْتُ قَدْ أَشْرْتُ لِتَطَوُّرِهِ الزَّمَنِيِّ مِنْذُ اكْتِشَافِهِ إِلَى غَايَةِ وُصُولِهِ إِلَى القَارَةِ الأُورُوبِيَّةِ وَالْأَمْرِيكِيَّةِ لِأَنِّي لَا أَرِيدُ مِنْ مَوْضُوعِي التَّحْيِيزَ لِأَيِّ مَكَانٍ عَنِ الْآخَرِ بِالرَّغْمِ مِنْ تَرْكِيزِي عَلَى الحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِسَبَبِ طَبِيعَةِ المَوْضُوعِ مِنْ جِهَةٍ وَكَذَلِكَ لِلرَّدِّ عَلَى الدِّرَاسَاتِ الإِسْتِشْرَاقِيَّةِ الَّتِي تَتَاوَلَتْ مَوْضُوعَ صِنَاعَةِ الوَرَقِ فِي العَالَمِ.

يَهْدَفُ المَوْضُوعُ إِلَى تَكْوِينِ إِتِّحَادٍ مَعْرِفِيٍّ فِي مَجَالِ التَّأْرِيخِ لِصِنَاعَةِ الوَرَقِ بَيْنَ المَشْرِقِ والغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ لِكَي تَكْتَمِلَ صُورَةُ الإِبْدَاعِ الإِسْلَامِيِّ لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ فِي جَمِيعِ الحَوَاضِرِ وَالتَّعْرِيفِ بِمُسَاهَمَةِ الجَنَاحِ الإِسْلَامِيِّ الغَرْبِيِّ الفَعَّالِ فِيهَا فِي مُخْتَلَفِ المُدُنِ خِلَالَ فُتُورَاتِ الحُكْمِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهِ، وَالتَّذَكُّيرِ بِمَاضِي الصِّنَاعَةِ الوَرَقِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي المَغْرِبِ الإِسْلَامِيِّ وَالْأَنْدَلُسِ وَكَيْفِيَّةِ اسْتِفَادَةِ الأُورُوبِيِّينَ مِنْ تَقْنِيَّاتِهَا، وَأَخِذَ العِبْرَةَ مِنْ تَجَارِبِ المَنْطِقَةِ بَعْدَ دُخُولِهَا مَرَحَلَةَ الْحَاجَةِ فِي زَمَنِ الضَّعْفِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُحَقِّقُ الإِكْتِفَاءَ الذَّاتِيَّ فِي الإِنْتِاجِ.

5/ أَهْمِيَّةُ الدِّرَاسَةِ

تَسْتَمِدُّ الدِّرَاسَةُ أَهْمِيَّتَهَا مِنْ قِيَمَةِ المَادَّةِ الَّتِي حَاولَتْ البَحْثُ عَلَيْهَا وَالمُتَمَثِّلَةِ فِي إِنْتِاجِ الوَرَقِ بِالغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، فَلَمَّا كَانَ الوَرَقُ مِنْ الإِكْتِشَافَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْكَبِيرَةِ فَإِنَّ دِرَاسَتَهُ بِالنِّسْبَةِ لِتَخْصُصِ التَّأْرِيخِ يُعَدُّ إِضَافَةً لِمُجْمَلِ الصِّنَاعَاتِ الَّتِي عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ، وَاسْتِمْرَارًا لِلْكَشْفِ عَنْ مَدَى مُسَاهَمَةِ هَذَا الوِعَاءِ فِي حِفْظِ الثَّرَاثِ الْقَدِيمِ، وَبِحُكْمِ ارْتِبَاطِنَا بِمَجَالٍ وَزَمَنِ مُحَدَّدٍ لِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ وَإِنْتِاجِهَا فَإِنَّ أَهْمِيَّةَ الدِّرَاسَةِ أَصْبَحَتْ مُوجَّهَةً نَحْوَ التَّعْرِيفِ بِمُسَاهَمَةِ مَنْطِقَةِ الغَرْبِ

مَقْدَمَة

الإسلامي في تَطَوُّر صِنَاعَةِ الْوَرَقِ مِنْ خِلَالِ مُدُنِهِ الْمَشْهُورَةِ وَفَتْحِ الْمَجَالِ أَمَامَ الْبَاحِثِينَ لِإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي أَحْكَامِهِمُ السَّابِقَةِ حَوْلَ عَدَمِ وُجُودِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذَا الْجَنَاحِ، إِضَافَةً إِلَى إِثْرَاءِ الرَّصِيدِ التَّارِيخِيِّ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبُحُوثِ وَبَعْثِهَا مِنْ جَدِيدٍ كَنَّمَازِجٍ لِإِعَادَةِ الْإِعْتِبَارِ لِلْإِنْجَازَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالِدِّفَاعِ عَنْهَا.

إِنَّ أَهَمِّيَّةَ الدِّرَاسَةِ تَتَّبَعُ مِنْ وَاقِعِ الصِّدَامِ الْبَحْثِيِّ الَّذِي وَلَدَتْهُ الْمَدَارِسُ التَّارِيخِيَّةُ الْغَرْبِيَّةُ اتِّجَاهَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَإِنْجَازَاتِهِ، فَقَدْ حَاوَلَ الْمُسْتَشْرِقُونَ فِي دِرَاسَتِهِمْ لِتَّارِيخِ الْوَرَقِ إِقْصَاءَ دَوْرِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَإِنَّ تَقْدِيمِي لِلْحُجَجِ الثَّابِتَةِ بِأَنَّ الْغَرْبَ الْإِسْلَامِي كَانَ الْقَاعِدَةَ الَّتِي تَأَسَّسَتْ عَلَى إِثْرِهَا الصَّنَاعَةُ الْوَرَقِيَّةُ فِي أُرُوبَا يَرْفَعُ مِنْ قِيَمَةِ الْبَحْثِ فِي ظِلِّ الْغِيَابِ الَّذِي كَانَ مَوْجُوداً فِي التَّعْرِيفِ بِالْمُدُنِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ بِالصَّنَاعَةِ، وَأَيْضاً تَرْغِيبَ الْبَاحِثِينَ الْقَادِمِينَ فِي مُوَاصَلَةِ الْكَشْفِ عَنْ مُخْتَلَفِ الصَّنَاعَاتِ الَّتِي كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ الْفَضْلُ فِي تَطْوِيرِهَا أَوْ ابْتِكَارِهَا.

6/ خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ

تَطَلَّبَ مِنِّي مَوْضُوعُ حَوَاضِرِ إِنْتَاجِ الْوَرَقِ بِالْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ (ق 2_9هـ / 8_15م) دِرَاسَةَ تَّارِيخِيَّةَ حَضَارِيَّةٍ، إِتِّبَاعَ إِسْتِرَاطِيجِيَّةٍ بِهَدَفِ الْوُصُولِ إِلَى الْإِجَابَةِ عَنْ مُخْتَلَفِ السَّأُولَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي الْإِشْكَالِيَّةِ الْعَامَةِ، وَلِتَحْقِيقِ ذَلِكَ قُتِمَ بِتَقْسِيمِ الْبَحْثِ إِلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ رَئِيسِيَّةٍ يَحْتَوِي كُلٌّ مِنْهَا عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَبَاحِثِ نُبْرِزُهَا كَالآتِي :

أ/ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

قُتِمَ بِوَضْعِ عُنْوَانٍ لِلْفَصْلِ الْأَوَّلِ يَكُونُ جَامِعاً لِمُخْتَلَفِ الْأَفْكَارِ الْمَطْرُوحَةِ فِيهِ وَهُوَ الْمَوْسُومُ بـ: الْمَعْرِفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ، مُقَسَّمٌ إِلَى خَمْسَةِ مَبَاحِثٍ وَعَنَاوِينَ فَرَعِيَّةٍ بَحِثُ نَاقَشْتُ فِيهِ فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ مَوْضُوعَ الْأَوْعِيَةِ الْكِتَابِيَّةِ قَبْلَ اكْتِشَافِ الْوَرَقِ مِنْ أَجْلِ إِبْرَازِ الْمَرَاكِحِ الَّتِي انْتَقَلَ فِيهَا الْإِنْسَانُ الْقَدِيمُ فِي مُخْتَلَفِ الْمَوَادِّ الَّتِي طَوَّرَهَا قَصْدَ الْكِتَابَةِ عَلَيْهَا مِثْلَ مَادَّةِ الْبَرْدِيِّ وَالْأَلْوَاكِ الطَّيْنِيَّةِ وَالرُّقُوقِ وَالْجُلُودِ وَكَذَلِكَ الْأَلْوَاكِ الْخَشَبِيَّةِ وَالصَّفَائِحِ الْمَعْدَنِيَّةِ، مُلَمِّحِينَ إِلَى مَوَادِّ أُخْرَى جَاءَتْ فِي السِّيَاقِ مِثْلَ الْأَحْجَارِ وَالطُّرُوسِ وَغَيْرِهَا، كَمَا ذَكَرْتُ قِيَمَتَهَا وَمَدَى اِهْتِمَامِ الْإِنْسَانِ بِهَا.

مَقْدَمَة

أَمَّا الْمَبْحَثُ الثَّانِي فَقَدْ عَنُونْتُهُ بِ: اِكْتِشَافُ الْوَرَقِ فِي الصِّينِ، لِأَنَّ التَّأْرِيخَ يَتَطَلَّبُ مَنَّا السَّيْرَ وَفَقَ مِنْهَجِيَّةَ مُنْظَمَةٍ وَهِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ مَرَحَلَةِ الْإِكْتِشَافِ إِلَى الْإِنْتِشَارِ، بِحَيْثُ طُرِحَتْ فِيهِ رِوَايَاتُ اِكْتِشَافِ الْوَرَقِ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الدَّلَائِلِ الَّتِي اِكْتِشِفَتْ فِي الصِّينِ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَالَّتِي أَعَادَتْ حِقْبَتَهُ الزَّمَنِيَّةَ إِلَى أُسْرَةِ هَانِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى عَكْسِ مَا كَانَ مُتَدَاوِلًا فِي الْأَوْسَاطِ الْعِلْمِيَّةِ بِأَنَّ الْإِكْتِشَافَ يَعُودُ لِأُسْرَةِ هَانِ الشَّرْقِيَّةِ، ثُمَّ عَرَّجْتُ إِلَى ذِكْرِ عَوَامِلِ اِكْتِشَافِهِ فِي الصِّينِ مِنْ مَقَوِّمَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ وَحَتَّى سِيَاسِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ تَشْجِيعِ الْأَبَاطِرَةِ الصِّينِيِّينَ لِلْمُخْتَرَعِينَ، كَمَا تَحَدَّثْتُ عَنْ اِنْتِشَارِهِ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ خَاصَّةً الْيَابَانَ وَكُورِيَا وَدَوْرَ الْعَامِلِ الدِّينِيِّ فِي اِنْتِقَالِهِ إِلَى هَذِهِ الدُّوَلِ، أَمَّا النُّقْطَةُ الْفَاصِلَةُ فِي الْمَوْضُوعِ، فَهِيَ مَعْرِفَةُ الْمُسْلِمِينَ بِأَسْرَارِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ حَيْثُ تَطَلَّبُ مِنِّي الْإِسْتِعَانَةَ بِبَعْضِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ التَّأْرِيخِيَّةِ لِلإِجَابَةِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَعَنْ إِمْكَانِيَّةِ رِبْطِهَا بِمَعْرَكَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ سَقَطَ فِيهَا الْعُمَالُ الصِّينِيُّونَ كَأَسْرَى فِي الْحَرْبِ أَوْ فِي إِطَارِ الْمُعَامَلَاتِ التِّجَارِيَّةِ عِبْرَ طَرِيقِ الْحَرِيرِ.

بَعْدَ تَقْدِيمِي لِمَوْضُوعِ اِنْتِقَالِ الْوَرَقِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ افْتَتَحْتُ الْمَبْحَثَ الثَّلَاثَ بِعَنْوَانٍ: حَوَاضِرُ اِنْتِاجِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْمَشْرِقِ وَالَّذِي أَحْصَيْتُ فِيهِ أَهْمَ الْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي بَرَعَتْ فِي الصِّنَاعَةِ ابْتِدَاءً بِمَدِينَةِ سَمَرْقَنْدَ، ثُمَّ بَغْدَادَ وَالْمُدُنَ الشَّامِيَّةَ وَالْيَمَنَ وَالْمُدُنَ الْفَارَسِيَّةَ وَمِصْرَ مُسْتَعِينًا بِمِخْتَلَفِ الشُّوَاهِدِ الَّتِي أَثْبَتَتْ بَرَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ، وَقَدْ أَشْرْتُ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْهَا عَنْ مَدَى اِهْتِمَامِ الْمُسْلِمِينَ وَتَنَافُسِهِمْ فِي الْإِنْتِاجِ، وَقَدْ اِحْتَلَّتِ الْعَاصِمَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بَغْدَادُ الرِّيَادَةَ فِي الْجُودَةِ وَتَبَعَتْهَا الْمُدُنُ الْأُخْرَى.

لَمْ يَكْتَمِلْ بِنَاءُ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ إِلَّا بِالْمَبْحَثِ الرَّابِعِ الَّذِي دَرَسْتُ فِيهِ مُمَيِّزَاتِ الْوَرَقِ فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ اِنْطِلَاقًا مِنْ آدَابِ صِنَاعَتِهِ وَبَيْعِهِ وَفِيهِ اسْتَلْهَمْتُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ الصِّنَاعَةَ لَهَا أَحْكَامُهَا الْخَاصَّةُ الَّتِي تَدْخُلُ فِي إِطَارِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ حَيْثُ جُمْلَةُ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَمِمَّا أَثَارَ اِهْتِمَامِي فِي الْبَحْثِ هُوَ مَقَادِيرُ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي اسْتَوْحِيَتْ مَقَايِيسُهُ مِنْ مَصْدَرٍ مُهِمٍّ وَهُوَ كِتَابُ صُبْحِ الْأَعَشَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ لِلْفَلَقْشَنِيِّ فِي الْقَرْنِ النَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ، فَمِنْ خِلَالِ الْمَقَايِيسِ تَبَيَّنَ لِي مَدَى بَرَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي صِنَاعَةِ أَوْرَاقٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَسَبَ الطَّلَبِ وَالْحَاجَةِ وَهُوَ مَا سَاهَمَ فِي رَوَاجِ الْمَادَّةِ، وَمِمَّا زَادَ مِنْ قِيَمَةِ الْمَوْضُوعِ بَحْثِي حَوْلَ الْعَلَامَاتِ الْمَائِيَّةِ فِي

مَقْدَمَة

الورق الإسلامي ومُحاوَلَة مَعْرِفَة مَدَى اِهْتِمَام المُسْلِمِينَ بوضع بَعْض الرُّمُوز أو الأشْكَال في قَالِب الورق وأهميَّتها في عَمَلِيَة التَّأْرِيخ، وَكُنْتِيَجَة لِلْمَبْحَث تَطَرَّقت لِلْحَدِيث عَنْ أَنْواع الورق الإسلامي في المَشْرِق أين اتَّضَح وُجُودُ العَدِيد مِنْهُ، وَقَدْ قُمت بِتَرْتِيبِهِ ابتداءً مِنَ الورق البَغْدَادِي الكَامِل الذي يُعَدُّ الأَجُودَ والأَحْسَنَ بَيْنَ كُلِّ الأنواع التي صُنِعت في المَدُن الإسلاميَّة الأُخْرَى. خِتَامًا لِلْفَصْلِ الأوَّل قُمت بِإِثْرَائِهِ بِمَبْحَثٍ خَامِسٍ حَوْلَ عِلَاقَة الورق الإسلامي بِالْحِرَف والصَّنَاعَات الأُخْرَى وَعَلَى رَأْسِهَا مِهْنَةُ الْوَرَاقَة وَمَا لَهَا مِنْ تَكَامُلٍ مُبَاشِرٍ مَعَ الْوَرَق لِأَنَّ الْوَرَّاقِينَ كَانُوا يَحْتَاجُونَ لِهَذِهِ الْمَادَّةِ فِي مُخْتَلَفِ أَعْمَالِهِم اليَوْمِيَّة، وَأَحْصَيْت مِنْ الْحِرَف الأُخْرَى صِنَاعَةً الْأَقْلَام التي ازدهرت مَعَ إِنْتَاج الْوَرَق، فَقَدْ خَصَّصَ الْخَطَّاطُونَ أَنْوعًا مِنَ الْأَقْلَام التي أُعْطَتْ لِلْوَرَق رَوْنًا مُمَيَّزًا، مَعَ إِشَارَتِي لِلْحَبْر والمِدَاد الذي كَانَ يُصْنَع خِصِيصًا حَسَبَ جُودَة وَنُوعِيَة الْوَرَق مِنْ خِلَالِ وَصَفَات إسلاميَّة نَادِرَة اسْتُعْمِلَ فِيهَا الذِّكَاءُ الْكِيمِيَائِي، وَلَا تَكْتَمِلُ أَهْمِيَّة الْوَرَق إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْحَدِيث عَنْ نَتَائِجِهِ الْكَبِيرَة عَلَى تَأْلِيفِ الْكُتُبِ وَازْدِهَارِ وَتَأْسِيسِ الْمَكْتَبَاتِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّة.

ب/ الْفَصْلُ الثَّانِي

يُعْتَبَرُ الْفَصْلُ الثَّانِي الْمَوْسُومُ بِإِنْتَاج الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ جَوْهَرَ الْبَحْثِ لِأَنَّهُ يُمَثِّلُ حَقِيقَةً وَأَصْلَ الْإِشْكَالِيَّةِ الْمَفْقُودَة فِي التَّأْرِيخِ الشَّامِلِ لَصِنَاعَةِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلِتَفْسِيرِ ذَلِكَ افْتَتَحْتُهُ بِالْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ الْمُتَعَلِّقِ بِمُنْطَلَقَاتِ التَّأْرِيخِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْمَنْطَقَةِ مِنْ خِلَالِ عَرْضِ لِأَشْهُرِ الْمَوَادِّ التَّقْلِيدِيَّةِ التي كَتَبَ عَلَيْهَا إِنْسَانُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ كَبْدَايَة نُبَيِّنُ فِيهَا أَنَّ السُّكَّانَ قَدْ اسْتَعْلَوْا كُلَّ الْمَوَادِّ لِحَفْظِ تَرَاثِهِمِ الْفِكْرِيِّ وَالْعِلْمِيِّ، بِحَيْثُ كَانَتْ مَادَّةُ الرِّقِّ الْوِعَاءِ الذي سَيَطَّرَ عَلَى مَوَادِّ الْكِتَابَةِ وَاسْتَمَرَّ اسْتِعْمَالُهُ لِقُرُونٍ عَدِيدَةٍ فِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى، الْأَوْسَطِ وَالْأَقْصَى خَاصَّةً فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّة، ثُمَّ انْتَقَلَتْ لِلْخَوْصِ فِي مَسْأَلَةِ مُكَمِّلَةٍ لِمَا سَبَقَ وَهِيَ التَّحْقِيقُ الزَّمَنِيُّ لِبِدَايَةِ إِنْتَاجِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ تَعُودُ إِلَى عَهْدِ دَوْلَةِ الْأَغَالِبَةِ بِالْقَيْرَوَانِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ رَغْمَ بَسَاطَةِ الصَّنَاعَةِ الْمَوْجُودَةِ، وَمِنْ أَجْلِ التَّأْرِيخِ الصَّحِيحِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ كُنْتُ قَدْ أَلْفَتُ النَّظَرَ إِلَى إِشْكَالِيَّةِ الْمُصْطَلَحَاتِ بَيْنَ إِطْلَاقِ تَسْمِيَةِ الْكَاعْدِ أَوْ الْوَرَقِ عَنْ طَرِيقِ مَعَانِيهَا اللَّغَوِيَّةِ وَالْإِصْطِلَاحِيَّةِ، وَقَدْ تَبَيَّنَتْ مُصْطَلَحُ الْوَرَقِ وَلَمْ نَنْفِ الْآخَرَ

مَقْدَمَة

لأنَّ المَجَالَ واسع القراءة مِنَ الصِّينِ إِلَى مُدُن مُتَعَدِّدَة فِي أوروْبَا، وَمِنْهُ كَانَ مَقْصِدِي الْأَخِيرُ إِطْلَاقَ الْمُصْطَلَحِ الْمَشْهُورِ عَلَى الْجَمِيعِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ وَهُوَ الْعَالِبُ فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ. إِنَّ إِنْتَاجَ الْوَرَقِ يَحْتَاجُ بِالضَّرُورَةِ إِلَى مَوَادِّ أَوَّلِيَّةٍ وَهُوَ مَا جَعَلَنِي أَخْصَصُ مَبْحَثًا ثَانِيًا أَسْتَقْصِي فِيهِ مِنْ خِلَالِ الْمَصَادِرِ تَوْفُرَ هَذِهِ الْمَوَادِّ فِي الْمُدُنِ الْمَغَارِبِيَّةِ وَالْأَنْدَلُوسِيَّةِ، مِثْلَ مَادَّةِ الْقُطْنِ وَالْكُتَّانِ وَالْخَلْفَاءِ وَالْقُنْبِ إِضَافَةً إِلَى الْأَشْجَارِ، أَيْنَ تَوَزَّعَ انْتِشَارُهَا فِي مَنَاطِقَ مُتَعَدِّدَةٍ تَمَّ التَّفْصِيلُ فِيهَا فِي الْمَبْحَثِ، وَالتِّي سَاهَمَ الْمَوْقِعُ الْجُغْرَافِيُّ الْمُمْتَازُ وَالْمُنَاحُ فِي تَوْفُرِهَا وَاكْتِفَاءِ الْمَنْطِقَةِ مِنْهَا، وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ الْمَوَادُّ الْأَوَّلِيَّةُ مِنَ الثَّبَاتَاتِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَادَّةِ السَّلِيلُوزِ الْمُهْمَّةِ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ إِضَافَةً إِلَى الْخِرَقِ مِنَ الْمَلَابِسِ الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ مِنَ الْبُيُوتِ كَمَوَادِّ أُخْرَى لِتَعْطِيَةِ النَّقْصِ الْحَاصِلِ فِي الْمَوَادِّ النَّبَاتِيَّةِ وَهِيَ الْمُسْتَحْدَمَةُ خَاصَّةً فِي الْأَنْدَلُسِ.

مَثَلَتْ حَاضِرَةُ الْقَيْرَوَانِ وَتِلْمَسَانَ وَقَاسَ إِضَافَةً إِلَى شَاطِئَةِ الْأَنْدَلُوسِيَّةِ عَنَاوِينَ فَرْعِيَّةٍ لِلْمَبْحَثِ الثَّلَاثِ الْمُتَعَلِّقِ بِ: حَوَاضِرِ إِنْتَاجِ الْوَرَقِ بِالْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ، حَيْثُ حَاولْتُ فِيهِ إِبْرَارَ أَهَمِّ الشُّوَاهِدِ التَّارِيخِيَّةِ حَوْلَ وَجُودِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ رَغْمَ نُدْرَتِهَا مُقَارَنَةً بِالْحَوَاضِرِ الْمَشْرِقِيَّةِ، حَيْثُ تَأَكَّدْتُ مِنْ تَوْفُرِ الْمَادَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى بِالْقَيْرَوَانِ مُنْذُ عَهْدِ الْأَغَالِبَةِ، أَمَّا فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ تَبَقَّى الشُّوَاهِدُ إِلَى حَدِّ دِرَاسَتِنَا مَفْقُودَةً إِسْقَاطًا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ابْنُ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ بِأَنَّ الْوَرَقَ كَانَ مَوْجُودًا فِي تِلْمَسَانَ قَبْلَ عَهْدِهِ أَيَّ قَبْلَ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ، أَمَّا فِي قَاسٍ فَقَدْ اتَّفَقَتْ الْمَصَادِرُ عَلَى أَنَّ بَدَايَةَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مُنْذُ عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ وَازْدَهَرَتْ مَعَ الْمُؤَحِّدِينَ، كَمَا أَكَّدَتْ الْمَصَادِرُ انْطِلَاقًا مِمَّا أوردَهُ الْإِدْرِيسِيُّ بِأَنَّ شَاطِئَةَ الْأَنْدَلُوسِيَّةِ كَانَتْ تُنتِجُ أَجُودَ أَنْوَاعِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ وَمِنْهَا انْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَنْسِيَّةِ، وَبِنَاءً عَلَى تَتَبُعِي لِهَذِهِ الْحَوَاضِرِ نَكُونُ قَدْ شَكَّلْنَا خَارِطَةً تَوْزِيعِ إِنْتَاجِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ فِي عَصْرِ الْأَنْوَارِ انْطِلَاقًا مِنْ سَمَرْقَنْدٍ فِي الشَّرْقِ وَصُولاً إِلَى شَاطِئَةِ الْأَنْدَلُوسِيَّةِ فِي الْغَرْبِ.

خَتَامًا لِلْفَصْلِ الثَّانِي تَنَاولْتُ جَانِبًا حَضَارِيًّا لِنَتَائِجِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ مُبْرِزًا آثَارَهُ الْكَبِيرَةَ عَلَى عَمَلِيَةِ النَّسْخِ وَحَرَكَةِ التَّأْلِيفِ وَنُمُوِّ نَشَاطِ الْوَرَّاقِينَ وَالنَّسَاحِينَ الَّذِينَ أَغْنَاهُمُ الْوَرَقُ عَنْ أَوْعِيَةِ الْكِتَابَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ تَزُولُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَمَعَ إِنْتَاجِ الْوَرَقِ أَيْضًا بَدَأَتْ الْمَرْحَلَةُ الذَّهَبِيَّةُ لِلْكِتَابِ فَقَدْ زَادَ عَدَدُ الْمَخْطُوطَاتِ كَثِيرًا وَأَخَذَ التَّنَافُسُ

مَقْدَمَة

يَشْمَلُ الخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَءَ وَالْأَغْنِيَاءَ عَلَى اقْتِنَاءِ الكُتُبِ النَّادِرَةِ وَأُضْحَى الخَطَّاطُونَ والنَسَاحَ مَوْضِعَ البَحْثِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِيَةِ التَّدْوِينِ.

إِنَّ ثَوْرَةَ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ سَاهَمَتْ فِي تَأْسِيسِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَكْتَبَاتِ الَّتِي تَعُودُ بِالدرَجَةِ الْأُولَى لِتَوْفُرِ الْمُصَنَّفَاتِ الْعِلْمِيَةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالَّتِي أَصْبَحَتْ مُتَدَاوِلَةً بَعْدَمَا عَرَفَتْ تَحْسُنًا مَلْحُوظًا فِي الشَّكْلِ مِنْ حَيْثُ التَّجْلِيدُ وَالتَّسْفِيرُ وَنَوْعِيَةِ الْوَرَقِ الْمُسْتَعْدَمِ وَكَذَلِكَ تَنَافُسَ الْخَطَّاطِينَ فِي تَجْمِيلِ الْخَطِّ وَالزَّخْرَفَةِ بِكُلِّ أَنْوَعِهَا، كُلُّهَا شَوَاهِدَ حَاولْنَا الْإِلْمَامَ بِهَا لِكَيْ نُبَيِّنَ النَّتَائِجَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا هَذَا الْوِعَاءُ مِنْ جِهَةٍ، وَنُوضِّحَ الْمَكُونُ الْخَضَارِيَّ لِلْمَنْطِقَةِ وَمَا تَزَخَّرَ بِهِ مِنْ ثَقَافَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَاولَ أَهْلُ الْمَنْطِقَةِ تَشْكِيلَهَا فِي مُخْتَلَفِ الْحِقَبَاتِ مَعَ الدُّوَلِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

ج/ الفصل الثالث

مُواصَلَةً مِنِّي لِدِرَاسَةٍ وَقَعَ إِنتَاجُ الْوَرَقِ طَرَحَتْ عَنْوَانًا يُنَاقِشُ جَدَلِيَّةَ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ التَّحْكُمِ فِي الصَّنَاعَةِ إِلَى الْحَاجَةِ قَصْدَ التَّوَسُّعِ فِي التَّنْقِيبِ عَلَى تَارِيخِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَيْثُ تَطَرَّقْتُ فِي الْمَبْثِ الْأَوَّلِ إِلَى إِشْكَالِيَّةِ الْمَادَّةِ الْمَصْدَرِيَّةِ بِهَدَفٍ تَنْبِيهِ الْبَاحِثِينَ إِلَى أَنَّ الْكُتُبَ الَّتِي تَنَاقَلَتْ الْحَدِيثَ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ نَادِرَةٌ جِدًّا انْطِلَاقًا مِنَ الْمَخْطُوطَاتِ الَّتِي وَجَدْتُ مِنْهَا وَاحِدَةً تَابِعَةً لِلْمَنْطِقَةِ تَتَنَاولُ فِي بَابِهَا الْحَادِي عَشَرَ الْحَدِيثَ عَنِ الْوَرَقِ وَهُوَ مَخْطُوطٌ "عُمْدَةُ الْكُتَّابِ وَعُدَّةُ ذَوِي الْأَلْبَابِ" فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ الْمُنْسُوبِ لِلْمُعْزِ ابْنِ بَادِيسِ الصَنْهَاجِيِّ إِضَافَةً إِلَى كُتُبِ الْحِسْبَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمُحْتَسِبِينَ كَانُوا يَقُومُونَ بِشُؤُونِ الْأَسْوَاقِ، وَفِي هَذَا الصَّدَدِ وَقَفْنَا عَلَى إِشَارَتَيْنِ بَسِيطَتَيْنِ فِي رَسَائِلِ الْحِسْبَةِ لِابْنِ عَبْدِونَ وَالْجَرَسِيْفِيِّ وَنَصَائِحِهِمَا لِلْعُمَّالِ فِي ضَرُورَةِ تَحْسِينِ صُنْعِهِ، كَمَا اسْتَنْتَجْنَا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ وَالنَّوَازِلِ بَعْضًا مِنْ أَحْوَالِ الْوَرَقِ خَاصَّةً فِي كِتَابِ "الْمَدْخَلِ لِابْنِ الْحَاجِ الْفَاسِي" وَفَتْوَى الْكَاعْدِ الرُّومِيِّ فِي كِتَابِ "الْمِيعَارِ الْمُعَرَّبِ" وَالْجَامِعِ الْمَغْرِبِ عَنْ فَتَاوَى أَهْلِ إِفْرِيْقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ "لَأَبِي الْعَبَّاسِ الْوَنْشَرِيْسِيِّ".

كَمَا سَاهَمَتْ الْكُتُبُ التَّارِيخِيَّةُ الْعَامَّةُ وَالْجُغْرَافِيَّةُ رَغْمَ قِلَّتِهَا فِي دَعْمِ عَمَلِيَةِ التَّارِيخِ عَنْ طَرِيقِ الْوَصْفِ أَوْ النُّقْلِ الْمُقْتَبَسِ وَ الْمُخْتَصَرِ.

مَقْدَمَة

إنَّ البَحْثَ حَوْلَ طَرِيقَةِ الصَّنَاعَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ كَانَ مَوْضُوعَ الْمَبْحَثِ الثَّانِي بِفُرُوعِهِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ خِلَالِ جَمْعِ الْمَادَّةِ وَالتَّحْضِيرِ، الْعَسْلُ وَالْعَرَكُ وَالتَّقْطِيعُ، تَحْضِيرِ الْقَالِبِ، سِقَايَةِ الْوَرَقِ، الَّذِي تَتَّبَعَتْ خُطَوَاتِهِ مِنْ خِلَالِ مَخْطُوطٍ "عُمْدَةُ الْكِتَابِ وَعُدَّةُ ذَوِي الْأَلْبَابِ" الَّذِي أَطْلَعَنَا عَلَى أَحَدِ أَهَمِّ أَسْرَارِ نَجَاحِ عَمَلِيَةِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ، وَهُوَ يُعْتَبَرُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي أَشَارَتْ لِلصَّنَاعَةِ إِلَى جَانِبِ كِتَابِ "الْأَبْرَارِ فِي بَرِي الْقَلَمِ وَعَمَلِ الْأَحْبَارِ"، وَكِتَابِ "الْمُخْتَرَعِ فِي فُنُونِ مِنَ الصَّنْعِ فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ".

شَكَّلَتِ الْخُطَوَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْمَبْحَثِ الْعَنَاصِرَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي انْتَقَتْ عَلَيْهَا الْبَشَرِيَّةُ فِي الْوَصْفَةِ الصَّنَاعِيَّةِ لِإِنْتِاجِ الْوَرَقِ مَعَ بَعْضِ الْإِخْتِلَافَاتِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي أُدْخِلَتْ عَلَى نِظَامِ التَّقْنِيَةِ فِيمَا بَعْدَ بِسَبَبِ التَّطَوُّرِ الصَّنَاعِيِّ مَعَ بَقَاءِ الْمَوَادِّ الْأَوَّلِيَّةِ أَسَاسًا لَا يُمَكِّنُ فَصْلَهُ عَنْ مَرَاكِحِ الْإِنْتِاجِ.

تَنَاوَلَتْ فِي الْمَبْحَثِ الثَّالِثِ تَفْسِيرَاتٍ تَرَاوَعَتْ صِنَاعَةُ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ، حَيْثُ قُتِمَتْ بِتَحْلِيلِ الْفَتَاوَى الشَّهِيرَةِ لِابْنِ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ حَوْلَ جَوَازِ اسْتِعْمَالِ الْكَاغِدِ الرُّومِيِّ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ، الْخَامِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ كَمَحَظَّةٍ بَارِزَةٍ عَلَى لُجُوءِ أَهْلِ الْمَنْطِقَةِ إِلَى الْإِسْتِيرَادِ فِي مَرَحَلَةِ الضَّعْفِ، كَمَا سَاهَمَ الْعَامِلُ السِّيَاسِيُّ فِي عَدَمِ تَوْفُرِ الْإِسْتِقْرَارِ لِلصَّنَاعَاتِ وَفَقًا لِمَا جَاءَ بِهِ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي نَظَرِيَّتِهِ حَوْلَ الْعُمُرَانِ وَقَدْ رَبطْنَا ذَلِكَ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي سَاهَمَتْ فِي ذَلِكَ ابْتِدَاءً بِالْمُشْكِلِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي مَثَّلَهُ الْوُجُودُ الشَّيْعِيُّ الْعُبَيْدِيُّ فِي الْمَنْطِقَةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ وَكَذَلِكَ صِرَاعِ الدُّوَيَّاتِ الزِّيَانِيَّةِ وَالْمَرِينِيَّةِ وَالْحَفْصِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ وَتَعَرُّضِ الْأَنْدَلُسِ لِلسُّقُوطِ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ، كَمَا فَسَّرْنَا ضَعْفَ الصَّنَاعَةِ بِالْعَامِلِ الْخَارِجِيِّ الْمُتَمَثِّلِ فِي هِجْرَةِ الْهَلَالِيِّينَ لِلْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ بِخَاصَّةٍ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ آثَارٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ إِضَافَةً إِلَى الْعَامِلِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي سَاهَمَ فِي تَعْطِيلِ الصَّنَاعَةِ خَاصَّةً الْمَادَّةَ الْأَوَّلِيَّةَ النَّبَاتِيَّةَ مِنْ خِلَالِ الْجَرَادِ وَالْفَيْضَانَاتِ وَمَوَاسِمِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ.

خَصَصْتُ الْمَبْحَثَ الرَّابِعَ لِدِرَاسَةِ نَتَاجِ تَرَاوَعِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ انْتِقَالِ الصَّنَاعَةِ إِلَى أَوْرُوبَا عَبْرَ الْمَنْفَعِدِينَ الشَّهِيرِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَصِقْلِيَّةٍ، مُبْرِزِينَ مَآثِرَ الْمَنْطِقَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأُورُوبِيِّينَ بِالصَّنَاعَةِ الْوَرَقِيَّةِ الَّتِي انْتَقَلَتْ إِلَى إِيطَالِيَا، وَإِسْبَانِيَا ثُمَّ فَرَنْسَا وَأَلْمَانِيَا

مَقْدَمَة

وُصُولاً إِلَى إِنجلترا وَالْأَرْضِي الْمُنخَفِضَةِ فِي هُولندا وَالْبِلَادِ الإسْكَندَنَافِيَةِ ثُمَّ الْقَارَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ وَقَدْ اسْتَعْنَتْ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ بِبَعْضِ الْمَرَاجِعِ الْأُورُوبِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ أَنْصَفَتْ الْكَثِيرُ مِنْهَا دَوْرَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَطْوِيرِ هَذِهِ الْمَادَّةِ عَلَى غِرَارِ الْبَاحِثِ الْأَمْرِيكِيِّ جُونَاثَانَ بْلُومَ، الْبَاحِثَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ سَغْرِيدِ هُونَكَةَ، الْبَاحِثِ الْفَرَنْسِيِّ غُوسْتَاَفِ لُوبُونِ، وَغَيْرِهِمْ.

سَعَيْتُ مِنَ الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ إِلَى إعْطَاءِ نَظَرَةٍ الْآخِرِ حَوْلَ إِسْهَامَاتِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ لِكَيْ أُسْتَطِيعَ جَمْعُ الْحُجَجِ لِلرَّدِّ عَلَى الْإِقْصَائِيِّينَ وَأُسْتَشْهَدُ بِالْمُنْصِفِينَ، وَأُعْطِيَ لَمَحَّةٌ عَنِ وَاَقِعِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ بَعْدَ ضَعْفِ إِنتَاجِهَا فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَحَوُّلِ مِيزَانِ الْقُوَّةِ إِلَى الدُّوَلِ الْأُورُوبِيَّةِ.

7/ مِنْهَجُ الدِّرَاسَةِ

اتَّبَعْتُ فِي دِرَاسَتِي مَنَاجِجَ مُتَعَدِّدَةٍ قَصَدَ تَحْلِيلَ الْفُصُولِ وَالْمَبَاحِثِ بِطَرِيقَةٍ سَلِيمَةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ وَهِيَ مُرتَبَةٌ حَسَبَ دَرَجَةِ الْإِسْتِعْمَالِ:

أ/ الْمَنْهَجُ التَّارِيخِي: وَهُوَ الَّذِي اسْتَمَدَّتْ مِنْهُ دِرَاسَتِي رُوحَهَا الْعِلْمِيَّةَ عَنِ طَرِيقِ تَوْظِيْفِهِ فِي الْبَحْثِ وَالتَّقْصِي عَنِ تَارِيخِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ مُنْذُ اكْتِشَافِهِ فِي الصِّينِ إِلَى غَايَةِ انْتِشَارِهِ فِي الْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَاتَّبَعْتُ الْمَنْهَجَ التَّارِيخِي سَمَحَ لِي بِالْكَشْفِ عَنِ مُخْتَلَفِ التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي مَوَادِّ الْكِتَابَةِ قَبْلَ وَبَعْدَ اكْتِشَافِ الْوَرَقِ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ الْأَحْسَنُ الَّذِي تَمَكَّنْتُ بِهِ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى حُجَجٍ تُثَبِّتُ وُجُودَ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ انْتَقَلَ إِلَى أُوْرُوبَا.

ب/ الْمَنْهَجُ الْوَصْفِي: بِسَبَبِ بُعْدِ الْمُدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ فِي تَارِيخِ إِنتَاجِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ كَانَ الْمَنْهَجُ الْوَصْفِي سَبِيلاً لِدِرَاسَةِ خُطُواتِ وَمَرَاكِجِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ وَتِقْنِيَّاتِهِ، وَقَدْ قَادَنِي فِي ذَلِكَ وَصْفُ الْمَصَادِرِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا لِطُرُقِ الصِّنَاعَةِ بِحَيْثُ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَوْجُّهِي بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ نَحْوَ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالسَّيْرِ عَلَى خُطَاهُمْ لِأَنَّ الْوَصْفَ يَحْمِي الْبَاحِثَ غَيْرَ الْمُعَاصِرِ وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ شَاهِداً عَلَى الْوَقَائِعِ مِنْ إِسْقَاطَاتٍ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا مَعَ ضَرُورَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى مَصَادِرَ أُخْرَى مِنَ بَابِ الْحِيْطَةِ وَالتَّحَرِّي.

مَقْدَمَة

ج/ **المنهج الاستقرائي:** استعنت به في دراستي لمُختلفِ المَصَادِر التي تتأولت الحديث عن صناعة الورق وهي في حقيقتها تُعدُّ نادرة، وقد أشرت إليها بالإشكالية المصدريّة، واستطعت من خلاله توظيف المراجع في مُختلف المباحث سواءً كانت مراجع عربيّة أو أجنبيّة، لكي أقارن بين مُختلف الآراء التي جاءت فيها.

د/ **المنهج العلمي:** تتداخل في عمليّة إنتاج الورق العديد من المصطلحات العلميّة التي استخدمتها في الدراسة مثل مصطلح السليلوز، والألياف النباتيّة، وماء الجير، العلامات المائيّة ومقاييس الورق المُختلفة ومقاييرها، بحيث ساعدني المنهج العلمي في إثراء الموضوع عن طريق شرح بعض التقنيات بمفاهيم مُعاصرة دون الإخلال بمصطلحات تلك الفترة وهذا لتقريب المعنى بشكل أحسن.

8/ الدِّراسات السابقة

من الدِّراسات السابقة التي تتأولت الحديث عن تاريخ الورق في الغرب الإسلامي مقالة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب حول: **البردي والرّق والكاغذ في إفريقية التّونسيّة وهي من أوائل البُحوث التي اهتمت ببداية وجود صناعة الورق في القيروان من خلال بعض الشّواهد الموجودة في متحف رقادة بثونس، ودراسة بحروني عبد الحميد حول الرّق والورق في القيروان، ومقالة لمرابطي سعيد حول صناعة الورق بالمغرب الإسلامي وغيرها من الدِّراسات التي لم نطلع عليها، بحيث تُعدُّ هذه المقالات ذات قيمة وجودة، إلا أن الدِّراسات الخاصة بالورق في الغرب الإسلامي لا تزال نادرة مقارنة بما كُتب عن تاريخ الورق في المشرق الإسلامي.**

9/ عرض وتقييم المَصَادِر والمراجع

أ/ المَصَادِر

— مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب المنسوب للمُعز ابن باديس الصنهاجي (ت 453 هـ/1061م) وهو الذي ينتمي جُغرافيًا إلى منطقة المغرب الأدنى و الأوسط وبالتحديد إلى الفترة الزيريّة (362 _ 543 هـ/ 971 _ 1152م) رغم اختلاف الباحثين حول نسبته إلى

مَقْدَمَة

المُعز بن باديس الصنهاجي إلا أنه يَبْقَى مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي أُبْرَزَتْ بِشَكْلِ لَافِت طَرِيقَةً صُنِعَ الْوَرَقُ الْإِسْلَامِي، وَالتِّي تُعْتَبَرُ شَاهِدًا حَقِيقِيًّا عَلَى تَحْكُمِ الْمُسْلِمِينَ وَبِرَاعَتِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ حَيْثُ اسْتَفَدْنَا مِنْهُ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ: فِي عَمَلِ الْكَاغِدِ وَالْأَوْرَاقِ وَسُقْيَتِهَا وَتَوْشِيَةِ الْأَقْلَامِ وَنَقْشِهَا، خَاصَّةً فِيمَا تَعَلَّقَ بِخُطُوتِ وَمَرَاجِلِ الصَّنَاعَةِ بِحَيْثُ يُعْتَبَرُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي اهْتَمَّت بِشَرْحِ الطَّرِيقَةِ بِشَكْلِ مُفَصَّلٍ.

_ كِتَابُ الْمِيعَارِ الْمُعَرَّبِ، وَالْجَامِعُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَتَاوَى أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْوَنَشْرِيْسِي (ت 914هـ/1508م)، حَيْثُ اسْتَفَدْتُ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ خِلَالِ فَتَوَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ الْكَاغِدِ الرُّومِيِّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي جَاءَ تَحْتَ عُنْوَانِ تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ الْوَاضِحِ الْمَعْلُومِ عَلَى جَوَازِ النَّسْخِ فِي كَاغِدِ الرُّومِ فِي إِطَارِ عَرْضِي لِمَبْحَثِ تَفْسِيرَاتِ تَرَاوُجِ الْإِنْتِاجِ الْوَرَقِيِّ فِي الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّ وَقَدْ وَرَدَتْ الْفَتَوَى أَيْضًا فِي كِتَابِ الدَّرَرِ الْمَكْنُونَةِ فِي نَوَازِلِ مَارُؤْنَةَ لِأَبِي زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى الْمَغِيلِيِّ الْمَارُؤُونِيِّ (ت 883هـ/1478م).

_ كِتَابُ الْمَدْخَلِ لابْنِ الْحَاجِّ الْفَاسِيِّ الْمُتَوَفَّى فِي مِصْرَ (ت 737هـ/1336م)

كَتَبَ ابْنُ الْحَاجِّ عَنِ الْوَرَقِ فِي كِتَابِهِ الْمَدْخَلَ بِأُسْلُوبٍ عَامٍّ وَشَامِلٍ فِي الطَّرْحِ الْخَاصِّ بِآدَابِ صِنَاعَتِهِ وَبَيْعِهِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْآدَابَ الَّتِي أَوْصَى بِهَا تَخْصُ جَمِيعَ الْحَرَفِيِّينَ الَّذِينَ يَمْتَهِنُونَ هَذِهِ الصَّنْعَةَ فِي فَصْلِ نِيَّةِ الْوَرَّاقِ وَكَيْفِيَّتِهَا وَتَحْسِينِهَا، وَعَلَى الْعُمُومِ فَإِنَّ التَّأْرِيخَ مِنْ هَذَا الْبَابِ يُعَدُّ مُهِمًّا لِأَنَّهُ أوردَ مَعْلُومَاتٍ جَدِيدَةً بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقَدْ اسْتَنْتَجْتُ خِلَالَ الدِّرَاسَةِ جُمْلَةً الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَهَا الْعُمَالُ وَالْبَائِعُونَ لِلْوَرَقِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ يُعْتَبَرُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ مَوْضُوعِ آدَابِ الْعُمَالِ فِي الصَّنَاعَةِ.

_ كِتَابُ صُبْحِ الْأَعْشَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ لِأَحْمَدَ ابْنِ عَلِيٍّ الْقَلْقَشْنَدِيِّ (ت 821هـ/1418م)

عَرَضَ الْقَلْقَشْنَدِيُّ فِي مَصْدَرِهِ أَهَمَّ الْأَنْوَاعِ الْمُتَدَاوِلَةِ لِلْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ بِمَقَادِيرِهَا الْمُتَمَازَةِ وَهُوَ بِذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَذَا التَّصْنِيفِ نَظَرًا لِحَبْرَتِهِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِمِصْرَ وَتَعَامَلَهُ مَعَ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَوْرَاقِ الَّتِي عَرَضَهَا بِدَقَّةٍ فِي مُؤَلَّفِهِ، فَهُوَ مِنْ

مَقْدَمَة

المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في التأريخ للصناعات رغم أن كتابه يُعتبر من الموسوعات العامة إلا أنني استقدت منه في الفصل الأول بشكل كبير.

_ كتاب الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق ابن محمد الوراق البغدادي (ت 438هـ / 1046م)

يُعتبر كتاب الفهرست من المصادر المهمة التي تناولت الحديث عن الورق الإسلامي فمن خلال ابن النديم تمكنت من التعرف على أهم أنواع الورق المتداولة في الحواضر الإسلامية خاصة في الإقليم الخراساني، ويرجع هذا الإهتمام إلى أنه كان ورّاقاً، حيث أنه استفاد من خبرته في مجال الكتابة والتأريخ لينقل أخبار مواد الكتابة، التي استنبطنا منها الأنواع التي كانت تُستخدم في العصر العباسي.

ب/ المراجع

_ كتاب علم الإكتناه العربي الإسلامي للدكتور قاسم السامرائي: قدّم الباحث العراقي دراسة وثائقية تناولت مواضيع عديدة حول الخط العربي وتناول فيه أيضاً صناعة وطباعة الكتاب الإسلامي، وبين فصوله و وضع مبحثاً حول تاريخ صناعة الكاغد، وهو الذي استفدت منه كثيراً في البحث انطلاقاً من إحصائه لجميع الحواضر الإسلامية التي صنع فيها الورق من المشرق إلى الأندلس، كما قدّم لنا وصفاً نادرة لتقنيات صناعة الورق من خلال مخطوط كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار، وكذلك أنواع الورق وطرق الغش وآداب الصناعة ومما زاد من قيمة الكتاب اعتماده على العديد من المصادر النادرة، كما أنه تناول موضوع العلامات المائية وطريقة انتقال وانتشار الورق في أوروبا وأهم المدن الغربية التي عرفت بالصناعة.

_ كتاب: تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة: للدكتور محمد المنوني: يُعد الكتاب من المراجع المفيدة، التي تناولت الحديث عن تاريخ الوراقة في المغرب الأقصى وقد استفدت منه في نقل الشواهد الدالة على وجود صناعة الورق في مدينة فاس وكذلك مختلف المخطوطات التي جمعتها من خلال المكتبات والخزانات وهي مكنوبة على الورق خاصة المصاحف.

مَقْدَمَة

_ كِتَاب: الببليوغرافيا أو علم الكتاب للدكتور شَعْبَان عَبْدُ الْعَزِيزِ خَلِيفَة: استَقَدت مِن هَذَا الكِتَاب فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ مِنْهُ حَوْلَ الببليوغرافيا التَّارِيخِيَّةِ أَيْنَ تَتَاوَلَ فِيهِ مَوَادِ الكِتَابَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَأَدَوَاتِهَا وَكَذَلِكَ تَطَوَّرَ الْوَرَقُ الْأُورُوبِي إِلَى مَرَحَلَةِ الطَّبَاعَةِ بِحَيْثُ اسْتُخْدِمَ جُمْلَةً مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْقِيَمَةِ حَوْلَ مَرَاكِزِ التَّصْنِيعِ فِي أُورُوبَا وَتَرْتِيبِ الدُّوَلِ الَّتِي انْتَقَلَ مِنْهَا الْوَرَقُ، وَهُوَ مَا سَاهَمَ فِي تَشْكِيلِ صُورَةِ الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ لِلْفَصْلِ الثَّالِثِ.

_ كِتَاب: paper before print ,the history and impact of paper in the Islamic world. للباحث الأمريكي جُونَاثَان بُلُوم المُتَرْجَمُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنْ طَرَفِ الدَّكْتُورِ أَحْمَدِ الْعَدَوِيِّ تَحْتَ عُنْوَانٍ: قِصَّةُ الْوَرَقِ، تَارِيخُ الْوَرَقِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ قَبْلَ ظُهُورِ الطَّبَاعَةِ، اسْتَقْدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بِاعْتِبَارِهِ مَرْجِعاً أَجْنَبِيّاً مِنْ نَاحِيَةِ الزَّائِيَةِ الَّتِي يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْمُسْتَشْرِفُونَ إِلَى تَارِيخِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ، وَكَذَلِكَ طَرِيقَةً مُعَالَجَتِهِ لِمُخْتَلَفِ مَرَاكِزِ تَطَوُّرِ الْوَرَقِ مِنْذُ اكْتِشَافِهِ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِهِ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً فِي الْمَرَاكِجِ السَّابِقَةِ وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَيْضاً أَنَّ جُونَاثَان بُلُوم كَانَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الْمَوْضُوعِيِّينَ فِي الطَّرْحِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَقَّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي تَطْوِيرِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ مُبَرِّراً كُلَّ الْحَوَاضِرِ الَّتِي انْتَشَرَ فِيهَا الْوَرَقُ .

_ كِتَاب: paper making, the history and technique of an ancient craft للباحث دَارْد هَانْتَرِ بِحَيْثُ يُعْتَبَرُ مِنْ أَهَمِّ الْكُتُبِ الْأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي دَرَسَتْ تَارِيخَ الْوَرَقِ رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ لِلْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَصِيبَهَا مِنَ الدَّورِ الْفَعَّالِ فِي تَطْوِيرِ الصَّنَاعَةِ إِلَّا فِي إِشَارَةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا بِحُكْمِ تَحْيِيزِهِ لِلْمَدْرَسَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ تَكُونُ مِنْهُ خَاصَّةً فِي دِرَاسَةِ قَوَالِبِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ أَيْنَ وَضَعَ فِي كِتَابِهِ الْعَدِيدَ مِنَ النَّمَاذِجِ الَّتِي صَنَعَتْهَا مُخْتَلَفُ الْحَضَارَاتِ وَكَذَلِكَ فِي تَارِيخِ الْوَرَقِ الْأُورُوبِيِّ.

10/ صُغُوبَاتُ الدِّرَاسَةِ

إِنَّ عَقَبَاتِ الْبَحْثِ لَا بُدَّ مِنْهَا، فَهِيَ تَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الْمُثَابَرَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فِي تَحْصِيلِهِ أَذْكَرُ مِنْهَا:

مَقْدَمَة

-
- _ نُدرَةُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ التي تَحَدَّثُ عَنْ تَارِيخِ الوَرَقِ فِي الغَرَبِ الإِسْلَامِيِّ والتي كَانَتْ بِمِثَابَةِ شَذَرَاتٍ مِنْ كُتُبٍ مُتَفَرِّقَةٍ لَمْ تَسْمَحْ لَنَا مِنْ تَشْكِيلِ أَرْضِيَّةٍ كَافِيَةٍ لِلتَّعَمُّقِ فِي الدِّرَاسَةِ.
- _ إِشْكَالِيَّةُ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ المُوجودة فِي الخَزَائِنِ والمَكْتَبَاتِ التي لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهَا خَاصَّةً فِي الدُّوَلِ المُجَاوِرَةِ لِإِقْلِيمِنَا.
- _ إِشْكَالِيَّةُ عَدَمِ وُجُودِ دَلَائِلٍ كَافِيَةٍ عَنِ صِنَاعَةِ الوَرَقِ فِي المَغْرِبِ الأَوْسَطِ رَغْمَ زِيَارَتِنَا لِلْمَكْتَبَةِ الوِطْنِيَّةِ وبعضِ المَكْتَبَاتِ الخَاصَّةِ وَهُوَ مَا أَثَّرَ عَلَى بَحْثِنَا مِنْ نَاحِيَةِ الشُّوَاهِدِ والدَّلَائِلِ.
- _ صُعُوبَةُ المَوْضُوعِ مِنْ نَاحِيَةِ التَّأْسِيسِ لِتَارِيخِ الصِّنَاعَةِ الوَرَقِيَّةِ فِي الغَرَبِ الإِسْلَامِيِّ بِسَبَبِ قَلَّةِ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ.
- _ فِي إِطَارِ التَّكْيِيفِ مَعَ هَذِهِ الصَّعُوبَاتِ خَاصَّةً فِيمَا تَعْلُقُ بِبِنَاءِ الخُطَّةِ حَاولْتُ وَضْعَ تَصَوُّرٍ مُنطِقِيٍّ يَغطِي المَوْضُوعَ بِنَاءً عَلَى مَا تَحْصَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَادَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تَمَكَّنْتُ مِنْ خِلَالِهَا إِبْرَازَ بَعْضِ المَعْطِيَّاتِ التي كَانَتْ غَائِبَةً عَنِ وَاقِعِ انْتِاجِ الوَرَقِ فِي الغَرَبِ الإِسْلَامِيِّ، عِلْمًا أَنَّ هَذِهِ الجُزْئِيَّةَ لَا تَزَالُ تَحْتَاجُ إِلَى شُوَاهِدٍ تَثْرِي المَوْضُوعَ وَتَنْصِفُ المِنْطَقَةَ الغَرْبِيَّةَ لِلْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ فِي الدَّوَرِ الفَعَالِ الذِّي لَعِبْتَهُ فِي الإِنْتِاجِ.

الفصل الأول: المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

المبحث الأول : أوعية الكتابة قبل اكتشاف الورق

1. ورق البردي
2. الألواح الطينية
3. الرقوق والجلود والعظام
4. الألواح الخشبية والعصب
5. الصفائح المعدنية

المبحث الثاني : اكتشاف صناعة الورق في الصين

1. روايات اكتشاف الورق
2. عوامل اكتشاف الورق في الصين
3. انتشار الورق الصيني
4. انتقال صناعة الورق الى المشرق الإسلامي

المبحث الثالث : حواضر انتاج الورق في المشرق الإسلامي

1. حاضرة سمرقند
2. حاضرة بغداد
3. الحواضر الشامية
4. الحواضر الفارسية
5. الحواضر اليمنية
6. الحواضر المصرية

المبحث الرابع : مميزات صناعة الورق الإسلامي

1. آداب صناعة الورق الإسلامي وبيعه
2. مقادير الورق الإسلامي
3. العلامات المائية في الورق الإسلامي
4. احصاء لأنواع الورق في المشرق الإسلامي

المبحث الخامس : علاقة صناعة الورق بالحرف

1. صناعة الورق ومهنة الوراقة
2. علاقة الورق بصناعة الأقلام
3. علاقة الورق بصناعة المداد والأحبار
4. علاقة الورق بتأليف الكتب وتأسيس المكتبات

مُقدِّمةُ الفصلِ الأوَّل:

يُسلطُ الفصلُ الأوَّلُ الصُّوءَ عَلَى المَعْرِفَةِ الإسلاميَّةِ بِصِنَاعَةِ الوَرَقِ فِي المَشْرِقِ مِنْ خِلَالِ إعْطَاءِ نَمَازِجٍ لِمُخْتَلَفِ الأَدَوَاتِ وَالْمَوَادِّ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا البَشَرِيَّةُ كَأَوْعِيَةٍ لِلكِتَابَةِ مِثْلَ وَرَقِ البَرْدِيِّ الَّذِي اشتهر به المصريون والرق الذي كان مُتداولاً عند أغلب الحضارات وكذلك الحجر والألواح الطينية والخشبية والمعادن، ويُقدِّم شرحاً عن اكتشاف الورق في الصين ومُختلفِ الروايات المُتداوَلة حول زَمَنِ اكتشافه، ثُمَّ انتقاله للحواضر الإسلاميَّة في القرن الثاني هجري انطلاقاً ببلاد ما وراء النهر في سمرقند ثُمَّ بداية صِنَاعَتِهِ الفِعْلِيَّةِ فِي العاصِمةِ العباسيَّةِ بَعْدَادٍ فِي فَتْرَةِ حُكْمِ الخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ الَّتِي كَانَتْ بِمِثَابَةِ الانْطِلَاقِ لِلْمَدِينِ الأُخْرَى فِي الشَّامِ وَالْيَمَنِ وَمِصرَ، وَفِي خِصْمِ هَذَا الانْتِشَارِ تَنَوَّعتِ تَسْمِيَّاتُ الوَرَقِ الإسلاميِّ حَسَبَ المَكَانِ والجُودَةِ، اسْتَطَاعَ القَلْقَشَنديُّ أَنْ يُمَيِّزَهَا وَيُصَنِّفَهَا حَسَبَ هَذَا المَعْيَارِ فِي القرنِ التَّاسِعِ هجري، وَكَانَ لِهَذَا التَّنَوُّعِ آثارٌ اِيجَابِيَّةٌ عَلَى مُخْتَلَفِ الحِرَفِ الأُخْرَى عَلَى غِرَارِ الوِرَاقَةِ وصِنَاعَةِ الأَقْلَامِ والأَحْبَارِ والمِدَادِ.

المبحث الأول : أوعية الكتابة قبل اكتشاف الورق

1/ ورق البردي

يُعتبر ورق البردي من أبرز و أشهر المواد التي استعانت بها البشرية في الكتابة وذلك من ناحية الإستعمال ورواج طلبه لسنوات طويلة من مختلف الحضارات القديمة، بحيث كان مادة الكتابة في مصر الفرعونية ثم انتقل استخدامه إلى الفرس واليونان والرومان والعرب¹. وقد ظلت مصر البلد الوحيد الذي يصنع البردي لفترة طويلة أين كان يُصدّر إلى خارج البلاد عبر الإسكندرية قبل بداية صنعه في اليونان وإيطاليا، حيث ذكر المؤرخ اليوناني سترابو STRABO (عاش ما بين 64 ق م / 21م) أنَّ دَخَلَ الدولة من رِيح البردي كان كافيا لتجهيز جيش كامل، ولكي يبقى الصُّنع مصرياً قام هؤلاء بزراعة أجزاء كبيرة بالقرب من النيل وأشرفت الدولة على العملية، ومن هذا النَّبات أيضا صنع المصريون أشياء أخرى مثل السَّلال، والنِّعال، والحبال، وخِفاف القوارب².

صُنِعَ هذا الورق من نبات البردي الذي تنتمي إليه العائلة السعدية التي تنمو في المستنقعات، علما أن المصريين القدماء قد استخدموا هذا النَّبات لأغراض عديدة سرد بعضها هيرودوت (Herodotus) (484- 424 ق م) والمؤرخ بيلينيوس، غير أن قيمته الأساسية كانت لصنع صحائف للكتابة عليها³.

ويذكر المؤرخ الروماني بلينيوس (Gaius Plinius Secundus) (23- 79 م) في كتابه عن التاريخ الطبيعي في الجزء الثالث عشر - الفصل الثاني - موضوع هذا النبات بالشرح والتفصيل بحيث أنه يشير إلى أن نبات البردي يوجد في مستنقعات مصر وفي مياه النيل الراكدة، أما بالنسبة لطريقة صناعته فتكون من خلال تقسيم ورق البردي الأول إلى شرائح

1- الدالي عبد العزيز: البرديات العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1، 1404هـ / 1983، ص56

2- نمير إبراهيم سيف الدين وآخرون: مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص156

3- ALFRED LUCAS: **Ancient Egyptian materials & industries**, CENTRAL ARCHAEOLOGY LIBRARY, THIRD EDITION, P,P 162,163

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

رفيعة جدا توضع صفوفها فوق بعض ثم متعامدة عليها مجموعة أخرى ثم تُبلَّل هذه الشرائح بالماء لتُضغَط وتُجفَّف في الشمس¹، ويُجرى عليها تنعيمٌ سطحيها فما كان منها ناعما جدا يصبح هو الأجود أما الخشن هو الأقل جودة وينخفض سعره عن الآخر، أمَّا طريقة البيع فكانت تحت رقابة الدولة في مصر بحيث كانت اللِّفائف تُباع في شكل طويل مؤلفة من لَصِقِ صَحَائِفَ بعضها إلى جانب بعض.

علماً أنَّ ورق البردي كانت لديه العديد من الخصائص التي تُميزه من ناحية الجودة والمنطقة التي يُؤتى منها بحيث نذكر منها :

أ/ الرقعة في السمك : وهي التي تعود إلى كيفية تقطيع الشرائح والمهارة في جعلها متناسقة وغير خشنة لأن ذلك يؤثر في طيها، وعلى ضوء هذا أصبحت البرديات الرقيقة الأحسن لأنه يسهل على حاملها تشكيلها في لفائف .

ب/ درجة القوة والتحمل : أي أنَّ الورق يكون متينا يُقاوم عوامل التآكل والرطوبة ودرجات الحرارة وكثرة الضغط والشد أو الطي والثني.

ج/ النِّصَاعَةُ : ونقصد بها مدى بياض الورقة بحيث أنه كلما كانت المدة التي تتعرض لها الشرائح بعد قطعها وطرقها ثم تركها في الماء لاستخدامها طويلة، كلما أصبح لون الشريحة داكنا وتصبح غير جيِّدة للكتابة عليها.

د/ نعومة سطح الورقة: تعتبر جدَّ مهمة في تسهيل عملية الكتابة حيث يذكر بلينيوس في كتابه أن نعومة السطح كان يُتحقق منها بتمرير قطعة من مخار الصدف أو من العاج فوق سطح الورق الذي يكتسب بهذه العملية نعومة ولمعاناً أكثر²، فهي تعبر على مدى إتقان العامل الذي صنعها.

وقد ذكر ابن البيطار (ت646هـ / 1248م) أيضا صِفَةً عَمَلِ القرطاس عند المصريين

1- Pliniu: HISTOIRE NATURELLEE DE PLINE, TRADITION: M.E LITTRÉ PARIS, 1877

p 508

2- مهندس حسن رجب: البردي ، دار المعارف ، القاهرة ، يناير، 1980، ص51

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

في الزمن الأول، حيث كانوا يعمدون إلى سوق النوع فيشقونها بنصفين من أولها إلى آخرها ويُقَطَّعونها قِطْعاً وقِطْعاً ويوضع على كل قطعة منها إلى لصق صاحبها على لوح من خشب أَمْلَس ويأخذون ثمر البشنيين ويلزجونه بالماء ويضعون تلك اللزوجة على القطع ويتركونها حتى تجف جدا ويضربونها ضرباً لطيفاً بقطعة خشب شبه الأرزية صغيرة حتى تستوي من الخشن فتصير في قوام الكاغد الصِّرف الممتليء¹، وإلى جانب طريقة الصناعة كان المصريون يكتبون على هذا الورق بأصباغ مختلفة الألوان، أشهرها اللون الأحمر والأسود، وكانوا يستخلصون هذه الأصباغ من النباتات².

أما عن أسعاره في العصر الإسلامي فقد ذكر بعضُها الباحث النمساوي جروهمان (Grohmann) بعد أن عثر على أحد عشر إيصالاً باستلام البردي واردة من صاحب بيت المال الحسن بن سعيد عام (196-211هـ / 811 - 826م)، وهي تدل على أن ثمن طومار أي سدس درج كان قيراطاً أو 24/1 ديناراً، وأن درجاً كاملاً كان يباع بستة قراريط أي ربع دينار، ويشير الباحث إلى أن أسعارها كانت مرتفعة نسبياً بعد أن أوضح بأن تلك القيمة كانت تدفع لاستئجار فدان صالح للزراعة، وهذا ما أدى بهم إلى استعمال البردية نفسها في الكتابة ومحوها، كما كانوا يُضيِّقون في الكتابة على قدر الإمكان³.

استحوذَ ورقُ البردي على اهتمامات العلماء والباحثين لما يحتويه على معلومات قيِّمة وسجلاتٌ نادرة في مختلف المجالات مثل المعاملات الإقتصادية الخاصة بالتجارة والزراعة والصناعة وكذلك الأحوال الإجتماعية كالعادات والتقاليد والأعراف المحلية وغيرها من المظاهر الحياتية مثل عقود الزواج ومشكلات الطلاق والتقسيمات الخاصة بفئات العبيد والأسياد ومظاهر العيش وأساليب الحكم، كما احتوت على الكثير من الشواهد الثقافية كطرق التربية

1- ابن البيطار ضياء الدين (ت 646هـ): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص119

2- سالم عبد الحميد: الحضارة المصرية في العصور القديمة، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، ط1، 1934، ص 93

3- جروهمان أدولف: محاضرات في أوراق البردي العربية، ترجمة: توفيق اسكاروس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

والتعليم بالنسبة للمتعلمين وأهم العلماء المشهورين واختراعاتهم ومدى اهتمام الحكام بالطبقة المثقفة وإنجازاتهم المختلفة في تدعيم الهياكل الخاصة بالمنشآت التربوية من المدارس والمكتبات وغيرها.

يُعتبر ورق البردي إذن من أهم المصادر القديمة الذي يحوي مختلف الموضوعات الإدارية أو القضائية أو الأدبية¹ التي عبّرت عن واقع الحضارات، ومنه يستطيع المؤرخون الإستعانة به في مختلف الدراسات، كما أنه قام بخدمة جلية تتمثل في تكوين الثقافة الكلاسيكية ونقلها وساهم في تجديد وزيادة تراث اليونانيين والرومانيين² والمصريين وحتى العرب، إلا أن استعماله في مصر مثلاً كان لسدّ مطالب الجهاز الحكومي على وجه الخصوص وكذلك في الكتب الدينية فيما يسمى عندهم بكتاب الموتى، وهو عبارة عن ملف من البردي يحوي بعض الأدعية والصلوات التي كان الناس يحرصون على وضعها مع الموتى لنفعهم في العالم الآخر³ وهي من أشهر المعتقدات السائدة في العصور القديمة لارتباط الإنسان بالبعد الروحي الذي وجد هذه الوسيلة المنقذة من العذاب حسب ما توارثه عبر الأجيال، حتى أصبحت من العقائد الشائعة حين دفن الميت، بحيث توجد الكثير منها في التوابيت إلى جانب أدوات أخرى لكنها تكون في العادة مهترئة بسبب عامل الزمن والرطوبة، ومن الشواهد المعاصرة التي أكدت على استعمال ورق البردي في عملية الدفن ما تم العثور عليه سنة (1443هـ/2022م) في مصر من خلال بردية كاملة في حالة جيدة في المنطقة الأثرية بسقارة التي وصل طولها حوالي ستة عشر متراً⁴ داخل تابوت ملفوفة بورق البردي وهي أصلية تُسمى ببردية أحمس.

1- حسن سليم : موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019، ج1، ص125

2- س.ه. روبرتس: قصة البردي اليوناني في مصر في العصر اليوناني والروماني، ترجمة: محمود إبراهيم السعدني المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005، ص16

3- عبد المنعم أبو بكر وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مج 1 ص

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أدت زيادة اشتغال علماء الآثار في البحث عن ورق البردي في مختلف الحفريات إلى نشأة علم البردي (papyrology) الذي يهتم بدراسة وتمحيص كل ما كتبه الأيدي البشرية عبر فترات لها مميزاتها وخصائصها في مصر سواء كانت الكتابة المدونة عليه هيروغليفية وهيراطيقية أو ديموطيقية ويونانية وآرامية ثم عبرية وقبطية أو فارسية وعربية إلى جانب برديات ربّما لا نعرفها في حضارات أخرى، وكل هذا يمثل تراثا فريدا يشتمل على وثائق بردية تضم بين صفحاتها محتويات وموضوعات لها أهميتها في حياة الناس في ذلك الحين¹، فقد كان وسيلة الحياة الفكرية في مصر وثقافتها لمدة أربعين قرنا على الأكثر، كما كان مادة للثقافة الإسلامية مدة ثلاثة قرون على الأقل.

إنَّ أساليب الكتابة والمواد المستخدمة عند المصريين بصرف النظر عن النقوش المدونة على النُصب التذكارية تُشبه أساليبنا وموادنا المعاصرة بشكل عام من خلال ورق البردي إضافة إلى أداة الكتابة التي كانت عبارة عن عود من القصب المغطس بالحبر الأسود أو الأحمر، ومن الملاحظ على ورق البردي أنه حفظ الكتابة القديمة التي كانت تتميز بالمظهر الصوري بصفة عامة، والذي ظل سائدا في النُصب والتماثيل والجدران وغيرها، كما ساهم البردي في انتشار الكتابة الهيراطيقية التي ازدهرت بسبب استخدامها في المؤلفات والكتب في منتصف الألف الثاني ق.م وخلال القرون اللاحقة استمرت عملية تبسيط رُموزها، ومنذ القرن السابع ق.م استخدم في الحياة اليومية أسلوب الكتابة السريعة التي تُدَكِّرنا بالكتابة الإختزالية المعاصرة و التي أصبحت تعرف تبعا لهيرودوت بالكتابة الديموطيقية².

بالنسبة للمسلمين اتسع استخدام البردي بحيث أنه لم يقتصر فقط على الأعمال الديوانية وهذا ما جعل الخليفة المعتصم بالله (ت227هـ/842م) يحاول إقامة صناعة له في بغداد كما

1- زكي علي: علم البردي تراث مصري أصيل، القاهرة ، 1997، ص 12

2- فريدريش يوهانس: تاريخ الكتابة، ترجمة: سليمان أحمد الظاهر، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

جاء عند ابن الفقيه قوله: "وقد حمل المعتصم بالله صنّاع القراطيس إلى سرّ من رأى، مع تربتها ومائها، وأمرهم باتّخاذها هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذي ينكسر¹".

إنّ القراطيس أو أوراق البردي تعتبر من المواد النادرة التي ذكرت في القرآن الكريم في لفظ مفرد ومجموع، قال الله تعالى: ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ²﴾ وقال الله تعالى في آية أخرى ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ³﴾

ومما يدل على استعمالها عند المسلمين أنّ الخليفة أبا جعفر المنصور (ت158هـ/775م) وقف على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعا بصالح صاحب المصلى فقال له: إني أمرت بإخراج حاصل القراطيس في خزائننا، فوجدته شيئا كثيرا جدّا، فتولّ بيعه وإن لم تُعط بكل طومار إلا دانقا أي سدس الدرهم، فإنّ تحصيل ثمنه أصلح منه، قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم، فأنصرف في حضرته على هذا، فلمّا كان في الغد دعاني، فدخلت عليه فقال لي: فكرت في كُتُبنا، وأنّها قد جرت في القراطيس وليس يؤمن حادث بمصر، فتنقطع القراطيس عنّا بسببه فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوّده عُملنا فدع القراطيس استظهارا على حالها، ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرّق وتقول لا نكتب في شيء ليس في بلادنا⁴، بحيث يتضح لنا وعي الخليفة المنصور بقيمة القرطاس بالنسبة للدولة وتراجعته عن بيعه وأهميته في حالة ندرته أو توقف مصر عن إنتاجه فيكون ذلك المخزون كاحتياط

1- ابن الفقيه الهمداني (ت365هـ): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1997/1416، ص514

2- سورة الأنعام: الآية، 7

3- سورة الأنعام: الآية، 91

4- الجهشيارى أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، مطبعة

عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، 1938/1358، ص138

للكتاب.

وذكر الماوردي إشارة إلى استخدام القرطاس زمن الخليفة هارون الرشيد فيما حكاه الأصمعي (ت216هـ/832م) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّهِ فَلَمَّا أَبْصَرَنِي قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا كَانَ مِنِّي؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ لِأَمْرِ الدُّنْيَا مَا كَانَ هَذَا، ثُمَّ رَمَى إِلَيَّ بِالْقُرْطَاسِ فَإِذَا فِيهِ شَعْرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ¹، حَيْثُ نَسْتَشْهَدُ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْطَاسَ كَانَ مُتَدَاوِلًا وَمُسْتَعْمَلًا فِي الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ وَكَانَ رَائِجًا فِي بَغْدَادٍ وَيُنَسَخُ عَلَيْهِ فِي مُخْتَلَفِ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ مِثْلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي دَوَّنَ عَلَيْهَا شَعْرُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ.

وذكر بشر بن الحارث الزاهد (ت227هـ/841م) أَنَّ عِيسَى بْنَ يُونُسَ كَانَ يَعْجَبُهُ خَطُّهُ فَيَأْخُذُ الْقُرْطَاسَ فَيَقْرَأُ فَيَكْتُبُ شَيْئًا مِنْ نَسْخَةٍ²، وَفِي نَفْسِ السِّيَاقِ اسْتَدَلَّ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ بِمَا قَالَهُ الْمُبَرِّدُ النَّحْوِيُّ (ت285هـ/863م) أَنَّهُ رَأَى الْجَاحِظَ يَكْتُبُ شَيْئًا فَتَبَسَّمَ فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْقُرْطَاسُ صَافِيًا، وَالْحَبْرُ نَاصِيًا، وَالْقَلَمُ مُوَاتِيًا، وَالْقَلْبُ خَالِيًا، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ عَانِيًا³.

وكتب جعفر بن يحيى البرمكي (ت187هـ/802م) إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ اللَّيْثِ: لِيَكُنْ قُرْطَاسُكَ رَقِيقًا مُسْتَوِي النَّسْجِ، تَخْرُجُ السَّحَابَةُ مِنْهُ مِنْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ إِلَى آخِرِهِ⁴.
من خلال رصدنا لبعض النماذج الدالة على استعمال القراطيس عند المسلمين وبخاصة العصر العباسي يتبين أن ورق البردي كان من المواد الرائجة للكتابة سواءً بالنسبة لدواوين الدولة أو الطبقة العالمة أو المتعلمة وهو الذي كان يستورد من مصر ويوزع على الولايات الإسلامية.

1- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1967، ص116

2- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419/1998، ج1 ص205

3- البغدادي أبو بكر الخطيب (ت463هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ج1، ص257

4- ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328هـ): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1404، ج4، ص277

2/ الألواح الطينية

تُعتبر الألواح الطينية من أقدم مصادر الكتابة التي عرفت الحضارات القديمة وقد اختصت منطقة بلاد الرافدين باستعمال هذه التقنية بحيث رسمت على الطين الكتابة السومرية المشهورة والتي تعتبر من أقدم الكتابات الإنسانية، وذلك راجع لكون أن مادة الطين كانت متوفرة في بلاد الرافدين المعروفة بخصوبة تربتها من جهة ومناخها، واحتوائها على مصادر المياه المتمثلة خاصة في نهري دجلة والفرات من جهة أخرى وبالتالي صُنعت من الطين الألواح مختلفة الأشكال والأطوال وكتب عليها بواسطة أقلام من الخشب أو القصب العلامات المسمارية وطُبعت عليها الأختام الأسطوانية والمنبسطة¹ حسب الأهمية والإختصاص، ومن هذا المنطلق شرع السومريون في الكتابة أولاً على الطين الرطب اللين لتثبيت الرموز عليه بواسطة أداة صلبة ومستنة، فكان القلم المسماري خاصاً ببلاد العراق القديم عكس المصريين المشهورين بورق البردي والمداد الذي اخترعه علماء وادي النيل ليكتبوا به على الأوراق والجلود، فإذا ما انتهى الكاتب من كتابة ما يريد أخذ قطعة من الطين التي كتب عليها فحرقها لتصير حجراً²، وكل هذا يبرز مدى ذكاء الإنسان القديم الذي استغل أبسط الإمكانيات المتوفرة في محيطه لكي يخلق إبداعاً يبدو من الأمور المستحيلة في زمننا المعاصر، أما عن تحضير الطين فيتم عن طريق عجنه مع الماء بالأقدام وقد تضاف إليه بعض المواد العضوية الأخرى لتقليل لزوجه لكي لا يتشقق أو يصيبه الإعوجاج وهذه الطريقة المشهورة، وكان يُجلب الطين من أماكن متعددة خاصة أمام رواسب المياه مثل نهري دجلة والفرات.

يرى العديد من المختصين في دراسة الكتابة وشؤونها في الحضارات القديمة أن هناك فروقاً واضحة بين جودة الكتابة على ورق البردي والألواح الطينية ويرجع السبب في ذلك إلى

1-JACK SASON: CIVILIZATION OF THE ANCIEN NEAR EAST, VOL 04 , NEW YOWRK 1995, P 2266

2- ولفنسون إسرائيل: تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1969/1348، ص، ص39، 40

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أن مادة البردي ساعدت الكتبة المصريين على تدوين النصوص المطولة بخلاف مادة الكتابة عند العراقيين القدماء التي لم تساعدهم في هذا الأمر لأنه لا يمكن كتابة نص مطول في ألواح الطين، كما أن جملة ألواح يصعب حفظها بعضها مع بعض¹ لأنها تتكسر، كما أن الطين لا يطاوع التقنن بالخط مطاوعة ورق البردي ولذا لم يصبح الخط المسماري فرعاً بذاته من الفن، زد على ما سبق بأن الطين يجف سريعاً، فصار من اللازم أن يكتب الإنسان في اللوح الذي يكون مُحضراً بطريقة سليمة وكذلك يكون الخطاط مهياً لما سيكتب لأن اللوح لا يُعطي فرصة التفكير طويلاً، ولا بدّ عليه أن يكمل الكتابة عليه مرة واحدة فقط، لذا غدت أغلب الألواح صغيرة الحجم نسبياً²، وفيما بعد أدى اتساع مضمون الكتابة إلى تكبير حجم الألواح الكتابية ومنه أصبح اللوح يوضع على هيئة زاوية قائمة بالنسبة إلى منتصف جسم الكاتب³ و بهذه الطريقة دُونت الكتابة المسمارية التي تعتبر مرهقة بالنسبة للإنسان وتستمر لساعات طويلة .

ولكن بالرغم من ذلك فقد استخدم السومريون الطين كمادة أساسية للكتابة عليه لما له من إيجابيات⁴ لأنه يُقاوم التلّف ولا يتأثر بالحرائق بل على العكس تزداد قوته نتيجة الحرق فضلاً عن كونه مادة رخيصة تدوم مدة طويلة⁵ ولعلّ أنّ السبب الرئيسي لتركيز حضارة بلاد الرافدين على ألواح الطين يعود إلى توفر الطين في كلّ مكان وسهولة الحصول عليه وانعدام كلفته من جهة وتنبّه العراقيين القدماء إلى أن البردي والجلود والخشب والمنسوجات وغيرها تُعد من المواد

1- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، حضارة وادي النيل، دار الوراق، بغداد، ط1، 2011، ص146

2- سارتون جورج: تاريخ العلم ، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون ، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2010 ، ج1، ص158

3- فريدريش يوهانس: المرجع السابق، ص72

4- عامر سليمان: العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ السياسي، الموصل، 1992 ، ص115

5- وبنهايم ليوا: بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986 ،

سريعة التلف بسبب درجة الرطوبة العالية¹.

تذكر المصادر التاريخية بأن اهتمام سكان منطقة بلاد الرافدين بالكتابة على الألواح الطينية يعود إلى ظهور التعليم عندهم بحيث كان يتم إعداد اللوحات والذي يتطلب بالضرورة البحث عن طمي ناعم ثم عجنه مدة طويلة ويوضع في شكل قوالب تختلف حجما ولونا وشكلا باختلاف المكان والزمان، وكان الكاتب يرسم علاماته والطين لا يزال طريا وذلك بواسطة قلم مثلث منشوري الشكل يُمسك به مائلا وهو يضغط بخفة، وكان الركن يترك خطا صغيرا بينما تترك القاعدة علامة أكثر أو أقل عمقا ويكوّن ذلك شكلا يشبه الود أو المسمار ومن هنا جاءت كلمة المسمارية التي أطلقها المحدثون على الكتابة السومرية أكدية².

أمّا إذا أراد الكاتب إعداد لوح كبير نسبيا كان لا بد عليه من تغطيته أو تغليفه بقطعة مبلّلة من القماش للمحافظة على طراوة الطين لحين إكمال كتابة النص المطلوب عليه، وكان لوح الطين المعد للكتابة وكذلك اللوح المكتوب يسمى بالسومرية im.dub وبالأكدية طُيم tuppu (m) أو دُبم dubbu (m)³.

كانت الألواح الطينية تُرسل من مدينة إلى أخرى في سلال مَخْتومة و تُثبت كتلة من الطين إلى عُقدة الخيط الذي يربط السلة ثم تُبصم بخاتم الرّسم ويكتب عليها اسم المُرسَل إليه، هذه المعلومات استقتها الباحثة ديلا بورث من النّماذج الطينية وهو ما تؤكد به قولها: "وإننا لمدينون إلى هذه المادة بالمعلومات التي لدينا عن مجموعة من النماذج الطينية للنقش على الأحجار"⁴، مع العلم أن علماء الآثار قد وجدوا الكثير من الألواح الطينية تُؤرخ للرسائل التي كانت تُبعث بين ملوك ذلك الوقت في مواقع عديدة تُنسب إلى البابليين والسومريين.

1- ديلا بورث : بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والآشورية ، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية للكتاب، ط2 1997 ، ص، ص199، 200

2- عامر سليمان: الكتابة المسمارية ، دار الكتب ، الموصل ، 1420 / 2000 ، ص71

3- عامر سليمان: اللغة الأكديّة البابليّة ، الآشورية ، تاريخها وتدوينها وقواعدها، دار الكتب، الموصل ، 1412/1991 ص، ص 136، 137

4- ديلا بورث: المرجع السابق، ص 203

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

نستنتج كذلك من مختلف المراجع التي اهتمت بتاريخ الحضارات القديمة أنَّ الألواح الطينية الموجودة بوفرة في منطقة الهلال الخصيب كانت من أهم الأوعية التي دَوَّن عليها الإنسان القديم مختلف أنشطته اليومية بحيث أكدت تنقيبات المختصين على تنوع مجالات الأفكار المطروحة والمنقوشة فيها، والجدير بالذكر أنها لم تقتصر على الجانب السياسي وتمجيد الحكام والملوك بل تعدى ذلك إلى مجالات أخرى، حيث عثر الباحثون مثلاً في مدينة نَفر السومرية على لوح طيني يشير إلى تقنيات الزراعة بعدما تمَّ إصلاحه وهو مكتوب في شكل طولي يحتوي على تعليمات كان قد وجهها أحد الفلاحين إلى ابنه لكي يتبعها خلال موسم الزراعة السنوي¹، أمّا في مجال الكتابة فقد ساعدت الألواح الطينية السومريين على إنشاء نظام للكتابة على الصلصال والذي تم استعارته في جميع أنحاء الشرق الأدنى لحوالي ألفي عام.²

إنَّ الكتابة المسمارية على الألواح الطينية قد كشف عنها المنقبون من علماء الآثار في القرن التاسع عشر في العديد من المدن العراقية في نَيْنَوَى، أَشُور، بَابِل، تَل حَرَمِل، أُر، كِيش وغيرها، وكُلُّها شاهدة على أنها المادة الوحيدة للكتابة، وفيها دُوِّنت مختلف آدابهم وعلومهم، وفي نفس المنطقة اتخذ السُّكان من الحَجَر وسيلة أخرى للكتابة، فمن أمثلة ذلك مِسلة حمورابي الشهيرة المصنوعة من قطعة واحدة من الصَّخر البُرْكَاني الأسود، حيث كتب عليها النص الكامل لشريعته التي تعد نادرة من نَوادر عَالَم القوانين، وقد بلغت براعة البابليين في أنهم كانوا ينقشون الصُّور الدقيقة في الحجارة الشديدة الصَّلابة، كالحجر اليماني والعقيق الأبيض.

بحكم الخصائص التي تميَّز بها الألواح الطينية وكذلك الأحجار، لم يكن بوسع الطبقات العامة من المجتمع السومري التدوين والكتابة بسبب العائق المادي المتمثل في الوزن وصعوبة حَمَله والتنقل به لذا اقتصرَت الكتابة على طبقات معينة من الناس، خاصة رجال الدين وُوجهاء

1- كريم صامويل: هنا بدأ التاريخ، حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين، ترجمة: ناجية المريني، منشورات دار

الجاحظ، بغداد، 1980، ص 56

2-SAMUEL NOAH KRAMER : THE SUMERIANS , THEIR HISTORI CULTURE AND CHARACTER , CHICAGO ,1963, P 04

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الدولة، وتوجد اليوم الكثير منها في المتاحف العالمية على غرار المتحف البريطاني في لندن، متحف اللوفر بفرنسا، متحف برلين بألمانيا، متحف استانبول بتركيا و متاحف كل من جامعة بنسلفانيا، وجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، وهذا كله بعد عملية النهب والسلب التي حدثت أثناء الإستعمار في فترة الإنتداب البريطاني وكذلك بسبب عدم وجود متحف أو مؤسسة للآثار بالعراق في تلك الفترة أو فئة من المثقفين من تحمي وتطالب بالحفاظ على هذه الثروة الحضارية القديمة.

كما عرف المصريون الكتابة على الحجر حتى سُميت في بعض المراجع بموطن تشغيل الحجر¹ لأنَّ فيها أقدم المباني الحجرية، أمَّا عن أنواع الحجر الذي كتب عليه المصريون ونَحَتُوا عليه مختلف أفكارهم وأحوالهم هو الحجر الجيري، والحجر الرملي، الذي سهَّل عليهم عملية تشكيل مختلف الصور، والجرانيت بشكل أقل وأيضاً المُرَّمَل وغيره من الأحجار كالكوارتز والبازلت.

وإلى جانب الطين والحجر استخدمت الحضارات القديمة الفخَّار والخَرَف للكتابة وهي من الحرف التقليدية الشائعة، حيث استُخدم عند السومريين وكذلك المصريين في الحساب وبعض النُصوص الأدبية، كما كتب عليه اليونانيون والرومان والعرب أيضاً، وقد ساعد على الكتابة في الأحجار والألواح الطينية إتقانهم لفنون التصوير والنَّحت التي عبرت عن الكثير من المواضيع السياسية والاجتماعية والدينية، وكانت بمثابة ذلك الفن المتشكل في لوحات مرسومة بدقة كبيرة تُمَثِّل منظراً بديعاً من الألوان في الجدران والتمائيل، وقد مثَّل هذا الإبداع بالنسبة للإنسان القديم قاعدة للتعبير عن الحياة في ذلك الوقت، وهو ما يلاحظ عند محاولتنا التدقيق فيها بالعين المجردة.

1- ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة : زكي اسكندر ومحمد زكريا غنيم، مكتبة مدبولي،

القاهرة ط1، 1991/1411، ص90

3 / الرُّقُوق والجُلُود والعِظام

استغل الإنسان كلَّ أوعية الكتابة التي رأى بأنها تُسهِّل عليه عملية التدوين ومنها الرِّق والجلد وفي هذا الصدد يذكر البيروني مثلا عن أهل الهند بأن ليس لهم عادة بالكتابة على الجلود كاليونانيين في القديم، فقد قال سقراط حين سُئل عن تركه تصنيف الكتب: " لست بناقل للعلم من قلوب البشر الحية إلى جلود الضأن الميتة"¹، فالرِّق يعدُّ إذن من المواد المبكرة للتدوين بحيث أنه ظهر استعماله في حدود النصف الأول من القرن الثاني للميلاد بعدما عرف ورق البردي تراجعا بسبب نُدرته التي تعود للكثير من العوامل، أهمها الظروف المناخية.

يُنتج الرِّق من جلود الحيوانات، ونعني به جلد حيوان مُنتوف تَمَّت مُعالجته من غير دِباغة ثُمَّ وُضِعَ مُمَطَّطاً للتنشيف، الشَّيء الذي يجعله صَالِحاً للكتابة على وجهيه، وأفضل أنواع الجلود في صناعة الرِّق جلد الغِزلان والمَاعِز والخراف، أمَّا المسلمون فقد كتبوا على الرِّق كعهد الخبيريين من اليهود وكتاب النَّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى كِسرى، وقد كتبت مصاحف القرآن في جلود الظباء والتوراة كتبت فيها أيضا² ويُذكر أيضا أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قد كَتَبَ على رَقٍّ غزال، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَالطُّورِ 1 وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ 2 فِي رَقٍّ مَنشُورٍ 3»³ في دليل روعي على معرفة البشر بهذه المادة.

ظلت الجلود مادة أساسية في الكتابة إلى أواخر الدولة الأموية واستعملت كذلك في عهد العباسيين بحيث كانت معظم كتاباتهم على جلود الإبل والغنم والماعز وجلود الحمير و البغال وقد أصبح للجلود دور مهم في النشاط الفكري والتجاري بحيث اشتهرت عدة مدن عربية بتجارته نظرا لزيادة الطلب عليه حيث يذكر الأصبخري مجموعة لا بأس بها في قوله: "وصعدة أكبر وأعمر منهما وبها يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ بنجران وجرش

1 - البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ) : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم

الكتب ، بيروت، ط2، 1983/1403، ص119

2- نفسه

3- سورة الطور: الآية 1 إلى 3

والطائف آدم كثير.¹

كان الرق يُصنع عبر عدّة خطوات، فبعد معاملة الجلد بمادة الشّب وإزالة الصوف أو الشعر منه تُشطر بواسطة سكين حادة طبقة الجلد الخارجية عن طبقة الداخلية، أما بالنسبة لصناعة الجلود أو الدباغة فهي في حقيقتها عملية كيميائية بيولوجية تتم بمعالجة جلد الحيوان بمواد كيميائية خاصّة وهذه المواد تكسب خاصية معينة يُصبح بواسطتها صالحاً للإستعمال² ويمكننا أن نلخص عملية الدباغة في مرحلتين رئيسيتين:

_ إزالة الشعر من الجلد بواسطة آلة حادة وتنقيته من اللحم والشحم الزائد.

_ صقل الجلد المدبوغ وصبغه وتجفيفه.

هذه الطريقة اشتهرت بها كل الحواضر الإسلامية حتى أصبحت هذه المهنة شائعة في الأسواق ولكن وفق شروط أهمها أن لا تكون داخل الأحياء بسبب روائح الجلود وتشويهاها لمنظر المدينة، إلّا أن كثرة الطلب عليها ساهم في بقاء هذه الحرفة لسنوات عديدة أين كانت الجلود تُستخدم كأغلفة خارجية للمخطوطات النفيسة والنادرة، وكانت أجود أنواع الرقوق تصنع بالكوفة على حد ما جاء به الجاحظ في سياق كلامه عن الكتب قوله: " قيل لابن داحة وأخرج كتاب أبي الشمقمق، وإذا هو في جلود كوفيّة، ودفتين طائفيتين، بخطّ عجيب"³، وإلى جانب صنعها في الكوفة عُرفت البصرة بصناعة رقوق لكنها رديئة وكذلك مدينة واسط، ومنه كان البائعون يَغشّون الرق الكوفي بالواسطي، والواسطي بالبصري، كما كتب المسلمون على الطروس وهو الكتاب الذي مُحى ثم كُتب عليه مرة أخرى، وهي في حقيقتها جلود ورقوق أيضاً بتنوع التسميات فقط، فكان الناس مثلاً ببغداد أيام الخليفة محمد الأمين (ت198هـ/813م) لا يكتبون إلا في طروس لأنّ الدواوين نُهبت في أيامه، كما اشتهر على المسلمين كتابتهم في

1- الاضطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، ص 26

2- الألوسي عادل: الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2008، ص 18

3- الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت255هـ): الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424، ج1، ص45

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الصُّحف التي كانت تطلق عموماً على الجلود والقراطيس والألواح، ومن الشواهد التي تثبت الكتابة على الرِّق المصحف القرآني الذي عثر عليه في جامع عمرو بن العاص في القسطنطينية ويطلق عليه بالمصحف الباريسي المحفوظ تحت رقم (328a) حيث بلغت أبعاده ما بين 33×24 سم بالرغم أنه ناقص إلا أن إنتاج هذا المخطوط استلزم نحو سبعة عشر إلى ثمانية عشر متراً مربعاً من الرِّق، وفي نفس السياق درس فرنسوا ديروش مخطوطاً لمصحف موجود في مكتبة تشستر بيتي في دبلن برقم (IS1404) ومخطوط آخر في العاصمة اليمنية صنعاء برقم (20.33_1) كُتبا بقطع من الرِّق الكامل، بحيث أن مصحف دبلن قُدِّر حجمه الأصلي بنحو أربع مائة وعشر ورقات وقد استلزم في إعدادها ثمانية وسبعين متراً مربعاً من الرِّق. أما المصحف الصنعاني قُدِّر ديروش أوراقه بنحو ثلاث مائة وسبعين ورقة احتاجت إلى تسعين متراً مربعاً¹.

والجدير بالذكر أن الرِّق يعتبر أحسن من البردي في خمسة أمور هي:

- هو أكثر متانة بحد ذاته وأبقى مع الدهر
- يصح استعمال الرق للكتابة على القفا
- من اليسير حك الرق وكشط الكتابة الأولى
- يساعد على تكييف الخط
- يصلح لصنع الدروج²

أما بالنسبة للعظام فكانت يُستغل منها الأكتاف نظراً لعرضها وكذلك الأضلاع، وأكثر الحيوانات استعمالاً عند العرب هو الجمل³ بحكم ضخامته وتوفره خاصة في شبه الجزيرة

1- ديروش فرنسوا: مصاحف الأمويين نظرة تاريخية في المخطوطات القرآنية المبكرة، ترجمة: حسام صبري، مركز نهوض للدراسات والبحوث، بيروت، ط1، 2023، ص 209

2- بادحدح ماجد بن عبود: صناعة الكتاب والكتابة في الحجاز عصر النبوة والخلافة الراشدة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، السعودية، 1427/2006، ج2، ص447

3- أنظر الملحق: رقم 02، ص 277

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

العربية والأكتاف جَمَعَ كَتِفٍ وَهُوَ العَظْمُ الَّذِي لِلْبَعِيرِ أَوِ الشَّاةِ كَانُوا إِذَا جَفَّ كَتَبُوا عَلَيْهِ¹ بحيث كانت تُنْقَى جيداً وتعرض في الشمس حتى تُطلى لكي تصبح سهلة للكتابة عليها إضافة إلى عظام الشاة، بحيث كان يُدون على العظام مستندات قيّمة، وحتى النصوص الأدبية، وقد وُجد في حضارة المصريين بعض من ألواح الكتابة المستطيلة المجوفة لكي توضع فيها أقراص المداد والأقلام بمقبرة توت عنخ آمون مصنوعة من العاج، ورغم أن الكتابة على الأكتاف بدأت تنقرض مع تطور استعمال الرق والبردي إلا أنها بقيت تؤدي دورها حين الحاجة خاصة في تعلم الأطفال الصغار.

تذكر المصادر الإسلامية إسماً آخر لأوعية الكتابة التي كانت متداولة وهو الرِّقَاع الذي قد يكون مصنوعاً من جلد أو رَقٍّ أو كَاعَدٍ، و جاء في المستدرك للحاكم أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ"²، وجاء في بعض الأخبار تداول هذه المادة، فقد دخل ابن المناذر النحوي (ت181هـ/797م) المسجد الجامع بالبصرة فوجدت عينه على غلام مُسْتَدِّدٍ فخرج والتمس غلاماً ورقعة ودواة فكتب إليه أبياتاً مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يُوصل الرقعة إلى الفتى المستدند إلى السارية³ وحكا الجاحظ أن أبا هذيل العلاف المتكلم (ت235هـ/849م) سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل الوزير (ت235هـ/849م) يستعينه على ضائقة لحقته⁴، وجاء في أحكام النساء لابن الجوزي أن ميمونة بنت شاقولة الواعظة طلبت من ابنها رقعة ودواة لتكتب شيئاً وضعته في

1- السيوطي جلال الدين (ت 911هـ): الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974/1394، ج1، ص207

2- الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990/1411، ج2، ص668

3- ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ): المرقصات والمطربات، ص61

4- ابن نباتة المصري جمال الدين (ت 767هـ): سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1964، ص244

جوف حائط، فلما ماتت يقول ابنها عبد الصمد تذكرت القرطاس، فقمت فأخذته لأقرأه فوق الحائط¹، وإذا في الرقعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا²﴾، كما جاء في بعض الأخبار أن هارون الرشيد (ت193هـ/808م) خرج يوما إلى مجلسه وفي يده رقتان على نسخة واحدة من شعر أبي العتاهية.

نستنتج من خلال الشواهد السابقة أن الجلود والرقوق بتعدد تسمياتها كانت مصدرا كتابيا مهما بالنسبة للمسلمين سواء على مستوى الخلافة أو الطبقة العامة.

4 / الألواح الخشبية والغُسب

استعملت الحَصَارَات القديمة الألواح الخشبية وغُسب النّخيل والكرانيف كأوعية للكتابة وهذا راجع لتوفرها وسهولة الحصول عليها، إذ أنهم كانوا يكشطون غُسب النّخيل ويكتبون في الطرف العريض منه، ويذكر المؤرخ بلينيوس بأن المصريين أوّل من استعمل غُسب النّخيل كحامل للكتابة عليه كما استخدم على نطاق واسع في الهند، وقد استعمل في صدر الإسلام أيضا وهو يتمثل في جريد النخيل عندما ييبس ويَجف، إلى جانب لحاء الشجر والألواح كصحائف، واستخدم اليونانيون والرومانيون كذلك كتبا من الألواح المغطاة بطبقة من الشمع أو الطباشير بحيث كانت تربط هذه الألواح معا بشريط جلدي لتكون ما يسمى بالكودكس³.

كانت ألواح الخشب تُرَقَّق وتُطلى بطبقة رقيقة من الشمع⁴ وقد أشار القرآن الكريم إلى استخدامها في تدوين الكتب المقدسة في قوله تعالى: « وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۖ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ »⁵،

1- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ) : كتاب أحكام النساء، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1997/1417، ص 421

2- سورة فاطر: الآية 41

3- أفندي عبد اللطيف: البردي دراسة أثرية وتاريخية، طرق الترميم والصيانة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص25

4- الجبوري محمود عباد : خط و تذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2013، ص51

5- سورة الأعراف، الآية: 145

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

واللّوح هو صحيفة عريضة من الخشب يكتب عليها إذ كانت تصبغ بالأسود وتُطلى بالشمع لكي يسهل عليها الكتابة ومحوها وتُوجد بدار الكتب المصرية لوحة خشبية منقوشة بآلة حادة فيها آيات من سورة النجم¹.

بالنسبة للألواح² الخشبية فقد كانت مصدرا مهما للكتابة في المؤسسات التعليمية خاصة في الكتاتيب لتلقين الصبيان من البنين والبنات وذلك لخفة حملها، وسهولة مسحها، وهي من مظاهر الحضارة الإسلامية، وكان بعضها يُصنع من الخشب المصقول الذي يُساعد على كتابة الصبيان بأقلامهم بعد أن يغمسوها بالجبر³، كما وُجد بعض الصبيان ممن يمحون هذه الألواح برجله أو ببصاقه وفي ذلك نظر بطبيعة الحال خاصة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والبعض الآخر ممن يستخدم منديلا مبلولا بالماء، ففي هذا الصدد "قل لمالك بن أنس كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم؟ فقال أنس: كان المؤدب له إجانة وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهرا فيصبونه فيها فيمحون به ألواحهم، قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فيها فينشف"⁴، وقد لجأ الصبيان إلى الكتابة بواسطة أقلام مصنوعة من التراب الأبيض لكثرة انتشارها وسهولة الحصول عليها، وهي التي كانت تستورد من بلاد فارس كما أشار في ذلك المقدسي بقوله: "وطين أبيض يكتب به الصبيان ألواحهم".

إنّ الألواح الخشبية لم تكن حkra على فئة الصبيان فقط بل استخدمتها فئة الكبار من الشعراء والعلماء فقد جاء عن الأصمعي قوله: "جئت إلى عمرو بن العلاء، فقال لي من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت: جئت من المبرد، قال هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في

1- أنظر الملحق: 03، ص 278

2- الأهواني أحمد فؤاد: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، 1968، ص 262

3- سعيد اسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، 1986، ص 188

4- ابن سحنون محمد (ت256هـ): آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، تونس، 1972،

ص، ص، 86، 87

ألواحي¹، وقد ذكر عن الخليل بن أبي نافع المزني الموصلي (ت 217هـ/832م) أنّه قد اتخذ لوحا يكتب فيه كل ما يتكلم به ويحصى به في آخر النهار فيجده بضع عشرة كلمة.

مثّلت الألواح الخشبية بالنسبة للمسلمين وغيرهم من الحضارات الأخرى وسيلة للكتابة التي انتشرت خاصة في الجانب التعليمي للطلاب وذلك لتوفرها وانتشارها، علما أن الكتابة على الألواح تعدّ من أقدم الطرق الإسلامية في تحفيظ القرآن الكريم ومختلف المتون والعلوم الشرعية التي لا تزال العديد من البلدان المعاصرة متمسكة بها في مختلف المدارس والمساجد القرآنية.

5/ الصّفائح المعدنية

استخدم الإنسان القديم المعادن للكتابة كوسيلة يُعبّر فيها عن مدى براعته في نقل المعرفة بحيث شاع النّقش على ألواح النّحاس الذي يعتبر من المعادن الأولى اكتشافا واستعمالا حتى أنّ امتلاكه كان يُعدّ مظهرا من مظاهر الترف والثراء خاصة بعدما اكتشف عمال التعدين كيفية صهره وتشكيله في سبائك مختلفة إلى جانب معدن القصدير والحديد وهذا يعود إلى التنافس البشري في ابتكار وسائل تكون بمثابة السّبق في إحداث ثورة في مجال معيّن، إلّا أن الكتابة على الألواح المعدنية لم تكن رائجة بكثرة بسبب صعوبة التدوين عليها وكذلك عدم توفرها بسهولة وبالتالي فإن استعمالها اقتصر على نشاطات معينة مثل الصّفائح التي تُعلق في القصور أو في التماثيل الرمزية للشعوب، كما دَوّن الإنسان بعض الكتابات في السيوف والآلات الحربية كرمز للفخر أو نسبة ذلك السّلاح إلى منطقة أو دولة معينة، وكُتِب أيضا على الذهب والبرونز الذي كان يُصهر ويُصب منذ الأزمنة البعيدة في حضارة بابل وآشور² نصوص قصيرة أو مذكرات موجزة أو مسودّات أو رسائل صغيرة.

إن الكتابة على مختلف المعادن قبل اكتشاف الورق هي مستوحاة من الفن الإنساني

1- قصي الحسين: من معالم الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1414/1993،

2- لوبون جوستاف: حضارة بابل وآشور، ترجمة: محمود خيرت المحامي، الرافدين، بيروت، لبنان، ص64

لمختلف الحضارات لأنها تدخل في إطار الأعمال الحرفية التي كان يشتغل عليها الإنسان فمثلا نجد أن صناعة الحديد ارتبط دينيا بالنبي داود عليه السلام في قول المولى عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ سَلَامًا وَلَئِنَّا لَهُ الْخَدِيدُ¹﴾ بمعنى أن تعلق البشرية بالمواد المعدنية يُعد من الأمور الطبيعية نظرا لحاجته لهذه المواد الأولية وبالتالي فإن ذكر قصة نبي من أنبياء الله مع نوع من المعادن هو دليل مباشر على قيمتها، وإن كانت شؤون الكتابة عليها تدخل في الإطار الجمالي أكثر.

أدى اهتمام الإنسان بهذه المعادن إلى تَفَنُّق موهبة الصانع من خلال وعيه بالخامات المعدنية وأساليب تشكيلها وتوظيفها لخدمة الحياة اليومية والدينية²، فمثلا استخدم الإنسان سبيكة البرونز أكثر من غيرها في عمل التماثيل والمباخر والشوريات والأجراس، كما استخدمت الفضة في عمل الخلي، والحديد في صناعة الأسلحة وخلال هذه الصناعات كان الصانع يغتنم الفرصة لكتابة بعض الكلمات أو الأسماء التي أصبحت فيما بعد بمثابة موضة العصر لفئة معينة من المجتمع.

انتشرت الكتابة على المعادن نتيجة تطور الفكر الحرفي في الصناعة على مختلف الأدوات ومما زادها توسعا هو اهتمام الطبقة الغنية التي كانت مصدر طلب لمثل هذه الصنائع ومعها يقوم الحرفي بتشكيل مختلف الكتابات والصور على حسب العرض المقدم وعلى ضوء هذا نقول أن كتابة الإنسان على مختلف المعادن جاءت متزامنة مع تطور النشاط الصناعي للفنون المعدنية، إلا أنها لم تكن منتشرة بسبب صعوبة التدوين عليها التي تتطلب عملية النحت اليدوي بآلات معينة، بالرغم من أن الإنسان في مختلف الحضارات امتلك الرغبة في تشكيل مختلف المعادن وفق قوالب معينة، مستوحيا أفكارها من الطبيعة أو من حياته اليومية.

1- سورة سبأ: الآية 10

2- نبيل علي يوسف: موسوعة التحف المعدنية الإسلامية، مصر منذ ما قبل الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي

دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2010/1431، ج2، ص5

إنَّ الكتابة على المعادن في الحضارات كانت تدل على كل معاني القوة التي وصلت إليها حقبة زمنية لملك أو إمبراطور معين، لأنَّ توفرها بالنسبة للدول هو بمثابة الدرع الواقي من الناحية العسكرية التي تحتاجه في بناء عُدَّة الجيش، ومن خلاله طُبعت مختلف الرموز الكتابية التي تدل على انتماء تلك الترسانة الحربية لدولة ما، ومنها استطاع علماء الآثار تحديد مختلف الفترات التي ترجع إليها هذه المواد ونوعيتها وطرق صناعتها، ولم يكن ذلك لولا البصمات التي طبعت عليها العديد من الأشكال أو الرموز وما شابهها.

المبحث الثاني : اكتشاف صناعة الورق في الصين

1/ روايات اكتشاف الورق

تعودُ الأصول الأولى لصناعة الورق وإنتاجه إلى الفكر الصيني وهو متفق عليه عند أغلبية الباحثين المتخصصين في البحث عن الأدلة الأثرية لأهم الاختراعات البشرية، علما أن محاولة البحث عن بداية حقيقية لظهور الورق كمادة للكتابة يعتبر صعبا إذا ما حاولنا التدقيق في الكتب التاريخية التي تناولت نفس القضية بحكم أن النصوص التي كُتبت حوله تبقى محل نقاش وتثبت، وهي في العادة تُربط برجل صيني اسمه تساي لون (Tsai Lun) ، الذي كان يعمل في قصر الإمبراطور في حدود عام 105م، وقد كان هذا الأخير من عبيد البلاط عندما اكتشف طريقة لصنع الورق من لحاء الشجر وبعض الحشائش والخرق وشباك الصيد القديمة¹ وكذلك من ألياف النباتات، ويعتبر الباحث جوناثان بلوم أنَّ رواية اختراع الورق في عهد الإمبراطور هيدي (88 م/106م) HEDI ويطلق عليه أيضا اسم الإمبراطور (هي HI أو HO Tit) في عهد أسرة هان الشرقية² ما هي إلا حديث خُرافة طريف وُضع بعد فترة طويلة من

1- فرانسيس روجرز: قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة ، ترجمة: أحمد حسين الصاوي مكتبة الأنجلو المصرية، 1969، ص 151

2- تنتمي هذه الأسرة إلى سلالة هان التي حكمت ما بين 202 قبل الميلاد إلى سنة 220 بعد الميلاد، وقد قامت على أنقاض سلالة هان الغربية (202ق.م/ 9م) بعد انقلاب وانغ مانغ (54 ق.م/ 23م) على ابن أخته آخر أباطرة هان الغربية ليو كان Liu Kan ومرور الأسرة بمرحلة فراغ سياسي بعد حكم أسرة تشين (9م/23م) ثم استعادة أسرة هان الشرقية الحكم في الصين من 23م إلى 220م . أنظر: حول تفكك أسرة الهان مجلة بناء الصين، بكين، 1986، ج1، ص44

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

ظهور الورق وذلك من باب تقريب عملية طويلة وامضة الأصول والأذهان¹، ويعود سبب هذا الحكم أن هذه الرواية قد تداولها الناس بعد مرور فترة طويلة من حدوثها ولا توجد مصادر كتابية تؤرخ لذلك، هذا من جهة، وكتابة اكتشاف يحتفي به الإمبراطور هيدي من جهة أخرى كونه يُخلد فترة حكمه والتي تشهد لها الأجيال في الفترات اللاحقة، أما الباحث ول وايريل ديورانت فيأخذ بالرواية التي شكك فيها جونان بلوم وأخذها على محمل الجد على أن تساي لون في عام 105م أبلغ الإمبراطور أنه اخترع مادة للكتابة أقل في الغالب ثمنا وأخف منه وزنا مصنوعة من لحاء الشجر والقنب الهندي والخرق وشباك السمك²، علماً أن الصينيين كانوا يكتبون على الحرير المعروف عليه غلاء الثمن والثقل في الميزان.

إنَّ اختراع الورق من طرف الصينيين يعتبر من أشهر الابتكارات الصينية إلى جانب البارود وفنون الطباعة الأولى، حتى صنّف البعض اختراع هذه المادة ضمن المجال التكنولوجي المعاصر حيث يقول الباحث جوزيف نيدهام: "في مجال التكنولوجيا اتسم عهد الهان باختراع الورق وانتشار استخدامه"³ وقد ربط هذا الإكتشاف بأسرة هان خاصة العهد المتأخر منها لأنها تعتبر من أهم فترات التاريخ الصيني في الإزدهار العلمي، كما يُفسر رأي الباحث نيدهام بالإسقاط التاريخي المعاصر كون أن هذا الإكتشاف يعتبر ثورة هائلة في مجال المواد المستخدمة في الكتابة التي عطّلت الكثير من عمليات التدوين البشرية السابقة والتي لم تصل إلينا إمّا بسبب تشوهها وأقصد بذلك ورق البردي والرق أو اندثارها مثل الشواهد الحجرية والمعدنية، أو أنّها لم تُكتب نهائياً بسبب غلاء مواد الحرير وما شابهها والتي كانت مقتصرة على الطبقة النبيلة من المجتمع أو الأسر المالكة، وبالتالي إنّ الكثير من الأفكار العلمية

1- جونان بلوم : قصة الورق تاريخ الورق في العالم الإسلامي قبل ظهور الطباعة ، ترجمة: أحمد العدوي ، دار أدب الرياض ، ط1، 1442 ، ص90

2- ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة ، الشرق الأقصى الصين ، ترجمة: محمد بدران، الجزء الرابع من المجلد الأول بيروت، ص 152

3- نيدهام جوزيف: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين ، ترجمة: محمد غريب جودة، مكتبة الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 78

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الإنسانية التي كانت تحملها الطبقة العامة وهي الفئة الغالبة على المجتمع لم يكن لها الحظ الوافر في تدوين موهبتها حتى ظهر الورق وأصبح متوفراً لدى العام والخاص.

من أهم الشواهد المادية التي تدل على قدم صناعة الورق في الصين أنه في عام (1377هـ/1957م) تم اكتشاف أقدم ألياف نباتية استخدمت في إنتاج الورق حيث عثر على ورق مصنوع من القنب في مقابر أسرة هان الغربية في مدينة شيان (Shaanxi) مما يدل على أن الصين عرفت الورق قبل اختراع تساي لون الورق في أسرة هان الشرقية¹ الذي استفاد من الخبرات السابقة، وفي هذا الصدد يُبرز الباحث تشنغ يوي تشن أن مواد خام تصنيع الورق عرفت نمواً وتطوراً كبيراً، حيث دخلت صناعة الورق الصيني مرحلة الازدهار وتتنوعت مواد تصنيع الورق من لحاء القنب ولحاء شجر التوت وعيدان الأرز والبامبو الطري وظهرت في الصين أنواع متعددة من الورق مثل ورق شوان، ورق شو، ورق صو، ورق شي وغيرها² وقد تم إنتاج الورق المصنوع يدوياً في عدة أماكن مختلفة في جميع أنحاء الصين كما اشتهرت كل منطقة بخصائص معينة مثل مدينة فويانغ، تشجيانغ، جنغسيان، آنهوي وغيرها.

استمرت الدراسات الصينية في عدة سنوات من القرن العشرين من طرف علماء الآثار للكشف عن تاريخ ظهور الورق وبالتحديد في أعوام: 1933، 1971، 1979، في مواقع شينجيانغ (Xinjiang) وشانسي (Shanxi) وغانسو (Gansu) من أجل الفصل في أصل صناعة الورق، وأكدت النتائج على أن تساي لون ليس مخترع الورق لكنه مبتكر في مجال الورق وفي هذا الصدد أجرى الباحث زهي داو (Zhi Dao) دراسة حول تاريخ الورق الصيني حيث أشار إلى أن هناك أشخاصاً يُصرون على القول القديم الذي يرى بأن تساي لون اخترع الورق ولا يذكرون أنه كان لديه ورق من قبل، وهذا يعني إنكار حقائق الاكتشافات الأثرية

1- شن غوي تشن: لمحة عن الثقافة في الصين، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مكتبة مؤمن قريش، أبوظبي

ط 1، 2014/1435، ص 372

2- نفسه، ص 373

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

السابقة منذ القرن العشرين، ففي عام (1406هـ/1986م) عثر علماء الآثار في منطقة غانسو على ورق قديم في مقبرة أسرة هان الغربية في ضواحي مدينة تيانشوي (Tianshu) ثاني أكبر مقاطعاتها والتي كانت صفراء مرسوم عليها جبال وأنهار وطرق وأشكال أخرى بخطوط سوداء رفيعة، وقد خرج التقرير بمعلومات مفيدة أهمها أن أجزاء الخريطة الورقية المكتشفة هي أقدم الأشياء المعروفة التي يعود تاريخها إلى عهد الإمبراطور جينغ (Jing) (157ق م/141 ق م) الحاكم السادس لسلالة هان الغربية وهذا تأكيد قوي على أن الصين قد اخترعت ورقا تستخدمه لرسم الخرائط في عهد هذه الأسرة¹.

إنَّ التطورات العلميَّة التي شهدتها الحضارة الصينية في عهد أسرة هان تعتبر امتيازاً حقيقياً للبشرية بعد صناعتهم للورق الذي أصبح من الخامات الرخيصة التي ساهمت في استغنائهم عن القطع الخشبية التي كانت تستعمل من قبل في عملية التدوين بواسطة بعض الأدوات المدببة وكذلك عن الحرير الذي كان يعد رכיكة الكتابة، وفي القرون التالية ظهر الورق ودخل عملية الإنتاج في العديد من البلدان المجاورة ككوريا واليابان والهند والجزيرة العربية². استخدمت الصين في تاريخها العديد من التقنيات للكتابة قبل الورق من الأحجار والمعادن والعظام وخشب الخيزران التي دُونت عليها الكتابة الصينية القديمة ففي القرنين الخامس عشر والثاني عشر ق.م خطَّ الصينيون على هذه المواد كتابة تدعى (غو_ فين) وفي الحقبة الواقعة بين 800_200 ق.م استخدموا كتابة (تشجو_ فين_أودا أو مايسمى ب: كتابة الأختام الكبيرة) وبعد اختراع ريشة الكتابة ظهرت كتابة (لي _ شو أي الكتابة الرسمية) وقبل الميلاد اخترعوا نوعاً من الورق، وريشة مصنوعة من الشعر، وحبراً مركباً من الصمغ ورماد الأشجار، ودونوا عليه منظومتهم الكتابية التي تعد من أقدم الكتابات المتداولة في العالم المعاصر، فقد بقيت

1- Zhi Dao: **History Of paper making in China**, deep logic, 2019, p7

2- هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1، 2002، ص 80

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

مستمرة كمنظومة بحكم أنها ليست أبجدية ولا تعرف الحروف الأبجدية كالكتابات الحيّة المعاصرة، فكلُّ رمز منها يدل على كلمة كاملة¹، وهي خاصية فريدة لهذه اللغة العريقة.

2/ عوامل اكتشاف الورق

طوّر الصينيون صناعة الورق باستخدام مادّة ماسكة من الغراء أو الجيلاتين مخلوطة بعجينة نشوية ليُمِتّتوا بها الألياف ويجعلوا الورق سريع الإمتصاص للحبر، ولمّا أخذ العرب عن الصينيين هذه الصناعة في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي ثم أخذتها أوروبا عن العرب في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي كانت قد بلغت غاية الكمال².

إنّ ازدهار ونجاح أي صناعة لا بُدَّ لها من توفر العديد من العوامل الأساسية والضرورية خاصة الأولية منها والتي نستنتج بعضها من الكتب الجغرافية ونسقطها على طبيعة ذلك الوقت، فتوفر الصّين على العديد من المؤهلات الطبيعية سهّل على المنتجين عملية الصّناعة خاصة الماء الذي يُستعمل بكثرة وبغزارة في أحواض التصنيع، فمن أهم مصادر المياه في الصين نجد الأنهار الرئيسية مثل نهر اليانغتسي أطول أنهار الصين وثالث أكبر أنهار العالم بطول يصل إلى حوالي 6300 كم، وثاني الأنهار هو النّهر الأصفر الذي يُعتبر موطن الحضارة الصينية العريقة ومهد الأمّة الصينية³، إلى جانب الثروة المائية تمتلك الصين ثروة نباتية هامة ساعدتها على إنتاج الورق وأشهرها نبات الخيزران الطويل والقنب، وكذلك أشجار التوت الكبيرة بحيث يستخرج منها اللّحاء كما استخدمت عيدان الأرز نظرا لوفرتة في هذه المنطقة .

لا تكفي العوامل الطّبيعية وحدها في تشجيع وتحريك الصناعة لولا دور الحكام الذين شجّعوا عملية الإكتشافات حيث يُذكر أنّه في الصّين كان يُفرض قانون على أصحاب الحرف

1- فريدريش يوهانس: المرجع السابق، ص213

2- ول وايريل ديورانت : المرجع السابق، ص153

3- شوي غوانغ: جغرافيا الصين ، ترجمة: محمد أبو جراد ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ط 1، 1987، ص 81

بأن من صنع شيئاً يستجلب الأنظار يتم وضعه على باب قصر الإمبراطور سنة كاملة، فإذا استطاع أحد أن ينتقده وكان محققاً غضب الإمبراطور على صانعه، وأما إذا لم يستطع أحد ذلك أو كان المنتقد لم يفعل إلا لحزاة في النفس نال الصانع كل النعمة وقتل المنتقد¹.

من جانب آخر ساهمت ثقافة الفرد الصيني في تنشيط هذه الحرفة التي أصبحت تمثل مصدر رزق للكثير من الصينيين خاصة الطبقات الفقيرة حيث وجدت من معامل الورق فرصة للعيش، علماً أنّ العمل فيها ليس بالشيء اليسير لأنه يتطلب تقسيم المهام حتى تصل الورقة إلى مرحلتها النهائية، تبدأ أولاً من جلب المادة الأولية من لحاء الأشجار ثم تقطيعه وضربه حتى يصبح في شكل عجين إلى غاية وضعه في القوالب المخصصة لاستخراج الورق ثم عرضها على أشعة الشمس إما تعليقاً أو فوق الأسطح .

3/ انتشار الورق الصيني

من باب الموضوعية فإنّ انتشار البوذية في شرق وجنوب شرق آسيا كان من بين الوسائل المهمة التي سمحت برواج صناعة الورق حيث سعى جميع الطلاب الذين درسوا الديانة البوذية إلى تعلم الحرف والصناعات الصينية التقليدية من صنع الفرش والمداد والورق لنشر تعاليم البوذية على نحو أكثر كفاءة، وهكذا صدرت الصين في أوائل القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي على الأرجح صناعة الورق ومهارتها إلى بقاع أخرى مجاورة².

انتقلت صناعة الورق إلى كوريا في حدود القرن الثالث الهجري بحكم أن منطقتها الشمالية كانت خاضعة للحكم الصيني منذ عام (108 ق.م إلى 210 م) وقد صنعت أقدم ورقة بيضاء مصقولة من ألياف القنب في عهد مملكة غوغوريو (37 ق.م - 668 م) وكان الورق الكوري المعروف باسم (JILIN ZHI) أو ورق مملكة سيلا يُشكل قسماً من الجزية التي فرضتها الصين على تلك المملكة³.

1- أتربي أبو العز وعبد العزيز حمد: نبذة عن الصين ، مؤسسة هنداوي ، مصر، 2012 ، ص 35

2- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 100

3- نفسه: ص 103

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

ومن كوريا انتقلت صناعة الورق إلى اليابان وأيضاً عن طريق الطلاب الذين كانوا يدرسون في الصين في حدود سنة 610 م، بعدما اتخذ اليابانيون من عودة الراهب البوذي الكوري دامجينغ (DAMJING) من سفره العلمي من الصين بعد تدريبه على صناعة الفرش والورق، وهو المعروف عند اليابانيين باسم دونشو (DONCHO) بداية للمعرفة اليابانية بصناعة الورق، والجدير بالذكر أنّ اليابان كانت تحت تأثير الصين العلمي والثقافي، ولكنهم في نفس الوقت كانوا أكثر حماساً لابتكار صناعة ورقية مماثلة، والتي بدأت تتفوق على الورق الصيني مع مرور الوقت وهو الذي كان يصنع في الغالب من لحاء التوت¹، ثم انتقلت الصناعة إلى مناطق آسيوية أخرى مثل الهند الصينية عن طريق التجار والعلاقات التي كانت بين الصين والفيتنام مثلاً حيث توجد فيها أقدم المدن الصناعية للورق في تونكين (Tonkin).

أما الهنود فقد عرفوا الكتابة منذ النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد بحيث كانوا يكتبون على مواد مختلفة كأوراق الأشجار، والألواح الخشبية وألواح الخيزران والمعادن، ورغم انتشار الديانات في البلاد منذ العصور القديمة إلا أنها بقيت تستخدم الرقوق كأوعية في الكتابة التقليدية، ويرجع جوناثان بلوم أسباب تأخر الهند في صناعة الورق إلى النظام الطبقي المرتبط بالتقاليد الهندية، لأن الأرستقراطيين الهنود والذين أظهروا ميلاً إلى تعلم القراءة والكتابة دون أهل الهند كافة ترفعوا عن ملامسة الورق المصنوع من الخرق خوفاً من نجاسة قد تصيبهم² بمعنى أنّ إصابة هؤلاء بالعنجهية والتكبر حال دون معرفة الهنود المبكرة بالصناعة وهي من الحوادث الغريبة التي عرفها التاريخ البشري، وقد تأخرت صناعة الورق في الهند على العموم رغم توفرها على كل الإمكانيات الطبيعية إلى غاية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، عن طريق طلاب العلم والتجار سواء البوذيين أو المسلمين.

1-Basil Hall Chamberlain: Things Japanese: Being Notes on Various Subjects Connected whit japon, london, 1905, p360

2- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 106

4/ انتقال صناعة الورق إلى المشرق الإسلامي

انتقلت صناعة الورق إلى الحواضر الإسلامية من الصين في الشرق إلى الغرب العربي في آسيا بعد أن أجمع كل من كتب في تاريخ اكتشافه أن الصينيين هم أول من برع في صناعته في القرن الأول الميلادي ومنهم تعلّمه المسلمون¹ مثلما تمّ توضيحه سابقاً، وقد مثّل هذا الانتقال شكلاً فريداً من أشكال التواصل بين الثقافات البشرية يصطلح عليه بالتكامل الحرفي بين الحضارات الإنسانية، إلا أنّ كيفية معرفة المسلمين بطرائق تصنيعه وتمكنهم فيه وتطوره الكبير في الحواضر الإسلامية قد أحدث اختلافاً بين الباحثين نظراً لتعدد الروايات في ذلك، منها ما ذكرته المصادر الإسلامية ومنها ما اجتهد في دراسته بعض المؤرخين المعاصرين خاصة منهم الأوروبيين، ويعود سبب الاختلاف إلى تحديد الكيفية التي استطاع بها المسلمون اكتساب مهارة صناعة وإنتاج الورق بحكم أن العلاقات العربية الصينية لم تكن بالشكل الذي كان معروفاً مع المدن الأوروبية مثلاً، ومن هذا المنطلق نذكر ما جاء به الثعالبي في لطائف المعارف، أنّه وقع سبي في عهد الفاتح زياد بن صالح حتى كثرت صناعة الكاغد وصارت متجراً لأهل سمرقند بقوله: "وبالصين ذكر صاحب المسالك والممالك أنّه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد ثمّ كثرت الصنعة"².

وقد ذكر القزويني نفس الحادثة السابقة³، وتعود حيثيات السبي أنّ أبا مسلم الخراساني وجّه زياد بن صالح⁴ بجيشه فالتقى بالجيش الصيني على نهر طراز فانتصر عليهم وأسّر منهم

1- السامرائي قاسم : علم الإكتناهِ العربي الإسلامي ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1، 2001/1422، ص257

2- الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ) : لطائف المعارف، تحقيق: هورث داني، رقم 8542 ، ص 143 ،

3- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت ص 535

4- زياد بن صالح الحارثي الخُزاعي: من قواد الجيش العباسي ووالي الكوفة سنة 132 كان موالياً لجيش أبو مسلم الخراساني ثم ارتد عليه ، قائد الجيش الإسلامي في معركة طلاس ضد جيش الصين توفي سنة 135 هـ ، بعد مكيدة من أبي مسلم

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

حوالي عشرين ألفا وكانت هذه الواقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين بعد المائة¹ بسبب رغبة الصينيين في إعادة إحكام السيطرة على بلاد ما وراء النهر² واستغلال حالة الفراغ في المنطقة لا سيّما بعد انهيار الإمبراطوريتين التركية الغربية والساسانية الفارسية في القرن الأول الهجري، وتُسمى هذه المعركة بمعركة طلاس (133هـ/751م)، وفي هذا الصدد تحدث المستشرق ستانود كب عن هذه المسألة بأنّ العرب قد تعرضوا في سمرقند الواقعة على الشمال من الهند مباشرة لهجوم الصينيين عام (133هـ) وفي أثناء صدّ هذا الهجوم بنجاح وقعت يد الحاكم العربي على أول قطعة من الورق أتيح لها أن تجد طريقها من الغرب من الصين حيث جاء اختراع الورق هناك قبل زمن المسيح³.

إلا أنّ هذه الرواية تبقى محل شك إذا سلمنا أن تقنيات صناعة الورق لم تكن معروفة بتاتا عند المسلمين قبل هذه المعركة حتى جعلها الباحث جوناثان بلوم مجرد حكاية⁴ معتبرا أنّ الورق كان معروفا ومستخدم منذ فترة طويلة في آسيا الوسطى قبل حادثة السّبي، علما أن طريق الحرير القديم كان يُعتبر مصدرا تجاريا متنوعا للمنتجات بين الشرق والغرب ولا غرو أن انتقال مهارة تقنيات هذه الحرفة بمعناها التواصلية كان موجودا والأفكار كانت رائجة، إلاّ

الخرساني. أنظر: الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملوك، دار التراث بيروت، ط2 ، 1387، ج7 ص 466

1- ابن الأثير أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1997، ج5، ص 40

2- بلاد ما وراء النهر : هو اسم أطلق على المنطقة الواقعة بين نهري جيحون وسيحون وفي حوضهما، وكانت تسمى بلاد تركستان الغربية ، انقسمت إلى عدة أقاليم في العصور الوسطى أهمها : إقليم الصغد الذي يضم أهم مدينتين وهما بخارى وسمرقند، إقليم خوارزم ، إقليم فرغانة ، إقليم الشاش ، إقليم الختل. أنظر: أسامة محمد فهمي صديق: العلاقات التجارية والثقافية بين المدن الصينية ومدن آسيا الوسطى الواقعة على طريق الحرير في عصر الأسرتين الينوانية والتميمورية المغوليتين ، المجلة العلمية لكلية الآداب ، جامعة أسيوط ، عدد 40 ، أكتوبر 2011 ، ص235

3- ستانود كب: المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة: محمد فتحي عثمان، الجزائر، 1982، ص99

4- Jonathanm. Bloom : paper before print ,the history and impact of paper in the Islamic world , Library of congress, 2001, p 45

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أن توفر المادة في الحواضر الإسلامية لم يكن ملموسا إلا بعد معركة طلاس، فمثلا نجد أن المسلمين وصلوا إلى الحدود الصينية زمن الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي وهو من رجال الحجاج بن يوسف الثقفي، أين سار نحو بخارى وسمرقند إلى غاية المدينة الصينية كاشغر¹ في حدود سنة (96 هـ / 714م) وهو يذلل على وجود اتصال سابق لمعركة طلاس، ضيف على ذلك أن التواريخ الصينية تذكر سفيرا يدعى سليمان أوفده الخليفة هشام بن عبد الملك (ت 125هـ / 743م) سنة (108هـ / 726) إلى الإمبراطور هزوان تسنج (HswnTsung) وكذلك في عهد الإمبراطور سوتسنگ (Su Tsung) أين وصلت العلاقات إلى مراحل متقدمة خاصة عندما طلب من الخليفة العباسي المنصور النجدة فأجابه الخليفة ولم ترجع القوات العربية إلى بلادها بل تزاوجت واستقرت في الصين.²

تبرز المراجع التي اهتمت بعلاقات المسلمين بالصين أن أوائل الإتصالات الرسمية كانت منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبالتحديد في عهد أسرة تانج (618 م / 907م) في عهد الإمبراطور غاوزونغ (Gaozong) سنة 651 م أين وصل أول سفير عربي للعاصمة تشانغان (Chang'an)، كما يذكر في تاريخ هذه الأسرة الذي دام ثلاثة قرون فصل يُعرف باسم سجل داشي والذي يصف جغرافية ومنتجات العالم العربي³، علما أن المسلمين كانوا يُذكرون في السجلات الصينية باسم داشي وهي كلمة معناها في اللغة الصينية التاجر.

1- كاشغر: أو قشجر ، كاشجار ، تقع في تركستان حيث أطلق عليها الأوربيون اسم بوشاريا الصغرى وهي مستودع التجارة بين التتار والهند والصين وآسيا الوسطى، وقد ذكرها ماركوبولو في رحلته بقوله : تخضع لسلطان الخان الأعظم ، ويدين سكانها بالإسلام ، والولاية ضخمة وتحوي مدنا وقلاع كثيرة ، يعيش الأهالي من التجارة والصناعة بخاصة مصانع القطن. أنظر: ماركوبولو، رحلات ماركوبولو: ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1995، ج1، ص

2- سير توماس أرلوند : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1970 ص 333

3- فهمي هويدي : الإسلام في الصين ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، عالم المعرفة ، جوان 1981

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

إنَّ البحث في تاريخ العلاقات الإسلامية الصينية وإسقاطه في كيفية وصول تقنيات صناعة الورق في الحواضر الإسلامية يُعدُّ أمراً مهماً لكي لا نسلّم قطعاً بأنَّ الدَّراية التقنية عُرفت فقط بعد معركة طلاس، لأنَّ الشواهد التجارية أكدت بأنَّ طريق الحرير الذي كان ينطلق من الشام ماراً بالعراق ليصل إيران ثم ماوراء النهر إلى بُخارى¹ وسمرقند أو الطريق البحري من ميناء البصرة إلى الهند ثم سيلان وأندونيسيا وصولاً إلى الصين كان غنياً بالمواد الآتية من الصين أو الذاهب من عند المسلمين وحتى الأوروبيين منها النادرة والباهظة جداً، فمن المنطقي جداً أن نعتقد بأنَّ التُّجار كانوا يتداولون فيما بينهم بعض أخبار هذه الصناعة الجديدة، رغم أن استنتاجاً آخر يقودنا إلى القول بأنَّ ظروف التجارة كانت تمنع الصينيين من بيع هذه المادة كونها كانت حكرّاً على البلاط الملكي أو كانت سرّاً موقوفاً للأنشطة والدواوين الملكية، وبالتالي كانت من المبيعات المُحرّمة في ذلك الوقت لأنَّ الصينيين كانوا في مواجهة اقتصادية مع جيرانهم اليابانيين، ثم إنَّ المسلمين وبالرغم من تعاملهم القديم مع الصينيين إلا أن مواد الكتابة عندهم ظلت تقليدية إلى زمن بعيد.

إنَّ الفصل في المسألة يُعدُّ صعباً جداً فمن ناحية لا يمكن الجزم بدور الأسرى في تعليم المسلمين تقنيات صناعة الورق ومن ناحية أخرى لا يمكن تهमيش التواصل الإقتصادي الطبيعي بين التجار والذي مكّن المسلمين من الإطلاع على هذا المنتج الجديد، وبالتالي نرى بأنَّ الأصلح في المسألة هو الجَمع بين مختلف الأحداث سواءً كانت عسكرية أو اقتصادية التي بلورت مع تَقَادُم الزمن تلك الأفكار وبها استطاع المسلمون صنع أوراقهم الأولى في مختلف المدن و العواصم، ومنه فإن هذه الأحداث التاريخية لا محالة قد شكلت بداية المعرفة الإسلامية لصناعة الورق.

1- بخارى : بالضم، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يعبر إليها من آمل الشَّطّ، وبينها وبين جيجون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانيين. الحموي ياقوت شهاب الدين (ت 626هـ) : معجم البلدان ، منشورات دار صادر، بيروت، 1374/1995، ج1، ص 353 . تعتبر من أقدم المراكز التجارية في آسيا الوسطى وقد كانت سوقاً رئيسياً بين الصين والمشرق العربي وأوروبا والهند، عُرفت بتجارة الحرير والديباج والمنسوجات القطنية والذهبية .

المبحث الثالث: حواضر إنتاج الورق في المشرق الإسلامي

1/ حاضرة سمرقند¹

تعتبر مدينة سمرقند من أوائل الحواضر الإسلامية صناعةً للورق حيثُ اشتهرت بإنتاجه وأصبحت من المُدن كبيرة المنزلّة في البلاد الإسلامية، وشُهرة ورّقها عمّت الأقطار الإسلامية حتى وصفها ماركوبولو بأنّها أعظم المدن على طرق الحرير² ومن الشّواهد الدّالة على ذلك أن هذه المدينة تفوقت في صناعة الورق، وهذا ما ذكره الثعالبي بأنّ كواغدها عطّلت قرطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها لأنّها أنعم وأحسن وأرفق، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند فعَمَّ حَبْرُها والإرتفاق بها في جميع البلدان في الآفاق³ كما نوّه ابن الوردي بورق سمرقند عندما ذكر أن من خصائصها الكواغد التي أُرزت بكواغد الأرض في الطول والعرض والجلود والرقاق التي لا توجد في الدنيا⁴ ويُمكن تفسير هذا الوصف كون أنّ المدينة قد استلهمت الوصفة الصناعية الصينية مباشرة، حتى أن الكثير من سكانها ترجع أصولهم إلى مناطق شرق آسيا الذين يسهل التعامل معهم من الناحية اللّغوية وكذلك دور العامل الجغرافي في جعل المنطقة من أولى البوابات نحو غرب البلاد الصينية.

1- سمرقند : إحدى قسبتي الصغد بإقليم ما وراء النهر وقد مثلته مدينتان كبيرتان أولهما بخارى كانت العاصمة الدينية للصغد وسمرقند العاصمة السياسية له . أنظر: خالد عزب ، بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص7 . وقد وصفها ابن بطوطة بقوله: هي من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالاً مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين عليه النواعير تسقي البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتفرج ولهم عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات. أنظر: ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد اللواتي الطنجي (ت 779) : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأسفار، دار الشرق العربي، ج1، ص293

2- ربحي مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ، دار صفاء، عمان، ط1، 1420/1999 ، ص58

3- الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 2009، ص543

4- ابن الوردي سراج الدين (ت 691 هـ) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط1، 2008/1428، ص376

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أمّا السمعاني فقد أطرى على الورق السمرقندي في مادة الكاغدي بأنه لا يُعمل في المشرق إلا بسمرقند والمشهور بهذه النسبة أبو توبة سعيد بن هشام الكاغدي السمرقندي¹، ثمَّ إنَّ سمرقند كانت من أقرب المناطق إلى الأقاليم الصينية المعروفة، وكانت في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي أكبر مركز لصناعته، وانتشرت بها دكاكين الورق، ومن أهم آثار انتشار هذه الصناعة نهضتها العلمية العظيمة واشتهرت به مع رقيقها في العالم².

من العوامل المهمة على ازدهار صناعة الورق في سمرقند هي المياه الوفيرة المتدفقة و التي شُيّدت لها القنوات التي توصلها إلى البساتين والمزارع حتى أضحي لها نظام ريّ جعل المدينة خضراء مُورقة³، كما اشتهرت بإنتاج أهم المزروعات مثل القطن والكتان، والحبوب إضافة إلى كثرة البساتين التي تنتج كل ما يشتهيهِ الإنسان⁴.

إنَّ صناعة الورق في سمرقند تطورت بعد أن أصبحت من المراكز الإسلامية المتقدمة في أواسط آسيا، يأتيها العلماء وطلاب العلم من كلِّ الحواضر الإسلامية الأخرى وهو ما ساهم في زيادة رواج إنتاج الورق، يدرسون عند مشايخها من أمثال أبو منصور الماثريدي (ت333هـ/ 944م) نسبة إلى ماثريد وهي محلة قرب سمرقند، وهو الذي كان من المتكلمين و أبو بكر بن محمد بن أحمد السمرقندي الملقب بعلاء الدين (ت539هـ/1144م) صاحب كتاب ميزان الأصول في نتائج العقول، وإثر ذلك التلاحق الفكري بدأ العلماء ينقلون علوم القرآن والحديث إليها من المشرق ويدرس الطلاب القادمين إليها علوماً جديدة، وفي نفس الوقت يعودون مُحملين بمختلف البضائع والبِئِيع التي تُصنع في المدينة أو في مناطق مجاورة لها خاصة القادمة من الصين، كما تُعد سمرقند الواجهة التجارية الإسلامية التي استلهمت صناعتها من مختلف

1- السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562): الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد، ط1 ، 1962/1382 مادة الكاغدي ، ج11، ص 24

2- أسامة محمد فهمي صديق : المرجع السابق ، ص 280

3- فيتالي نومكين: سمرقند، ترجمة: صلاح صلاح، منشورات المجتمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات، ط1، 1996، ص16

4- ماركوبولو: المصدر السابق، ج1، ص 107

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الثقافات من الصينيين والمغول والأتراك¹ والمسلمين، وبالتالي فإنّ صناعتها عُرفت بالجودة كما وصفت في المصادر الجغرافية، وما زاد قيمتها التاريخية هو إنتاجها لأحسن أنواع الورق، ومن طلائع الحواضر التي اشتهرت بذلك.

2/ حاضرة بغداد

تُمثل بغداد القطب العاصمي الإسلامي للخلافة العباسية التي سُميت بمدينة السّلام بعدما أمر أبو جعفر المنصور بتأسيسها، حيث ذكر البغدادي أن المنصور لما عزم على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين، فمثل لهم صفتها التي في نفسه، ثم أحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين، وغيرهم، وأجرى عليهم الأرزاق، وكتب إلى كل بلد بحمل من فيه ممن يفهم شيئاً من أمر البناء، ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة، ثم اختطها وجعلها مدورة² ابتداءً من سنة (145هـ/762م).

إنّ بناء مدينة بغداد في ذلك الموقع الإستراتيجي والتاريخي القديم سمح للدولة العباسية بأن تخلق نوعاً من التجانس والتمازج الثقافي العربي والفارسي والهندي واليوناني، فبلاد العراق والشام كانتا مهداً للثقافات الكبيرة والواسعة، وهو ما جعلها قبلة للعلماء بسبب الأجواء العلمية التي امتازت بها هذه العاصمة منذ تأسيسها وكان لانتشار الورق فيها دور وعامل مهم في ازدهار الحياة العلمية في العصر العباسي عن طريق زيادة التأليف في مختلف العلوم³ حيث أصبح الشّغف باقتناء الكتب وقراءتها وتدريسها من الظواهر البارزة في المجتمع البغدادي.

1- أحمد عادل كمال: الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، دار السلام، 2005، ص

12

2- البغدادي أبو بكر الخطيب : تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1422/

2002 ، ج1، ص375

3- مفتاح يونس الرباضي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول 132هـ/232هـ، دار الكتب الوطنية، بنغازي،

ط1، 2010، ص 59

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

كانت مواد الكتابة في عهد الدولة الأموية تقليدية تتمثل في الجلود وأوراق البردي وغيرها واستمر الحال إلى حين قيام الدولة العباسية التي شهدت استخدامهم للكاغذ زمن هارون الرشيد¹ فتداوله الناس من بعده إلى اليوم²، كما ذكر القلقشندي أن الورق كثر زمن الرشيد وفشا عمله بين الناس فأمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغذ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة وتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محي فسد وإن كُشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قُرب ومن بُعد واستمر الناس على ذلك إلى الآن³.

ذكر ابن خلدون في فصل صناعة الوراقة أن الورق ظهر وانتشر استعماله زمن الرشيد بعدما أكد على أن الفضل بن يحيى البرمكي (ت 192هـ/808م) قد نوه عليه بصناعة الكاغذ حتى بلغت الصناعة مرحلة الإتقان والإجادة⁴، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الفترة التي ظهرت فيها صناعة الورق في بغداد إلى الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة، بعد مدينة سمرقند، ويعود ذلك إلى أنها عاصمة الدولة العباسية وبها يكثر العلماء القادمون إليها وتكثر معاملات الدولة الرسمية، وبداية استعماله فيها يكون بمثابة التسريح الرسمي لجميع الحواضر

1- هارون الرشيد : هو هارون بن المهدي، أفضت إليه الخلافة سنة سبعين ومائة ، قام بغزو الروم سنة (190 هـ 806م) كانت وفاته ليلة السبت سنة 193 هـ . أنظر، ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ) : المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط2، ص 281 . وهو الخليفة العباسي الخامس بعد وفاة أخيه موسى الهادي سنة (170 هـ 786م) ويعتبر الأشهر نظرا لوصول الدولة العباسية لأرقى مراحلها خاصة في الجانب العلمي.

2 - المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرفاوي ، مكتبة مديبولي، القاهرة، 1997، ج1، ص 263

3- القلقشندي أحمد بن علي (ت 821 هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج2 ، ص

4- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، مراجعة: سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت ، ط1، 1981، ج1، ص532

الأخرى بإقامة صناعة على أراضيها.

وقد أشار اليعقوبي على وجود صناعة في بغداد عندما ذكر أنَّ عدد حوانيت الوراقين في رُبض وضاح مولى أمير المؤمنين من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مائة دُكان¹، وفي هذا الصدد نقول بأنَّ البرامكة قد وقفوا على فضل الورق من وراء ما سمِعوا به أو رأوه في الأقاليم الخارجية بفعل عوامل كثيرة، منها: خبرة أسلافهم في آسيا الوسطى وتمكُّنهم من شؤون الإدارة التي اكتسبوها من خلال حكمهم حيث كان الفضل بن يحيى والياً على الولايات الغربية في فارس ثم والياً على إقليم خُراسان، وهذا الطرح أكده الباحث جوناثان بلوم في دراسته حيث وجد بأنهم أظهروا اهتماماً بالأدب الكلاسيكي في فارس والهند وكذلك بالمظاهر الأدبية العقديّة الفلسفية والدينية الشرقية على اختلافها ولكن وبالرغم من إنجازاتهم فقد أوقع بهم الخليفة هارون الرشيد فيما يُسمى بنكبة البرامكة في بداية سنة (187هـ/803م)، وقد صار أمرهم إلى ما يوصف من الفقر والذلّ والإهانة².

ومن الأدلة التي تثبت وجود معامل لصناعة الكاغد في بغداد ما انفرد به الصولي في وصفه لحريق مدينة الكرخ العظيم الذي وقع في شهر ذي القعدة من سنة (332هـ/943م) من منطقة حد طاق التّك إلى السماكين حيث عَصَف على أصحاب الكاغد وأصحاب النّعال³، ولم تقتصر الصناعة فقط في حوانيت منطقة الكرخ ودُروبه بل تعداه إلى محالٍّ أخرى حيث ذكر ياقوت الحموي أن محلّة دار القز وهي محلّة كبيرة ببغداد من طرف الصحراء فيها يُعمل

1- اليعقوبي أحمد بن اسحاق بن واضح (ت 292هـ): كتاب البلدان، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط 1، 1422،

ص 35

2- الأتليدي محمد دياب : إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1990/1410، ص

262

3- الصولي محمد بن يحيى (ت 335هـ) : أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية ، دار الميسرة، بيروت

ص 261

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الكاغد¹، وإلى جانب دار القز وباب الكرخ وجدت مَحَلَات أخرى لصناعة الورق في بغداد مثل النّصيرية، والعُتابية وجهار سوج² مع العلم أنّ الأسواق والمصانع في بغداد كانت خارج المدينة ويعود السبب في ذلك إلى أن الغُرباء والمتسولين يبيتون في شوارعها ولا يُؤمن أن يكون من بينهم جواسيس، وبالتالي هي خُطة نظامية لتسهيل عملية الرّقابة والإشراف على مختلف المهن والصناعات.

عُرف ورق بغداد أنّه أعلى الأجناس جودة وهو ورق نخين مع لُيونة ورقّة حاشيته وتناسب أجزائه، وقطعه وافر جدّا، ولا يُكتب فيه في الغالب إلّا المصاحف الشريفة، وربما استعمله كُتّاب الإنشاء في مكّتبات القنّات³ وهذا دليل على أن العاصمة العباسية قد انفردت بهذه الصنعة وطوّرت في إنتاجها حتى أصبح الورق البغدادي يحتل الصّدارة بعدما كانت مدينة سمرقند تحتكر هذا المنتج، وقد عرف عهد الدولة العباسية عدة أنواع من الورق⁴، سُميت إما على صاحب المهنة أو بلدته منها الورق السّليمانيّ نسبة إلى سليمان الذي كان صاحب ديوان بيت المال في خراسان زمن هارون الرشيد، والورق الطّليحي الذي سُمّي باسم طلحة بن طاهر (ت215هـ/828م) صاحب خراسان، والورق الجعفري نسبة إلى جعفر بن يحيى البرمكي وقد وصف القلقشندي أحجام الورق البغدادي الكامل أن طوله بلغ ذراعا واحدا على مقياس الذراع المصري وفيه كانت تكتب عهود الخلفاء وبيعاتهم وفيه تكتب الآن عهود أكابر الملوك، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك، كأكابر القنّات من ملوك الشّرق، وذكر أيضا الورق

1- الحموي: المصدر السابق ، ج2 ، ص 422

2- ناجية عبد الله إبراهيم: ريف بغداد دراسة تاريخية لتنظيماته الإدارية وأحواله الاقتصادية (575_656هـ/1179

_1258م) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1988، ص307

3- القلقشندي : المصدر السابق ، ج2، ص516

4- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت 438هـ) : الفهرست، تحقيق : إبراهيم رمضان ،

دار المعرفة، بيروت ، ط2، 1417 / 1997، ص 36

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الناقص وهو مخصص للطبقة الثانية من الملوك¹، وفي هذا الصدد أعطى الباحث جوناثان بلوم مقاييس عصرية للورق البغدادي كمحاولة لوضع إسقاط زمني لتلك الفترة، ووجد أن الورق الكامل يصل إلى تسعة بوصات أي ثلاث وسبعين سم، أما العرض فثلاثة وأربعون بوصة أي حوالي مائة وعشرة سم.²

وقد جاء في سيرة محمد بن غالب بن حرب أبي جعفر الضبي الثمار المعروف بالتمتام من أهل البصرة (ت283هـ/896م) أنه جاءه صبيّان يكتبان الحديث فأخرجوا كاغدا رثا فقال لهم التمام: يابني إن الكاغد رخيص في بغداد، لو كتبتموه في كاغد أجود من هذا؟ فقالوا: يا أبا جعفر إنما نكتب في الكواغد على قدر الشيوخ³، بحيث نستنتج من هذه الواقعة بين الشيخ والصبيان أن الورق أو الكاغد كان متوفراً في بغداد ويمكن لأي متعلم أن يحصل عليه حتى فئة الصبيان .

جاء في كتاب إنباه الرواة للقفاي تداول الورق الخراساني في بغداد حيث ذكر أن إبراهيم ابن إسحاق الحربي (ت275هـ/898م) كان جالسا عند باب الدار وإذا برجل معه جملان محمّلان، اسمه الحاج الخراساني يبحث عن بيت ابن إسحاق الحربي فسأله عنه فأجابه بأنه هو فقال له: قد سير إليك رجل من خراسان هذين الحملين، وهما ورق خراساني⁴، وأشار القفاي أيضا إلى مكتبة محمد بن الحسين الذي يُعرف باسم ابن أبي بكرة أنها كانت تحتوي ورقاً صينياً وورقاً تُهامياً وجلود آدم وورق خُراساني⁵، ومما يدل على وجود الورق في بغداد أن الخليفة المنصور أمر أن يوضع بين يدي كل واحد من جلسائه دواة وورق، كما كان الورق

1- القلقشندي : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 181

2- جوناثان بلوم : المرجع السابق ، ص 126

3- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 4 ، ص242

4- القفاي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: أحمد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1982/1406، ج1، ص192

5- نفسه: ج1، ص43

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

من أدوات مجالس خلف الأحمر النحوي (ت194هـ / 809م) في قصر الرشيد، وورد في الأخبار أن وراقا اسمه الأثرم قَدِمَ إلى بغداد من البصرة ينسخ الكتب لأبي عبيدة فكان يأتيه أبو مَسْحَل عبد الوهاب وأصحابه فيقوم بإعطائهم ورقا أبيض من تحت الباب.

ومن جهة أخرى فقد امتلكت بغداد العديد من المؤهلات الطبيعية التي جعلت صناعة الورق فيها متوفرة ولعلَّ أن أهم عنصر في صناعة الورق هو الماء، وهو ما كانت تزخر به العاصمة من خلال الأنهار التي كانت تجري بمدينة المنصور والكُرخ في الجانب الغربي وتتخرق بين المَحَالِّ والدور، فأكثرها كان يأخذ من نهر عيسى بن عليّ الذي يحمل من الفُرات، وكان عند فوهته قنطرة يقال لها قنطرة دُمما، يمر النهر جاريا فيسقي طسوج فيروزسابور، وعلى جانبيه قرى وضياح، حتى إذا انتهى إلى المحول تفرع منه الأنهار التي كانت تتخرق مدينة السلام¹، وقد ساعدت غزارة المياه وقوتها في إدارة دواليب الطحن الخاصة بطحن ألياف النباتات أو الخرق إلى جانب مختلف النباتات التي كانت متوفرة على ضفاف الأنهار.

استمرت بغداد في إنتاج الورق زمن العباسيين إلى غاية سقوطها على يد المغول سنة (656هـ / 1258م) وقد تعرضت لخراب كبير بعد أن أُحرقت المكتبات المشهورة ومعها تأثر إنتاج وتصنيع الورق الذي أصبح نادرا في زمن المحنة إلا ما كان يستخدم في المعاملات الرسمية فقط، لكن وبالرغم من ذلك ساهمت بغداد بحكم ثقلها السياسي والعلمي في ازدهار صناعة وإنتاج الورق، ومثلت الركيزة الأساسية لهذه الصناعة ونقطة الانتشار الرئيسية في المشرق الإسلامي نحو المناطق الأخرى منذ دخول الورق إليها وبداية تصنيعه فيها أيام هارون الرشيد، فكانت الأمة الإسلامية أجدر الأمم بأن تكون أستاذ البشرية بفضل عبقريتها المرنة² في الانتقال من مرحلة الاكتشاف إلى الإبداع، وبهذا تكون العاصمة العباسية قد حققت التكامل بين الإنتاج المحلي للورق وتوفر المادة بالنسبة لازدياد الطلب عليها من فئة الوراقين والمشتغلين

1- القفطي : المصدر السابق، ج 1، ص431

2- خضر أحمد عطاء الله : بيت الحكمة في عصر العباسيين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص154

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

في هذا المجال خاصة الخطاطين والنساخ، كونها تمثل المحور الذي تدور عليه شؤون الأمة الإسلامية في ذلك الوقت.

3/ الحواضر الشامية

أصبحت بلاد الشام مركزاً لإنتاج الورق بعد بغداد وهو ما نستنتجه من حديث القلقشندي عن الورق الشامي حيث وصفه بأنه أحسن الورق لكنه في الرتبة دون الورق البغدادي¹ وهي إشارة إلى أن الحواضر الشامية قد عرفت هذه المهنة لكن جودة ورقها لم تصل إلى جودة ورق بغداد وهذا أمر طبيعي إذا ما علمنا أن مركز الخلافة غالباً ما تكون صنعته في الريادة نظراً لتنافس الصانعين في إرضاء الملوك وكذا محاولتهم لأخذ الصدارة في الصناعة الخاصة بورق الدواوين والدولة بصفة عامة، أما بالنسبة للفرق فإنه يعود بالدرجة الأولى إلى النساعة والخفة واللينة في الطي ودرجة تفاعل المداد بالنسبة للكتابة .

أما بالنسبة للأقطاب الحضريّة الشامية التي برعت بهذه الحرفة نجد دمشق وطبرية² وطرابلس³ ومدينة حماة حيث اشتهرت مدينة دمشق الشامية التي وصل صيت ورقها إلى أوروبا الشرقية بحيث كانت تشتري ورقها من بلاد الشرق الأدنى مباشرة⁴ بسبب جودته الرفيعة

1- القلقشندي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 476

2- طبرية : هي مدينة في الأردن، وهي في أسفل جبل على بحيرة جليلة يخرج منها نهر الأردن المشهور وفي مدينة طبرية مياه تنبع حارة تغور في الصيف والشتاء ولا تتقطع فتدخل المياه الحارة إلى حماماتهم ولا يحتاجون لها إلى وقود وأهل مدينة طبرية قوم من الأشعريين هم الغالبون عليها أنظر: اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 165

3- طرابلس: هي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام تخترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار ويكنفها البحر بمرافقه العميقة والبر بخيراته المقيمة ولها الأسواق العجيبة والمسارح الخصيبة والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم. أنظر: ، ابن بطوطة : المصدر السابق، ج 1، ص 48. لقبت في صدر الإسلام بأرض الرباط لأنها تشرفت باستقبال أعيان الصحابة الكبار وعلى رأسهم ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وفي العصر الأموي بالفيحاء الصغرى لأن مدينة دمشق كانت تلقب بالفيحاء الكبرى كما لقبت بدار العلم .

4- كرد محمد علي : الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 201

حتى أنه ذكر أن الفرنسيين تعلموا صناعة الورق من دمشق بواسطة أسيرين منهم قضيا زما في هذه المدينة فلمّا عادا إلى بلادهما نشرّا هذه الصناعة المفيدة.¹ يظهر من الرواية السابقة أن دمشق² تعتبر من أهم المراكز الاقتصادية سواء بالنسبة للمسلمين أو الأجانب، كما ظهرت فيها أربع معامل أخرى سمّيت بالورّاقات³ وهذا دليل على رواج إنتاجها بسبب زيادة الطلب عليه.

أما المدن الشامية الأخرى التي اشتهرت بإنتاج الورق فهي مدينة طرابلس حيث ذكر الرحالة نصر الدين خسرو أثناء وصفه إياها سنة (438 هـ / 1047م) أنّ أهلها يصنعون الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل أحسن منه⁴، ويظهر من كلامه أنّ هناك رواجاً لصناعة الورق بين مختلف الحواضر الشامية وهذا راجع لزيادة الطلب على هذه المادة سواء كان من السكان المحليين أو من الخارج .

كان الورق في الشام يُصنع من الخرق البالية أو الحرير ومن مختلف النباتات الأخرى علماً أنّ المدن الشامية الكثير منها يقع في ضفاف البحر وبالتالي نجد أنّ المناخ والطبيعة ساهمت في إيجاد المادة الأولية، زد على ذلك توفر عنصر الماء المتمثل في نهر الأردن الكبير الذي يصب في بحيرة طبرية وتُسقى به المدن التي يمر بها، ونهر الأردن الصغير الذي يأخذ ماءه من طبرية ويتجه نحو الجنوب حتى يلتقي بنهر اليرموك ويشكلان نهراً واحداً وبحيرة طبرية هذه عبارة عن بركة كبيرة تحيط بها الجبال ويصب منها فضلات أنهر كثيرة

1- كرد محمد علي: المرجع السابق، ص 207

2- دمشق: هي البلدة المشهورة في قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. أنظر الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 463 . فتحها خالد بن الوليد، كانت عاصمة الدولة الأموية منذ 41 هـ وقد تبوّأت مكانة حضارية راقية منذ تأسيسها وعرفت بجامعة الكبير المسمى بالجامع الأموي.

3- المنجد صلاح الدين : خطط دمشق ، نصوص ودراسات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1949، ص 11

4- ناصر خسرو أبو معين الدين (ت 481هـ): سفر نامه ، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط3

1983، ص48

كما وصفها الحموي، إلى جانب توفر بحيرات أخرى في الشام مثل بحيرة قَدَس قرب مدينة حمص وبحيرة المَرْج بالقرب من مدينة دمشق كلها ساهمت في توفير أهم عناصر صناعة الورق.

كان الحكام في الشام يتداولون فيما بينهم الورق الأبيض إلا نائب الشام ونائب الكرك كانا يكتبان إلى الأبواب السلطانية في الورق الأحمر الشامي وقد انفرد بذكر هذا القلقشندي¹ ويبدو أن ذكر الورق الأحمر دليل على وجود عدة أنواع كان الشاميون يتعاملون بها أو لكي يبقى الطابع الرسمي مسيطرا على الأوراق الحكومية ولكي لا تتعرض للتزوير، ضف إلى ذلك أن الورق الأحمر يرجع إلى استخدام المسلمين الصباغة كوسيلة تجميلية جديدة ساهمت فيما بعد في تطور صناعة وتذهيب المخطوطات .

من الحواضر الشامية التي اشتهرت أيضا بصناعة الورق نذكر مدينة الشَّهَاء حيث يروي أحد علماء حلب بأن حيا من أحيائها لا يزال اسمه الورَّاقَة أين كانت معامل الورق، وكذلك الورق الحلبي الصقيل المشهور وعُرف كذلك في مدينة منبج، وقد أدى توافر الإنتاج في الشام إلى تحقيقها لاكتفاء في خزائن كتب المدارس² إضافة إلى الورق الحموي الذي هو دون الورق البغدادي وأحسن من الورق المصري.

أما بالنسبة لمقادير الورق الشامي فهي أربعة فصل فيها القلقشندي عندما تحدث عن مقادير الورق وقطعها وهي أربعة منها الورق الشامي الكامل وهو الخاص بأرباب التواقيع والمراسيم ليس إلا، أما الثاني فيُسمى بقطع نصف حموي وهو الخاص بالطبقة الثانية من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب، أما الثالث يُكنى بقطع العادة من الشامي وهو الموجه للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعامة المكتبات، أما الرابع يطلق عليه قطع ورق الطير³ والذي تُكتب عليه البطائق وتُعلق على أجنحة الحمام الزاجل وفيه تكتب

1- القلقشندي : المصدر السابق، ج 8، ص 56

2- علي كرد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1403/1983، ج6، ص 186

3- القلقشندي : المصدر السابق ، ج 6، ص 184

ملطفات الكتب وهو ورق رقيق.

وبالتالي نستنتج أن المدن الشامية قد لعبت دورا بارزا في صناعة الورق حتى أضحت تنافس الحواضر الإسلامية الأخرى على غرار بغداد وسمرقند ومصر، وقد ساهم هذا في تشكيل قاعدة مهمة لصناعة الورق الإسلامي وخلق تنافس فيما بينها حققت اكتفاء مشهودا سبقت من خلاله المدن الأوروبية بسنوات عديدة .

4 / الحواضر الفارسية

اشتهرت المدن الفارسية بصناعة الورق بحيث يعتبر البحث الذي أجراه الأستاذ أيرج أفشار تحت عنوان: استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية القديمة من أحسن ما كُتب في هذا المجال بحيث ذكر أن مدينة أصفهان¹ كان يُصنع فيها الورق على طريقة الورق الرشيدي علما أن هذه المعلومة استقاها من كتاب محاسن أصفهان للمفضل بن سعد المافروخي الأصفهاني وهو من علماء القرن الخامس الهجري، أما عن النوع الموزع في المدن كان يُسمى جَهار بَغل بحيث كان رفيع الجودة، والنوع الآخر كان يدعى بكاغد فُستقي نسبة إلى لونه الفستقي²، ومن الحواضر الفارسية التي اشتهرت بهذه الصناعة نجد مدينة قزوین³ إضافة إلى مدينة كنان الواقعة بالقرب من زَنجان والتي عرفت باسم كاغد كنان لأنها اشتهرت بصناعة الكاغد كما ذكرها حمد الله مستوفي في نزهة القلوب، وكذلك

1- أصفهان : من عراق العجم" واسمها يقال بالفاء الخالصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة"، ومدينة أصفهان من كبار المدن وحسانها. ابن بطوطة : المصدر السابق، ج 1، ص 152 ، فُتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وهي تقع في عصرنا جنوب مدينة طهران .

2- أيرج أفشار : استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية، دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر ، المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ديسمبر 1993 / 1414، ص 42

3- قزوین : بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون :مدينة مشهورة بينها وبين الرِّي سبعة وعشرون فرسخا وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا، وهي في الإقليم الرابع، طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة. الحموي: المصدر السابق ، ج4، ص 342. وهي تقع في عصرنا في دولة إيران.

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

مدينة كرمان¹، أما عن صناعة الورق في خراسان فإن ابن النديم في الفهرست يذكر أنها مثلت البداية الأولى لصنع الورق بإيران.

وقد جمع الأستاذ حسين علي محفوظ في مقال له أنواع الورق الفارسي وهي: المعصدي الإبطي، المصلائي، الحمائي، نصف الربيعي، الوزيري الصغير، الوزيري، الوزيري الكبير السلطاني، الرحلي الصغير، الرحلي، الرحلي الكبير، الخشتي، الخشتي القصيف²، علما أن هذه الإستنتاجات تحتاج لوقت طويل من التفحص والتمكن والدليل على ذلك أن الأستاذ حسين علي استنبطها من الفهارس الإيرانية وقد ذكر في مقالته أيضا حتى أطوال هذا الأنواع ولو بشكل نسبي.

في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي استطاع صنّاع الورق بفارس أن يُنتجوا أفضل الورق في تاريخهم قاطبة حيث تميّزت الأوراق المستخدمة في الكتب الفارسية بالرّقة والقوة واللّين وشدّة الصقل ورسمت عليها المنمنمات، ولعبت دورا رئيسا في ازدهار الكتاب المصور الفّاحر بوصفه فنّا رئيسيا من جملة الفنون الفارسية، وكان الورق الفارسي يُصقل بطلاء من نشاء الأرز، وهو المُحبب لدى الخطّاطين الذي يسهّل عملية الكتابة ويُبرز جودتها، ومن هؤلاء الخطّاطين سلطان علي مشهدي (ت 926هـ/1520) الملقب بسلطان الحفّاطين، والفارسيون قد عرفوا في تاريخهم قبل دخول مناطقهم تحت لواء دولة الإسلام ببراعة إنجازاتهم، فليس غريبا عليهم اتقان تزويق الأوراق بمختلف الأشكال والصور.

اشتهرت الأوراق الفارسية بتداخل الفنون الموقعة عليها من خطّ، وزخرفة للهوامش والتذهيب والإضاءة ورسم المنمنمات والتي تعود أصولها إلى الحضارة الفارسية القديمة ثم امتزجت بالثقافة الإسلامية التي أعطتها جمالية أخرى، وكذلك تلوين الأوراق الذي يعود أقدم الإشارات

1- ايرج أفشار: المرجع السابق، ص 42

2- حسين علي محفوظ : علم المخطوطات ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، مجلد 5، العدد الأول، 1396 / 1976 ،

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

حولها إلى كتاب بيان الصناعات لمؤلفه حَبِيش تَقْلِيسِي (ت. حوالي 600هـ/1201 م) والتي كانت بسيطة أو مُركبة منها لون (آل) ويعني (أصفر محمر) وحنائي (برتقالي محمر) وليموي (أخضر مصفر) ونخودي (أصفر برتقالي) وكان الاعتقاد السائد أن الورق الأبيض ضار للعين في الضوء القوي وأن الورق الملون أكثر ملاءمة¹، ويُشيد جوناثان بلوم بالورق الفارسي ويعتبره من أعلى مستويات صناعة الورق في ديار الإسلام تَقْدَمًا ورُقْيًا وكانت الأوراق التي صُنعت في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ذات جودة على نحو استثنائي وُصِنَت حسب الطلب ومن قطع كبير².

5/ الحواضر اليمينية

عرفت اليمن كذلك صناعة الورق، بعدما انتقلت إليها عبر التواصل التجاري وكذلك المعاملات الديوانية بين ولاية الأمور، حيث يذكر الباحث قاسم السامرائي أن من بين المخطوطات المهمة التي كُتبت على الورق اليميني كتاب أخبار الزيدية من أهل البيت وشيعتهم باليمن لمسلم بن محمد اللحجي (ت545هـ/1150م)³ وقد تميز الورق اليمني بأنه كان يصنع من الكتّان والقنب كغيره من الحواضر الإسلامية الأخرى، كما تميزت صناعة الورق اليمني بأن الوراقين كانوا يلصقون الجانب المصقول من الورقة مع الجهة غير المصقولة وذلك لتقوية الورقة، كما تميز بسعة حجم الورقة خاصة في الكواغد الصنعانية المصنوعة في القرن الثامن للهجرة، الخامس عشر الميلادي⁴.

6/ الحواضر المصرية

عرفت مصر صناعة الورق رغم أن تاريخ ظهوره يبقى غامضاً نوعاً ما بسبب عدم توفر

1- أيرج أفشار: المرجع السابق، ص 46

2- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 121

3- السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 287

4- إياد خالد الطباع : المخطوط العربي ،دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة

الثقافة، دمشق، 2011، ص 118

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الأدلة التاريخية التي تثبت بدايات الصناعة المصرية لهذه المادة الدخيلة وذلك بسبب استعمال هؤلاء لورق البردي الذي اشتهروا به منذ الأزمنة الغابرة وكانت تصدره إلى سائر بلاد العالم¹ حتى كانت تعرف بأَم القراطيس وقد مدحها السيوطي بقوله: "وفيها القراطيس وليس في الدنيا إلا بمصر، وقال أيضا: ومن خصائصها القراطيس وهي الطوامير وهي أحسن ما كتب"² حتى أن المصريين كانوا يستوردون الورق من سمرقند وهو ما ذكره الحموي حول الوزير أبي الفضل ابن حنزاب (ت391 هـ/1000م) وذلك عندما سئل إبراهيم بن سعيد الحبال الوراق (ت482 هـ/1089م) عن الورق الذي كان يكتب عليه قال: هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند، وقعت إلي من كتبه قطعة، فكنت إذا رأيت فيها ورقة للإخشيديين" (325_358 هـ/935_969م) وهو ما يرجح أن الورق بدأ يحل محل البردي نهائيا في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، لأن تصنيع ورق البردي للكتابة بمصر أصبح بالإجمال في هذا القرن منتهيا في حين أن الوثائق المكتوبة على الورق يبدأ تاريخها منذ عام (300 هـ/912 م)³، بحيث تحتفظ دار الكتب المصرية بأقدم كتاب وصل إلينا على الكاغد وهو الرسالة في أصول الفقه للإمام الشافعي والتي يرجح تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثالث الهجري وهو محفوظ بالدار تحت رقم 41 أصول فقه م.

من بين أشهر الحواضر المصرية التي اشتهرت بصناعة الورق نجد مدينة الفسطاط⁴ والشاهد على ذلك ما ذكره المقرئ حين حديثه عن خطط الفسطاط في موضع بني رية بن

1- السيد طه السيد أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ص73

2- السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط 1، 1387 / 1967، ج 2، ص 327

3- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو زيد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 5، ص 366

4- الفسطاط: إحدى ضواحي القاهرة الكبرى وهي أول مدينة بناها العرب في مصر ويطلق عليها مصر العتيقة أو القديمة وأم القاهرة، كانت مقر الصحابي عمر بن العاص منذ 20 هـ، ظل يطلق عليها مصر إلى أن أحرقت في أواخر عهد

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

عمرو بقوله: "إن في هذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق"¹، ويقول أيضا: "والمصانع التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط"²، التي كانت بها مطابخ متعددة وصفت صناعتها بالعجبية والمتقدمة، ومنها المطابخ التي يُصنع منها الورق المنصوري المخصوص بالفسطاط دون القاهرة³.

كما عُرفت مصر بنوع خاص من الورق والمسمى بالورق المنصوري وقد وصف القلقشندي الورق المصري وجعله دون الورق البغدادي والشامي ثم ذكر أنواعه بقوله: "وهو أيضا على قطعين: القطع المنصوري، وقطع العادة، والمنصوري أكبر قطعاً، وقلماً يصقل وجهاه جميعاً أما العادة فإن فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الورّاقين : المصلوح وغيره عندهم على رتبتين: عال ووسط، وفيه صنف يعرف بالفوّيّ صغير القطع، خشن غليظ خفيف الغرف، لا ينتفع به في الكتابة، يتّخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك"⁴.

استطاعت مصر ومدينة الفسطاط خاصة إنتاج الورق نظراً لتوفر المادة الأولية والمتمثلة في وجود نهر النيل القريب من المدينة، مثلما ساهمت الأنهار في بغداد والشام من ضخ الماء بقوة نحو دواليب الطحن وقد ساهم النيل من تمكين المصريين من توفير الماء إلى المعامل رغم أنها لم تكن بالكثيرة وكذا توفير النباتات المختلفة التي تُنقل للطحن بحكم خبرة المصريين السابقة في التعامل مع نباتات البردي التي تستخرج منها عجينة صنع الورق، كما عززت مصر رصيد المسلمين في الإنتاج مواصلة إتقان هذه الحرفة الأصيلة مثلما كان الحال في مدينة بغداد وسمرقند والشام.

الفاطميّين. أنظر : أحمد محمد عوف : مدينة الفسطاط وعبقريّة المكان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003 ، ص

23

1- المقرئزي : المصدر السابق، ج 2 ، ص87

2- نفسه : ج 2، ص 215

3- ابن سعيد المغربي : النجوم الزاهرة في حُلَى حضرة القاهرة ، تحقيق: حسين نصار، وزارة الثقافة، مطبعة دار الكتب،

1970 ، ص29

4- القلقشندي: المصدر السابق، ج 2 ، ص 516

مثّلت مصر إذن حلقة من حلقات انتقال صناعة الورق من الصين إلى المشرق الإسلامي بحيث تعتبر هذه الحادثة مهمة جداً، من جهة أثّرت سلباً على تدهور صناعة ورق البردي والرق والجلود التي لازمت الإنسان المصري منذ عهد الفراعنة بحيث كان التجار يأتون إليها من مختلف المناطق نظراً لجودة البردي المصري، ومن جهة أخرى أثّرت إيجاباً على حركة التأليف العلمي وكذا ازدهار المكتبات وسهولة الكتابة على الورق الجديد كما مهدت لظهور فئة خاصة في المجتمع وهم الوراقون.

المبحث الرابع : مُميّزات الورق الإسلامي

1 / آداب صناعة الورق الإسلامي وبيعِهِ

لم تَعن كتب الحسبة¹ الخاصة بذكر أحوال المجتمع بصفة عامة في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان يمارسه المحتسب² والمكلف رسمياً من ولاية الأمور بذكر معلومات تتعلق بمخالفات أو تجاوزات ومراقبات تخص صانعي الورق في الأسواق كباقى الحرف الأخرى في الحواضر الإسلامية بالرغم من أنّها دققت في الكثير من الأمور التي قد لا تطرأ على تفكيرنا اليوم ومازالت تُمثل إحدى الحلقات اليومية البشرية خاصة في الأسواق وما يحدث فيها من غشّ وتدليس وكذب وتزوير وما شابه هذه الأفعال بحيث يؤيد هذا الطرح الأستاذ كوركيس عواد الذي قال: "ولقد أطلنا البحث والتنقيب في ما انتهى إلينا من كتب الحسبة

1- الحسبة : لها تعاريف كثيرة منها : الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. أنظر: أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث ، القاهرة ، ص 349 ، وهي المنع عن منكر لحق الله ، صيانة لممنوع عن مقارفة الحق . الغزالي الطوسي أبو حامد محمد بن محمد (ت 505 هـ) : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت، ج2 ص 327

2- المحتسب : صاحب سلطة رسمية على الآخرين وعمله واجب عليه ، وعلى الناس اللجوء إليه وعليه الفحص عن المنكرات وأن يستعين بالأعوان وله سلطة العقوبة على أصحاب المنكر ولكن لا يصل بالعقوبة إلى أقل درجة الحدود ، وله مرتب، وله أن يجتهد في أحكامه بحسب العرف أي أنه كان يقوم بثلاثة وظائف : وظيفة الشرطي في البحث عن المنكرات في الأسواق والشوارع ، ووظيفة القاضي في تقدير العقوبة ووظيفة الجلاّد في توقيع العقوبة. أنظر: أحمد صبحي منصور :

الحسبة دراسة أصولية تاريخية ، مركز المحروسة ، مصر، ط1 ، 1995، ص19

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أَمَلا في الوقوف على ما ينير السبيل في موضوع صنع الورق وما يترتب على صناعه فلم نظفر بطائل¹ إلى جانب ما اطلعنا عليه من مراجع تحدثت عن آداب صناعة الورق لم تذكر سوى مصدر واحد وهو كتاب المدخل لابن الحاج العبدري المالكي الفاسي المتوفى بالقاهرة سنة (737هـ / 1336م) ومن بينها كتاب الخط والكتابة في الحضارة العربية للجبوري الذي استدل بهذا الكتاب حين حديثه عن آداب صناعة الورق.

انفرد ابن الحاج عن باقي الكتب المشهورة بإعطائنا بعض المعلومات الخاصة والمتعلقة بآداب صناعة الورق وقد وضع في ذلك فصلا عنوانه ب: نية الوراق وكيفيةها وتحسينها نستنتج منه أهم هذه الآداب:

أ/ الحذر من الغش

حيث يقول ابن الحاج:

"وينبغي له أن يحذر من الغش فيما يُحاوله مثاله أن يعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على أنه من الدست الذي يُساوي أربعة لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته فقد يكون ورقا زائدا في البياض وفي الصقال ويكون مما عمل في الصيف وآخر عكسه أعني فيه سمرة ونقص في الصقال أو البياضة وعمل في الشتاء وما بين ذلك، وإذا كان كذلك يبين حتى يخرج ببيانه من الغش فإن لم يفعل دخل بكتمانه تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام: من غشنا فليس منا³.

يبين ابن الحاج مسألة مهمة في بيع الورق وهي حدوث عملية الغش عند بعض البائعين

1- كوركيس عواد : الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج23، ج3، 1948، ص 436

2- ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي (ت 737): المدخل ، مكتبة دار التراث، القاهرة ، ج 4 ، ص 81

3- أنظر الحديث رقم 100 في : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334، ج1، ص69.

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

منها زيادة ثمنه دون إعلام المشتري كما يبين بطريقة غير مباشرة الثمن الذي كان يباع به الورق بشكل تقريبي بحيث يختلف السعر باختلاف الجودة ومقياسها الصناعة أي البياض وطريقة صقله أي النعومة مثلما ذكر، كما يختلف سعره باختلاف الفصول السنوية، فمثلا يرتفع في فصل الشتاء وينخفض سعره في فصل الصيف وقد يكون العكس حسب الظروف إضافة أن الورق قد يطول في المعمل ولا يباع فتقل جودته وقد يتعرض للتلف وبالتالي يوصي ابن الحاج البائعين بضرورة مصارحة المشتري وعدم الوقوع في الغش أين استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : من غش فليس منّا .

ب/ الشتر أثناء العمل

وفي هذا يقول ابن الحاج:

"وليحذر عند شرائه الورق من الوراقة أن يكون في وقت يعلم أنه في وقت يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحسارها على العورة وابتلالها بالماء والفخذ عن آخره مكشوف فإن دخل والحالة هذه فهي معصية وذلك مناقض لما احتوت عليه نيته من أنه يعمل لله عز وجل ويبيع ويشترى فيحتاج لهذا المعنى أن يتحرى وقتا يكونون فيه سالمين لما ذكر".¹

يشرح ابن الحاج مسألة مهمة وهي علاقة البائع مع المشتري بحيث توجب على المشتري معرفة الوقت الذي يكون فيه الصانعون غير مشغولين في العمل نظرا أن هذه الحرفة تتطلب استعمال بعض التقنيات التي ينجر من خلالها كشف بعض عورات الصانع ومنها أن كثرة استعمال الماء يبلل لباس الصانع فتتكشف عورته بسبب التصاق الملابس مع جسمه، ومنها أن الصانعين يقومون برفع ثيابهم بسبب ارتفاع منسوب المياه عند أفخاذهم وهذا يكون في المراحل الأولى عند تحضير النبات أو القنب والقطن.

ج/ الحذر من التدليس

حيث يشرح ابن الحاج هذه المسألة بقوله:

1- ابن الحاج : المصدر السابق، ج 4 ، ص 81

وليحذر من أن يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ لأن ذلك تدليس على المشتري لأن الخفيف لا يحمل الكشط لخفته بل يكون ذلك عنده بمعزل فإذا علم أن المشتري ممن ينسخ فيه أعطاه بما يوافقه منه وإن علم أنه ممن يكتب فيه الرسائل وما أشبهها مما يجوز أعطاه من الورق الخفيف بعد أن يبين له ذلك¹.

يواصل ابن الحاج شرح العلاقة بين بائع الورق والمشتري ويبرز صورة من صور التدليس المشهورة وهي خلط الأوراق مع بعضها وعدم مصارحة المشتري، بحيث توجب أن يبين الورق الخفيف من الخشن لأن الأول لا يحتمل عملية المحو وقد يتعرض للنقب وبالتالي يجب أن يفرق بين المشتري الذي يريد أن ينسخ ويكتب فهذا يحتاج للورق الخشن نظراً لأن الناسخ يخطئ كثيراً بسبب التعب وقلة التركيز وقد لا يعيد كتابة الورقة مرة أخرى بسبب أن الخطأ قد يقع في نهاية الورقة مثلاً، وكذلك أن عملية تفسيره تكون سهلة، وأن الورق الخفيف يكتب به عادة في الرسائل لأن الرسالة لا تحتاج الورق الكثير وقد تطوى من طرف صاحبها فإذا وقع الخطأ تعاد مباشرة .

د/ الصبر والإتقان

نستنتج من خلال المصادر التي تحدثت عن صناعة الورق في الحضارة الإسلامية أدباً مهماً لصناعة الورق وهو الصبر والإتقان فقد تستلزم العملية بذل الكثير من الجهد والوقت الذي يصل إلى مدة خمسة عشر يوماً لصنع ورقة مع الحرص على الجودة والنوعية فعملية جمع النباتات ثم تقشيرها ووضعها مرات عديدة في الماء وتجفيفها كل يوم إلى غاية الوصول لعملية عجن النباتات ليست بالأمر الهين فقد يتعرض العامل أثناء الصنع لإصابات كثيرة منها ما يتعلق بأضرار النباتات ومنها ما يتعلق ببدنه خاصة أمراض الظهر وكذلك تغير فصول السنة يصعب على العاملين تأدية عملهم خاصة في فصل الشتاء أين تتأخر عملية تحضير النبات بسبب برودة المياه وهو ما يتطلب تسخينها بشكل دوري، أما فصل الصيف فتوجب على العاملين مراقبة الأوراق حتى لا تجف نهائياً أثناء عملية التحضير لكي لا تتعرض للتلف

1- ابن الحاج : المصدر السابق، ج 4 ، ص 81

قبل الوصول إلى تخريج الأوراق بصورة نهائية.

ومن الأمور المهمة التي تدخل في مفهوم الإتقان أن العمال مطالبون بعدم عجن الأوراق المكتوب عليها كتابات قرآنية أو أحاديث نبوية ولذلك يوصى الوراق أن يعرف المكتوب قبل إعادة صناعته¹.

هـ/ المَحَافِظَةُ عَلَى الْعِبَادَات

لَمْ يَتْرُكْ ابْنُ الْحَاجِّ فَرْصَةً لِمُصَاحِبِ الْمَعْمَلِ وَقَالَ بِضَرُورَةِ أَنْ يُوسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَيَحْذَرُ عَلَى دِينِهِ وَدِينِهِمْ² وَذَلِكَ لِكَيْ لَا يَدْخُلَهُمُ التَّكَاسُلُ وَالتَّهَانُ فِي أَدَاءِ أَرْكَانِ الدِّينِ، كَمَا تَوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسَامَحَهُمْ وَيَتَغَاضَى لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى أَجْرِهِمْ بِمَا لَا يَضُرُّهُ وَكُلُّ هَذَا يَزِيدُهُ فِي الْبَرَكَةِ وَالرِّزْقِ.

2/ مَقَادِيرُ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَصْنُوعِ فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ

منذ معرفة المسلمين بطرائق صنع الورق اختلفت مقادير الورق وأطوالها وكان المتداول هو مصطلح الطومار والذي يراد به الورقة الكاملة، بحيث كان يكتب للأمرء في نصف طومار وإلى العمال والكتاب في الثلث، وإلى التجار وأشباههم من رُبع وإلى الحُساب من السدس وقد ذكر لنا الأستاذ طاهر المكي أنواع الطومار ومقاديره أيام الدولة العباسية والفاطمية وهو على خمسة أنواع:

أ/ الطومار البغدادي: وعرضه ذراع مصري واحد بالذراع المعروف بالبلدي

ب/ الطومار الحموي: وهو دون قطع البغدادي بقليل

ج/ الطومار الشامي المعتاد: وهو دون قطع الشامي بقليل

د/ الطومار المصري: وهو دون قطع الشامي بقليل

هـ/ الطومار المغربي: وهو دون قطع المصري³

1- الجبوري يحيى وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص 284

2- ابن الحاج : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 83

3- المكي محمد طاهر: تاريخ الخط العربي وآدابه ، مكتبة الهلال ، ط1، 1358 / 1939، ص 92

عدّد القلقشندي أطوال الورق الذي كان يستعمل في زمانه وهو يرجع إلى القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي بعدما تكونت لديه خبرة الإستعمال اليومي وكذلك المشاهدة الميدانية، بحيث ذكر تسعة مقادير وهذه المقادير كانت معروفة في دواوين الإنشاء أي في زمن المماليك وهي كالآتي:

1/ قطع الورق البغدادي الكامل

عرض درجه عرض البغدادي بكامله: وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري، وطول كلما وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور.

والذراع: هو بسط اليد ومدّها، وأصله من الذراع وهو الساعد، وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.¹

علما أن مقاييسه تختلف بين جمهور العلماء مثل:

الحنفية: الذراع يساوي: 46,370 سم

المالكية: الذراع يساوي : 53 سم

الحنابلة والشافعية: 61,834 سم²

وبالتالي فإننا نضع الإسقاط التالي على هذه المقاييس:

أ/ العرض: ذراع = $46.37 \times \text{الطول}$: ذراع ونصف = 69.55 يعني أن الورق البغدادي الكامل

حسب مقياس الذراع الحنفي هو: $(69.55 \times 46.37 \text{ سم})$

ب/ العرض: ذراع = $53 \times \text{الطول}$: ذراع ونصف = 79.50 يعني أن الورق البغدادي الكامل

حسب مقياس الذراع المالكي هو: $(79.50 \times 53 \text{ سم})$

ج/ العرض: ذراع = $61.834 \times \text{الطول}$: ذراع ونصف = 92.74 يعني أن الورق البغدادي

1- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الدعوة ، ج1، ص 311

2- علي جمعة محمد : المكايل والموازن الشرعية ، القدس للإعلان والنشر والتسويق ، القاهرة ، ط2 ، 2001/1421

الكامل حسب مقياس الذراع الشافعي والحنبلي هو : (61.834×92.74)

2/ قطع البغدادي الناقص

عرض درجه بمعنى عرض الصحيفة منه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة. يفهم من القلقشندي بأن الورق البغدادي الناقص هو قصير في العرض بأربعة أصابع فعند المالكية مقدار الإصبع يساوي: 1/ 36 من الذراع وبالتالي فإن مقدار الإصبع هو 36/53 = 1.47 سم بمعنى أن أربعة أصابع مطبوقة تمثل: 5.88 سم ومنه نستنتج أن عرض الورق البغدادي الناقص يصغر الكامل ب: 5.88 سم في العرض.

3/ قطع الثلثين من الورق المصري

المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري وكان يعبر عنه في زمان القلقشندي بالفرخة وعرض درجه ثلثا ذراع. نستنتج من القلقشندي أن الطومار يمثل الورقة الملفوفة الكاملة ولا نعرف كم كان طولها بالتحديد أما بالنسبة للعرض:

$$53 / 3 = 17.66 \text{ سم} ، 46.37 / 3 = 15.45 \text{ سم} ، 61.83 / 3 = 20.61 \text{ سم}$$

4 / قطع النصف

والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري وعرض درجه نصف ذراع بمعنى:

$$53 / 2 = 26.5 \text{ سم} ، 46.37 / 2 = 23.18 \text{ سم} ، 61.83 / 2 = 30.91 \text{ سم}$$

5/ قطع الثلث

والمراد به ثلث قطع المنصوري وعرض درجه ثلث ذراع بمعنى:

$$53 / 3 = 17.66 \text{ سم} ، 46.37 / 3 = 15.45 \text{ سم} ، 61.83 / 3 = 20.61 \text{ سم}$$

6/ القطع المعروف بالمنصوري¹

1- القلقشندي : ضوء الصباح المسفر وجنى الدوح المثمر ، تصحيح: محمود سلامة، مطبعة الواعظ ، مصر ، ط1،

عرضه تقدير ربع ذراع بمعنى:

$$13.25 = 4/53 \text{ سم ، } 11.59 = 4/46.37 \text{ سم ، } 15.45 = 4/61.83 \text{ سم}$$

7/ القطع الصغير

يقال فيه قطع العادة درجه تقدير سدس ذراع بمعنى:

$$8.83 = 6/53 \text{ سم ، } 7.72 = 6/46.37 \text{ سم ، } 10.30 = 6/61.83 \text{ سم}$$

8/ قطع الشامي الكامل

عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله.

9/ القطع الصغير

وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير، يتبين فيما سبق أن القلقشندي ذكر عرض الورق ولم يذكر الطول سوى مرة واحدة والظاهر أنه قاس بقية الأنواع على طول الورق البغدادي الكامل وهو ذراع ونصف وهذا يعني أن قوالب صناع الكاغد في مصر والشام وبغداد كانت متساوية في طولها ومختلفة في عرضها¹ إلى جانب هذا الأطوال المشهورة خاصة في بغداد ومصر عرفت بلاد الشام كذلك مقادير خاصة بها وهي :

1/ قطع شامي كامل

وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله

2/ عرض نصف الحموي

عرض درجة عرض نصف الطومار الحموي، وطوله بطول الطومار.

3/ قطع العادة من الشامي

وعرض درجه سدس ذراع في طول الطومار أو دونه.

4/ قطع ورق الطير²

1- السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 279

2- القلقشندي : ضوء الصبح المسفر، ص 415

تكتب عليه البطائق وتعلق على أجنحة الحمام الزاجل وفيه تكتب ملطفات الكتب وهو ورق رقيق.

3/ العلامات المائية في الورق الإسلامي

العلامة المائية هي عبارة عن تصميم يمكن رؤيته في الورق عند النظر إليه في مواجهة الضوء، ويتكون هذا التصميم أثناء صنع عجينة الورق في حوض التصنيع على السلك بواسطة نمط محفور أو بارز ويسمى أيضا paper mark¹.

وصل الورق الإسلامي إلى أرقى درجات الإبداع الفني بعدما أدخل المسلمون طريقة جديدة سمحت بحمايته من التزوير والغش والتزييف والتي اصطلح عليها عند المهتمين بعلم المخطوط بالعلامات المائية، وتعود هذه الفكرة إلى أن أسلاك القالب المصنوعة في العادة من النحاس الأصفر كانت تترك آثارا على الورق المعرض لأشعة الشمس وبهذا تولدت فكرة إضاءة بعض الأسلاك أو إحداثها بحيث تُكوّن شكلا هو العلامة المائية التي حوت أحيانا الحروف الأولى أو اسم الصانع²، وتنتج هذه العلامة من السلك الموجود في قاع حوض إعداد الورق حيث أنها تصنع عن طريق ثني أو لحم أو ربط السلك في القالب الذي يوضع فيه الورق، وعادة ما تقع العلامة المائية في منتصف أحد نصفي فرخ الورق³ ويصف لنا الباحث جاك لومير نفس الطريقة أيضا في كيفية وضع العلامات المائية بواسطة سلك نحاسي مخاط أو ملتحم بالأسلاك النحاسية أو الأسلاك المطرزة، ويُشَدّ هذا السلك في بعض الأحيان بواسطة إحدى مسطرات الأسلاك الزائدة التي ترتبط بالمتوالية المنتظمة لمسطرات الأسلاك، أو يمكن لهذا السلك على النقيض من هذا أن يحدث شيئا من الانفراج بين مسطرتين للأسلاك

1- سيد حسب الله، أحمد الشامي: المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، السعودية،

1988/1408، ص1185

2- إياد خالد الطباع : المرجع السابق ، ص115

3- Ray Prytherch : Harrod's Librarians' Glossary and Reference Book , ashgate publishing, 8th ed, england, 2005, p 733

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

في المكان الذي ينتظم فيه القالب.¹

إن تحمل كل ورقة من الأوراق المصنوعة يدويا علامة على القالب الذي صنعت فيه وكانت هذه الأشكال تبرز قليلا بارتفاع أقل من 1سم بحيث ترقق مكانها من جسم الورق دون سائر السطح وتترك أثرها فيه وكان الشكل مع خطوط السلك يبدو مع رفع الورقة في الضوء.² إن أقدم علامة مائية عرفت في الحواضر الإسلامية ترجع إلى عام (681هـ/1282م) بحيث يرى الدكتور قاسم السامرائي أن ظهورها كان أولا في الكاغد الشامي وليس في مصنع فابريانو³ بإيطاليا وقد استخدمت في إحداث هذه الأشكال صور الأزهار والحيوانات كالطيور والأسماك⁴ عند الغرب، وبالتالي نجد اختلافا في تحديد مبتكر العلامة المائية هل هم الأوروبيون أم المسلمون الذين أوصلوا طريقة الصناعة إلى أوروبا من إسبانيا في القرن الثاني عشر الميلادي.⁵

ومن الشواهد الدالة على استخدام المسلمين للعلامات المائية في المشرق ظهورها في كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (ت804هـ/1401م) وهي مكتوبة على ورق حموي تظهر فيه الخطوط المائية الثنائية الضيقة الأبعاد، وهي محفوظة في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم 312⁶ وبالتالي نقول إن الورق الشامي كان له السبق عند المسلمين في استخدام تقنية العلامات المائية والتي كانت تستخدم في معامل

1- لومير جاك : مدخل إلى علم المخطوط ، الخزانة الحسينية ، المطبعة الوطنية والوراقة ، ترجمة: مصطفى طوبي، ط1 2006/1427 : ص 69

2- شعبان عبد العزيز خليفة: الببليوغرافيا أو علم الكتاب دراسة في أصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها، دار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط1، 1997، ص 471

3- السامرائي قاسم : المرجع السابق، ص 295

4- إياد خالد الطباع : المرجع السابق، ص 116

5- سفند دال : تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، ترجمة: محمد صلاح حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع ، ص 89

6- السامرائي قاسم : المرجع السابق، ص 295

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

دمشق وحماة، مقارنة مع جميع الحواضر الإسلامية الأخرى التي لم تكن تستخدم هذه التقنية. يكمن دور العلامات المائية أنها تحمل إشارات على المصنع والصانع وتساعد الباحثين في مجال المخطوطات على معرفة تاريخ صنعها وكذلك محاولة بناء فترات الزمنية والمكانية والتي تتطلب بطبيعة الحال الاستعانة بالمختصين في المجال لأن بعض العلامات المائية كانت يدوية وكانت تتآكل وكانت تتزحزح، حتى إن المصنع الواحد كان يحوي على عدة علامات، علما أن الباحثين قد أكدوا على ضرورة أخذ الإحتياط من أنه ليس بالضرورة تاريخ صنع الورق هو نفسه تاريخ صنع المخطوط.

للعلامة المائية أهمية بالغة في تقرير إنتاج الكتاب، وتاريخ صناعة الورق، فهي تعتبر من القرائن الببليوغرافية الهامة في دراسة الشكل المادي للكتاب،¹ وكانت تدوم بدوام الورق نفسه، وتعتبر بمثابة علامة تجارية على الورق المنتج من قبل مصنع معين لتمييزه عن ورق المصانع الأخرى، لذا كان المصنع حريصاً على أن تظل شعارا له ولم تكن له به الحاجة إلى تغييرها بين حين وآخر.²

في بعض الأحيان كانت بعض المصانع تضيف إلى العلامة المائية حروفا معينة أو رموزا تدل بها على المصنع، بدأت أولا إلى جانب العلامة المائية أو كجزء منها وبعد ذلك كعلامة إضافية أطلق عليها علامة الأساس counter mark في منتصف النصف الآخر من القالب.³ تجدر الإشارة إلى أن دراسة هذه العلامات يتطلب معرفة طويلة بخصائص الورق وخبرة لا بأس بها في دراسة مناطق إنتاج الورق، وكذلك طبيعة هذه الرموز لأن البعض منها كان يتعرض للتقليد والتزوير.

1- Craig S. Abbott, William Proctor Williams, **An Introduction to Bibliographical and Textual Studies**, new York, the modern language association of America, 2ed, p.13, 14

2- جيهان محمود السيد: الببليوغرافيا التحليلية، دراسة في أوائل المطبوعات العربية، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 2000، ص 495

3- سيد حسب الله، أحمد الشامي: المرجع السابق، ص 317

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

4/ إحصاء عام لأنواع الورق في المشرق الإسلامي

من خلال المصادر قمنا بإحصاء مختلف الأنواع التي ظهرت في البلاد الإسلامية منها: ماورد في كتاب الفهرست لابن النديم سبعة أنواع:¹

اسم الورق	نوعه من حيث النسبة
الورق السليماني	نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان
الورق الجعفري	نسبة إلى جعفر بن يحيى البرمكي
الورق الطاهري	نسبة لآل طاهر حكام خراسان
الورق الطلحي	نسبة إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر
الورق النوحى	نسبة إلى نوح الساماني الذي حكم خراسان
الورق الفرعوني	مصر
الورق الخراساني	نسبة إلى خراسان

أنواع الورق من مختلف المصادر الإسلامية: اعتمدت فيها خاصة على كتاب صبح الأعشى للقلقشندي:²

اسم الورق	نوعه من حيث الحاضرة
الورق البغدادي	بغداد
الورق السمرقندي	سمرقند
الورق الحموي	الشام
ورق الطومار	بغداد، الشام

1- ابن النديم : المصدر السابق ، ص36

2- أنظر: القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ص 476، ج 6 ص، ص181 ، 184 ، ج 8 ، ص 56

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

بغداد	ورق الطومار البغدادي
الشام	ورق الطومار الحموي
الشام	ورق الطومار الشامي
بغداد	الطومار النصف ¹
بغداد	الطومار الثلث
بغداد	الطومار من الثلثين
مصر	الطومار المصري
بغداد	قطع البغدادي الكامل
بغداد	قطع البغدادي الناقص ²
بغداد، الشام	قطع الثلث
مصر	قطع الثلثين من المصري
الشام	قطع الشامي الكامل ³
بغداد، الشام	القطع الصغير
الشام	قطع العادة الشامي
مصر	قطع العادة من المصري
مصر	القطع المنصوري
الشام	قطع النصف حموي
الشام	قطع ورق الطير
فارس	الورق الأصفهاني

1- القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص 182

2- نفسه: ج6، ص 181

3- نفسه: ج9، ص 415

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الورق اليمني	اليمن
¹ الورق الوزيري	فارس
الورق المعضدي	فارس
الورق الإبطي	فارس
الورق المصلائي	فارس
الورق الحمائي	فارس
الورق نصف الربعي	فارس
الورق الرحلي الصغير	فارس
الورق الرحلي الكبير	فارس
الورق الخشتي	فارس
الورق الخشتي القصيف	فارس

من أجل فهم بعض التسميات الخاصة بالورق التي اتبعت طرق طيها اتفق الببليوجرافيون على وجود بعض الأحجام القياسية للقطع الورقية، مثل قطع النصف (folio) الذي يطلق على الكتاب المطبوع على أفرخ طويت مرة واحدة وكل فرخ يشكل ورقتين أي أربعة صفحات، ويوجد قطع الربع وهو يطلق على الكتاب المطبوع على أفرخ طويت مرتين لتكون ملزمة من أربع أوراق أي ثمانية صفحات، وهناك أيضا حجم الثمن وهو عبارة عن الفرخ الذي يطوى أربع مرات ليكون ملزمة من ثماني ورقات أي ستة عشر صفحة، كما يوجد حجم السدس الذي يطوى فيه الفرخ ثلاث مرات ليكون ملزمة مكونة من ستة ورقات أي اثني عشر صفحة²، ومن خلال ما تم إبرازه نستنتج أن التمكن الكبير من طرف المسلمين في صناعة الورق سمح لهم من إنتاج أنواع عديدة من الكراسات المتعددة المقاييس.

1- أنظر: حسين علي محفوظ : المرجع السابق ، ص 145

2- جيهان محمود السيد: المرجع السابق، ص 489

المبحث الخامس: علاقة الورق الإسلامي بالحرف

1/ صناعة الورق ومهنة الوراقة

يُصادف الباحثون تداخلا كبيرا بين مهنة الوراقة وصناعة الورق ولعلَّ أنَّ السَّبب يعود للإهتمام الكبير الذي تلقته هذه الطائفة، مع إهمال المختصين لدور صناعة الورق في تطور مهنة الوراقة، علما أنَّ اختراع الورق وانتشار استعماله استدعى ظهور طائفة من النَّاس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب¹ وهم الوراقون، ومع كثرة الورق وانتشار استعماله فُتحت دكاكين الوراقين في جميع البلاد الإسلامية وأصبح هناك أسواق تُعرف بالوراقين وبالتالي فإن الورق أعطى دافعا لهذه الحرفة بالرغم من أنها كانت معروفة سابقا لأن النَّاس كانوا يشتغلون على الرِّق والجلود المتنوعة ولكنها كانت شاقة على النَّسَّاح .

إن الورَّاق في اللغة هو ذلك الذي يمتن حرفة الوراقة، يُقال رجل ورَّاق هو الذي يُورق ويكتب، ويقال أيضا مُورق الكتب² وقد عَرَّفها تاج الدين السبكي بقوله: "وهي من أجود الصنائع، لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف، وكتب العلم، ووثائق الناس وعُهوده فمن شكر صاحبها نعمة الله تعالى أن يرفق بطالب العلم وغيره، ويرجِّح جانب من يعلم أنه يشتري الورق لكتابة كتب العلم، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب ما لا ينبغي من البدع والأهواء ومن شهادات الزور والمرافعات وأنحاء ذلك"³.

كما عرف ابن خلدون الوراقة بقوله: "الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها والإشتغال بسائر أمور الكتابة"⁴ ومن هذا التعريف يتضح أن المهمة الأساسية للوراقين هي

1- ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1997، ص75

2- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ) : القاموس المحيط ، تحقيق: محمد نعيم العرق سُوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط 8 ، 1426 / 2005، ص 928

3- السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771 هـ) : معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت

لبنان ، ط 1، 1407 / 1986 ، ص 102

4- ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص503

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

النسخ والتجليد وباقي أمور الكتابة المشهورة في ذلك الوقت، غير أن المشتغلين بهذه المهنة من الناحية المنطقية كانوا على دراية تامة بأنواع الورق كونه كان مادة الكتابة إلى جانب المواد الأخرى المتوفرة في ذلك الوقت، لكن يبقى الإشكال القائم يتعلق باختصاص أصحاب المهن بمعنى هل كان الوراقون يصنعون الورق أم أن مهمتهم تكمن فقط في التدوين والكتابة بعدما يقومون بشراء الورق من المعامل الخاصة بذلك، وفي حقيقة الأمر إن هذا أمر واقعي بحيث لم تذكر المصادر التاريخية بأن الوراقين كانوا يصنعون الورق لأن الصناعة تتطلب لها أمكنة خاصة، ومنه نقول بأن صناعة الرق التي كانت منتشرة وكان العرب يكتبون عليها وهي المادة الأساسية التي دونت بها المصاحف والمؤلفات في العصور الأموية والعباسية قبل أن يشيع استعمال البردي والورق¹ كانت لا تتطلب من النساخ أن يمارسوا مهنة الدباغة، كما أن الوراقة قد مارسها نخبة من العلماء الأجلاء لما يأخذه صاحب النسخ من أجر عظيم كونه يساهم في نشر الخير للناس من نسخ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وبالتالي فإن اختصاص أهل العلم بمهنة الوراقة كان أمراً ضرورياً نظراً لأهميته في حفظ التراث الإسلامي بحيث وصف ابن الجوزي في كتابه مناقب بغداد سوق الوراقين بقوله : "إنها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء، كما ذكر الحموي أنه كان بالرها ورّاق يقال له سعد، وكان دكانه مجلس كل أديب"² ومن بين هؤلاء نذكر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الذي كان وراقاً، وأبا عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ الذي يعتبر من الخبراء في مجال الوراقة لأنه كان يختبر مواد الكتابة السابقة خاصة الجلود والرقوق ويعرف الصالحة من الفاسدة حيث عبّر عن ذلك في رسالته الجد والهزل³، فحينما تحدث عن الورق الصيني والكاغذ الخراساني ذكر في خطابه إلى الوزير ابن

1- مصطفى طوبي : مقالات في علم المخطوط ، الرباط ، 2010 ، ص123

2- الحموي : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1414

/ 1993 ، ج1، ص 425

3- الجاحظ : رسائل الجاحظ ، تصحيح: عبد السلام هارون، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 / 1965، ج1،

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

عبد الملك الزيات (ت233هـ/847م) يقول: "وما عليك أن تكون كُتّبي كُلها من الورق الصيني ومن الكاغد الخراساني قل لي : لم زينتَ النسخ في الجلود ولم حشنتي على الأدم، وأنت تعلم أن الجلود جافية الحجم، ثقيلة الوزن إن أصابها الماء بطلت وإن كان يوم لثق استرخت ولو لم يكن فيها إلا أنها تبغض إلى أربابها نزول الغيث وتكره إلى مالكيها الحب، لكان في ذلك ما كفى ومنع منها"¹.

هذه المفاضلات والمواصفات التي ذكرها الجاحظ عن الجلود يريد من خلالها استظهار الورق عليها بالمقابل إسقاط هذه الرقوق والجلود من التداول، وفي الحقيقة هي استجابة حضارية من الجاحظ وهو سيد الكتاب في وقته،² لأنه رأى أنه من الضروري التحول إلى الكتابة على الورق كونه يتميز بالخفة والليونة مكان الجلود التي أثقلت الناس حتى إن الكتب كانت توزن بالكيلوغرامات بسبب عدد صفحاتها الكبير.

ومن الذين اشتهروا بممارسة الوراقة ياقوت الحموي الذي كان ورّاقا يبيع الكتب وينسخها وأبو عمر بن عبد الملك العنزي الوراق(ت200هـ/815م)، ومحمود بن حسن الوراق (ت225هـ/839م) وأبو جعفر أحمد بن محمد بن أيوب الوراق (ت228هـ/842م) الذي كان يكتب للفضل بن يحيى البرمكي، وكان أيضا للجاحظ ورّاق يُسمّى زكرياء بن يحيى، ومنهم الفراء (ت207هـ/822م) الذي أمره الخليفة المأمون أن يؤلف ما جمع به من أصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن ينفرد في حُجرة من حُجر الدار وأوكل به جوارى وصيّره له الوراقين فكان يُملي والوراقون يكتبون وكان ورّاقاه سلمة بن عاصم وأبو نصر بن الجهم³، كما عُرف عن بعض الوراقين بأنهم دَلّالو الكتب مثل سعد بن علي بن القاسم أبو المعالي الأنصاري الحظيري (ت568هـ/1172م) الذي يصفه ياقوت الحموي بأنه كان أديبا فاضلا شاعرا رقيق

1- الجاحظ : المصدر السابق، ج1، ص252

2- خير الله سعيد: ورّاقو بغداد في العصر العباسي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط1، 1421 / 2001، ص141

3- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،

1412 / 1996، ج10، ص 178

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الشَّعر وله مصنفات، كان معروف باسم الورَّاق دلالً الكتب¹، وكان البعض الآخر من الوراقين يسعون إلى المؤلفين ليحصلوا منهم على مؤلفاتهم ثم يعرضون ما كتبوه لبيعه على الطلاب بمعنى أن الوراقين قد ساهموا في توفير كل ما يلزم للمتعلمين.

إلا أن الوراقة كحرفة لم تكن تُغري النَّاس حيث قال أبو هفان عبد الله بن أحمد الشاعر: "سألت ورَّاقاً عن حاله، فقال لي عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة وجاهي أرق من الزُّجاج ووجهي عند النَّاس أشد سواداً من الحبر بالزجاج، وحظي أخفى من شقِّ القلم ويدي أضعف من قصبة وطعامي أَمْرٌ من العفص، وشرايبي أسود من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ فقلت له عبَّرت بلاءً ببلاء²، وهناك من أعجبه حيث قيل لوراق: ما تشتهي؟ فقال: "قلما مشاقا، وحبرا براقا، وجلودا رقاقا، وكل امرئ فأنبته على ما يطابق غريزته، ويوافق نحيزته"³، لذلك فلم يكن يُقبل عليها إلا المشتغلون بالعلم أساتذة وطلابا ومنه اعتمد كثير من الفقهاء والمحدثين على الوراقة في كسب عيشهم، علما أن البعض كان قد استفاد منها استفادة كبيرة مثل الفقيه الحنبلي ابن شهاب العكبري (ت428هـ / 1036م) الذي يقول: "كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية وكنت أشتري كأغدا بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال وأبيعه بمئتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهما⁴ وكان أبو العباس الأحول محمد بن الحسن بن دينار العالم باللغة والشعر، يورق بالأجرة وقد جمع دواوين مائة وعشرين شاعرا"⁵.

و يذكر الأستاذ كوركيس عواد أن عمل الورَّاق كان النَّسخ وبيع الورق ثم يضيف: ولكن يُفهم

1- ماهر حمادة : المرجع السابق ، ص 79

2- القيرواني إبراهيم الحصري (ت 453هـ) : زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، ج2، ص 555

3- نفسه: ج2، ص 558

4- الحلوجي عبد الستار: المخطوط العربي ، مكتبة مصباح ، السعودية ، ط2 ، 1409 / 1989، ص122

5- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، لبنان ،

صيدا، ج1، ص82

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

من أقوال بعض المؤرخين كابن النديم، واليعقوبي، وابن الجوزي، وابن زولاق وياقوت الحموي أن للوراقة معنى أوسع فهي تعني أيضا من يُجلد الكتب ومن يبيعها في سوق الوراقين في بغداد.

فالوراقة بمعناها الشامل كانت تقوم في العصور الإسلامية على أمور أربعة:¹

أولا - النسخ : ويدخل في خانته التزويق والتصوير والتذهيب والتخطيط

ثانيا - بيع الورق وسائر أدوات الكتابة كالأقلام والحبر وغيرها

ثالثا - تجليد الكتب

رابعا - بيع الكتب

ويمكن تشبيه أعمال الوراقين في زماننا الحاضر بدور النشر التي تقوم بطبع الكتب وتجليدها بعدما يأتي المؤلف ويختار دار النشر ويتفق معهم على سعر الكتاب وجودة الإخراج ثم يوضع له السعر النهائي ويُنشر في المكتبات العامة الخاصة بالبيع .

كان صاحب الوراقة يمثل رب العمل، ومنه تتوزع المهام، وتتعدد الواجبات وتنتشر في دكانه تفرعات أخرى للوراقين، ضمن مهنة الوراقة وشموليتها، كالناسخ والمجلد وغيره، وتُشكل بمجموعها ورشة عمل متكاملة لمختلف أصناف الوراقين، وكل صنف من هذه الأصناف اختص بعمل ضمن دائرة الوراقة².

إذن يفهم مما سبق أن الوراقين سواء كانوا من الذين يُمارسون مهنة صناعة الورق أو ممن يشترون الورق فقط قد ساهموا جميعا في ازدهار مجالهم فوفرة ما كان يكتب من مجلدات دليل على أن بيع الورق كان تجارة رابحة ناجحة، وكلما كثر ما تنتجه المعامل من كاغد كُثرت الكتب تبعا لذلك وازداد انتشارها³، وبالتالي تُوجد علاقة تكامل بين ارتفاع منتج الورق وزيادة

1- كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف، بغداد ، 1958 ، ص، ص، ص 8، 9

2- خير الله سعيد: المرجع السابق، ج1، ص 315

3- كوركيس عواد : خزائن الكتب ، ص20

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

نشاط الوراقين وكذلك ارتفاع إنتاج الكتب وتدوينها، وبالتالي حقق المسلمون تطوراً كبيراً خاصة بعدما نشطت حركة التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق لذلك أصبحت مهنة الوراقة مطلب حضارياً وجب وجوده ومُسايرته، وقد كان سوق الوراقين بعدما أنشئت بغداد واحداً من مشاهير الأسواق، حيث يذكر الحموي أنّ علان الشعبوي (ت218هـ / 833م) قد امتهن الوراقة وفتح له دكاناً في سوق الوراقين ببغداد، والورّاقون هم سادة الموقف الثقافي، ولهذا كان أبو المطهر الأزدي (ت224هـ / 838م) يُفاخر أهل أصبهان في مثل هؤلاء وغيرهم من أهل الصناعة في بغداد فيقول: "هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمهن مثل ما أرى في بغداد من الوراقين والخطاطين والزّرادين والمزوقين والطّباخين والمطربين ومن لا يُحصى عدد من الخُداق"¹.

وبالتالي فإن انتشار الوراقة وازدهار صناعة الورق تزامن مع انبعاث ترجمة الكتب التي عرفت الدولة العباسية وكلاهما ساهما في تسريع هذه العملية، أما الأستاذ عبد الستار الحلوجي فيرى بأن حركة التأليف والترجمة التي ظهرت في العصر العباسي على أيدي العناصر الفارسية والتي أثرت في الأدب العربي والعناصر السريانية التي نقلت إلى العرب تراث اليونان والرومان وحضارة العالم القديم وما استتبع ذلك كله من كثرة المؤلفات وحرص الناس على تناقلها، ونتيجة لتصنيع الورق في بغداد وسهولة الحصول عليه وتداوله ظهرت صناعة الوراقة.² ومنه نتوصل إلى القول بأن صناعة الورق ومهنة الوراقة قد جمعت عدة معاني منها ما هو مهني أو إبداعي أو تجاري أو ديني، فالنسخ يشمل المهمة الأولى في عمل الوراق فيما تأتي تجارة الورق في المحصلة الثانية ثم اندمج في هذا الإصطلاح كل من يجلد الكتب ومن يبيعها.³

1- الأزدي أبو المطهر محمد بن أحمد : حكاية أبي القاسم البغدادي ، عناية: آدم ميتز، طبعة هايدلبرج، 1902 ، ص24

2- الحلوجي عبد الستار: المرجع السابق ، ص115

3- خير الله سعيد : المرجع السابق ، ص181

ولكن يبقى اهتمام الناس بشراء الكتب من الوراقين كذلك ظاهرة حضارية، فلولا إدراكهم لأهمية العلم لتعرضت مهنة الوراقة إلى الزوال مع معامل الورق، حتى وصلت درجة العامة أنهم كانوا يشترون الكتاب وفق طرق محددة، فقد كان الشائع بين الناس في البلاد الإسلامية أنهم لا يشترون الكتب إلا بعد التحقق من جودتها مخافة أن يكون فيها نقص أو عيب مثلما قال ابن جماعة : "إذا اشتري كتاباً تعهّد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ويتصفح أوراقه واعتبر صحته ومما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه ما قاله الشافعي رضي الله عنه قال : إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة وقال بعضهم: لا يضيء الكتاب حتى يظلم يريد إصلاحه"¹.

منذ أن تولى الرشيد إذن الخلافة في بغداد كثر الورق وزاد استعماله بين الناس وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قُرب ومن بُعد ، واستمر الناس على ذلك إلى الآن² واستعان الوراقون بالورق الذي أغناهم شيئاً فشيئاً عن الرُّقّ السَّابِقة وتحسنت مهارتهم في الكتابة والخط بعدما تمكن المسلمون من صنع أقلام مميزة حتى أصبح لكل ورق قلمه الخاص، كما انتبه الوراقون لضرورة إعطاء الورق أكثر جمالية من خلال إدخال عليه عمليات التلوين والتذهيب المختلفة، كما طوروا عملية صنع الأحبار التي كانت تكتب على الرُّقّ سابقاً ولم تصلح الكتابة بها على الورق، وفي عهد الرشيد ازدهرت مهنة الوراقة، وبدأ الوراقون يُقدِّمون إلى بغداد مثل الوراق إسماعيل بن صبيح الكاتب (ت217هـ / 832م) الذي أحضر الأثرم الوراق (ت232هـ / 846م) وجعله في دار من دوره لينسخ له كتب أبي عبيدة³، وغيرهم كثير.

1- الكناني بدر الدين ابن جماعة (ت 733) : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق : محمد هاشم الندوي ، دائرة الكتب العلمية، بيروت ، 1354، ص172

2- الطلوجي عبد الستار: المرجع السابق، ص ، ص 27 ، 28

3- الأنباري كمال الدين (ت 577) : نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1405 / 1985، ص126

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

إنَّ معرفة المسلمين بصناعة الورق مكنتهم من تدوين معارفهم ولم تبق مجرد شعارات شفوية كانت لتعصف بإنتاجهم الفكري الكبير الذي استفادت منه البشرية فيما بعد، والذي قاد هذه العملية هم الوراقون سواء كانوا من العلماء أو المختصين وتميزوا بالعديد من الصفات أهمها الإخلاص في العمل ونقل الحقائق وإن ظهرت بعض السلبيات عليهم في بعض المواقف التاريخية.

من الآداب العامة التي كان يحرص النساخ على إتباعها هي معرفة المضمون قبل النسخ فقد دأب الوراقون على الإطلاع في كل أنواع الورق الذي يستخدمونه تحاشيا لعدم الوقوع بأوراق ذات مضمون ديني أو شرعي ويكتبون عليه، أو يستخدمونه في طيات التجليد إلا بعد أن يعرفوا ما فيه لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة شرعية وهي من الأخلاقيات التي تدخل في إطار الموجبات الأساسية للشريعة الإسلامية في العمل، ومن هذا المنطلق كان لا بد عليهم اجتناب العديد من مغريات النسخ خاصة الأمور الكاذبة وعدم النسخ للظالمين وإعانتهم على إفساد المجتمع، وعدم النسخ للأديان المنحرفة.

2 / علاقة الورق الإسلامي بصناعة الأقلام

إنَّ علاقة الورق الإسلامي بصناعة الأقلام هي علاقة وطيدة بحيث لا تكتمل جمالية الورقة إلا بنوعية القلم المكتوب به والذي يسمح للخطاط من إبراز مهارته النهائية في التدوين ومما زاده تشريفاً أن المولى عزَّ وجل خلقه وكان من أوائل الخلق الذي وُكِّل إليه الأمر بالكتابة. القلم هو قصبه تُقَطَّع وتُقَلَّم وتُبْرَى، وقد يُتَّخَذ من السَّعَف أو الغاب، وقد يستعملون ريش الطيور للكتابة، كل ذلك يغمس في المداد، ويكتب به¹، وقد جعله القلقشندي من أشرف الأدوات إذ أنه قال: "إعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان"²، وقد قال الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ³﴾

1- الجبوري يحي وهيب : المرجع السابق ، ص 284

2- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 474

3- سورة القلم ، الآية : 01

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

أمّا دوره بالنسبة للورق فإنّه يكمن في طريقة صنعه ومدى ملاءمته مع الصحيفة المكتوب عليها ولذا وُضع للأقلام الجيدة العديد من الأوصاف منها ما ذكره ابن عبد ربه الأندلسي: " القلم هو الشديد المحص ، الصلبة المقصّ ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل؛ فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الجفاء، وأن تقصد بانتقائك الرقاق القضبان، المقومات المتون، الملس المعاهد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يبسا وهي قائمة على أصولها، لم تعجل عن إبان ينعمها، ولم يؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء"¹.

أمّا بالنسبة لعلاقة الورق مع القلم فيجب أن تكون مدروسة فعندما تكون الورقة رقيقة استوجب على الخطّاط أن يكتب بقلم يكون رأسه ليناً لكي لا تتعرض للثقب السريع وعندما تكون خشنة فإنّه يختار ما يساعده من الأقلام التي تتلاءم معها، وفي هذا الصدد ذكر القلقشندي وصفا جميلا حول هذه العلاقة بقوله: "إذا كانت الصحيفة لينة ينبغي أن يكون القلم لين الأنبوب، وفي لحمه فضل، وفي قشره صلابة، وإن كانت صلبة، كان يابس الأنبوب صلبه، ناقص الشحم، لأن حاجته إلى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته إليه في الصحيفة الصلبة، فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الإستمداد ويكفي في الصحيفة الصلبة ما وصل إليها في القلم الصلب الخالي من المداد"².

ممّا تفضل به القلقشندي نستنتج أن القلم في الورق الصلب في العادة يضغط عليه لكي يكتب ولا يخاف الخطاط من تعرضه للثقب مثلاً وبالتالي فإنه لا يتشرب كثيرا بالمداد كما أن تشربه الكثير مع هذه الأوراق يؤدي به إلى الإستهلاك الكبير بحكم أن الورقة الصلبة هي مصنوعة من الألياف، وبالرغم من أنها مطلية بالغراء فإنها تبقى قابلة لشرب الحبر ومن هنا تبين للصانعين أن أجود قلم يكتب به مع هذه الأوراق هو القلم الذي يكون رأسه صلباً ولا

1- ابن عبد ربه الأندلسي : المصدر السابق ، ج4، ص 282

2- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج2 ، 485

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

يحمل حبراً كثيراً، على عكس القلم الآخر الذي يحتاج للمداد لكي يسهل عملية الكتابة مباشرة بحيث تكون فوقية بحكم أن رأس القلم يكون مشبعاً بالحبر وبالتالي فإن عملية الضغط عليه تكون خفيفة مقارنة بالقلم الصلب .

ومن الأدلة التي تبين أن المسلمين كانوا من أدق الناس في اختيار الورق وما يناسبه من الأقلام وهو ما كان يبحث عليه النساخ والخطاطون لكي يظهر المخطوط في أبهى حُلة وتنمق به أوراق الرسائل ما ذكره النويري في كتاب علي بن الأزهر إلى صديق له يطلب منه أقلاماً " أما بعد فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الإسم، ولزمت لزوم الوسم، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصحريّة أجرى في الكواغد ، وأمر في الجلود، كما أنّ البحريّة منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف وأشد لتعريف الخط فيها"¹، بحيث نستنتج من رسالة علي بن الأزهر أن خبرته الطويلة مع الكتابة والنسخ وتعامله الكثير مع العديد من الأقلام والأوراق والرُّقوق وغيرها جعلته يطلب الأقلام الصحريّة التي كانت تنبت قصباتها على ضفاف الأنهار والأودية والتي تبدو على تأكيده أنها كانت من أجود الأقلام المتوفرة في ذلك الوقت .

وعلى إثر اهتمام المسلمين بالقلم وضرورة ملائحته مع الورق ظهرت أنواع متعددة من الأقلام والتي استخدمت مع مختلف أوعية الكتابة المتداولة في ذلك الوقت منها:

أ_ **قلم الطومار**: سمي به لأن الطومار اسم للورقة الكبيرة التي عرضها ذراع واحد ولم يقطع منه شيء، وتبلغ مساحة عرضه 24 شعرة برزون² بمعنى أنها تساوي 1.29 سم إذا علمنا أن شعرة البرزون تساوي 0.054 سم وكان يُكتب به في المكاتب والولايات والمناشير وهو

1- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت 733): نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار

الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط1، 1423، ج7، ص 21

2- شعرة البغل ، وتساوي 0.054 سم ، محمد قلجعي : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر ، ط2 ،

1408/1988، ص 450

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

قلم جليل يُكون من لب الجريد الأخضر من أعلى الفتحة رؤوس الأنامل ويمكن أن يكون من القصب الفارسي، ولا بد من ثلاث شقوق لتسهيل الكتابة به ويجري المداد فيه.

_ **قلم الثلث:** مقاسه بمقدار ثلث قلم الطومار وهو ثماني شعيرات بمعنى 0.43 سم

_ **قلم النصف:** مقاسه بمقدار نصف قلم الطومار وهو اثنا عشر شعيرة بمعنى 0.64 سم

_ **قلم الثلثين:** مقاسه بـ 18 شعيرة بمعنى 0.97 سم أي حوالي 1 سم

_ **قلم الثلث الخفيف:** وهو الذي يكتب به بقطع النصف وصوره كصور الثلث الثقيل إلا أنه

أدق منه قليلا وألطف مقادير منه وهو ثمانية شعيرات وهو 0.43 سم

_ **قلم الثلث الثقيل:** وهو المقدر مساحته بأقل من ثماني شعيرات.

_ **قلم النسخ:** كان يسمى بالبديع لأن الكتاب كانوا ينسخون به المصحف¹

_ **القلم الديواني:** لا يستعمل إلا في ديوان الملوك والولاطين وتكتب به المراسيم

_ **القلم الفارسي:** وكان مختصا بالفرس والعجم وبه يكتبون رسائلهم وكتبهم.

_ **قلم الرقاع أو الرقعة:** سمي به لأنه يكتب على الأوراق الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات

اللطيفة، يكتب به في قطع العادة من المنصورة والقطع الصغير.

_ **القلم الرياش:** وهو قلم مأخوذ من القلم الجليل أعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل بن

هارون² وزير المأمون³ وأمر أن يحرر به الكتب السلطانية.

1- محمد طاهر المكي : المرجع السابق ، ص 94

2- الفضل بن سهل بن هارون، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة 190 وكان مجوسيا، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معا، فكان يلقب بذي الرياستين. أنظر: الزركلي الدمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت1396هـ) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002، ج5، ص 149

3- المأمون: عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين، ابن كثير أبو الفداء اسماعيل (ت774هـ) : البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، ج10، ص 274 . سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة 198هـ، فتم ما بدأه جده المنصور، قامت دولة الحكمة في أيامه، وعرفت الحركة العلمية انتشارا واسعا بسبب ترجمة الكتب اليونانية ، كان فصيحا واسع العلم، توفي (218هـ/833م) بطرسوس.

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

وقد اهتم المسلمون كذلك بطوله وطرق مسكه لكي تكون عملية الخط على الورق مدروسة ونهائية حيث قال عماد الدين الشيرازي (ت 837هـ/1433م): "أحمد الأقلام ما توسطت حالاته في الطول والقصر، والغلظة والرقّة، فإنّ الرقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلا ما بين الثلاث، والغليظ المفرط لا تحتمله الأنامل"¹ فيتبين أنه كلما كان القلم سهل القبض باليد كلما سهلت عملية الكتابة، ولكن درجة الإتقان لا تصل إلا إذا تمكن الخطّاط من معرفة طرق البري الجيدة لكي يكتب النّاسخ بمهارة على الورق وفي هذا يقول ابن مقلة²: "ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها سهل عليه الخط ، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قَطِّ الأقلام كان مقتدرا على الخط ولا يتعلم ذلك إلا عاقل" .

وقد كتب محمد بن يحيى الصولي نصائح قيّمة للخطاطين والطلاب عن القلم بقوله: "ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ، ولا تبره عند عقدة، ولا تجعل في أنبوبة أنبوبة، ولا تكتبن بقلم ملتو، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة، وأحد سكينك، ولا تستعملها لغير قلمك. وتعهده بالإصلاح يصلح وليكن مقطك صلباً ليمضي الخط مستوياً لا مستطيلاً، وابر قلمك بين التحريف والاستواء، وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط، وإذا جللت فالى التحريف واعلم أن تبطين القلم شؤم، وتحريفه حرف، وهما دمار الخط. واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخط أبينه، كما أن أحمد القراءة أبينها"³. اهتم المسلمون بجميع المسائل الخاصة بالقلم لأنه هو من يحدد شكل الخط من خلال مسألة البري حيث قال الحسن بن وهب : "يحتاج الكاتب إلى خلال، منها: جودة بري القلم، وإطالة

1- سهيلة ياسين الجبوري: الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق منشورات المكتبة الأهلية في بغداد، مطبعة الزهراء 1381/1962، ص122

2- ابن مقلة : الوزير الكبير ، أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة ، قال الصولي : ما رأيت وزيرا منذ توفي القاسم بن عبيد الله أحسن حركة ، ولا أظرف إشارة ، ولا أملح خطا ، ولا أكثر حفظا، ولا أسلط قلما، ولا أقصد بلاغة ، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من ابن مقلة، وله علم بالإعراب وحفظ للغة ، وتوقيعات حسان أنظر: الذهبي شمس الدين أبو عبد الله: سير أعلام النبلاء، دار الحديث ، القاهرة ، 2006/1427 ، ج 11، ص 460

3- الصولي: أدب الكتاب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر ، 1341، ص54

جلفته، وتحريف قطته وحسن التأتي لامتطاء الأنامل، وإرسال المدة بعد إشباع الحروف والتحرز عند فراغها من الكشف، وترك الشكل على الخط والإعجام على التصحيف"¹ وفي نفس السياق : قال المقرّ العلائي بن فضل الله : "ورأيت بخط أبي عليّ بن مقلة رحمه الله: نعم ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها سهل عليه الخط، ولا يقتصر على فنّ منها دون فنّ، فانه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فنّ منها على مذهبه من زيادة في التحريف، ومن النقصان منه، ومن اختلاف طبقاته، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قطّ الأقلام كان مقتدرا على الخط، ولا يتعلم ذلك إلا عاقل، والقلم للكاتب كالسيف للشجاع"²، ويقول القلقشندي أيضا: "اعلم أنه ربما حسن الخط باعتبار براية القلم، وإن لم يكن على قواعد الخط وهندسته، فقد قيل: إن الأحوال المحرّر كان عجيب البراية للقلم، فكان خطه رائقا بهجا من غير إحكام ولا إتقان".

ومواصلة للنصائح المفيدة التي قدمها الصولي فإنه نقل عن بعض أهل الخبرة من الكتاب ما يلي: "الحذق بالخط أن يقدر الكاتب بقلمه أجزاء حروفه وكلمه، وخاصة في طول الحرف لا في عرضه، ويفرق بين الحرف والحرف على قياس ما مضى من شرطه في قرب مساحته وبعد سياقته. ولا يقطع الكلمة بحرف يفرده في غير سطره ويسوي إصلاح خطوطه كتابته ولا يغيره فيحليه بما ليس من زينته، ولا يمنعه حقاً فيخلف حليته، ويفسد قسمته ويستقبح أن يقع في الخط نوعان مختلفان، ويقوم في النفس من ذلك ما يقوم فيها من الشعر إذا اختلفت أعاريضه، وخلط فصيح بمولده. وأحلى الخطوط المحقق اللطيف، المستدير الحروف، المفتوح الصادات والطاءات، المختلس التاءات والحاءات"³.

ومن زاوية أخرى فإن الخطّاطين لا يهتمون كثيرا بالمبالغة في حسن الخط وإنما بصحته وتصحيحه، وكانوا يؤمرون بعدم التسرع في الكتابة لكي تكون مفهومة مقروءة.

1- القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص485

2- نفسه: ج2، ص486

3- الصولي : المصدر السابق، ص54

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

إنَّ الخبرة التي تمتع بها الصولي في مجال الخط والكتابة جعلته يقدم وصفا دقيقا في كيفية التعامل مع القلم وهذا دليل على البراعة التي وصل إليها المسلمون في الإهتمام بجودة الخط وهي من النواذر التي انفردت بها الحضارة الإسلامية في المشرق والغرب الإسلامي حتى وصل الأمر إلى العناية المركزة على كل أداة لكي يكتمل مشهد الكتابة على الورق ويصل إلى أبهى حلة، وهو ما تنافس عليه الخطاطون في جميع الحواضر، وبهذا تكون الحضارة الإسلامية قد تميزت بالإتقان نظرا للشغف الكبير الذي أولاه هؤلاء في خدمة الخط، كما يُستفاد من كتاب أدب الكتاب للصولي أنه مصدر مباشر للطريقة الصحيحة في الكتابة التي عرفت في ذلك الوقت.

إن حقيقة القلم في الإسلام مرتبطة بأهميته كأشرف أداة وجدت على المعمورة، ومما زاد في ارتقائه من ناحية التنوع والجودة مادة الورق، وقد شكلا محورا رئيساً في تدوين معارف المسلمين الدينية والعلمية، وساهما في تنظيم شؤون الدولة في أمور ديوان الحكم وجميع ما يصدر عنها من قرارات داخلية وخارجية.

3/ علاقة الورق بصناعة المداد والأحبار

إن اختراع الكتابة وكذلك اختراع نظام ملائم للتسجيل على الورق، لَمِن الأمور التي كان لها الأثر الأكبر في الرقي بالجنس البشري وربما كان لهذين الاختراعين أثر على الإنسان يفوق أثر أي منجزات فكرية أخرى خلال تاريخه الطويل فهما أكثر أهمية من كل المعارف التي حاربها الإنسان وكل النظم التي أقامها والمنشآت التي شيدها¹ ولم تصل الكتابة على الورق إلى مراحلها النهائية إلا بعدما تمكن الإنسان من تطوير مهارته عبر العصور في هذا الجانب حتى استطاع أن يخرج من الطبيعة ابتكارا آخر عرف بصناعة المداد والحبر وقد أصبحت تعتبر من أساسيات المواد التي ينقل بها الإنسان معارفه على الورق وحتى على المواد

1- ألمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984

الأخرى.

تتداخل عملية صناعة المداد مع الورق والأقلام ، فغياب أحد هذه العناصر يسبب عجزا في الكتابة بالنسبة للناسخ، لذا أولى المسلمون اهتماما بالغاً في محاولة إتقان أسرار صناعة المداد الذي يُذكر أنه كان يُستورد من الصين وأنهم أصحاب الاكتشاف الأول غير أنّ الشواهد التاريخية تدل على أن الإنسان العربي عرّف هذه التقنية منذ الحضارات الأولى حيث أتقنه المصريون وكتبوا به على أوراق البردي وعلى الأحجار وزينة الملابس وفي صناديق المومياءات والسجلات اليومية وكان بصفة عامة يتألف من نوعين: أحمر وأسود¹ كما عرفت حضارات بلاد الرافدين وضرب به العرب في الجاهلية أشعارهم وأمثالهم وذلك من الإشارات المتعددة التي وردت في دواوينهم مثل قول الشاعر :

فلم يَبْقَ إِلَّا دَمْنَةٌ وَمَنَازِلٌ ... كما رُدَّ في خَطِّ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا²

كما يعتبر المداد ركناً أساسياً من أركان الكتابة وعليه معوّل الكتاب وقد أنشدوا في ذلك :

رُبِعُ الْكِتَابَةِ فِي سَوَادِ مِدَادِهِ والرُّبْعُ حُسْنُ صِنَاعَةِ الْكِتَابِ

وَالرُّبْعُ مِنْ قَلَمٍ تُسَوِّي بَرِيَهُ وعلى الكَوَاعِدِ رَابِعُ الْأَسْبَابِ³

أما عن أنواع الحبر التي عرفها المسلمون فهي نوعان: نوع للكاغد، ونوع للرق، فأما حبر الكاغد فأحسن ما يعمل من عَفَص⁴ الشام.

وصفته أن يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدق جريشا وينقع في الماء مع الآس وهو المرسين أي الأخضر أسبوعاً، ويكون مقدار الماء المنقوع فيه ستة أرتال ثم يغلى على النار

1- ألفريد لوكاس: المرجع السابق ، ص584

2- الضبي المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت نحو 168هـ): المفضليات ، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 6، ص379

3- الزبيدي محمد مرتضى (ت1205هـ): حكمة الأشراف إلى كتاب الآفاق، إخراج: محمد طلحة بلال، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة ، ص52

4- العفص: شجرة من البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، وهو دواء قابض مجفف، يرد المواد المنصبة، ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة. وإذا نفع في الخل، سود الشعر. وثوب معفص: مصبوغ به. الفيروز آبادي، المصدر السابق :ج1، ص623

حتى يصير إلى النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام ولا بد له ذلك من الصبر والعمل.

قال بعضهم: "لا بد من الملح والكافور لأن الملح يمنعه من التعفن والكافور يُحسن رائحته ويمنعه من نفوذه إلى الكاغد على طول الزمن".¹

يتضح أن المسلمين قد فرّقوا بين استعمالهم الحبر الورقي على حبر الجلود والرُّقوق لأن كل مادة لها خصائصها فمثلاً عرفت الكثير من المخطوطات الكتابة بالحبر الزّاجي مثل مخطوطات البحر الميت وهو يتكون من ماء وصمغ نباتي وسناج، أي هباب الفحم وإلى قطع من حديد الصدا الذي ينتج نوعاً من الزّاج، إلا أنهم أدركوا بفضل خبرتهم أنه كلما زادت نسبة الزّاج في المداد أحرقت الكتابة على الكاغد وبالتالي انقسمت الأحبار إلى أربعة أصناف هي²:

_ الحبر المطبوع: هو الذي يصلح للكاغد وحده

_ الحبر المعصور: هو الذي يصلح للكاغد والرق

_ الحبر المنقوع: يصلح للرق خصوصاً

_ حبر الغبار: وهو الذي يكتب به في حينه

وقد ذكر الباحثون فيما استنتجوه من دراساتهم أن الورق لا يصلح له الكتابة في الجلود والرق بالحبر المثلث، فإنه قليل اللبث فيها، سريع الزوال عنها وأن يكتب فيها بالحبر المطبوع أما حبر الورق فقد وصفه القلقشندي بحبر الدخان حيث نقل عن ابن مقلة أنه من الحبر الجيد وهو المتخذ من سخام النفط حيث قال : وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط .

1- الزفراوي محمد بن أحمد (ت 806 هـ) : منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة ، تحقيق : هلال ناجي ، توفيق بروين، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية، مجلد 15 ، 1986/1407، ص

2- القلوسي أبو بكر محمد بن محمد الأندلسي: تحف الخواص في طرف الخواص في صناعة الأمدّة والأصباغ والأدهان، تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، مكتبة الإسكندرية، 1427 / 2007، ص 22

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

إنَّ المسلمين اهتموا إلى اكتشاف الأحبار من مختلف النباتات والبقول والمعادن وغيرها وهذه الاكتشافات في صناعة الحبر كانت وليدة الحاجة من جهة، ومن جهة ثانية كان لتطور قوى الإنتاج أثره البالغ في رفع وعي الناس¹، وقد كان صنَّاع الحبر الجيد يتكتمون في إفشاء طرق صناعته كي لا تُسرق منهم وهو أمر معروف لديهم بُغية الحفاظ على الجودة والإمتياز عند هؤلاء².

والجدير بنا أن نُنبه إلى أن هناك وجود تداخل في إطلاق المصطلحات في تسمية المداد بالحبر والحبر بالمداد عند المسلمين فقد جعلوا بأن الحبر هو المداد لكن ابن النديم صرح وقال: وممن كتب بالمداد من الوزراء والكتاب ومن كتب بالحبر³ وهي دلالة واضحة أن هناك فرقا كما ذكر الخطيب البغدادي أنه ينبغي أن يكتب الحديث بالسواد ثم الحبر خاصة دون المداد⁴، لأن السواد أصبغ الألوان والحبر أبقاها على مر الدهور وهو آلة ذوي العلم وعدة أهل المعرفة، ولكن الشائع هو الذي غلب في كلام الناس حيث ذكر محمد المنوني أن المداد ما يكتب به في أي لون وكذلك الحبر، غير أن هذا الأخير يتميز بأن الغالب عليه هو لون السواد، وبالتالي فإن الفرق يكمن في قتمة اللون الخاصة بالحبر وطول المدة ومحافظة على لونه وعدم تعرضه للمسح والمحو وصعوبة تزويره .

أما عن أنواع الأحبار التي برع فيها المسلمون فقد جمعتها الباحثة سهيلة الجبوري في سبعة أنواع وهي:

ـ النوع الأول: يؤخذ من العفص وذلك بعد دقه حتى يصبح مسحوقاً ثم يخلط مع ماء

1- خير الله سعيد : موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ط1، 2011، ج1، ص180

2- نفسه : ص 186

3- ابن النديم : المصدر السابق، ص 20

4- القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد، (ت 671هـ): الجامع لأحكام القرآن تفسیر القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط2، 1964/1384، ج 11، ص 207

الورد ويوضع في الشمس مدة أربعين يوما.

_ **النوع الثاني:** حبر الرز حيث يحمس الرز على النار بعد غسله وتبييضه حتى يكون لونه أسود وتظهر عليه مادة دهنية ومن ثم يدق حتى يصبح مسحوقا ناعما ثم يضاف له الماء وكمية من الصمغ.

_ **النوع الثالث:** حبر زيت الزيتون: حيث يقومون بحرق الزيتون ويؤخذ النيلج¹ الناتج عن حرقه ويمزج مع الماء والصمغ ويترك لمدة أسبوع .

_ **النوع الرابع:** حبر البصل بحيث يؤخذ عصير البصل ويكتب به، وعند القراءة تمحى الورقة على النار.

_ **النوع الخامس:** حبر الباقلاء²: ويتم صنعه بعد تتقيع الباقلاء لمدة أربعين يوما في الشمس ويؤخذ ماؤها ويصنع بعد اضافة الصمغ له.

_ **النوع السادس :** يصنع من إضافة الحديد إلى ماء الورد ويوضع في الشمس لمدة شهر ليتأكسد ويجف ماؤه ثم يخلط بالماء ويصفى ثم يضاف له الصمغ³.

_ **النوع السابع :** بحيث يؤخذ التبر ويضاف له الماء وقد استعمل في الأسماء الجلييلة كما ذكر القلقشندي أنه يخلط مع شراب الليمون النقي . ويسمى الحبر المذهب.

ومن الأنواع الأخرى الحبر الذي كان يصنع من الورد الجوري، حيث يوضع في مرجل أو قدر ويغلى الورد جيدا، ثم يقطر ماؤه فتبقى العصارة ويضاف له حديد صدئ ليتأكسد فيتحول لونه إلى الأسود ثم تجفف المادة حتى تصبح حبيبات تطحن فيما بعد وتذاب في الماء الحار لتكون حبرا أسود.

1- النِيلَج: وهو دخان الشحم يعالج به الوشم ويحشى به حتى يخضر. ابن منظور جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي

(ت 711هـ): لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط3، 1414، ج5، ص 244

2- الباقِلَاءُ والْباقِلَى: الفول، اسم سوادي، وحمُّله الجَرْجَر، إِذَا شُدَّتْ اللَّامُ قَصُرَتْ، وَإِذَا خَفَفَتْ مَدَّدَتْ فَقُلْتُ الْبَاقِلَاءَ ، ابن

منظور، نفسه: ج11، ص 62

3- سهيلة ياسين الجبوري : المرجع السابق ، ص 125

يتضح ممّا سبق أن تنوع المداد والحبر في عهد الدولة العباسية هو دليل على وجود اهتمام واسع من طرف الوراقين في الكشف عن مهاراتهم الفنية في الكتابة من جهة ودليل على تنوع مواد الكتابة على الورق والرّقّ معا حتى بلغت أوجها مع الحبر المذهب الذي زُينت به المصاحف وكتب به المسلمون أرقى أفكارهم بالرغم من أن مواد الصناعة كانت معروفة لكن اختلفت طرق التحضير والإعداد.

تأثرت الصناعات الإسلامية ببعضها البعض وساهمت كل صناعة في الترويج للأخرى فبعدما كانت الأحبار مقتصرة على نوع محدد يُستخدم في الكتابة على الرّقّ والجلود ظهرت أنواع أخرى برع المسلمون في صنعها بسبب تطور إنتاج الورق وتوفر هذه المادة وإقبال الوراقين عليها، ووصل الأمر إلى أن وضعوا كتباً خاصة يشرحون فيها تقنيات صناعة الأحبار والمداد منها كتاب الأزهار في عمل الأحبار لمؤلف مجهول، وكتاب زينة الكتبة لأبي بكر زكرياء الرازي (ت311هـ/923م) التي ذكر فيها حتى الأحبار السرية والذي جاء فيه مما يحتاج إليه الكتبة: أنواع المداد ومحو الآثار من القراطيس والدفاتر والكاغد والرّقوق والطروس¹ وكتاب عيون الحقائق وإيضاح الطرائق لأبي القاسم محمد بن أحمد السماوي العراقي الذي عاش في القرن السابع الهجري حيث وضع في الباب الثالث والعشرين عنوان : أنواع اللّيق وكيفية أعمالها، وغيرها من المصادر الأخرى.

4 / علاقة صناعة الورق بتأليف الكتب وتأسيس المكتبات

لقد كانت صناعة الورق وانتشاره حدثاً ذا أهمية كبيرة في تاريخ الكتاب العربي المخطوط حيث أن بداية عصر المخطوط كانت في الحقيقة مع بداية تصنيع الورق وانتشاره فالمواد التي اتخذها العرب للكتابة في الجاهلية وصدر الإسلام أصبحت لا تقي بالغرض بعد انتشار الكتابة وكثرة التأليف وتطور العلوم، وبظهور صناعة الورق دخل المخطوط العربي مرحلة جديدة

1- الرازي فخر الدين (ت311هـ) : رسالة زينة الكتبة ، تحقيق: لطف الله قاري ، مجلة عالم المخطوطات والنوادر ، مكتبة

الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، مجلد 16 ، عدد 2 ، 2011/1432 ص 222

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

من مراحل تاريخه تتميز بكثرة الإنتاج وسهولة حمله وتداوله¹.

وإذا صرحنا سابقا بأن هناك علاقة تداخل بين مهنة الوراقة وصناعة الورق في الكثير من الحثيات فإنها تظهر لا محالة في مهارة النسخ في اختيار وتوظيف الورق لكي تكتمل المهمة التي أُنتج من أجلها الورق وهي التدوين ثم إخراجها في مخطوط إسلامي يُبرز من خلاله الوراقون مهارتهم في فن التجليد، ومن هذا المنطلق أخذت صناعة المخطوط جدية أكثر مع النصف الثاني من القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري، وكان من نتائجها ظهور المكتبات الإسلامية الكبرى في مختلف الحواضر مثل مكتبة بيت الحكمة في بغداد التي بدأت نواتها منذ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور² وأسست فعليا في عهد الخليفة هارون الرشيد، كما ازدادت سعة بعدما ازدهرت الروح العلمية خاصة بعد دعم وتشجيع الحكام لفئة الوراقين، وساهمت الترجمة من جهة أخرى في عهد المأمون في زيادة الطلب على الورق بكثرة، حيث يذكر أن النساخ كانوا يعملون فيها وكذلك المترجمون والمؤلفون وأيضا المجلدون، منهم ابن أبي الحريش وعلان الشعوبي الذي كان مسؤولا على النسخ وتزويد المكتبة بالكتب الحديثة وما يلزم من أوراق وأقلام ومحابر وغيرها من الأدوات وكان يقوم على شؤون المكتبة وإدارتها المشرف الأعلى أو الوكيل وأمين المكتبة ويسمى بالخازن ومساعد يطلق عليه المشرف، ووصلت درجة الرقي إلى أنها كانت تعير الكتب، واستمر بها الحال حتى داهم التتار بغداد سنة 656هـ / 1258م، وبفعل تداخل هذه العوامل نشطت عمليات التدوين بسرعة في العصر العباسي الأول.

1- السيد السيد النشار: في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997، ص10

2- أبو جعفر المنصور (95 / 158 هـ): عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب، كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة 136 هـ، وهو باني مدينة " بغداد " أمر بتخطيطها سنة 145هـ وجعلها دار ملكه بدلا من " الهاشمية " التي بناها السفاح ومدة خلافته دامت 22 عام . الزركلي ،

المصدر السابق : ج4، ص 117

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

ومن المكتبات الرئيسية الأخرى نذكر المكتبة المستنصرية التي أسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله¹ سنة (631هـ / 1234م) ، كما شهد المسلمون في مصر نفس الظاهرة من تأسيس المكتبات العامة والخاصة مثل مكتبة دار العلم الفاطمية في عهد الحاكم بالله² التي كان لها نفقاتها الخاصة منها اثنا عشر دينارا لشراء الورق والحبر والأقلام لمن يطالع فيها وتسعون دينارا لشراء الورق اللازم للنسخ³، وهذا دليل على رواج الورق في مصر في العهد الفاطمي واهتمامهم بالعلم، ومكتبة دار العلم في الموصل التي أنشأها أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي الشحام (ت 323هـ / 924م) التي كانت تفتح كل يوم وتقدم للغرباء المال والورق والإقامة، وقد اهتم الباحثون المعاصرون في ذكر أنواع المكتبات التي ظهرت بصفة عامة وهي كالآتي :

أ- المكتبات الخاصة:

انتشر هذا النوع في جميع الحواضر الإسلامية ومن أمثلتها مكتبة الفتح بن خاقان (ت235هـ / 846م) الذي كان وزيرا عند الخليفة العباسي المتوكل (ت247هـ / 861م) ومكتبة يعقوب ابن اسحاق الكندي (ت246هـ / 860م) ومكتبة الجاحظ (ت255هـ / 867م) بحيث تذكر

1- المستنصر بالله (588 / 640 هـ) : منصور ابن محمد الظاهر بأمر الله ابن الناصر ابن المستضيء: خليفة عباسي ولي ببغداد بعد وفاة أبيه سنة 633 هـ وكان جده الناصر يسميه القاضي لوفرة عقله، وهو باني المدرسة المستنصرية ببغداد على شط دجلة من الجانب الشرقي، كان حازما عادلا حسن السياسة إلا أنه جاء في أيام تراجع الدولة، وفي عهده استولى المغول على كثير من البلاد حتى كادوا يدخلون بغداد، فدفعوا عنها. واستمر المستنصر إلى أن توفي بها، أنظر: الزركلي المصدر السابق، ج7، ص304

2- الحاكم بأمر الله (375 / 411 هـ): منصور الحاكم بأمر الله (ابن نزار) العزيز بالله (ابن معد) المعز لدين الله ابن إسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي، أبو علي : متأله، غريب الأطوار، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر ولد في القاهرة، وسلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس، بعد وفاة وفاة أبيه سنة 382 هـ وعمره إحدى عشرة سنة فدخل القاهرة في اليوم الثاني ودفن أباه وياشر أعمال الدولة، وخطب له على منابر مصر والشام وإفريقية والحجاز. أنظر: الزركلي : المصدر السابق ، ج7 ص 305 .

3- العش يوسف : دور المكتبات العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط ، ترجمة: نزار أباطة ومحمد الصباغ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، ط1، 1991/1411، ص 116

المصادر أن خزانته كانت تصل إلى سقف غرفته وقعت عليه وهو مريض فقتلته.¹

بـ المكتبات العامة:

وهي التي تشرف عليها الدولة وتخصصها لطلبة العلم وكان ارتيادها بالمجان بحيث تعد من أبرز المظاهر الحضارية التي دلت على تفوق المسلمين في تلك العصور منها مكتبة بني عمار في طرابلس الشام وفي الأندلس ظهرت دار الكتب بقرطبة وغيرها.

جـ المكتبات المدرسية:

وهي المدارس الأكاديمية الحديثة التي تأسست كوسيلة جديدة لنشر العلم من أشهرها المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك² وزير السلاجقة في عهد ألب أرسلان في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة وقد زودت بنوادير الكتب، إضافة مكتبة المدرسة الظاهرية في دمشق والكاملية في القاهرة.³

دـ مكتبات المساجد والجوامع:

وهي المكتبات التي أسست كلواحق للمساجد وهي ظاهرة موجودة إلى يومنا هذا ومتواترة بحيث يشكل هذا النوع من المكتبات المرحلة الأولى لنشأة المكتبات الإسلامية الكبرى وهي تمثل اللبنة التي تكوّن منها أشهر العلماء.

وغيرها من المكتبات الأخرى مثل المكتبات الخاصة بالعلماء والمكتبات التي كانت موجودة في المشافي والبيمارستانات مثل مكتبة المستشفى العضدي في بغداد، ومكتبة المارستان

1- الجواهري محمد: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992، ص 130

2- نظام الملك (408 / 485 هـ): الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك: وزير حازم عالي الهمة، أصله من نواحي طوس، تأدب بأداب العرب، وسمع الحديث الكثير، واشتغل بالأعمال السلطانية، فاتصل بالسلطان ألب أرسلان، فاستوزره، فأحسن التدبير وبقي في خدمته عشر سنين، ومات ألب أرسلان فخلفه ولده ملك شاه، فصار الأمر كله لنظام الملك، وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان من حسنات الدهر.

أنظر: الزركلي: المصدر السابق، ج 2 ص 202

3- مصطفى ربحي عليان، أمين النجاوي: مقدمة في علم المكتبات والمعلومات، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1،

المنصوري في القاهرة.

إن اهتمام المسلمين بعملية النسخ مع إتقانهم صنع الورق قد اكتمل مع جملة النصائح والتوجيهات التي كان يقدمها أصحاب الخبرة في مجال الوراقة بصفة عامة الذين لم يتركوا شيئاً إلا وأرشدوا إليه، فمما وقفنا عليه أنه قد بلغ بهم الأمر إلى درجة تقديم نصائح في كيفية ترتيب الكتب في المكتبات العامة أو البيت حيث قال في هذا الصدد العلّومي: ويراعى في صف الكتب حسن الوضع، بأن يجعل الحبكة في ناحية، والمجلد الآخر يجعل حبكته في الناحية الأخرى، فتكون الكتب قائمة بلا اعوجاج، و إلا فيتعوج الصف ضرورة، لأن جهة اللسان من كل كتاب أعلى من جهة الحبكة لأن جهة الحبكة مضغوطة مقموفة، ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس وغيرها، ولا مخدة، ولا مروحة، ولا مستنداً ولا مُتكأً، ولا مقتلة للبقي، ولا يطوي حاشية الورقة ولو مآلاً كما يفعله كثير من الجهلة¹، ومنه فإن المتمعن في هذه العبارات الدقيقة سوف يدرك القيمة الكبيرة التي كان يمثلها الكتاب عند المسلمين حيث أن ثقافتهم واحترامهم له جعلتهم لا يضعون الكتاب مفروشا على الأرض لكي لا يصيبه الماء، وإذا رتبوها راعوا الأدب باعتبار علومها، بحيث يضعون الأشرف أعلى الكل، فإن استوت كتب في كل فن يضعون المصنف ذا القيمة العالية فيجعلونه الأعلى ثم يضعون القرآن الكريم أعلى الكل. يذكر العلّومي أيضاً كيفية ترتيب الكتب في المكتبات بقوله: "والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار ونحوه في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم كُتب الحديث الصرف كالبخاري ومسلم، ثم تفسير القرآن الكريم، ثم تفسير الحديث، ثم الفقه، ثم أصول الدين ثم أصول الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب ثم العروض وما في معناه ونحو ذلك ولا يضع ذوات القطع الكبير فوق الصغير كي لا يكسر تساقطها، وينبغي أن يكتب اسم الكتاب عليه في حرف عرضه ويجعل رؤوس الترجمة إلى مرد الجلد المقابل للسان لئلا تصير الكتابة

1- العلّومي عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت 981هـ): المعيد في أدب المفيد والمستفيد، المكتبة العربية، دمشق،

معكوسة¹.

إن المكتبات الإسلامية لم تكن مجرد خزائن للكتب بل كانت أيضاً ملتقى للطلاب والعلماء وبالتالي فإنها تصنف من بين المراكز التعليمية ذات الإشعاع الثقافي المميز فهي التي كانت تقوم بدور الممول الرئيسي للمؤسسات التعليمية الأخرى من جهة، ومثلت وعاء علمياً مفتوحاً أمام الجماهير المطالعة من جهة أخرى لذا نجد أن الإهتمام بها لم يكن قاصراً على فترة زمنية معينة أو خليفة معين بل شملت حتى الطبقات الأخرى من المجتمع التي دعمت الرصيد المكتبي الإسلامي بما يسمى بالمكتبات الخاصة.

وصلت الكتابة على الورق عند المسلمين إلى أرقى صورها فكان النّاسخون إذا أرادوا النّسخ من الكتب الشرعية يحرصون على الطهارة واستقبال القبلة، وتشمل الطهارة البدن والثياب والحبر ويبتدئ كل كتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم وإذا كتب اسم الله تعالى تبعه بالتعظيم، وحين الكتابة إذا وقع الناسخ في خطأ أو زيادة أو كتب شيئاً على غير وجهه تخير فيه ثلاثة أمور: الأول الكشط، وهو سلخ الورق بسكين ونحوها ويعبر عنه بالبشر وبالحك وهذا يستعمل في نقطة أو شكل، الثاني المحو، وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن وهو أولى من الكشط، الثالث الضرب عليه، وهو أجود من من الكشط والمحو لا سيما في كتب الحديث وفيه خمسة أقوال منها: أن يكتب لفظة (لا) أو لفظة (من) أو صفر (0) وغيرها.

لقد كان القرن الأول الهجري يمثل فترة الحضّانة بالنسبة لتاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية فيه توافدت المواد التي تصلح لأن تكتب فيها الكتب وفيه كثرت أعداد الكتاب وتضاعفت وفيه وُجد التراث الخالد الذي يحرص المسلمون على جمعه وتناقله والحفاظ عليه متمثلاً في أصلي الشريعة الإسلامية الغراء كتاب الله وسنة رسوله وباكتمال العناصر الثلاثة لوجود المكتبات خلال القرن الأول الهجري وبزوال الحرج من التوسع في استعمال الكتابة مع بداية القرن الثاني

1 العلمي: المصدر السابق، ص 131

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

يمكن لنا أن نلتمس النشأة الأولى للمكتبات الإسلامية خلال هذا القرن¹ الذي قُدِّر له أن يشهد ثلاث ظواهر حضارية هي :

_ حركة التأليف العربي

_ ظهور الوراقة

_ دخول صناعة الورق بغداد : حيث كان البردي والرق يتعاونان معا في حمل أمانة الكلمة المكتوبة وكان الرق أبقي دوما ولكنه أغلى ثمنا وأندر وجودا، ومن أجل هذا كان لا يكتب فيه إلا كل أمر يراد له طول البقاء، أما الورق فقد عرفه العرب مجلوبا من الصين ثم مصنوعا في سمرقند ولكنه لم يصبح في متناول كافة الناس إلا بعد أن صنع في عاصمة الخلافة العباسية²، ومن هذا المنطلق فقد تزامنت عملية صنع الورق وازدهارها مع دخول المسلمين مرحلة التدوين في العهد العباسي ومنه أصبحت البيئة العامة للمسلمين يطغى عليها الجانب العلمي والتي وضعت الأسس لتشييد أكبر المكتبات الإسلامية والتي ساهم في ازدهارها الورق بشكل كبير. وقد كتب المخطوط في بداية عهده على المواد الطبيعية من الموجودة في البيئة العربية ثم كتب على الجلود ثم على البردي ولكن بعدها دخل الورق كمادة رئيسة في كتابة المخطوط العربي الإسلامي.

لكن لا بد من التأكيد على أن ظهور الورق وانتشاره في العالم العربي والإسلامي لم يؤد إلى اختفاء البردي والرق وتقلص استخدامهما في النسخ والكتابة فجأة بل جاء الإختفاء تدريجيا كما بدأ تدريجيا أيضا، وكان الصراع بين هذه المواد على البقاء مريرا وقد صوّر الجاحظ في إحدى رسائله المعركة بين الكاغد والرق حيث قال محبذا الورق ومعيبا الرق فقال عن الرقوق: "جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطلت وإن كان يوم لثق استرسلت فامتدت ومتى جفّت لم تعد إلى حالها إلا مع تقبض شديد وتشنج قبيح وهي أنتن ريحا وأكثر ثمنا وأحمل

1- الحلوحي عبد الستار: دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات ، مكتبة الصباح ، ط1، 1408/ 1988، ص17

2- نفسه : ص 19

للغش¹.

إن الجاحظ لا ينقص بحديثه هذا من قيمة الرق والجلود وقد كان من أعلم الناس بهذه المهنة فلطالما كتب المسلمون أعز ما يملكونه على الرق وهو القرآن الكريم ولكنه يذكر عيوب الرق كما ذكر في رسالته أيضا عيوب الورق لكن عيوبه أقل من الأول وهذا النقد يدخل في اتجاه عدم التفريط في القديم والمحافظة عليه والتمسك بالجديد واستخدامه وبالتالي فإن ملء مكتبة بالمخطوطات المصنوعة من الرق يعتبر عملا صعبا لأن حجمها كبير والمحافظة عليها في ظل الظروف الطبيعية صعب جدا لذا أخذ الورق مرتبة متقدمة في المكتبات وفي أوساط العلماء، كما أن الجاحظ التمس شيئا خطيرا في حديثه وهو تعرض الرق للغش والتزوير كونه لا تظهر عليه علامات الكشط والمحو كما تظهر على الورق مباشرة منذ النظرة الأولى زد على ذلك أنه بين أن الرق من جلد الحيوانات وبالتالي فإنها تحمل في العادة رائحة وهي ما قد تسبب الكثير من الحرج للنساخ .

ومن هذا المنطلق تزايدت اتجاهات العلماء نحو التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون لا سيما في مجال الدين والفقه والتشريع، إضافة إلى تفضيلهم تدوين مؤلفاتهم على الورق بدلا من المواد الأخرى التي كانوا يستعملونها قبل ظهور الورق² .

أمّا من الناحية التقنية فلم يكن للمخطوطات العربية أحجام ثابتة على النحو المعمول به في أيامنا في الكتب المطبوعة بمقاييس معلومة نتيجة صناعة الورق المنظمة الآن، كذلك لم يكن يحتم في القرون الأولى خصوصا بأن تتساوى أوراق المخطوط الواحد³ ويبدو أن هذا الأمر منطقي لكون قلة التقنيات المتطورة في تقطيع الأوراق بمقاييس مضبوطة ضيف إلى ذلك

1- شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997/1418،

ص197

2- السنيدي عبد العزيز: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية ،

عالم الكتب ، مجلد 25 ، عدد 2_1 ، 2003 /1424 ، ص6

3- شعبان عبد العزيز خليفة : المرجع السابق ، ص 208

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

تعدد النّاسخين والمجلدين من مكان إلى آخر فمنهم الصّابط جيدا ومنهم المتعلم والمتمرس ومنهم من يسرع في التجليد قصد كسب المال وغيرها، كلها أمور ساهمت في البداية في عدم إخراج المخطوطات في شكل دقيق.

ومن التقنيات الراقية التي عرفها المسلمون منذ بداية معرفتهم لصناعة الورق هو التلوين وكان اللون المفضل هو اللون الأبيض أو الأبيض المائل للصفرة، ويتحكم في لون الورق في الغالب المواد المكونة له، فالورق الأبيض في الغالب يأخذ لونه من لون القطن نفسه، أما الورق الأصفر فقد يعود إلى نوع من المواد المؤكسدة الموجودة في عجينة الورق الأبيض المائل إلى الصفرة، وقد تميزت بهذا النوع من الورق مدينة زبيد باليمن¹.

ومن المخطوطات القديمة التي كتبت بالورق هي الموجودة في جامعة ليدن وهي نسخة ناقصة لكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم الهروي (ت224هـ/838م) رقمها Or298 بحيث تعتبر من أقدم المخطوطات الموجودة وقد كتبت بقلم مغربي، أكثر عباراتها مشكلة وكل حديث يبتدئ بسطر جديد، تبتدئ هذه النسخة من الجزء التاسع وتنتهي عند الجزء العشرين وليس فيها الجزء الخامس عشر²، وفي آخر النسخة مكتوب صلى الله على محمد كثيرا ، فرغ منه في ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين ومائتين³، ومن بينها أيضا المخطوط المتأخر الذي كتب على الورق في القرن التاسع الهجري المنقول عن النسخة الأصل لكتاب علم الجراحة والطب لأبي القاسم خلف بن العباس الزهراوي (ت حوالي 400هـ/1013م) بعنوان التصريف لمن عجز عن التأليف⁴.

إنّ عملية صناعة الورق قد أثرت بشكل فعلي على مردود إنتاج الكتب والمخطوطات

1- عبد الله المنيف : صناعة المخطوطات في نجد ما بين منتصف القرنين العاشر حتى الرابع عشر الهجريين ، ط 1 ، أروقة الدراسات والنشر، عمان ، الأردن، ط1، 1435/2014، ص146
2- الهروي أبو القاسم بن سلام (ت 224): غريب الحديث ، مراقبة : محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، 1384/1964، ص: ي و من مقدمة الكتاب.
3- أنظر الملحق : رقم 04، ص 278
4- أنظر الملحق، رقم 05، ص 279

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

فزادت الحصيلة من المؤلفات ودخل المسلمون عصر العلم الحقيقي بعدما انتقلت المعرفة من مرحلتها الشفوية التقليدية إلى المرحلة التطبيقية من خلال التدوين النهائي لها ومع المخطوط برزت الصورة الحقيقية للعقل الإسلامي أمام الأمم المعاصرة التي كانت تعيش في تلك الفترة عصورها المظلمة وكم من مخطوطات كتبتها أنامل المسلمين سرقت ونهبت وأحرقت بعد عملية الإسترداد التي بدأت من الأندلس خشية أن تتسبب تلك الأعمال لأصحابها ويكون الأوروبيون في الصدارة، لكن بالرغم من حملات التشويه والتزوير التي حدثت لا تزال الشواهد التاريخية قائمة من خلال تجارب المسلمين التي رسموها في مخطوطاتهم ولم يستطع الكثير منا اليوم كشف أسرارها منها على سبيل المثال الخريطة التي رسمها اليعقوبي مقلوبة في نظرة جغرافية مبهرة لا تزال تثير التساؤلات إلى يومنا هذا .

ارتفعت قيمة الورق عند المسلمين في العصر العباسي خاصة بسبب شهرة الكتاب الذين كانوا يتولون منصب الوزارة مثل يحيى بن خالد البرمكي، وقد ساهم الورق في ازدهار فن الرسائل سواء الداخلية أو الخارجية، والتي كانت تكتب بأسلوب شيق ومختصر، كما قال الوزير يحيى بن خالد البرمكي لكتابه: إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات اختصارا فافعلوا¹، علما أن ارتفاع قيمة الكتاب أدى إلى بعض النتائج السلبية وهي العداء بينهم وبين الوزراء كما وقع لكاتب الخليفة المنصور ابن المقفع مع دسائس المورياني حتى قتله².

إن كمية المؤلفات التي كتبها المسلمون ترجع كذلك إلى مستواهم اللغوي الرّاقى في اللغة العربية فكان الكاتب يلون في أسلوبه، فيكتب بأسلوب جزل مرة، ثم يأتي بأسلوب سهل في أخرى، فيلين حيث ينبغي اللين، ويشدد حيث ينبغي قوة السبك وعلى ضوء هذا قال أبو الهلال العسكري: ومن هذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق، وأبا نواس على مسلم³، بمعنى أن الذوق

1- الجهشباري: المصدر السابق، ص155

2- نفسه : ص75

3- العسكري أبو هلال (ت حوالي 395هـ): الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية،

بيروت، 1419، ص24

الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي

الفني في التأليف عند المسلمين لم يكن ماديا فقط من ناحية توفر القلم الجيد والورق وإنما في استواء الكلام وتقاسيمه، وتعادل أطرافه وهو ما تعارف العلماء على تسميته بصحة التقسيم، ذلك لأن من سوء صناعة الكتابة سوء التقسيم وفساد التفسير وقبح الإستعارة وفساد النسيج والسبك وهو الذي نبّه إليه أبو الهلال العسكري على أن يقسم الكلام قسمة متساوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه¹.

إن إتقان علوم اللغة العربية كان شريكا فعالا للمسلمين في صناعة الكتابة² التي تقوم أساسا على هذا العلم والدربة، ولا سيما العلم بصحيح الألفاظ وإصابة المعنى، ومن هذا المنطلق شكل اهتمام المسلمين بعلوم اللغة من جهة وتطور أوعية الكتابة من جهة أخرى منعرجا في نهضة الأمة من مركز الخلافة إلى الدويلات المنتشرة داخل دار الإسلام شرقا وغربا، وقد ساهم الإسلام بشكل فعال في ارتقاء لغة المسلمين وآدابهم حتى أصبحت لغة العلم في ذلك العصر، ويرجع السر في ذلك كمال هذه اللغة الذي حير المختصين لأنه يرجع إلى مصدرها فكمال المظهر يدل على كمال المصدر، فهي إلهية المصدر³، فقد سمح الورق في نسخ الآلاف من نسخ القرآن الكريم التي تنافس الخطاطون في إخراجها، ووصل الأمر بالحكام الذين كانوا يحرصون على جلب أشهر الخطّاطين في دواوينهم، ومحاولة تقليد السابقين ومنافستهم في نسخ القرآن.

إن اللغة العربية دفعت المسلمين نحو المزيد من إنتاج الورق لأنها أصبحت مع مرور الوقت المصدر الأساسي لفهم المعرفة التي تكونت عند المسلمين في ذلك الوقت، وإلى جانب القرآن الكريم كان لتدوين السنة النبوية أثر فعال في بلوغها أحسن المراتب، كيف لا واللغة العربية لم تعرف بعد القرآن الكريم كلاما يسامي الكلام النبوي أو يدانيه فصاحة ومبنى وبلاغة

1-العسكري أبو الهلال : المصدر السابق، ص341

2- عطوي رفيق خليل: صناعة الكتابة، علم البيان، علم المعاني ، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1

1989، ص 14

3- البوريني عبد الرحمن أحمد : اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، عمان، ط1، 1998/1419، ص51

وجمال أسلوب وجلال قدر وبراعة تركيب وروعة تأثير وإنه كما يقول الجاحظ : "لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم"¹، وبالتالي فإن تدوين السنة النبوية أصبح ضرورة حتمية مع ابتعاد القرون الأولى وهو ما لفت أنظار المسلمين الذين ساعدتهم الورق بصفاته المميزة على كتابة مؤلفات عدة حول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله من جهة والأحاديث المأثورة والمتواترة عن الصحابة والتابعين.

دفعت اللغة العربية المسلمين نحو التأليف فكانت بمثابة القلب الذي يصب فيه التفكير فكلما ضاق هذا القلب واضطربت أوضاعه، ضاق نطاق الفكر، واختل إنتاجه، وإن اللغة العربية وجدت القلب الذي صب فيه المسلمون فكرهم وهو الورق ومنه لم تعرف البشرية من حيث الكم ما لها في الأدب وفي الكتب الدينية وهو ما جعلها من اللغات الأكثر تأثيراً على اللغات الحية الأخرى، فالغة الإسبانية لوحدها تحتوي على آلاف المفردات المشتقة منها².

وهذا لا ينفي أنها أخذت من غيرها فكثير من الكلمات اليونانية دخلت إلى اللغة العربية مع الترجمة أيام الدولة العباسية، كما انتقلت كلمات عربية إلى العلوم الأوروبية في القرون الوسطى من خلال احتكاك الشعوب المسلمة في بلاد الشام بالصليبيين وبأوروبا عبر الأندلس وكذلك عن طريق التجار والرحلات العلمية³.

أعان الورق بشكل واضح وحاسم على نقل التدوين الفكري من الذاكرة إلى الشكل المكتوب بحيث كان من العوامل المساعدة على ظهور التأريخ عند العرب المسلمين، وما من شك أن الحركة الثقافية الإسلامية قد وقعت بمعرفة الورق وصنعه، على أداة ثورية في تثبيت الفكر وفي نشره وفي توسيع مادته، إلا أن البعض أشار إلى أن الانتشار التدريجي للورق قد أعان

1- طه الراوي: تاريخ علوم اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021، ص88

2- ناصر محي الدين ملوحي: وجيز كتاب اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق ، 1441 / 2020، ص 136

3- البوريني: المرجع السابق ، ص64

أيضا على إلغاء دور الرواة في علم التاريخ وفي غيره فإنه بذلك أورث الشك فيما دُون، لأن بقاء الرواية الشفوية أساسا في نقل العلم حتى مطلع القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي جعل بعض الباحثين يشك في أن القسم الأوفى من المئتين والثلاثين كتابا وبحثا التي ألفها المدائني ومثله ابن الكلبي قد كتب في حياته فعلا، وعلى أية حال فإن ظهور الورق وانتشاره قد واكب تزايد المادة التاريخية الإسلامية والرغبة في تدوينها، كما نما وانتشر معها، وكان بهذا عملا ثوريا في التدوين التاريخي وفي توسعته¹.

1- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم

للملايين، ج 1، 1978، ص 69

خاتمة الفصل الأول:

تَمَكَّنَت البَشَرِيَّة مِن اسْتِخْدَام مُخْتَلَفِ الْأَوْعِيَةِ الْكِتَابِيَّةِ لِكَي تَحْفَظ ثَرَاثَهَا وَلَا تَزَال شَاهِدَةً عَلَيْهَا الْآثَارُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا قَبْلَ اكْتِشَافِ الْوَرَقِ فِي الْصِّينِ الَّذِي تَحَكَّم الْمُسْلِمُونَ فِي صِنَاعَتِهِ فِي الْمَشْرِقِ تَحْتَ رِعَايَةِ سِيَاسِيَّةٍ مُبَاشِرَةٍ خَاصَّةٍ فِي الْعَاصِمَةِ بَغْدَادِ الَّتِي أَنْتَجَتِ أَجُودَ وَرَقٍ فِي عَصْرِ الْأَنْوَارِ وَقَدْ مَثَّلَ الْوَرَقُ أَهَمَّ الْمَوَادِّ الْمُكْتَشَفَةِ وَالْمُصَنَّعَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَرَاقِينَ وَالْخَطَّاطِينَ وَالتَّسَاخِينِ الَّذِينَ حَرَّصُوا عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِالْآدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَرَاجِلِ الصِّنَاعَةِ وَالْبَيْعِ وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى شَكَلَ الْوَرَقُ بَدَايَةَ لِنِهَآيَةِ اسْتِعْمَالِ الْمَوَادِّ التَّقْلِيدِيَّةِ وَبِالنَّالِي التَّأْسِيسِ الْفِعْلِيِّ وَالْمُنْظَمِ لِلْمَكْتَبَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَازْدِهَارِ حَرَكَةِ التَّأْلِيفِ بِسَبَبِ سُهُولَةِ التَّدْوِينِ عَلَى هَذِهِ الْمَادَّةِ الَّتِي اجْتَهَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي تَخْصِيسِ الْأَقْلَامِ وَالْأَحْبَارِ الْمُلَائِمَةِ لَهَا قَصْدَ بُلُوغِ دَرَجَةِ الْإِنْتِقَانِ وَهُوَ مَا شَهِدَتْ عَلَيْهِ مُخْتَلَفُ الْمَخْطُوطَاتِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى الْوَرَقِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1. أشهر مواد الكتابة التقليدية في الغرب الإسلامي
2. التحقيب الزمني لصناعة الورق في الغرب الإسلامي
3. استعمال مصطلح الورق والكاغد في الغرب الإسلامي

المبحث الثاني: المواد الأولية لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1. الثورة النباتية

أ/ القطن

ب/ الأشجار

ج/ الكتان

د/ الحلفاء والقنب

2. الثروة المائية

2. 1 مصادر الثروة المائية في الغرب الإسلامي

أ/ مياه الأمطار

ب/ الأنهار والعيون

ج/ الآبار

المبحث الثالث: حواضر إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

1. القيروان

2. تلمسان

3. فاس

4. شاطبة

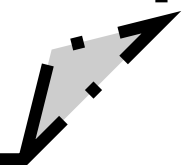
المبحث الرابع: نتائج صناعة الورق بالغرب الإسلامي

1. النسخ والتأليف

2. ازدهار المكتبات

3. الخط

4. الزخرفة والتلوين



مُقَدِّمَةُ الْفَصْلِ الثَّانِي :

يَهْتَمُّ الْفَصْلُ الثَّانِي بِدِرَاسَةِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ خِلَالِ مُحَاوَلَةِ التَّأْرِيخِ الزَّمَنِيِّ لِمَعْرِفَةِ الْمُنْطَقَةِ بِهِ وَالَّذِي يَعُودُ إِلَى الْفَتْرَةِ الْأَغْلَبِيَّةِ فِي الْعَاصِمَةِ الْقَيْرَوَانِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَدْنَى فِي حُدُودِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ هِجْرِي التَّاسِعِ مِيلَادِي، كَمَا يُنَاقِشُ إِشْكَالِيَّةَ الْمُصْطَلَحِ مَا بَيْنَ الْكَاعْدِ وَالْوَرَقِ مُبْرِزِينَ خِلَالَ الْمَبْحَثِ أَسْبَابَ إِطْلَاقِنَا تَسْمِيَةَ الْوَرَقِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ عَلَى دِرَاسَتِنَا، وَمِنْ أَجْلِ تَكْوِينِ قَاعِدَةٍ صِنَاعِيَّةٍ لِلْوَرَقِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّ هَذَا الْأَخِيرَ تَوْفَّرَ إِقْلِيمُهُ عَلَى مَوَادِّ أَوَّلِيَّةٍ رَيْسِيَّةٍ وَمُهَمَّةٍ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ وَالْقُنْبِ وَالْأَشْجَارِ وَهِيَ مِنَ الْمَوَادِّ السَّلِيلُولُوزِيَّةِ الْغَنِيَّةِ وَالْأَفْضَلِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَوْدَةِ الَّتِي سَاهَمَتْ فِي بَرُوزِ حَوَاضِرِ الْإِنْتِاجِ ابْتِدَاءً مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَتَلَمْسَانَ وَفَاسَ وَمَدِينَةِ شَاطِبَةِ وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُدُنَ قَدْ مَثَلَتْ قِمَّةَ الصَّنَاعَةِ لِلجَنَاحِ الْغَرْبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ حَيْثُ إِزْدَهَرَتْ فِيهَا الْمَكْتَبَاتُ وَارْتَفَعَتْ مَعَهَا حَرَكَةُ التَّأْلِيفِ وَتَطَوَّرَ بِفَضْلِهَا الْخَطُّ الْمَغَارِبِيُّ وَالْأَنْدَلُسِيُّ وَبَرَزَتْ شَخْصِيَّةُ الْمُنْطَقَةِ فِي الْفُنُونِ وَالزَّخْرَفَةِ.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المبحث الأول : التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1 / أشهر مواد الكتابة التقليدية في الغرب الإسلامي

استخدم سكان الغرب الإسلامي أوعية الكتابة التقليدية على غرار الأمم الأخرى وكان أشهرها ورق البردي والورق المصنوع من الرق ابتداءً من منطقة المغرب الأدنى بعاصمته القيروانية الشهيرة، فيذكر مثلاً الرقيق القيرواني حين حديثه عن ولاية عبد الرحمن بن حبيب (ت137هـ / 755م)¹ الذي أرسل أخاه إلياس لمواجهة الثائرين عليه من أمثال عروة بن الزبير الصّدي وابن عطاء الأسدي وثابت الصنهاجي بباجة الذي كان ينتظر جالسا على كدية الجلود حتى طلعت عليه الشمس، إذ قيل له هذا فارس قد أقبل: قال هل ترى غيره؟ قال لا : قال فهذا بريد، وهو الفتح وجاء البريد، فلما رآه أقبل إليه ورمى برأس ابن عطاء بين يديه فدعا بدواة وقرطاس وكتب إلى إلياس أن عروة بن الزبير وأهل تونس سيظنون أننا نغتم هذا الفتح فإذا جاءك كتابي، فانزل واسترح واعلف ثم سر إلى تونس².

والشاهد من هذه الحادثة أن القرطاس كان متداولاً في منطقة المغرب الإسلامي ولكن ليس للعامة وإنما لطبقات معينة، وفي نفس سياق الحادثة يذكر الرقيق أن عبد الرحمن بن حبيب دعا برجل فأعطاه أطماراً وأعطاه كتاباً، وقال له امض حتى تدخل عسكر ابن عطاء، فإذا أشرف عليهم إلياس ورأيتهم تداعوا بالسلاح فأقم فيهم، فإذا زهق إلياس عنهم ووضعو السلاح وتمحقوا، تسلل حتى تأتي إلياس في مكان كذا وكذا فأمرته أن يقف لك هنالك³ بحيث يظهر لنا كذلك من هذه الحادثة أن عبد الرحمن بن حبيب قدم للجاسوس

1- عبد الرحمن بن حبيب الفهري: والي إفريقية سنة (127هـ / 745م) من أسرة الفهريين الذين استقل رجالها بالحكم في إفريقية، خرج من الأندلس ونزل تونس عام (127هـ / 745م) أثناء ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي فدعا الناس إليه فأجابوه وزحف إلى القيروان وطرد منها عامل الخليفة واستبدّ بأمورها وعين على نواحي الولاية إخوته وأصفياه. أنظر: محمود حسن أحمد نصار: عبد الرحمن بن حبيب الفهري واليا على إفريقية (127هـ - 137هـ / 745م - 755م)، مجلة قطاع

كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها، جامعة الأزهر، مصر، المجلد 11، العدد 1، 2017، ص 1877

2- الرقيق القيرواني أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم (ت425هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، 1994، ص74.

3- نفسه: ص 73

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

طوماراً من ورق البردي كوسيلة إغراء للتسلل وسط الجيش، وإنَّ إعطاءه طوماراً من البردي دليل على قيمته فكيف لجاسوس أن يُضحى بنفسه من أجل ورق لو لم يكن ذا فائدة كبيرة عليه، فمن الواضح أن امتلاكه لم يكن للتعلّم وإنّما لبيعه من أجل كسب المال فقط، وقد ذكر أبو العرب في ترجمته لشخصية إسماعيل بن رباح (ت212هـ/827م) أنّه مرَّ على دار أبي محرز القاضي، فإذا على القناة التي تجري بين يدي داره قرطاس فيه اسم من أسماء الله، قد همَّ أن يغرق في الحمأة، فخاف إسماعيل إن حاول إخراجها بقصبة أن يغرقه فيتلطخ ذلك القرطاس بالنجاسة فألقى كسائه على الطريق ورمى بنفسه في القناة وليس عليه إلا مئزره، قال: فساخ فيها إلى الورك وأخذ القرطاس بيده، وجعل يتخلَّل في القناة يلتمس موضعاً يسهل عليه منه الخروج، فلم يزل كذلك حتى انتهى إلى موضع أمكنه الخروج منه، فخرج وقد اجتمع الرجال والصبيان والنساء ينظرون إليه¹، والشاهد من هذه الحادثة أن القرآن الكريم وتدوين الآيات القرآنية كان يُكتب على القراطيس في بادئ الأمر وهو ما نستنتج من هذه الحادثة التي وقع فيها ورق البردي في الوحل أي في قناة الصرف الصحي التقليدية في ذلك الوقت وفيه اسم من أسماء الله الحسنى فتدخل هذا الولي الصالح لكي لا يتعرض اسم الله للتدنيس في هذه النجاسة.

وذكر أبو العرب أيضاً أن ماتع بن عبد الرحمن الرُعيني إذا سجل قضية ختم في أسفلها يكتب تحت الطابع بقي شيء يعني الرشوة، وذكر عنه أنّه خلف طوماراً مكتوباً فيه إنّما حكمت لفلان على فلان لأنَّ فلان سألني فيه²، وبعيداً عن مساوئ هذا الرجل الذي كان يحكم بغير عدل بسبب سؤال السلاطين إياه وأصحاب النفوذ فإنه ترك طوماراً من ورق البردي وهي عبارة عن صحيفة نستدل بها على استخدام سُكان منطقة المغرب الإسلامي لورق البردي ولكن لطبقات معينة فقط وهو ما اتضح جلياً من الشاهدين السابقين، ولعلَّ أنَّ

1- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت333هـ): طبقات علماء إفريقية وطبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 70

2- نفسه : ص32

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

من إيجابيات ورق البردي المهمة هو تصحيح الكثير من الأخطاء التي وردت في المصادر التاريخية التقليدية وفتح مجال آخر للباحثين في التنقيب عن مواضيع تشمل الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وطرحها بصورة جديدة .

إنَّ الجَزم النَّهائي بتوفر ورق البردي في المغرب الإسلامي بتلك الصورة التي كان عليها في المشرق ليس بالأمر الهَيِّن بحكم عدم توفر الشواهد التاريخية التي تُثبت قطعاً تداوله في المنطقة إلاَّ أنه يمكننا القول أن استعمال الطوامير والقراطيس كان معمولاً به طيلة فترة الدولة الأغلبية (184هـ _ 296هـ / 800هـ _ 909م) وكذلك الدُولات المستقلة بمعنى في القُرون الهجرية الثلاثة الأولى¹، ومن جهة أخرى لا ننفي دور الألواح الخشبية في التعليم الأول الذي كان البربر في أمس الحاجة إليه لتعلم أمور دينهم فقد ذكر أبو العرب كذلك أن إسماعيل بن رباح كان في طفولته يُحضر الكتاب فإذا حفظ ما في لوحه غَسَلَ ما فيه من القرآن بالماء في إناء مُعد لذلك²، وهذه الطريقة التقليدية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا في بعض المَحَضرات القرآنية التقليدية المحافظة خاصّة في المناطق الصحراوية، ومن الدلائل الأولى على الكتابة بهذه الطريقة ما ذكره الشَّماخي في سِيَرِهِ في حديثه عن عمر بن يَمَكْتَن الذي كان من العلماء أَنَّهُ هو أول من علَّمَ القرآن بجبل نفوسة بحيث دَرَس في صغره القرآن بطريق مغمَداس يتلقى فيها السائلة والمارة من المشرق فيكتبُ عنهم لوحة من القرآن وينصرف فإذا حَفَظَهُ رجع إلى المحجَّة فيكتب من المارة والرِّفاق كذلك حتى حفظ القرآن وهو أصغر ولد³، والجدير بالذكر أنَّ وسائل الكتابة كانت تقليدية بحكم طبيعة المنطقة وأنَّ البربر كانوا حديثي العهد بالإسلام لذا أولى الولاة الأوائل اهتماماً كبيراً بشؤون التعليم فقد رَوَى الرقيق

1- بحروني عبد الحميد: الرق والورق في القيروان ، أعمال ندوة إسهامات القيروان العلمية والتقنية، جامعة الزيتونة ،

مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، جامعة الزيتونة، 2009، ص154

2- أبو العرب: المصدر السابق، ص 71

3- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت928هـ) : كتاب السير ، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث

القومي والثقافة ، سلطنة عمان، ط2، 1996/1412، ج1، ص167

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

القيرواني أنّ موسى بن نصير¹ أمر العرب أن يُعلّموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين، وممّا زاد الأمر شيوعاً وانتشاراً، البعثة الدينية المؤلفة من عشرة أتباع التي أرسلها خليفة المؤمنين عمر بن عبد العزيز (ت101هـ/720م) إلى القيروان قصد تعليم السُكّان وإرشادهم إلى الدّين الصّواب، حيث حكى غيّاث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن أبي وهب يمرُّ علينا ونحن غلّمة في القيروان فيُسلم علينا في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه، وعلى ضوء هذه الحقائق يتبين أنّ الفاتحين الأوائل استغلّوا جميع وسائل الكتابة لتدريس سكان المنطقة الذين بدأوا يتكونون مع مرور الزمن.

كان البردي المستعمل في بلاد المغرب الإسلامي يُستورد من مصر ويُجلب من صقلية التي فتّحها الأغالبة حيث يذكر ابن حوقل أنّ في أرضها بقاع قد غلب عليها البربر وهو البردي المعمول منه الطوامير ثم يقول: "ولا أعلم بمصر من هذا البربر نظيراً على وجه الأرض إلّا ما بصقلية منه، وأكثره يُقتل منه حبلاً وأقلّه يُعمل للسلطان منه طوامير لا تزيد عن قدر كفايته"² وفيه إشارة أن طوامير البردي كانت تذهب للجهات العليا بخاصة الحُكّام ووُلاة الأمور في دواوين وسجّلات الدولة، أمّا بالنسبة للعبيديين فقد اتبعوا مسلك من سلفهم من الأغالبة في استعمال البردي الصقلي، ولهذا السّبب لم يكن له أثر كبير على المظهر العلمي الإفريقي، لدرجة أننا لم نعثر على قطعة صغيرة منه فيما وصل إلينا من تراث العصر³، وهو ما يمكن تفسيره على أنّ العبيديين لم تكن لديهم نيّة البقاء في منطقة المغرب الإسلامي وبالتالي

1- موسى بن نصير: بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي بالولاء، نشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس وبنى بها حصوناً، وخدم بني مروان، ونبه شأنه، وولي لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وفتح إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان، ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولاه إفريقية الشمالية وما وراءها من المغرب سنة 88 هـ/707م فأقام بالقيروان، دخل إلى إسبانيا سنة 93 هـ/712م، وفتح بها عدة مدن إلى جانب طارق ابن زياد، توفي سنة 97 هـ/716م. أنظر الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص 330

2- ابن حوقل البغدادي محمد الموصلي (ت بعد 367هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1947،

ج1، ص 122

3- حسن حسني عبد الوهاب: البردي والرق والكاغد في إفريقية التونسية، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة

الدول العربية، مجلد 2، ج1، شوال 1375/ماي 1956، ص 41

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

فهي كانت مسألة وقت للزحف على المشرق فُصنعهم للورق من وجوده أو عدمه لم يكن من ضروريات تلك الفترة لأن مشروعهم الحقيقي كان سياسيا ومذهبيا يقوم على تأسيس صرح شيعي إسماعيلي وقاعدة مذهبية متينة حاولوا أن يفرضوا وجودهم من خلالها في بلاد المغرب الإسلامي بشتى الطرق والوسائل لأن هذه المنطقة كانت تعج بالمذاهب المخالفة لها والتي اعتنقها المسلمون لسنوات طويلة وأقصد بها المذهب السني المالكي¹، الذي كان يُمثله فطاحلة العلماء الكبار الذين حاولوا مقاومة المد الشيعي وأباطيله وبدعه سنوات طويلة عن طريق الإنكار المباشر أو من خلال نُصح العامة من مخالقاتهم وبدعهم الكثيرة التي تجاوزت حدود الشريعة الإسلامية وتعدت على حُرّمات الناس وأعرافهم وتقاليدهم رغم ما تعرض له أتباعه من عمليات تعذيب وسجن وتضييق وقتل إلا أنه بقي صامدا ومحافظا على تعاليم الإمام مالك واستمر شرح كتاب الموطأ خُفية من كيد العبيديين إضافة إلى المذهبيين الخارجيين اللذان احتلا مكانة بارزة في تاريخ المنطقة وهما الصفري² في سجلماسة والذي مثلته الدولة المدثرية³

1- هو مذهب الإمام مالك ابن أنس ويعتبر أشهر مذهب عرفته منطقة المغرب الإسلامي، ويعد القرن الثاني هجري قرن انتشار المذهب وقد ساهمت الرحلة في طلب العلم دورا في تغلغل المذهب إلى المنطقة، ويرجع المؤرخون تاريخ تواجده بالمغرب الإسلامي انطلاقا من النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ومن أشهر رواد المذهب البهلول بن راشد (ت183هـ)، وأسد بن الفرات (ت231هـ)، وقد أشارت كتب الطبقات إلى أكثر من ثلاثين من تلاميذ الإمام مالك من إفريقية، إلا أن مرحلة التأسيس الفعلية وبداية شهرة المذهب الواسعة كانت على يد أبي سعيد عبد السلام بن سعيد حبيب المعروف بسحنون. أنظر: الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، دار تبر الزمان، تونس، 2004، ص19.

2- الصفريّة: اختلفت الروايات في أصل التسمية فمنهم من نسبهم إلى زيادة بن الأصفر ومنهم من نسبهم إلى عبد الله بن الصفار وقيل أنهم سمو بالصفريّة نسبة إلى الصفرة التي كانت تطبع وجوههم من كثرة قيام الليل والسهر للعبادة والزهد في الدنيا، من أشهر عقائدهم أنهم لم يكفروا القاعدين عن القتال وكانوا يقولون بالنقية في القول دون العمل، أما الكفر عندهم فهو يتمثل بكفر النعمة، وكفر بإنكار الربوبية. أنظر: الشهرستاني تاج الدين أبو الفتح (ت548هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد السيد الكلاّني، دار المعرفة للطباعة، بيروت، 1980، ج1، ص138.

3- تسمى إمارة بني مدرار الصفريّة التي كونها خوارج مكناسة بزعامة أبي القاسم سمكو بن واسول عام (140هـ/757م) وأسند إمامتها في البداية إلى عيسى بن يزيد الأسود وهي من أوائل الدول المستقلة عن الخلافة العباسية سقطت عام 976/366م على يد مغراوة الزناتية المتحالفين مع أموي الأندلس، وكانت عاصمتها سجلماسة. أنظر: شهيبي عبد العزيز: تاريخ المغرب الإسلامي، مختصرات لطلاب الجامعات، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2013، ص 32.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

والإباضي في تيهرت وقد مثلته الدولة الرستمية¹ في المغرب الأوسط، ومما نستنتجه أيضا أن صناعة ورق البردي وما شابهها تتطلب وجود حضارة مدنية وحياة علمية مميزة تساهم في زيادة الطلب على هذه المادة وهو ما يقودنا إلى تفسير قلة الشواهد الدالة على توفر مادة الورق أو الرق بكثرة في منطقة الغرب الإسلامي إلى طغيان المشاكل السياسية على الحياة الحضارية بصفة عامة.

كما كتب البعض من القضاة على الشقاق بحيث يشير في هذا الصدد محمد الجودي أن أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القاضي (ت190هـ / 806م) كان إذا جلس رمى الخصوم الشقاق بها قصصهم مكتوبة فوجد يوما شقفة فيها قصة نخاسي البغال² من المواد المشهورة التي استعملها سكان منطقة الغرب الإسلامي الرقوق بسبب وفرة الجلود البرية حيث نجد مثلا أن أبا القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي المعروف بالسيوري (ت462هـ / 1079م) الذي كان لا يلبس الفرو ولا النعال ولا الخفاف إلا من جلود الوحوش ولا يكتب جواب مسألة ولا غير ذلك إلا في رق قديم أو ما كان من جلود الوحوش وذكر صاحب المدارك في ترجمة أبي إسحاق الجبنياني (ت 399 / 1008م) وهو من الأئمة المالكية الكبار أنه رحل إلى القيروان وصادف فيها فتنة أبي يزيد³ أين ترك شراء الرق⁴ وفي ترجمته

1- الدولة الرستمية: (160هـ - 296هـ / 777م - 909م) أسسها في المغرب الأوسط عبد الرحمن بن رستم بعدما قام كبير دعاة المذهب الإباضي في طرابلس أبو الخطاب بتعيين عبد الرحمن ابن رستم واليا على القيروان سنة 143هـ وبعد مقتل أبي الخطاب سنة 144هـ غادر عبد الرحمن ابن رستم إلى تيهرت في جبل سفجج، ومنذ 148هـ / 765م شرع مع جماعة من معتقي المذهب ببناء المدينة التي صارت عامرة ومركزا للدولة الرستمية حتى سقطت سنة 296هـ / 909م بمقتل آخر الأئمة وهو البيقظان بن أبي البيقضان أمام ضربات الشيعة. أنظر: شهيبي عبد العزيز: المرجع السابق ص34

2- محمد الجودي، تاريخ قضاة القيروان، تحقيق: أنس العلاني، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2004، ص 60

3- أبو يزيد الخارجي: هو أبو يزيد مخلد بن كيداد ابن سعد بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورميث بن تيقراسن بن سميدان بن بفرن. أنظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة ببيروت، ص216. المشهور بلقب صاحب الحمار ويرجع نسبه إلى قبيلة زناتة، بدأت ثورته في المغرب الاسلامي سنة (322هـ / 934م)، إلى غاية انهزامه على يد العبيديين والجيش الكتامي في المسيلة سنة (363هـ - 948م) في عهد الحاكم الفاطمي القائم بأمر الله ثم إسماعيل الملقب بالمنصور.

4- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد

أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، ط1، 1983، ج6، ص230

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

للفقيه مسرة بن مسلم بن ربيعة الحضرمي (ت 390هـ / 999م) في زهده وأخباره أنه أقام ستة عشر عاما في دكان وفي زاوية البيت لا ينزل إلا لحاجة إنسان ثم قال: "كنت في شببتي أورق، فغلا الرق، فوقف بي هاتف فقال: أبا بكر إذا غلت الرقوق يُرخصها العلم الرفيق"¹، ومنه نستنتج من ترجمة هؤلاء الأعلام أن الرق كان أيضا من المصادر الكتابية المتداولة في ذلك الزمن بالرغم من وجود بعض المشاكل مثل الثورات السياسية وكذلك غلاء سعره وهي من الظواهر الاجتماعية العادية التي تدخل في إطار قانون العرض والطلب .

ولم تكن الكتابة على الرق بطبيعة الحال حكرا على منطقة الغرب الإسلامي فقط بل في المشرق أيضا فيذكر ابن خلدون مثلا أن السجلات كانت أولا لإنتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك مع ذلك فاقترضوا على الكتابة في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها إلى الصحة والإتقان² وقد قدم لنا الأستاذ إبراهيم شيوخ بحثا مميذا عن مكتبة القيروان حيث أشار إلى أنها تحتوي على مجموعة من الرقوق التي لا تكاد توجد في مكتبات أخرى ويضيف على أنها تعد من طرائف التراث الإسلامي في المئات: الثالثة، الرابعة، الخامسة، لما تحتفظ به من وثائق مترابطة تكشف عن جوانب هامة من الثقافة الإسلامية في إفريقية ومن الفنون الزخرفية فيها،³ ويتفق الأستاذ حسني عبد الوهاب مع هذا الرأي بقوله: "ومن يطلع على قناطير الرقوق المحفوظة في المكتبة العتيقة بجامع عقبة في القيروان يرى ما يُدهش الأبصار من دقة الصنعة وجودة تحضيره وإتقانه"⁴، ومن المصادر التي أكدت على توفر هذه المادة ما ذكره المقدسي بقوله: "وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق"⁵ حيث وصلت صناعة الرقوق

1- القاضي عياض: المصدر السابق، ج6، ص 271

2- ابن خلدون : المصدر السابق، ج1، ص532

3- ابراهيم شيوخ، سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية ، ج1، ماي 1956، ص339

4- حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص 43

5- المقدسي البشاري أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط3، 1411/ 1991، ص 239

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الى أرقى درجاتها، أين أتقن المغاربة طرق تجهيز الرق حتى وصلوا إلى تلوينه ما بين الأخضر والأحمر وكذلك الأزرق أين توجد في متحف رقادة ورقة من الرق لمصحف تعود للقرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي مكتوبة بخط كوفي مذهب¹ واللون الأصفر الزعفراني وكذا الصبغة البرتقالية، كما ساهمت مميزات الرق في استخدام أحبار ملونة خاصة بهذه المادة، وهي دليل على إتقان أهل المنطقة الصباغة والصقل وطرق التذهيب التي تزينت بالخط المغربي الشهير، أما الأندلس فقد انتقلت إليها حرفة صناعة الرق من القيروان فقد استدعى الأمير الحكم بن هشام ولي عهد الأندلس (ت206هـ / 822م) عثمان بن سعيد الصيقل مولى من موالى الأغالبة لكي يلتحق بقرطبة ويختصه بصناعة الرق فيها وإبراهيم بن سالم التونسي ويعرف بالوراق اتصل به كذلك الحكم بن هشام فجعله على صناعة الرق، وكذلك محمد بن حارث الخشني رحل إلى الأندلس في عهد الأمير الحكم فخصصه في عمل الوراقة والتزويق وتركيب الأصباغ والأدهان وحلي الذهب، كما رحل إلى الأندلس محمد بن يوسف المشهور بالوراق في عهد الحكم الثاني.

وجاء في سيرة أبو العرب أن رجلا قال له: "أراك تأتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك، ما هذا حقيقة طالب العلم فقلت له، والذي راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنني من شيء أشتري به الرق، فقال لي أنا أعطيك جِلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت أكتب لنفسني ماشئت وأكتب له في جلوده ما يُحب حتى يسّر الله عزّ وجل ما اشتريت الرق وما قويت به على طلب العلم².

وبالتالي نستنتج من سيرة العلامة أبو العرب أنّ في القرن الرابع الهجري، كان الرق من الوسائل الكتابية المتداولة في طلب العلم رغم عدم تحصيل الأغلبية من الطبقات المتوسطة عليه بسبب غلاء ثمنه، ولكن مع ذلك اتضح لنا من بعض الشواهد رواج هذا المنتج في الكتابة.

1- أنظر الملحق : رقم 06، ص 280

2- القاضي عياض : المصدر السابق، ج5، ص325

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

نستشهد بالانتشار الواسع لاستخدام الرق في الغرب الإسلامي ما جاء عند القلقشندي على أن المغاربة لعده لا يزالون يكتبون المصاحف الشريفة على الرق، ومن معطيات هذه الإشارة يمكن القول باستمرارية الغرب الإسلامي في استخدامه مع العلم أن وفاة مؤلف صبح الأعشى كانت عام (821هـ/1418م)¹، علما أن تداوله امتد إلى القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، في العديد من مناطق العالم حيث نجد مثلاً في فرنسا أنه وفي خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي قام الملك لويس 14 Louis XIV بتكليف المستشرق بوتي دولاكروا Petit De la croix بأن يشتري له ألفاً وسبعمائة قطعة جلدية منه لكي يغلف كتب الخزانة الملكية .

أما عن طريقة صنعه في الغرب الإسلامي فهي نفسها في المشرق فكان عامل صانع الرق (الرقاق) يبدأ بإزالة الشعر إما بآلة حادة أو بوصفات كيميائية عن طريق غمر جلد الحيوان في حمام من الجير لتسهيل عملية نزع الشعر حيث أشار ابن النديم في الفهرست إلى معجون مكون من الجير والزرنيخ، علما أن صحة الحيوان كانت تؤخذ بعين الاعتبار بالنسبة لجودة الرق، فالحيوان الذي يعاني من سوء التغذية ينتج جلداً رقيقاً وضعيفاً ذا ملمس غير منتظم ويعيبه انطباع شكل العظام عليه² وهو ما نوه إليه ابن عبدون في رسالته التي كتبها في الأندلس في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي بأن لا يصنع الرق من الضأن المهزولة، ومنه نستنتج أن اختيار الجلد كان يُعد أمراً مهماً في الصناعة حيث يقول الجرسيفي في هذا الصدد بعد تنبيه الكغادين: "ويتأكد الأمر فيهم، إذ عليهم مدار الدين والدنيا، وكذلك الرقاقين في اختبار الجلد، واعتدال التبشير والتنظيف"³.

1- المنوني محمد : المخطوط العربي وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، المغرب، ط1، 1994، ص20

2- ديروش فرنسوا: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي ، ترجمة: فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1426 / 2005 ، ص40

3- الجرسيفي عمر بن عثمان بن العباس (ت1212هـ): رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة، 1955، ص124

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

أما التقنية الأساسية الأخرى فهي كيفية إخراجه وتحسينه والتي تكون عن طريق تجفيف الجلد وهذا بطبيعة الحال بعد أن يُنقى جيدا من اللُّحوم والشحوم وغيرها من الشوائب عن طريق شده في إطارات خشبية تسمى مطاطة الجلود أو الهيكل ويتطلب ذلك مساحات وجدها الرّاقون الأندلسيون في أفنية المقابر مما دفع ابن عبدون إلى التذكير بأنه يجب أن لا تُبسّط الأقدار على أفنياتها وهو يقصد جلود الدّباغين والرقّاقين¹، ومنه نستنتج أن الرّقاّين كانوا يستعملون جلود الخرفان في المرتبة الأولى وهذا بسبب كبر مساحتها نوعا ما ونستدل بقولنا هذا بالدراسة التي أجرتها الباحثة الفرنسية كارلا بوزولو (Carla Bozzolo) والباحثة إزيو أورناتو Ezio Ornato) حول أحجام المخطوطات أن المساحة الصالحة للاستعمال من جلد خروف تقدر بـ: 48 × 60 سم وفي المقابل فإن الحيوانات الصغيرة مثل الغزال مثلا لا تسمح إلاّ بإنتاج كتب متواضعة الحجم² لذا نجد أن الكتب التي دُونت على الرُّقّوق كانت على العموم مستطيلة الشكل، كما استغل سكان المغرب الإسلامي جلود الثعابين في الصناعة حيث يذكر الفيكنت فيليب دي طرازي في كتابه إرشاد الأعراب أن خزانة الأسكوريال كانت بها مخطوطات عربية مصنوعة من المغرب ومسفرة بأغلفة مأخوذة من جلد الثعبان³.

من الشواهد الدالة على انتشار الكتابة على الرّقّ ماورد في نُسخ الكثير من المصاحف والمخطوطات التي نذكر منها:

ـ مخطوط محاذي الموطأ:

كتبه محمد بن تومرت الموحي (ت524هـ/1129م) على رَقّ الغزال وهو موجود في خزانة القرويين بفاس⁴.

1- ديروش فرنسو : المرجع السابق، ص 41

2- نفسه: ص 43

3- بنين أحمد شوقي : تاريخ كتب الخزائن بالمغرب، ترجمة : مصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1

1424 / 2003، ص239

4- أنظر الملحق : رقم07، ص 281

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

_ كتاب أعز ما يطلب¹ :

واسمه الأصلي **التعليق** من إملاء ابن تومرت ثم يعقوب المنصور وهو بذيل نسخة مراكش.

_ **الموطأ** :

برواية يحيى الليثي، ويرجع تاريخ الفراغ منه إلى رجب من عام 726هـ/1326م.

_ **ربعة المرتضى الموحدي (ت 665 هـ / 1268م)**

كتبت بخط أبي حفص عمر المرتضى بن السيد بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن، تتألف من عشرة أجزاء، في كل جزء منها ستة أحزاب² رغم أن فترته كانت متأخرة إلا أن بلاطه كان يتوفر على ديوان للخطاطين وفي عهده عرف أول مركز للنسخة وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى الموحدي.

_ **مصحف الأمير الزيري المعز بن باديس الصنهاجي**

كتب على ورق بني قديم بالخط الكوفي حيث توجد صفحة منه في متحف الفنون برقادة³.

_ **ربعة أبي زيان محمد الثاني (أبو حمو موسى الثاني ت 805 هـ - 1406م) :**

في عهد الدولة الزيانية انتشرت المصاحف المكتوبة على الرق وكذلك سجلات الجند والخراج وغيرها، ومن الآثار المادية الدالة على أن الكتابة على الرقوق كانت موجودة فعلا في العصر الزياني مخطوطة للمصحف الشريف قام بكتابتها الأمير أبو زيان على رق غزال بخط مغربي جميل، في بداية كل سورة محلى بالذهب، كتبه بتلمسان عام (801هـ/1399م) وهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1330 وجاء في آخره:

كمل الجزء الأول من الربعة المباركة، نسخه بيده، أمير المسلمين أبو زيان محمد، بحضرته مدينة تلمسان، آمنها الله تعالى، في سنة واحد وثمان مائة عرف الله خيره⁴.

1- بنين أحمد شوقي : المرجع السابق، ص 21

2- أنظر الملحق : رقم 08، ص 282

3- أنظر الملحق: رقم 09، ص 283

4- E. Lèvi Provençal: **Note sur un Coran royal du XIV^e siècle** , J Hespéris , 1921 p,p,

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

_ مصحف ابن مرزوق الجد (ت781هـ - 1379م)

ذكره صاحب كتاب نفح الطيب بقوله: ولقد رأيت مصحفه بتلمسان عند أحفاده وعليه خطه الرائق الذي أعرفه¹، وقد ذكر المنوني أن هذا المصحف محفوظ بمكتبة تطوان وهو بخط أندلسي عتيق على رق الغزال في حجم متوسط وكانت كتابته بمدينة بلنسية من الأندلس عام (599 هـ/1202م).

_ ربعة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (ت731هـ/1331م)

وهي مكتوبة على الرق موجودة في المكتبة الوطنية بالرباط²، حيث حصر تاريخه الأستاذ المنوني في كتاب قبس من عطاء المخطوط المغربي بين عام (710هـ/1311م، 731هـ/1331م) وهي فترة حكمه.

_ مصحف ابن غطوس البلنسي³

كتبه صاحبه بخط أندلسي جميل سنة (578هـ/1182م) وقد عرف هذا الأخير بإجادته الكبيرة لفنون الخط حيث يقول ابن الأبار أنه اشتهر بالإتقان لضبط المصاحف وعُني بذلك أتم العناية مع براعة الخط وحسنه، يتنافس الناس فيما كتب من ذلك هو وابنه محمد⁴. امتدت شهرة ابن غطوس المصحفية حتى إلى المشرق العربي بواسطة أخباره وعن طريق بعض مصاحفه المشرقة، فهذا الصلاح الصفدي يعقب على ترجمته الواردة عند الأبار في التكملة ويقول: "أخبرني الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن الصياد الفاسي بصنف سنة 726هـ أنه كان له بيت فيه آلة النسخ والرقوق وغير ذلك لا يدخله أحد من أهله، يدخله ويخلو بنفسه.

1- المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997، ج5، ص416

2- أنظر الملحق : رقم 10 ، ص 284

3- أنظر الملحق : رقم 11، ص 285

4- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995/1410، ج2، ص263

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

— ربعة أبي الحسن المريني (ت 752هـ / 1351هـ)

كتبها أبو الحسن المريني موجودة بالمتحف الإسلامي بالقدس تتكون من ثلاثين جزءاً، ضاع منها خمسة أجزاء عوضت بأخرى بخط مغربي عام (1221هـ/1806م) وبهذا يبقى من هذه الربعة بخطها الأصلي 25 جزءاً، مكتوبة على رق واستعمل فيها المداد و من المسك وعطر الورد.¹

وفي هذا السياق يبين ابن مرزوق أن أبا الحسن المريني نسخ مصحفاً وحبسه على شالة، ثم كتب ثلاثة مصاحف أخرى أهداها إلى المساجد الحرم الثلاثة، التي تُشد إليها الرجال من كل حدب وصوب، كما شرع في نسخ مصحف خامس برسم المقام الخليلي إلا أن المنية عاجلته قبل الإنتهاء منه²، وقد ذكر المقرئ إلى أنه قد وقف بنفسه على أحد تلك المصاحف وهو المصحف المحفوظ بخزانة بيت المقدس حيث يقول: كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخط يده وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرجال ووقف عليها أوقافاً جليلة، وقد كتب إلى سلطان مصر والشام توقيعه بمساحتها من إنشاء الأديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله:

مادحا كاتبها السلطان أبا الحسن المريني ... وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة³.

وحسب ما جاء في كتاب المسند لابن مرزوق فإنه هو بنفسه من تولى مهمة الإشراف على إجراءات ضبط وتفسير الربعة التي كتبها أبو الحسن ويستنتج ذلك من خلال حديثه عن الربعة التي كتبها السلطان برسم المقام الخليلي، حيث يقول: ثم شرع السلطان في نسخه برسم الخليل ولم يبق منها إلا عدة أوراق وبقية تذهيب وضبط وتقدمت بها من بجاية إلى تونس، وشرعت

1- أنظر الملحق : رقم 12، ص 286

2- ابن مرزوق التلمساني محمد (ت 781هـ): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق:

ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص 475

3- المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ص 400

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

في جمع المسافرين لها، وتقدم معي أبو القاسم بن أبي طلاق، فجمعنا الناس لتكملة الضبط.¹

— مصحف أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (ت685هـ / 1286م)

مكتوب على رق نسخ سنة 648هـ / 1250م.²

— مصحف أبي يعقوب يوسف المريني (ت707هـ / 1307م)

توجد صفحة كتبت على رق بماء الذهب وهي محفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك³

كما يوجد في مكتبة منشين بألمانيا على الصفحتين الأخيرتين من مصحفه.

كما أحصى المنوني جملة من المصاحف التي كتبت على الرق نذكر منها:

— مصحف على رق الغزال، كتب بمدينة بلنسية عام (559هـ / 1164م) وهو مخطوط بمكتبة

المعهد العالي بتطوان.

— مصحف كتب على الرق في العشر الأول من رمضان عام (573هـ / 1178م) بالمكتبة

الزيدانية بمكناس تحت رقم 3595.

— مصحف على الرق بتاريخ العشر الآخر من ذي الحجة عام (598هـ / 1202م) في الخزانة

العامة بالرباط.

يتضح مما سبق بيانه من استخدام مادة الرق كوعاء للكتابة أنه كان رائجا خاصة في كتابة

المصاحف وهذا راجع لعدة أسباب منها:

— توفر مادة الجلد في منطقة الغرب الإسلامي التي تجلب من الأغنام ومختلف الحيوانات.

— استخدام الرق في نسخ المصاحف لكي لا تتعرض للتلف السريع والتآكل.

— وجود طبقة مختصة في صناعة الرقوق المختلفة وهم الدباغون بمختلف مهاراتهم.

— طلب الحكام والأمراء لمادة الرق واشتغالهم بالكتابة عليه بأنفسهم.

— تطور فنون الكتابة على الرق من تلوين وتزويق وهو ما ساهم في ارتفاع الطلب عليه.

1- ابن مرزوق : المصدر السابق، ص 474

2- أنظر الملحق : رقم 13، ص 287

3- أنظر الملحق : رقم 14، ص 288

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

_ تقاليد وعادات منطقة الغرب الإسلامي في الكتابة على الجلود والرقوق.

2/ التحقيب الزمني لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

إنَّ البحث عن تاريخ معين أو بداية محددة لمعرفة منطقة الغرب الإسلامي تقنيات صناعة الورق يُعدُّ أمراً صعباً بسبب عدم توفر الأدلة القطعية التي تُمكننا من وضع صورة تاريخية ننطلق منها أو نجعلها نقطة فاصلة بالنسبة لها، إذا اعتبرنا أن مادة الرِّق قد مثلت أرضية للكتابة في العصر الوسيط استمرت صناعتها بشكل قليل إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي أين ظلت تكتب عليها الإجازات القرآنية والوثائق العدلية¹ إلا أن المتفق عليه في التوجه نحو استخدام الورق كان متأخراً نوعاً ما لأن الرِّق كان هو المادة المستخدمة بشكل أساسي حتى القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي وهو ما تم التطرق إليه سابقاً حين ذكرنا للمصاحف التي كتبت على الرِّق بسبب طول مدة بقائها .

من الإشارات النادرة التي تدل على تأخر انتقال صناعة الورق إلى الغرب الإسلامي ما جاء عند الرحالة المقدسي الذي يقول: "وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رُقوق اللّهم إلا ماكان ينبت في جزيرة صقلية في ذلك الزمان"²، فمن الناحية المنطقية إذا ما بحثنا في رحلات المقدسي نجده زار منطقة المغرب الإسلامي في حدود السنوات الواقعة ما بين (360هـ إلى 370هـ/980م، 985م) إذا ما اعتبرنا أن رحلته التي بدأت من القدس إلى جزيرة العرب سنة (356هـ /966م) قد انتهت بتأليفه كتابه أحسن التقاسيم في حدود سنة (375هـ /990م) أي أنه خلال القرن الرابع الهجري على حسب ما وقف عليه المقدسي لا تزال منطقة الغرب الإسلامي تستخدم مادة الرِّق أو هي المادة الشائعة عند الأغلبية، وإذا ما جعلنا من المقدسي مصدراً لتحديد بداية صناعة الورق كون أن الرِّق والحالة والجغرافيين معروفون عن غيرهم بقوة الملاحظة والمشاهدة الدقيقة فإن القرن الخامس الهجري، إذن هو بداية الصناعة والإنتاج،

1- الخلابي عبد اللطيف: الحرف والصنائع وأدوارها الإقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصر المريني و

الوطاسي (669-960 هـ/1270 - 1550 م) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2011/1432 ، ص 308

2- المقدسي: المصدر السابق ، ص 293

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

والذي سيكون من الحاضرة القيروانية في المغرب الأدنى بالرغم من أن منطقة المشرق الإسلامي قد عرفت هذه الصناعة في القرن الثاني الهجري، وهو الأمر الذي قد يثير الحيرة في طرح التساؤلات التي جعلت منطقة الغرب الإسلامي تتأخر عن صناعة الورق .

إن المتخصصين في تاريخ الغرب الإسلامي قد يجدون الحجج المقنعة في عدم اهتمام سكان المنطقة بهذه الصناعة بسبب الثورات السياسية الكثيرة وتغير الأنظمة الحاكمة فيها وكذلك بُعد المنطقة عن مركز الخلافة وهو ما دلّت عليه الشواهد الورقية المصنوعة في بغداد والشام ومصر وغيرها التي كانت تعيش إلى حد كبير في ظروف سياسية لا بأس بها مقارنة بالمغرب الإسلامي الذي شهد زحفا كبيرا من الشيعة العبيديين وكذلك ثورات متعددة من الخوارج والتي أثرت لا محالة في رقي المستوى الذي يُمكن أهل المنطقة من الإهتمام بهذه الحرفة، إلا أن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أشار إلى أن أول ظهور للكاغد أو الورق في القطر المغاربي كان على عهد الأغالبة أي في أواسط القرن الثالث الهجري¹ التاسع الميلادي ويستدل على قوله هذا بأنه وقف على كراس منسوخ بالقيروان سنة (271هـ / 884م) ويبدو أن رأي الأستاذ حسني عبد الوهاب على صواب لأن الحُكَّام الأغالبة كانوا يمثلون السلطة المركزية للخلافة في بغداد ولا غَرَو في أن الرسائل التي كانت تصل من المشرق كانت مكتوبة على الورق البغدادي وبالتالي فإنَّ التأثير بهذه الصناعة سوف يبدأ من قِمة الدولة وأقصد بذلك الحكام .

يبرز الأستاذ بحروني عبد الحميد في إشارات عابرة زمن المعرفة المغاربية بالصناعة الورقية ابتداءً من القيروان بربطه بالإتساع الذي عرفته هذه المدينة وكثرة سكانها وشغفهم بطلب العلم وتدوين حلقات الدروس ونسخ الكتب، وضيق الرِّق فكان لا بد من استيراد الورق من المشرق ثم صنعه في القيروان بكميات كبيرة لتلبية حاجات السكان² ومنه نستنتج أن الحاجة العلمية التي أبداها الطلب المتسارع للمتعلمين والمعلمين والعلماء بمختلف تخصصاتهم

1- حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق، ص 44

2- بحروني عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 158

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

كان دافعا مباشرا لاقتناء الورق من المشرق منذ عهد الأغالبة وبالتالي تحتّم على الحكام مواكبة الطلب وهو ما دفعهم مع مرور الزمن في التفكير نحو الصناعة والإنتاج.

إنّ التأريخ لصنع الورق في الغرب الإسلامي يرتبط أساسا ببداية استيراده من المشرق أي مرحلة الإكتشاف التي من خلالها بدأت تدخل تلك التقنيات والمهارات لسكان المنطقة علما أن صناعة البردي التي كانت على عهد الأغالبة تُشبه إلى حد كبير الصناعة الورقية وفُئونها لذا يمكننا القول أنّ صناعة الورق لم تكن بذلك الإكتشاف الذي يتطلب من حرفيي الغرب الإسلامي صناعة آلات ضخمة أو اقتناء البعض الآخر منها من المشرق، سوى المشاهدة أو القراءة عنها أو ممارستها في إحدى المعامل في المشرق، والرأي الأرجح في مسألة التحقيق لزمن الصناعة الورقية هو اقتران الاستخدام في البداية بين مادة الرق والورق¹ إلا أن الرق كان هو المستخدم بكثرة لأنه من المنتوجات المحلية الصنع والأقدم زمنا والأكثر طلبا بين العامة إلى غاية صنع وإتقان الورق نهائيا في حدود القرن الخامس الهجري بعد أن بدأ ينقطع استعماله في المشرق نهائيا في حدود القرن الرابع الهجري، ففي هذا القرن مثلا توجد لدينا مخطوطة تُنسب إلى أحد أقطاب المغرب الإسلامي وهو المعز بن باديس الصنهاجي الذي كتب حول تقنيات صناعة الكاغد من خلال مخطوطة عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب التي تعتبر من المصادر الأساسية التي نستدل منها على وجود معرفة بهذه الصناعة في الغرب الإسلامي سواء كان هو صاحبها الأصلي أو من طلب من أحد المتخصصين أن يكتب له حول طرائق هذه الحرفة.

استمر الورق في استخلاف الرق إلى غاية منطقة الغرب الإسلامي ابتداءً من المشرق وكان لزوما مع الوقت أن يحظى هؤلاء بصناعة خاصة بهم، بسبب توفر المنطقة على أهم المقومات البشرية والطبيعية التي تسمح بالصناعة والإنتاج وأصبح الورق المغاربي من بين الأنواع الإسلامية المتداولة، فمن الأدلة على وجوده ما ذكره القلقشندي من جملة الأنواع التي سبق لنا التفصيل فيها في الفصل الأول في الجدول.

1- بحروني عبد الحميد : المرجع السابق، ص 159

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

3/ استعمال مصطلح الورق والكاغد في الغرب الإسلامي

3 / 1 مفهوم الورق

عرّف الزمخشري الورق بما يلي:

ورقت الشجرة وورقت، وشجرة مورقة: ذات ورق، وورقة ووريقة: كثيرة الورق، ووارقة: خضراء الورق حسنة، وورقت الشجرة: أخذت ورقها¹.

وعرّف ابن منظور الورق في لسان العرب بجملة من المعاني مشابهة لتعريف الزمخشري منها يلي:

الورق: ورق الشجرة والشوك، والورق: من أوراق الشجر والكتاب، الواحدة ورقة، والورق: أدم رقائق، وأحدها ورقة ومنها ورق المصحف وأوراقه: صحفه، الواحد كالواحد، وهو منه ، والوراق: معرووف وحرفته الوراقه . ورجل وراق :وهو الذي يورق ويكتب .الجوهري :والورق المال من دراهم وإبل وغير ذلك².

وعرفه القلقشندي:

الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقا. وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاسا وصحيفة كما مر بيانه³.

يتضح من خلال المصادر اللغوية للزمخشري وابن منظور ومصدر القلقشندي الموسوعي في أبوابه أن كلمة الورق مأخوذة على العموم من ورق الأشجار وهي تسمية عربية أصيلة، وأن اصطلاح البشرية بشكل لافت على هذا المصطلح ربما يعود للمكون الأصلي لها وهو النبات، إضافة إلى بعض الخصائص المشابهة لها من خفة الوزن وجودة اللمس وجمال

1- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت 548هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون

السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419/1998، ج2، ص 329

2- ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ص، ص 374 ، 375

3- القلقشندي: صبح الأعشى ، ج2، ص516

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المظهر، كما يمكن القول أن الحضارات قد وُفقت إلى حد كبير في وضع اسم جامع لهذه المادة والصناعة رغم اختلاف اللغات فيما بينها إلا أن المقصود هو نسبته إلى أوراق النباتات وأليافها بصفة عامة، وهو من بين التسميات الراقية التي احتلت مكانة بارزة بين الصنائع الشريفة حتى أن الترجمات اللغوية الأجنبية جاءت سهلة ويسيرة حتى على العامة بسبب ارتباط هذه المادة بكل المراحل التعليمية لأي إنسان .

3 / 2 مفهوم الكاغد

عرفه ابن منظور:

الكاغْدُ: مَعْرُوفٌ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.¹

وعرفه الفيروز آبادي:

الكاغْدُ: الْقِرْطَاسُ، مُعَرَّبٌ²

من خلال تقديمنا لتعريف الكاغد يتضح أن تسميته ليست بالعربية وإن أصله الحقيقي مأخوذ من اللغة الصُغدية، فقد كان الصُغد على صلة بآسيا الوسطى الصينية وهم من مُروجي صناعة الورق في سمرقند، وهي من اللغات التي ذكرها المقدسي في حديثه عن الكلام في المناطق غير العربية في شرق العالم الإسلامي³ وهي اللغة المتداولة في بخارى وفرغانة والتي كان يُعامل بها في طريق الحرير، وقد ورد مصطلح الكاغد في العديد من المصادر قبل شيوع استعمال الورق مثل ما ورد عند الثعالبي في لطائف المعارف وعند محمود القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد وكتاب الأنساب للسمعاني وفي المواعظ والإعتبار للمقريزي وفي مقدمة ابن خلدون في حديثه عن الوراقة وفي بعض المخطوطات المشهورة منها عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب وغيرها، وهو من المصطلحات الشائعة في الغرب الإسلامي فابن عبدون في كتاب الحسبة مثلاً يذكر اسم الكغادين وتبعه في ذلك الجرسيفي.

1- ابن منظور : المصدر السابق ، ج3، ص 380

2- الفيروز آبادي : المصدر السابق ، ، ص315

3- محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، ص267

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

مع مرور الزمن أصبح الشائع عند العامة إطلاق اسم الورق على الكاغد غير أن في منطقة الغرب الإسلامي بقيت التسمية متداولة فيشير أحمد بابا التنبكتي في ترجمته للشيخ نصر الزواوي¹ (ت826هـ / 1466م) قوله: قال الملاي: "وكان سيدي نصر ينهى عن كتب القرآن العزيز في الحروز التي تسأل قال: مررت يوماً بمزبلة فإذا بكاغد مطوي ملقى عليها فرفعته فإذا هو خطي فيه آيات من القرآن فجعلته في جيبى وعاهدت الله أن لا أكتب قرآنًا في حجاب"² والشاهد أن لفظ الكاغد كان مستعملًا حتى زمن الفقيه نصر الزواوي في القرن التاسع الهجري، ومما يثبت أن مصطلح الكاغد والورق يحملان نفس المعنى ما ورد عند القلقشندي حين تعريفه للورق بقوله: وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاسا وصحيفة كما مرَّ بيانه ويسمى أيضا الكاغد بغين ودال مهملة، وما أورده القلقشندي نابع من خبرته الميدانية التي اكتسبها في ديوان الإنشا بمصر وهو ما استقرت عليه المصطلحات المتداولة في عصره أي القرن التاسع الهجري.

إلا أن ابن السيد البطليوسي الأندلسي (ت521هـ / 1127م) قد ذكر جملة من الفروق التي يبدو أنها كانت متعارفة في زمانه بقوله: "فإن كان الذي يكتب فيه من جلود فهو رَقّ وقرطاس بكسر القاف، وقرطاس بضمها، فإن كان من رق فهو من كاغد بالذال غير المعجمة"³ ويبدو من كلامه أن الكاغد أطلق كذلك على الرق كونه هو المستعمل في القرن السادس الهجري

1- نصر الزاوي : عالم، من الصلحاء الزهاد العباد، له مشاركة في علم العربية. أخذ عن الإمام ابن مرزوق، أخذ عنه السنوسي كثيرا من العربية ولازمه كثيرا، رحل إلى المشرق وأقام بالقدس قريبا من عشرين سنة، وتوفي ودفن بها. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، ط2، 1980/1400، ص167

2- التنبكتي أحمد بابا أبو العباس : (ت1046هـ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000، ص 616

3- البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521 هـ): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقي، حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1996، ج1، ص، ص178، 179

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

وهو ما رآه الباحث شوقي بنين بأن هذا الذي استقر عليه الحال في المغرب وهو تخصيص الرق بما يكتب فيه من جلود صنيعة، حتى إذا كان المكتوب فيه ورقا يغلب عليه اسم الكاغد¹ ومن الملاحظات المهمة الأخرى أنَّ منطقتنا المدروسة بقيت محافظة على التسمية التقليدية للورق بالكاغد أما لفظ الورق المستعمل في الشرق العربي فقد أطلق عليه مجازاً² على حسب ما ذكره الباحث حسني عبد الوهاب، أما استخدامنا لكلمة الورق في عنوان بحثنا لمنطقة الغرب الإسلامي إنما جاء لإعطائه مفهوماً أوسع وأشمل دون إهمال الأصل بمعنى الإشارة لهذا المصطلح في بعض ثانيا الدراسة بحكم أنه ذكر في المصادر المختلفة ومن جهة أخرى أعطيناه صبغة عالمية نظراً لتشارك الثقافات البشرية في تطويره بداية من الصين وصولاً إلى مرحلة الطباعة الأوروبية أي بعد كسر الإحتكار الصيني لصناعته بعد أن كانت عدوة المغرب الأدنى في العهد الأغربي والعدوة الأندلسية محطة مهمة نحو إيطاليا وفرنسا وإنجلترا في انتقال فكر التصنيع لهذه المناطق علماً أن الجانب الديني لمختلف المشارب المذهبية قد لعب دوراً حاسماً في الترويج له فعلى سبيل المثال نجد حتى الرهبان البوذيين قد استعملوا الورق لكتابة كتبهم المقدسة، وكذلك فرقة النساطرة الذين خرجوا عن الكنيسة البيزنطية وانشقوا عنها، بحيث أنهم استعانوا بالورق أيضاً في تدوين نصوصهم الدينية لكن بالرغم من ذلك لم يكن لهم ذلك التأثير الواسع الذي عرفته الحضارة الإسلامية في حركة صناعة الورق الذي أدى إلى انتقال العالم الإسلامي من مرحلة الأوعية الكتابية التقليدية إلى مرحلة التجديد في حركة التدوين عن طريق إدخال هذه المادة التي أصبحت مطلبا نظاميا من طرف الحكام والخلفاء ومطلبا علميا للمشتغلين بعمليات النسخ والتدوين .

إنَّ إطلاق مصطلح الكاغد كان شائعاً في العديد من الحواضر الإسلامية على غرار سمرقند وأصفهان وغيرها كما كان متداولاً في أعرق المدن الإسلامية الأخرى مثل بغداد ودمشق

1- بنين أحمد شوقي : المرجع السابق، ص24

2- حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، تحقيق: محمد العروسي المطوي، مكتبة

المنار، تونس، 1972، ج2، ص 167

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ومصر ومنها استمر تداوله في الغرب الإسلامي خاصة في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى إلا أن تداوله في الأوساط الشعبية بدأ يتناقص مع مرور الزمن خاصة بعد رواج الورق الأوروبي في الأسواق الإسلامية وهو من أحد الأسباب الرئيسية لاحتلال مصطلح الورق الكتابات التي أرخت لهذه الصناعة.

المبحث الثاني: المواد الأولية لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1/ الثروة النباتية

إن عملية إنتاج الورق وصناعته لا بد أن تتوفر فيها مواد أساسية وضرورية تدخل في المكونات التي اتفقت على عناصرها مختلف الثقافات البشرية التي امتهنت هذه الحرفة من الاكتشاف الأول في الصين، فالثروة النباتية تعتبر أمرا حاسما في تشكيل الصناعة الورقية التي دَوَّنت لها المصادر التي اهتمت بتقنيات إخراج الورقة في صورتها النهائية بعد مرورها بمراحل رئيسية، وإننا من خلال دراستنا نحاول استنتاج وجود مختلف النباتات في منطقة الغرب الإسلامي كما ننوه أن الجغرافيين وهم يصفون البيئة الزراعية والغابية قد ساهموا في إعطائنا صورة تقريبية لكي يستطيع الباحثون إيجاد بعض الدلائل لتدعيم حججهم في وجود بعض الصناعات التي لم تتل قسطا من الدراسة مثل موضوعنا هذا، وهو ما استلهمناه من الفكر الجغرافي الذي وصلنا إلى حد دراستنا، وفي ظل الأوصاف الكثيرة التي تناولت الثروة النباتية لمختلف المدن والحوضر التابعة للغرب الإسلامي وجدنا أن هذه المنطقة اشتهرت بوجود أغلب النباتات الرئيسية في عملية صناعة الورق التي نذكر منها مايلي :

أ/ القطن

تعتبر نبتة القطن من النباتات الصناعية التي تشكل العمود الفقري لبعض المنتجات على غرار النسيج بمختلف أنواعه وكذلك الورق الذي اعتمد سكان المنطقة عليه في صناعته رغم أنه من النباتات الدخيلة على أرض المغرب الإسلامي حيث يرجع أصلها إلى بلاد الهند أو جنوبها¹ أدخل إلى المنطقة على يد الفاتحين في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي ثم

1- لوسي ولنز: نباتات الصباغة و النسيج ، قطاع زراعي مزدهر في الأندلس قوامه القطن و العظم (الباستيل) (من القرن الخامس إلى السابع الهجري من الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

انتشرت زراعته بشكل سريع في الجهات التي امتازت بالتربة الطميية وغازة المياه فُزرع في الجوانب المحاذية للمنطقة الإستوائية في بلاد المغرب ثم نقله المسلمون إلى الأندلس وشبه الجزيرة الإيبيرية¹، وقد ورد ذكره في العديد من المصادر الجغرافية حيث ذكر ابن حوقل عن مدينة طُنبه² بأنها كانت عاصمة كبيرة البساتين والزروع والقطن³ كما أشار أبو الفدا عماد الدين بأن طنبه كثيرة المياه والبساتين والزروع من القطن⁴ وغيرها من المدن مثل قرطاجنة⁵ وقفصة⁶ وتونس المعروفة بكثرة قطنها في المغرب الأدنى، أما المغرب الأوسط فقد زرع في بجاية بالإضافة إلى منطقة الزاب خاصة مدينة المسيلة وكذلك مستغانم التي كان يبذر في أرضها القطن، ومدينة أشير وندرومة التي ذكر الحسن الوزان بأنه شاهدته كان ينمو بكثرة في نواحيها⁷، أما المغرب الأقصى فقد اشتهرت مدينة فاس بإنتاجه كذلك مدينة سبلماسة التي عرفت بجودتها في الزراعة ومنها كان ينتقل إلى العديد من المدن، وزرع أيضا في مدينة تادلة حيث ذكر الإدريسي: "بأن أراضيها كثيرة من القطن ولكنه بمدينة تادلة يزرع أكثر مما يزرع

الفن والعمارة، التاريخ الاجتماعي، التاريخ الاقتصادي، الفلسفة، الدراسات الدينية، العلم والتكنولوجيا والزراعة، 1999/11/30، ج2، ص 1393

1- هدية محمود : اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، مؤسسة هنداوي ، لندن ، المملكة المتحدة 2017، ص 34

2- طنبه: أعظم بلاد الزاب، بينها وبين المسيلة مرحلتان، وهي حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير، وعليها سور تراب، وبها أخلاط من الناس، وبها صنائع وتجارات . أنظر: الحميري أبو عبد الله (ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص387

3- ابن حوقل :المصدر السابق، ج1، ص 85

4- أبو الفدا عماد الدين (ت732هـ): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ص139

5- قرطاجنة : بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة، وجيم، ونون مشددة، وقيل :إن اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطبيها ونزهتها وحسنها: بلد قديم من نواحي إفريقية . أنظر: الإدريسي: المصدر السابق ، ج 4، ص323

6- قفصة: بالفتح ثم السكون، وصاد مهملة، القفص: الوثب، والقفص : النشاط، وأما قفصة اسم البلد فهو أعجمي وهي بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد. الإدريسي : المصدر السابق، ج4، ص

382

7- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983،

ج2، ص14

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

في داي ومن مدينة تالة يخرج القطن كثيرا ويسافر إلى كل الجهات لدرجة أن أهل داي لا يحتاجون لأي قطن آخر بخلاف الذي تنتجه أراضيهم لكثرت وجودته¹ ومدينة سلا التي شبهها ابن الخطيب بأنها معدن القطن والكتان².

اشتهرت كذلك الأندلس بزراعة القطن على غرار مدينة رُنْدَة واشبيلية وصقلية وهذا بسبب خصوبة الأرض وتوفر المياه فيها، وفي هذا الصدد يقول ابن البصال (ت 499هـ/1105م): "ويوافق من الأرض بالأندلس الحرشا المحسومة، لأنه في هذه الأرض يسرع بنفعه، ولا يتأخر عن وقته ويكثر حمله، وأما أهل صقلية فينتخبون له الأرض الكريمة وقد يفعل هذا أهل السواحل بالأندلس وذلك موافق له فيها"³.

إن توفر القطن في منطقة الغرب الإسلامي ساهم في إيجاد مادة أولية مهمة في الصناعة والإنتاج نظرا لما يحتويه القطن من خصائص كيميائية جعلت منه يتصدر أجود أنواع الأوراق ليس فقط على مستوى المنطقة المدروسة بل في الحواضر العالمية ككل، لأنه يحتوي على مادة السليلوز⁴ التي تعتبر من بين الأنقى المكونات طبيعيا رغم أن الإنسان في ذلك الوقت كان يدرك قيمة القطن وجودته من خلال مشاهدته وتجاربه اليومية، على أنه الأجود من حيث النساعة والجمال والبياض.

ب/ الأشجار

تلعبُ الأشجار دوراً كبيراً في صناعة الورق وهو ما توفرت عليه منطقة الغرب الإسلامي من خلال الثروة الغابية التي كانت منتشرة في جغرافيتها، فقد ذكر الرقيق القيرواني بأن إفريقيا

1- الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص241

2- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ): معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،

1423هـ، ص152

3- ابن بصال: كتاب الفلاحة، ترجمة: خوسي مارية مياس بيكروسا، معهد مولاي حسن، المغرب، 1955، ص115

4- السليلوز: هو المادة الكيميائية العضوية الأكثر وفرة واستخداما في العالم كمكون رئيسي للمادة النباتية، يتم إنشاء مليارات الأطنان منه كل عام من خلال عملية التركيب الضوئي **EMIL OTT, CELLULOSE AND CELLULOSE DERIVATIVES**, INTERSCIENC PUBLICHERS, LONDON, 1954, P 1، يمثل السليلوز الجزء العضوي والبنوي لجدران الخلايا النباتية وهو المكون الرئيسي للقطن وألياف نسيجية أخرى مثل الكتان والقنب.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

من طرابلس إلى طنجة ظلا وقرى متصلة، وذكر الإدريسي مثلا أن مدينة قابس فيها غابة كثيرة الأشجار وهي متصلة مع البحر¹ كما اشتهرت جبال طبنة وعنابة والمناطق المحاذية لها بغاباتها الكثيفة إضافة إلى مدينة بجاية التي اشتهرت بكثرة أشجارها التي غطت الجبال والأودية خاصة جبل ميسون المطل على المدينة ومعها ازدهرت دور الصناعة بفضل إنشاء الأساطيل والمراكب والسفن لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير² وصولا إلى مدينة فاس، علما أن الغابات في بلاد المغرب الإسلامي كانت منتشرة تقريبا في الجبال المرتفعة، أما في الأندلس فقد عرفت بغاباتها الكثيفة خاصة أنها كانت تغرس فيها أشجار التوت وكذلك في أراضي مرسية وغرناطة .

إن الدور الذي تلعبه الأشجار في صناعة الورق يتمثل في لحائها الذي يستعمل في عملية التحضير بعد أن يقوم العمال بجلبه من الغابات وهي في حقيقة الأمر مهمة صعبة وشاقة بعد أن يُقشر منها علما أن هناك أشجارا لينة في لحائها مثل الفلين والأخرى صلبة نوعا ما مثل شجر البلوط، وأهم هذه الأشجار التوت الذي يتمثل دوره في صناعتين مهمتين جدا الأولى الصناعة الحريرية لأن ورقته تمثل مصدر غذاء لدودة القز والثانية لصناعة الورق ونظرا لأهميته الكبيرة كانت في بعض الأحيان تحدث خلافات حوله، فقد أورد ابن لب في نازلة فقهية أن لرجل شجر توت بملك رجل آخر، ففي تلك الأرض كانت توجد أشجار تضر بشجر التوت وهي الدردار، فطالبه بإزالتها حرصا على سلامة الشجرة³، كما عرفت المنطقة استخدام أشجار أخرى مثل أشجار الصنوبر التي تتميز بأليافها الطويلة واللينة، أما صنع الورق من لحاء أشجار التوت فيتم عن طريق نقع الأغصان في المياه لكي تصبح طرية ولينة وبعدها يتم قطعها ثم تُغلى لكي تسهل عملية فصل اللحاء عن الأغصان علما أن الحرير كان

1- الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص280

2- نفسه: ج1، ص260

3- ابن لب الغرناطي (ت 786هـ): تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تحقيق حسين مختاري، هشام

الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج2، ص83

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

مصدرا أيضا للصناعة أين تقطع ورقاته إلى طبقات رقيقة ثم تضاف إليه ألياف التوت لكي تستمر العملية التي سنقوم بشرحها في الفصل اللاحق.

ج/ الكتان

يعد الكتان من أقدم المحاصيل الحقلية التي عرفت البشرية لأن الإنسان كان يستفيد منه في استخراج الزيت كونه من المحاصيل الزيتية أو الألياف وهو نبات نسيجي وليفي يبلغ طول نبتته حوالي ذراع¹ ذو ساق رقيقة وأوراقه رُمحية أما عن أزهاره فهي مائلة نحو الزُرقة.

نال هذا الأخير رصيذا لا بأس به في الكتب الجغرافية، فقد ذكر اليعقوبي أن وادي الشلف يفيض كما يفيض نيل مصر، يزرع عليه العصفر والكتان والسمسم² أما ابن حوقل فقد ذكر بأن مدينة بونة يزرع فيها الكتان أيضا إلى جانب مدن قرطاجنة وقسطيلية وأراضي رادس في المغرب الأدنى وكان يزرع أيضا في المسيلة حيث ذكر الإدريسي أن أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير³ وكذلك في جيجيل و متيجة⁴، أما في المغرب الأقصى فقد انتشر في ضواحي مدينة فاس وفي مكناسة وفي الأندلس اشتهرت مدينة البيرة⁵ وألمرية واشبيلية وجبل شلير والقرى المتصلة به ووصف بأنه أفضل من كتان مدينة الفيوم المصرية المشهورة بجودة كتانها على مستوى البلدان كما ذكر أيضا ابن حوقل أن الكتان في الأندلس يستعمل عندهم للعامة وللسلطان⁶ وهذا دليل على وفرته كما عرفت صقلية إنتاجه وتصديره إلى مختلف المناطق.

1- محمود هدية : المرجع السابق ، ص 26

2- اليعقوبي : المصدر السابق، ص197

3- الإدريسي : المصدر السابق ، ج1، ص263

4- متيجة: بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حمّاد ، وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال إنها متيجة ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك البلاد كتّانا. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص53

5- البيرة : وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدّة مدن، منها :قسطيلية وغرناطة وغيرهما. أنظر الإدريسي ، المصدر

السابق، ج1، ص 244

6- ابن حوقل : المصدر السابق ، ج1 ، ص114

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

إنَّ توفر الكتان في العديد من مدن الغرب الإسلامي ساهم في إنتاج الورق، فكان يجفف بعد تنظيف الحُزم ثم يقطع إلى أحجام متناسقة ويوضع في مياه نقية ثم تخلط في حوض كبير حتى يتخلل الماء داخل الألياف وهي الطريقة التقليدية التي تمر بها جميع المواد التي تستخدم في صناعة الورق، مع الإشارة إلى أن الكتان استعمل في صناعات أخرى على غرار القماش والزيوت المختلفة والصناعة النسيجية وقد عرفته مختلف الحضارات الأولى خاصة في بلاد الرافدين والفراعنة المصريين.

د/ القُنب والحلفاء

ينتمي القُنب إلى النباتات اللّيفية وهو من فصيلة الكتّان ومن المواد المشهورة في صناعة الورق في جميع المدن الإسلامية بحيث أنه يحتوي على مادة السليلوز، وكان يزرع في الغرب الإسلامي خاصة في المغرب الأدنى في مدينة قرطاجنة حيث ذكر الإدريسي أن من غلاتها القطن والقنب والكروياء والعصفر¹ وزرع أيضا في ضواحي بونة وفي جيجل أما المغرب الأقصى فقد وجد في شفشاون وفي أسجن، أما الأندلس فقد وجد في مدينة شاطبة وفي مالقة، وزرع أيضا في صقلية وهو من المواد الأولى التي استخدمها الصينيون حين اكتشافه.

أما الحلفاء فهي من النباتات البرية التي تحتاج إلى تربة متوسطة الرطوبة مع أشعة شمسية جيدة تنمو بشكل كبير في ضفاف المستنقعات والأودية والأنهار، أما أوراقها فهي على شكل الخيزرانة بطول خمسة وعشرين إلى ستين سنتيمترا،² وهي أيضا من عائلة النجيليات ذات الفلقة الواحدة ولها أزهار متجمعة في شكل سنبله وهي من النوع السباسبي وهي تحتوي على مادة السليلوز وبالتالي تعتبر مصدرا لصناعة الورق أمّا عن أشهر المدن التي اشتهرت بهذه الزراعة

1- الإدريسي : المصدر السابق ، ج1، 285

2- إيميل عطار: صنع الورق من نبات الحلفاء ، مجلة العرفان، عدد 143، مجلد 5، ج14، 1928، ص 524

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

مدينة قرطاجنة التي سميت بقرطاجنة الحلفاء، واشتهرت مدينة لقنت¹ في الأندلس بنمو نبات الحلفاء فكان يتجهز بها إلى معظم البلاد كما ذكر الحميري في وصفها بقوله: "وهي مدينة صغيرة عامرة، وبها سوق ومسجد عامر ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر²، أما اشبيلية فزرعت كذلك في أراضيها في بعض القرى".

يساهم القنب والحلفاء خاصة كونها تتألف من ألياف قصيرة وصلبة وأغشية رقيقة بتحضير عجينة الورق بعد غسلها وتجفيفها، وبفضل وجودها في منطقة الغرب الإسلامي ساهمت بشكل أو بآخر في تدعيم عملية صنع الورق لذا استلزم على سكان المنطقة الإهتمام بزراعته.

2/ الثروة المائية

تلعب المياه دوراً رئيساً في إنتاج الورق لأن مراحل التصنيع تتطلب وجود كميات معتبرة من المياه كون أن عملية الغسل والعرك إلى غاية إخراج الورقة في صورتها النهائية يدخل فيها عنصر الماء وبدونه تبقى النباتات المستعملة مجرد أغصان أو حشائش ولحاء صلبة غير قابلة للصناعة، حيث يمكننا أن نقدم دليلاً معاصراً نسقطه على تلك الحقبة حيث أكدت الدراسات العلمية الخاصة أن ورقة واحدة في الإنتاج الحالي يستلزمها من ثلاثة لترات إلى خمسة عشر لتراً من الماء وهذا في ظل تطور المكننة والمعدات الكبيرة التي تُجنب التبذير الكبير لهذا المورد، أما الصناعة التقليدية التي نتحدث عنها فكانت تتم بالقرب من مصادر المياه وكانت تعتبر من الأساسيات لتأسيس المطابخ التي كانت تتم فيها عملية تحضير الورق ويبدو منطقياً أن المياه كانت تستعمل بشكل كبير نظراً لتعدد التقنيات التي تمر عليها الصناعة من مراحل متعددة، بحيث لا تخلو المراحل من عملية تغيير الماء من الأحواض بعد أن يلاحظ الصانعون أن لونه قد تغير مثلاً أو أن تلك المرحلة الأولى أو الثانية قد انتهت، ومنه فإن توفر المياه في الغرب الإسلامي ساهم في دعم عملية الإنتاج ولذا اعتبرنا في موضوعنا أن

1- لقنت : بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وتاء مثناة : حصنان من أعمال لاردة بالأندلس لقنت الكبرى ولقنت الصغرى.

الحموي: المصدر السابق، ج5، ص21، تقع اليوم في شرق إسبانيا بالقرب من مدينة فالنسيا والمسماة بـ: ألكانتي (Alicante)

2- الحميري: المصدر السابق، ص511

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الماء من المواد الطبيعية الأولية والمهمة بحيث جعلنا نبحث في المصادر عن كيفية حصول سكان المنطقة عليه ومدى مساهمته في تطور هذه الحرفة .

1/2 مصادر المياه في الغرب الإسلامي

أ/ مياه الأمطار

ساهمت الأمطار رغم تفاوت توزيعها من منطقة إلى أخرى في اكتفاء الغرب الإسلامي من ناحية الأمن المائي رغم أنها عرفت في بعض فتراتها هذه الظاهرة مع العلم أن مياه الأمطار تعتبر الأفضل بالنسبة للنبات أو الحيوان ومما يستفاد منه في دراستنا أن استخدام الماء في صنع الورق يعتبر أساسيا لذا كانت مياه الأمطار المخزنة من طرف العمال مصدرا للصناعة.

ب/ الأنهار والعيون

شكلت الأنهار والأودية مصدرا آخر لجلب المياه في الصناعة الورقية بحيث أوردت الكتب الجغرافية عددا معتبرا منها حيث أشار البكري (ت487هـ/1068م) إلى وادي مسوس في الطريق من برقة إلى إفريقية في قباب خربة وجباب¹، وهي ملاحظة بيّنة على أنها كانت تملأ بالماء، والجدير بالذكر أن كلمة الواد والنهر كانت تستعمل في معنى واحد فكثيرا ما يتحدث الجغرافيون عن الأنهار وهي في حقيقتها أودية، وقد فصل صاحب الاستبصار في وصف مياه مدينة قفصة بقوله : "وفى داخلها عيون كثيرة منها عيانان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفائه وكثرته، إحداهما عند باب الجامع تسمى بالوادي الكبير²، ثم يواصل الحديث عنها بقوله: "لأهل قفصة في سقي جناتهم هندسة عظيمة وبرشام شديد³ وبالتالي يتضح من خلال ما صرح به هذا الأخير من وصف لمياه مدينة قفصة مدى التحكم

1- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487): المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1996، ج2، ص650

2- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص152

3- نفسه

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

في توزيع المياه والهندسة التي كانت مقامة فيها".

وقد ذكر اليعقوبي عن أهل القيروان بأنهم كانوا يشربون من المطر حيث يقول: "إذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجل، فمنها شرب السقا ولهم واد يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح لأنه في سباح الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه"، وهي أيضا إشارة منه إلى مدى اهتمام سكان مدينة القيروان بمياه الأمطار والمحافظة عليها وتخزينها في المواجل والبرك الكبيرة¹، بالإضافة إلى أودية كثيرة أخرى مثل واد سبو، واد الشلف، واد فاس وغيرها.

شكلت الأودية والأنهار مصدرا مهما لتوفير المياه اللازمة لصناعة الورق في المنطقة وهو ملاحظ في مدينة القيروان ومدينة فاس خاصة.

مثلت أيضا العيون مصدرا مهما في جلب المياه فقد كانت مثل الصهاريج الطبيعية محاطة بجدران وأبواب تكون مغلقة ويوزع مأوها لمختلف الحاجات على الدور والجوامع والمدارس والفنادق²، كما ذكر الإدريسي أن السكان قد بنوا عليها قبابا ودوامس محنية وضروبا من الزينة وبخارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة³، وهذا دليل على مدى اهتمام سكان منطقة المغرب الإسلامي بهذه الثروة المهمة حيث استغل إنسان الغرب الإسلامي جميع منابع المياه التي رأى أنها تقيد في أشغاله اليومية لكي يتهيأ للظروف المستقبلية خاصة الجفاف.

ج/ الآبار

تعتبر الآبار مصدرا آخر للصناعة الورقية، وقد اهتمت إليها الإنسان واستغلها لعدة عوامل منها الجفاف الذي كان يسود في بعض السنوات وإلى جانب الصناعة استغلت في السقي والإستعمال المنزلي والرحاء. في منطقة الغرب الإسلامي كانت الآبار توجد إلى جانب العيون⁴

1- اليعقوبي: المصدر السابق، ص 186

2- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 194

3- الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص 243

4- بن عميرة محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2004.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

والبعض الآخر لوحدها وهي نوعان ارتوازية والأخرى تعتمد على مياه الأمطار، أما عن انتشارها فقد ذكر البكري في وصفه لتونس أن بها آبارا تعرف بسواني المرج ويوجد بها باب السقائين نسبة إلى الذين يسقون الماء لأن فيها بئرا تعرف ببئر أبي القفار¹ وحين حديثه عن المهدي يذكر أن الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي² جلب إليها الماء من قرية مناش وهي على مقربة من المهديّة في أقّاس ويصبّ في صهريج داخل المهديّة عند جامعها، ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب، وكذلك يستقي أيضا بقرية مناش من الآبار بالدواليب ويصبّ في محبس يجري منه في تلك القناة³، أما في المغرب الأوسط فقد شاع استعمال الآبار أيضا ففي جزائر بني مزغنة يذكر الإدريسي أن شرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن الآبار⁴ وحين وصفه لمدينة شرشال ذكر أن بها مياه جارية وآبارا عذبة، أما في المغرب الأقصى فقد وصف ابن حوقل مدينة سبتة أن ماءها من داخلها يستخرج من آبار بها .

إنّ الحديث عن وجود مصادر المياه في الغرب الإسلامي والثروة النباتية قد ساهم قطاعا في ميلاد هذه الصناعة في المنطقة وأمام ازدياد الطلب على هذه المادة كان لزاما على الإنسان اكتشاف مواد أولية متنوعة من خشب وقماش وقصب، ورغم أن العمال كانوا يهتدون بالخبرة والممارسة في انتقاء ما يساعدهم في إنتاج الورق فإنّ التنوع الذي عرفته الصناعة قد فرضته عدة عوامل ربما لم يكن ليميزها ذلك الصانع ومنها:

_مدى توفر مادة السليلوز في النبتة.

1- البكري: المصدر السابق، ج2، ص 697

2- عبيد الله المهدي: ولد سنة 259هـ وقيل سنة 266هـ في شهر شوال الموافق لسنة 874 م، أما عن مسقط رأسه فقيل في مدينة سلمية وهناك من يقول في بغداد، أما عن كيفية قدومه للمغرب فكانت بأمر من أبي عبد الله الشيعي حيث يقول المقرئ: وسير أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد رجلا من كتامة ليخبروه بما فتح الله له وأن ينتظره، فوافو عبيد الله بسلمية من أرض حمص، ويقول النيسابوري ومع ذلك كانت كتب أبي عبد الله تترى تطلبه حيثما نزل، فكتب إليه أن أقدم فقد استقامت لك العساكر. حسن إبراهيم ، طه شرف: عبيد الله المهدي امام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد

المغرب، مكتبة النهضة المصرية، 1947، ص117

3- البكري: المصدر السابق ، ج2، ص 682

4- الادريسي: المصدر السابق، ج1، ص 258

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

_درجة تماسك الألياف في النبتة

_صفاء ونقاوة الورق المستخرج من النبتة.

ومن هذا المنطلق يتم تقسيم المواد الأولية على خامات سليولوزية خشبية وخامات سليولوزية غير خشبية وهي القطن والكتان والقنب والحلفاء.

المبحث الثالث: حواضر إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

1/ حاضرة القيروان

تُعتبر مدينة القيروان أهم الأقطاب الإسلامية في الغرب الإسلامي التي كُتِبَ الكثير من المؤرخين حول تاريخ بنائها وذكرها كيف بدأ عقبة بن نافع بعد دخوله إفريقية سنة خمسين للهجرة بإنشاء هذه البلدة، وكيف اختط فيها دار العِمارة والمسجد الأعظم حتى وُصفت على أنَّها أعظم مدائن المغرب¹، وأعظمها ثَجراً وأكثرها أموالاً، وأحسنها منازل وأسواقاً وبها ديوان جميع المغرب، وإليها تجبى أموالها وفيها دار سلطانها² كما أشار إليها ابن حوقل حين زيارته لها في القرن الرابع الهجري.

لمّا كانت القيروان حاضرة العلم وباباً مفتوحاً أمام العلماء من مختلف الأقطار شاع استخدام الورق فيها كباقى المدن الإسلامية الأخرى بعدما انتقل إليها في البداية عن طريق الإستيراد من أقرب الحواضر الإسلامية وهي مصر بحكم أنَّ الأغلبية كانوا ينتمون إلى الولاية العباسية من الناحية السياسية وأنَّ مركز الدولة في بغداد كانت تنتج أجود الأوراق في العالم الإسلامي فالتأثر بها سيكون لا محالة عن طريق المعاملات السياسية والدواوين التي ترسل وقد أشار جوناثان بلوم إلى أن أهل تونس حصلوا على الورق الذي كتبوا عليه من مصر تحديداً واستدل على قوله بوثائق الجنيزة، إلاَّ أنه لا ينكر أن الورق كان معروفاً في المغرب في بواكير القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي كما ذكر بلوم أن أقدم مخطوطة مدونة على الورق في المغرب

1- أحمد فكري: مسجد القيروان، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2009، ص 11

2- ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص96

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الإسلامي هي مصحف مؤرخ بعام 534هـ/1139م¹.

دلّت المصادر المتعلقة بكتب التراجم والطبقات إلى أنّ القيروانيين استعملوا الورق منذ القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي حيث يذكر صاحب معالم الإيمان أنّ الواعظ أبا الحسن محمد بن عبد الصمد الذي كان له مجلس في الجامع الأعظم بالقيروان قد ازدحم عليه الناس والأتباع حتى خاف السلطان منه فقام باستعارة بعض كتبه وعندما أعادها إليه تصفحها الواعظ أبو الحسن فوجد فيها أوراقا من الكتب بينها بطاقة بخط السلطان كأنّه نسيها، كتب فيها مايلي: "زعمت ملوك الفرس وحكماء السير والسياسة أن أهل التتمس والوعظ وتأليف العامة وإقامة المجالس أضّر الأصناف على الملوك وأقبحهم أثرا في الدول"²، والشاهد مما ذكره الكاتب أن السلطان كان يمتلك أوراق كانت متداولة لدى السلطة في تلك الفترة وهي التي أرسلها إلى الإمام الواعظ في إشارة إلى تخوف السلطان من رجال الدين المشهورين وهو ما حدث مع هذا الإمام الذي قُتل في الأخير بمدينة قابس.

وفي سيرة الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التتوخي (ت240هـ/854م) جاء أنه كان لا يهاب سلطانا ولما أكثر من رد المظالم من رجال ابن الأغلب حيث كتب في ورق³ قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾⁴، وهي إشارة واضحة على أنّ استعمال الورق في القيروان كان شائعا منذ فترة الأغالبة.

أما عن صناعة الورق فقد انتقلت من القيروان إلى تونس والمهدية حيث عرفت بالرفعة والإتقان وهي التي كانت تصنع من الكتان والخرق البالية وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ حسني عبد الوهاب أن أقدم ما وقف عليه من المخطوطات التي كتبت على الورق كراس منسوخ

1- جوناثان بلوم : المرجع السابق، ص 180

2- ابن ناجي التتوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى (ت 839هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق:

محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ج3، ص 191

3- القاضي عياض: المصدر السابق، ج4، ص 66

4- سورة غافر، الآية: 41

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

بالقيروان في سنة (271هـ/884م) وهو ما يُثبت القول السابق على أن الصناعة الورقية بدأت في عهد الأغالبة.¹

من الدلائل على وجود صناعة الورق في القيروان هو توفر مادة الكتان حيث ذكر المالكي في رياض النفوس على وجود حوانيت للكتانين² بمعنى أسواق خاصة بها وُسِّمت أيضا بالحوانيت الجُدد التي بنيت في القيروان ثم تنقل الناس إليها وهذا في عهد الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (ت 223هـ/837م)³ علما أن الكتان كان يُجلب إلى القيروان من المناطق المجاورة لها على غرار قرطاجنة وقسيطيلية و رادس وسببية وتوزر كما كان يجلب إليها القطن من مدينة قفصة وتونس وكذلك قرطاجنة التي اشتهرت بزراعته مثلما ذكر ذلك الإدريسي⁴ مع العلم أن الكثير من العائلات القيروانية قد حملت لقب القطان مثل الشيخ ابن حميدس القطان (ت 289هـ/902م)⁵ وهذا دليل على امتنان هذه الحرفة التي كانت منتشرة وهي بيع القطن، ولا غرو أنه كان يُستعمل في الصناعة الورقية، إضافة إلى توفر عنصر الماء الذي كان موجودا فيها وبعض العيون والآبار التي ذكرتها المصادر الجغرافية وهي ماسَّهلت على الصَّانعين عملية الإنتاج.

ارتبطت الصناعة الورقية في القيروان بالعديد من الشخصيات التي امتنعت الوراقة منهم محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/974م) الجغرافي المشهور الذي أتقن الوراقة وبرع فيها فاستعان

1- حسن حسني عبد الوهاب: البردي والرق والكاغد، ص 44

2- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت حوالي: 453هـ): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1414/1994، ج1، ص280

3- زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب : تولى حكم الدولة الأغلبية سنة 201هـ ، من قبل الخليفة المأمون العباسي ، بنى جامع سور القيروان ودار سوسة وأعاد ترميم جامع القيروان في أيامه فتحت جزيرة صقلية على يد قاضيه أسد بن الفرات . ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة ، تحقيق : محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408/1988، ص55

4- الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص278

5- القاضي عياض: المصدر السابق، ج4 ، ص 385

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

به الحكم المستنصر وألف له كتابا ضخما في مسالك إفريقية وممالكها وغيرها¹ وإبراهيم بن سالم التونسي المعروف بالورّاق وكان من الذين درسوا في مدينة القيروان حتى حذق في صناعة الوراقة ولقب بها²، ويفيدنا الأستاذ بحروني حول انتشار صناعة الورق وبيعه في أسواق القيروان ومساهمته في زيادة إشعاع القيروان الثقافي، فكثرت بها المصنفات العلمية والدينية والفقهية لأنّ سعر الورق كان في متناول مختلف فئات المجتمع القيرواني³ لأنها كانت تمثل الثقل العلمي الأول في منطقة الغرب الإسلامي وهو ما نسقطه على ما جاء في النظرية الخلدونية القائلة بأن الوراقة بصفة عامة ومنها صناعة الورق من توابع العمران وقوة الدولة واتساع الحضارة التي تبلغ ذروتها مع اهتمام الحاكم بالطبقة العالمة والمتعلمة وهي علاقة تكاملية لأنّ ازدهارها هو دليل على أن الدولة تعيش أزهى فتراتهما ولا تبلغ الدول هذه القاعدة إلا بعد مرحلة التمكين واستتباب الأمور للحكام الذين يبدأون في مرحلة البناء العقلي للمجتمع عن طريق بناء المراكز التعليمية المختلفة التي تحتاج إلى دعم في مواد الكتابة المختلفة لأنّها تعتبر من أساسيات التعلم وهو ما توفرت عليه الحاضرة القيروانية التي كانت مركز إشعاع ثقافي كبير، بحيث أدى انتقال العلماء إليها إلى ضرورة توفير الورق الذي كان يستعمل في مواطن متعددة خاصة بالنسبة للكُتّاب المعنيين بالتدوين في السجلات والعقود والوثائق وغيرها وهي وظيفة ساهم الورق أيضا في رواجها في القيروان بعدما امتهنها عدد كبير من القيروانيين الذين كان عيشهم من الكتابة أو التدوين وكذلك صناعة وتسفير الكتب المختلفة، إذن فإنّ ابن خلدون قد أدرج صناعة الورق ضمن مفهوم شامل مع فصل الوراقة التي استوسع في تعريفها وجعلها شاملة للإنتساخ والتصحيح والتسفير وسائر الشؤون المكتبية، وصناعة تحضير الرّق والورق الذي عرف القيروانيون كيف يختارون له أجود أنواع الأحبار، فكان يُختار للورق حبر

1- الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر (ت 599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس،

دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967، ص 141

2- حسني عبد الوهاب: ورقات ، ج2، ص162

3- بحروني عبد الحميد: المرجع السابق، ص 161

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الدخان وهي الطريقة التي اتبعها المشاركة بطبيعة الحال، وقد أشار الرقيق القيرواني في هذا الصدد إلى الدواة التي كان يوضع بها الحبر وهي مصنوعة من العاج أو الزجاج وأحيانا من الذهب والفضة وكل ذلك خدمة للعلم، وكذلك نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه وهو ما أدى إلى بلوغ القيروان مرحلة كبيرة من التقدم السابق حتى عن المدن الأوروبية المعاصرة لها والتي استلهمت الكثير من ثقافتها على غرار مدينة صقلية، التي كانت مهد الصناعة الورقية في إيطاليا.

ومن مظاهر بقاء الصناعة الورقية في المغرب الأدنى بصفة عامة إلى يومنا هذا هو وجود العديد من المخطوطات الورقية في متحف الفن الإسلامي بقيادة¹ التي كُتبت بالخط الكوفي العتيق² وهي مصورة ومعرضة في المتحف منها ما كتب عليها آيات قرآنية التي تقنن الخطاطون في إخراجها، بحيث يعتبر هذا المتحف شاهدا على الكثير من المخطوطات القيمة منها ما كتب على الرق ومنها ما دُون على الورق، وفي جامع أبي محمد المرجاني بتونس الذي أسس في عهد السلطان أبي حفص عمر (ت694هـ/1294م) على يد الشيخ أبي محمد المرجاني (ت699هـ/1296م) عثر على مصحف قام بدراسته الباحث عامر عجلان، كتب بالخط المغربي المبسوط محفوظا داخل صندوق خشبي³ وحالته مقبولة عدا بعض أوراقه قد أصابها التلف جزئيا ويحتفظ بكامل صفحاته ودفنتيه الأصليتين⁴ بحيث بلغت قياساته مابين 41 سم طولا و 29 سم عرضا وهو ما يعرف عند مؤرخي الفن الإسلامي باسم المصحف ذو الشكل الأفقي⁵.

1- أنظر الملحق : رقم 15، ص 289

2- أنظر الملحق : رقم 16، ص 289

3- أنظر الملحق : رقم 17، ص 290

4- أنظر ملحق : رقم 18، ص 290

5- عامر عجلان: مصحف مغربي بجامع أبي محمد المرجاني بتونس ينشر لأول مرة ، مجلة العمارة والفنون والعلوم

الإنسانية، مجلد6، العدد 30، نوفمبر 2021 ، ص 713

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

2/ حاضرة تلمسان

تُعد تلمسان قاعة المغرب الأوسط¹ في عهد الزيانيين وأم بلاد زناتة بحيث اختطها بنو يفرن لما كانت في موطنهم، وقد عرفت أوجها الحضاري بعدما نزلها الزيانيون واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطينهم فاخطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية والله وارث الأرض ومن عليها² وهي أوصاف من المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون تحمل في طياتها مظاهر التقدم الذي شهدته العاصمة الزيانية. إنَّ الحديث عن وجود صناعة الورق في المغرب الأوسط بصفة عامة وتلمسان بصفة خاصة يُعدُّ من الأمور الصعبة بسبب عدم توفر الأدلة التاريخية الشاهدة على هذه الصناعة حتى بالنسبة للمخطوطات التي كتبت على الورق فهي قليلة جدا بعد زيارتنا للمكتبة الوطنية في الحامة والمكتبة الوطنية بتيلملي أو فرانز فانون وكذلك بعض الخزائن المنتشرة في الولايات الوطنية الجزائرية، ولعلنا نستشهد بما قاله العلامة ابن خلدون بأن الصنائع في المغرب قليلة وغير مستحكمة الأماكن من صناعة الصوف ونسجه والجلد في خرزه ودبغه وهذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة³ وبالتالي يمكن القول أن وعاء الكتابة الذي كان متداولاً عن طريق الصناعة المحلية هو الرق وهو ما أكدته مخطوطة المصحف الشريف التي كتبها الأمير الزياني أبو زيان على رق غزال بخط مغربي جميل سنة (801هـ/1399م) الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، ومصحف ابن مرزوق الجد (781هـ/1379م) الموجود بمكتبة تطوان وهو الذي ذكره المقرئ في نفح الطيب بأنه رآه عند أحفاده مصنوعاً من رق الغزال ومكتوب بخطه .

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 105

2- نفسه: ج 7، ص 105

3- نفسه: ج 1، ص 507

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

بالرغم من وجود العديد من المصادر التي تحدثت عن تلمسان إلا أنها لم تذكر أنها قد أنتجت الورق بحيث يذكر الحسن الوزان في حديثه عن أسواقها أنها كانت تتركز في وسط المدينة موزعة على الساحات والشوارع¹ كسوق الخياطين والنساجين والعشابين والعطارين والصاغة وسوق الخضر والفواكه والحبوب ورحبة الزرع إضافة إلى سوق الحدادين وأدوات النحاس والصباغين التي كانت موجودة في شرق المدينة وكذلك سوق بيع الكتب وغيرها، في حين نجد أن سوق الوراقين مثلاً مغيب، ولا توجد إشارة أيضاً حول الورق التلمساني.

إن ابن خلدون الذي مكث فترة من الزمن لم يشر إلى وجود صناعة الورق في المغرب الأوسط رغم أنه جعل الوراقة من بين عناوين المقدمة وكذلك أخوه المشهور يحيى ابن خلدون صاحب كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ومن ناحية أخرى عندما نُقِّم دور الحكام الزيانيين في اهتمامهم بالحركة العلمية نجده في مستوى عالٍ فقد ازدهر في عهدهم فنُّ نسخ المصاحف وأمهات الكتب الدينية والمشرقية والمغربية فضلاً عن المصنفات التلمسانية المحلية ومختلف الكتب العلمية والأدبية، كما تتنافس الفقهاء والخطاطون والطلبة وحتى بعض السلاطين الزيانيين في نسخ المصاحف والكتب² وهنا نجد أنفسنا في حيرة وتساؤل عن أوعية الكتابة التي كانت تدوّن عليها النسخ الزيانية في ظل غياب الصناعة الورقية عندما يُذكر مثلاً عن السلطان أبي زيان الثاني أنه نسخ بيده نسخة من صحيح البخاري والمصحف الشريف وكتاب الشفا للقاضي عياض³ وأنَّ أبا عبد الله محمد بن مرزوق كان له دكان بالقصرية في تلمسان يبيع فيه السلع وينسخ فيه المصاحف وكان جدُّ الإمام الخطيب ابن مرزوق كذلك ينسخ الكتب، ويبدو من هذا أن المتداول من أوعية الكتابة كان الرق.

من التفاسير المنطقية على عدم وجود صناعة ورقية في تلمسان رغم اهتمام الملوك بالحركة

1- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 19

2- فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية إجتماعية ثقافية، موفم للنشر، الجزائر، 2002،

ج1، ص336

3- نفسه: ص 337

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

العلمية هو الأوضاع السياسية غير المستقرة والتي تؤدي بتدهور وزوال الصناعات خاصة الحروب والحملات العسكرية المستمرة في المنطقة حيث يقول أحد المؤلفين إن مدينة تلمسان أصبحت في عهد أبي تاشفين من العظمة بمكان حتى إنها تضم ستة عشر ألف دار مسكونة وتقام فيها أغنى تجارة بإفريقيا وحاصرها إذ ذاك ملوك بني مرين الذي شيد في معسكره مدينة لأمنه وسكنه لأن الحصار دام سبع سنوات وضيق الخناق عليها حتى أن السكان كانوا يقتاتون بجذور الأشجار وأوراقها¹. علما أن تلمسان تعرضت للحصار المريني أكثر من مرة.

من أجل البحث الدقيق حول بعض الإشارات البسيطة على وجود الورق بتلمسان من كتب النوازل الفقهية استنتجنا إحدى النواذر من المسائل التي تحدثت عن الورق بمصطلح الكاغد وهي الفتوى التي ارتبطت بالفقيه محمد ابن مرزوق الحفيد التي سماها تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم بقوله: "لا أعلم من يجد من طرابلس الغرب إلى مدينة تلمسان من بلاد السواحل وبلاد الصحراء ورقا يستعمل غير الرومي ولا أدري ما حال بلاد المغرب غير مدينة فاس وغير جزيرة الأندلس فإنهم يستعملون الورق وقد كان يستعمل قبل هذا الزمان بتلمسان أما الآن فلا"²، وقياسا على فتوى ابن مرزوق الحفيد التي لها دواعي وأسباب أخرى نأخذ منها الشاهد الأخير المتعلق بقوله أن في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي باعتبار الزمان الذي عاش فيه أن تلمسان لا تعرف الورق المحلي، إلا أن الورق كان متداولاً قبل زمانه فنقول أن تلمسان كان بها صناعة ولكن كانت ضعيفة وهو الأمر الذي جعل القرن التاسع الهجري يخلو من هذه الصناعة أين اضطرت الدولة إلى الإستيراد من الخارج خاصة من أوروبا مثل البندقية بإيطاليا³ وهو ما جعل بعض المسلمين وخاصة النساخ منهم يتوقفون عن استعماله لأنهم كانوا يحرصون على كتابة المصاحف بالورق الطاهر، كما

1- مارمول كريبخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1988/1408م، ج 2، ص 302

2- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914 هـ) : المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب ، اشراف علي حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1981/1401، ج1، ص 85

3- فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ص 336

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

نستنتج من هذه الفتوى أن المغرب الأوسط على العموم لم يكن مشهورا بإنتاج الورق وهو ما وقفنا عليه في الكتب الجغرافية التي وصفت حواضر المغرب الأوسط على عكس المدن الإسلامية في الأندلس التي اشتهرت بصناعة الورق قد نالت الوصف المستحق بها مثل شاطبة رغم توفر كل الإمكانيات الطبيعية المساعدة على الصناعة، كما ندعم ماجاء في فتوى ابن مرزوق الحفيد بما ذكره ابن خلدون قبله حول التراجع الذي شهدته منطقة الغرب الإسلامي بصفة عامة في الصناعات بقوله: "ولقد ذهبت الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله، لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبدأوة أهله"¹ كما نوه ابن خلدون إلى أن الصنائع على عهده مستعجمة بمعنى أنها أعجمية الصنع، وبالتالي فإن فتوى ابن مرزوق الحفيد هي نتيجة تراكمات الضعف التي شهدتها منطقة المغرب الإسلامي.

إنَّ طرح ابن خلدون وفتوى ابن مرزوق في القرن الثامن والتاسع الهجري جاءت في حالة متدهورة كان يمر بها المغرب الإسلامي في ظل الضغط الأوروبي شمالا والتوترات بين القوى المحلية المستمرة بين المرينيين والزيانيين والحفصيين ما جعلنا نبحت عن بعض الأخبار التي قد تساعدنا في بداية ومنتصف القرون الهجرية الأولى عن الشواهد التي تثبت اهتمام الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط بالصناعة الورقية وهو موجود فعلا في سابقة نادرة في العالم الإسلامي ككل، فكيف لمنطقة منعدمة المصادر التي تحدثت عن صناعة الورق تمتلك مخطوطا فريدا حول تقنيات إخراجها، وأقصد به مخطوط عُمدَةُ الكُتَّاب وعُدَّة دُوي الألباب المنسوب لـ المعز ابن باديس الصنهاجي (ت 453 هـ/1061م) الذي تناول فصله الحادي عشر طريقة صنع ورقة موضحة جزئيات بسيطة في القرن الخامس الهجري، وما يمكن استنتاجه من هذا المخطوط الذي ينتمي جغرافيا إلى المغرب الأوسط والأدنى أن الإهتمام بهذه الصناعة كان موجودا من طرف الحكام، وتجدر الإشارة إلى أن التقنيات المكتوبة فيه تعتبر من قلائل ما وصلنا إلى يومنا هذا في الحواضر الإسلامية من المشرق إلى المغرب وهي التقنيات المتعارف عليها في ذلك الزمان.

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 533

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ساهمت طبيعة إنسان المغرب الأوسط الذي يعتمد على الروايات الشفوية ومجريات الأحداث السياسية والعسكرية مثل الوجود العبيدي القادم من المشرق في القرن الثالث الهجري والنزوح الهلالي من مصر في تكوين خصائص وتوجهات المنطقة واهتمامهم بمجالات أخرى في الميدان العلمي إلى ضعف التراث المادي والتاريخي الذي يمكّننا من استنتاج الكتب والنوازل الفقهية، وكذلك كتب الحسبة للتأريخ لصناعة الورق مثل الحواضر الإسلامية الأخرى وخاصة القريبة من مجال المغرب الأوسط على غرار القيروان وفاس والأندلس علما أن التاريخ يبقى يحمل في طياته أسراراً أخرى يمكن إكتشافها مع مرور الوقت وتقند أو تؤكد ما ذكرناه حول هذه الحاضرة.

3/ حاضرة فاس

فاس عاصمة المغرب الأقصى وهي حاضرة العلم التي اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة كما وصفها عبد الواحد المراكشي¹ وقد اختلف في تأسيسها بين إدريس بن عبد الله الأول الذي دخل المغرب هارباً من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة (172هـ/789م) أو إدريس الثاني الذي أقام في مدينة فاس سنة (192هـ/808م)² ولكن بالرغم من هذا الاختلاف التاريخي إلا أنها شكلت مركز إشعاع حضاري كبير في كل الفترات التي مرت بها منذ تأسيسها.

قامت الصناعة في فاس على دعامين أساسيتين، الأولى توفر المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية، والثانية توفر الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة³،

1- المراكشي عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي (ت 647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006/1426، ص 255

2- سهيلة زين العابدين حماد: مدينة فاس منذ تأسيسها حتى نهاية دولة بني مرين، الفترة (192هـ، 869هـ)، ص 23

3- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، الاسكندرية

2001، ص 210

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ومنها صناعة الورق التي اعتمدت بالدرجة الأولى على القطن والكتان¹ الذي كان يجلب إلى فاس من مناطق متعددة في سلا وتادلة ومن مكناسة، مع العلم أن الجغرافيين قد أكدوا على وجود القطن والكتان في فاس بوفرة كبيرة وبالتالي فإن وجود هاتين المادتين الطبيعيتين كان عاملاً رئيساً في شهرة الحاضرة بصناعة الورق، إضافة إلى أن المغرب الأقصى قد أصبح مركز القيادة السياسية والإدارية، والدولة تحتاج إلى الورق لتقييد شؤون الإدارة خاصة المالية منها كما أن القيادتين المرابطية والموحدية قامتاً على رسالتين دينيتين، فكثيراً ما استخدمت الرسائل للدعاية السياسية² ومنه فإن اتساع الدول وقوتها يؤثر على جميع الحرف وهو ما أكدته التجربة المرابطية والموحدية في ازدهار صناعة الورق.

من الشواهد المهمة على وجود صناعة الورق في فاس أنه في أيام يوسف ابن تاشفين (ت500هـ / 1106م) كان في فاس مائة وأربعة معامل للكاغذ وهذا ما يدل على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرق في المغرب المرابطي³ وأصبحت بفضل إنتاج الورق مركزاً للوراقة وقد وردت ترجمات لشخصيات في هذا الصدد منهم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هشام اللّخمي المولود في فاس (478هـ / 1095م) الذي سكن في مصر ووُصف أنه ناسخ⁴ يعيش من الوراقة، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الصغير المتوفى بمراكش عام (523هـ / 1128م) الذي سكن في فاس والتزم حرفة الوراقة في حانوت غرب جامعها.

ومما يؤكد على انتشار هذه الصناعة بفاس أن مكتبة أحد القضاة من بني الملجوم كانت لها من الورق لدرجة أنها بيعت فيها كُتبه غير المُجلدة بستة آلاف دينار، كما نُقل أيضاً أنه

1- أحمد موسى عز الدين : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، ط1، 1983، ص 223

2- أحمد موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص192

3- المنوني محمد: تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط1، 1412/1991، ص21

4- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص344

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

في مدينة فاس كان يوجد بها حي الكغادين الذي كان يشتغل قاطنوه بصناعة الورق، وهو ما نستنتجه حين دفن الفقيه الولي الصالح عبد الرحمن الهزميري سنة (706هـ/1306م) بفاس بداخل باب الفتوح من حومة الكغادين¹، علماً أنَّ مدينة سبتة اشتهرت بالصناعة لكنها كانت دون حاضرة فاس في الإنتاج، وقد ساهم توفر هذه المادة في نشر الثقافة ونسخ الكتب النادرة، فحتى سيدات فاس كنَّ يقمن بالمشاركة في تلك الصناعة ويطقنَّها واشتهرت بصناعة أوراق البسطيلية التي تدل على المهارة في صنع الورق².

ساهمت العديد من التقنيات التي كانت متوفرة في فاس في تسهيل عملية صناعة الورق وعلى رأسها الأحجار الطاحنة التي كانت تتحرك بطاقة المياه بحيث أنها تمكّن من تحويل القطن والكتان إلى ورق وفق الطريقة الصينية، وقد بنيت هذه الطواحين في بغداد واليمن ومصر وسوريا وشمال إفريقيا وإسبانيا أي الأندلس وذلك وفق نموذج طواحين سمرقند وقد استخدم الإنسان في العصر الوسيط المطارق الساقطة التي تعمل بطاقة المياه وبالعجلات ذات الدفع السفلي لسحق المواد الخام³ وهي طريقة شائعة وتعتبر من أهم الاختراعات البشرية والتي أتقنها المسلمون وتفننوا في صناعتها مثلما ذكر البيروني في رسالة مكتوبة بين عام 1041 و1049م في معالجة الذهب الذي كان يسحق بالمطارق⁴ وهو ما سهّل على العاملين تكوين عجينة الورق، لذا فإنَّ تحكم الفاسيين بتقنية صناعة الورق بمساعدة الأحجار الطاحنة أدى إلى ازدهاره بشكل لافت وتصديره إلى إسبانيا نظراً لجودته وأهميته، كما انتقلت تقنيات صناعته إلى العالم الإسلامي وبالتحديد إلى مصر على يد رجل عُرف بعبد الله السوسي الذي

1- اسماعيل ابن الأحمر وآخرون: *بيوتات فاس الكبرى*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص، ص 66،

2- جمال أحمد طه: *المرجع السابق*، ص 213

3- دونالد ر. هيل: *العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية*، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، مطابع السياسة، الكويت، 1425

2004/، ص 150

4- نفسه: ص 151

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

كان يصنع ورقا جيدا وشفافا يكتب عليه بيده.¹

نال الورق الفاسي شهرة واسعة وأصبح يوصف في متون الشعراء والنحويين فقد كتب مثلا يوسف بن محمد بن النحوي المكنى بأبي الفضل (ت513هـ/1119م) عن فاس بقوله²:

يا فاس منك جميع الحسن مشرق وساكنوك أهنيهم بما رزقوا

هذا نسيمك أم روح لراحتنا وماؤك السلسل الصافي أم الورق

وقد وصل صيته إلى المشرق حيث ذكر المقري أن بعض المغاربة كتب إلى الملك الكامل³ بن العادل بن أيوب في رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبرا أسود إلا أن الراجح من الذي بعث الورقة هو من الأندلس قياسا بما كان ينتج في حاضرة شاطبة وبلنسية من هذا نوع.⁴

اشتهرت فاس كذلك بصناعة الورق في العهد الموحي حيث ذكر صاحب الأنيس المطرب أن بها أربعمئة حجر لعمل الكاغد أيام يعقوب المنصور (ت595هـ/1199م) وابنه محمد الناصر (ت610هـ/1213)، وخرب ذلك كله في أيام المجاعة والفتنة التي كانت في أيام العادل وأخيه المأمون وذلك سنة ثمانى عشر إلى سنة سبع وثلاثين وستمئة، وكانت مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة إلى أن ظهرت الدولة المرينية فانجبرت البلاد وتأمّنت الطرقات⁵، فالشاهد من هذا الكتاب إذن أن النزاعات والصراعات الداخلية قد أثرت على بقاء

1- عبد اللطيف الخلافي: المرجع السابق، ص 310

2 - الناصري شهاب الدين أحمد بن خالد (ت 1315هـ): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، ص224

3- الملك الكامل بن العادل (576هـ - 635هـ) خامس سلاطين الدولة الأيوبية: السلطان الكبير، الملك الكامل، ناصر الدنيا والدين، أبو المعالي، وأبو المظفر محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر والشام وآمد وخلص والحجاز واليمن وغير ذلك، ولد: في سنة ست وسبعين وخمس مائة وتملك الديار المصرية أربعين سنة، شطرها في أيام والده، وكان عاقلاً، مهيباً، كبير القدر. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 22، ص 127

4- المقري: المصدر السابق، ج4، ص 327

5- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور

للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص49

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

التراث المادي الذي خرب بسبب الحروب علما أن صناعة الورق في المغرب الأقصى قد بلغت ذروتها وجودتها في العهد الموحي فإلى جانب فاس كانت مدينة سبتة في نفس الفترة تعد طليعة مراكز إنتاج الورق الذي صار ينسب إليها، علما أن الأربعمئة معمل للكاغد التي ذكرها ابن زرع هي التي كانت تعرف في فاس بحي الكغادين عند حي باب الحمراء على مقربة من وادي الزيتون.¹

ساهمت العديد من المعطيات في زيادة الطلب على الورق في فاس خاصة بعد انتشار مكاتب العدول والتوثيق التي كانت تدون فيها جميع أنواع العقود والشروط سواء ما تعلق منها بالمدينة أو البادية وكذلك نسخ الكتب المختلفة المشارب من العلوم الشرعية والتطبيقية التي عظم شأنها وأصبحت البلاد الغربية سوقاً جديدة² وانتشار المكتبات واستقطاب الحاضرة للعلماء والتنافس مع الصناعة الأندلسية للورق في ازدهاره في العصر المرابطي والموحي وهو ما كان له الأثر في بعث الحياة العلمية في المغرب الأقصى وهذا كله راجع لتوفر المواد الخام وبروز معالم الحضارة الذي شهدته المنطقة في بعض فتراتهما مع الحكام الذين اشتهروا بحبهم للعلم وهو ما كان مثلاً في أيام أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور وابنه محمد الناصر.

4/ شاطبة

تعتبر مدينة شاطبة من المدن الأندلسية الهامة، فهي إحدى القواعد والحصون الأمامية للمسلمين في شرق الأندلس بحكم موقعها الجغرافي الممتاز إلا أنها من المدن الداخلية أي ليست ساحلية ولكن ارتبط اسمها مع أشهر المدن الأندلسية الأخرى على غرار بلنسية وطرطوشة ولقنت، ولم تكن قاعدة إستراتيجية وحصنا عسكريا إسلاميا أماميا ومركزا اقتصاديا فحسب، ولكنها تميزت بكثرة علمائها كما كانت مركزا هاما خاصة فيما تعلق الأمر بصناعة الجلود والورق³.

1- المنوني: تاريخ الوراق، ص 33

2- أحمد موسى عز الدين : النشاط الإقتصادي ، ص 225

3- سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995، أنظر المقدمة ص 1.

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

أجمعت العديد من المصادر الجغرافية والتاريخية على توفر الصناعة الورقية في شاطبة حيث نذكر منها:

ما جاء عند الحميري: شاطبة بالأندلس، مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبان ممتعتان، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، ويعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعم المشرق والمغرب¹.

ما وصفه بها الإدريسي: ومدينة شاطبة مدينة حسنة ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشرق والمغرب².

ما أورده المقري: من أعمال بلنسية شاطبة ويضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له³.

ما جاء في تاريخ الأندلس لمجهول: ويصنع بشاطبة الكاغد الطيب الذي ليس يعمل في معمور الأرض مثله⁴.

إنَّ إجماع هذه المصادر على وجود صناعة الورق في شاطبة هو دليل واقعي على شهرة وجودة ما كان ينتجه العاملون فيها ولم نجد في بحثنا هذا حاضرة في الغرب الإسلامي نالت هذا الإطراء والمدح مثلما نالته شاطبة وهذا يعود بالضرورة إلى المستوى الراقى الذي وصلته الصناعة في الأندلس فكان الورق فيها فاخرا حتى أن الأوروبيين قد اعترفوا بفضل الأندلس على أوروبا في هذه الصناعة بل صنفه العديد من الباحثين على أنه من أحد فضائل الحضارة الأندلسية على أوروبا مثل عبد الرحمن بدوي وغيره .

أمَّا بالنسبة للمراجع الغربية أي المسيحية الإسبانية فقد وصفت ورق شاطبة بأنه كان ورقا

1- الحميري : المصدر السابق، ص337

2- الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 556

3- المقري: المصدر السابق، ج1، ص166

4- مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 2007، ص134

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

أبيض أملس للغاية¹، حيث ذكر كارلوس سارتو كارياس في كتابه عن آثار شاطبة أن الملك ألفونسو العاشر، شجع صناعة الورق الشاطبي في قشتالة وكان يُصدّر إلى فرنسا سنة (677هـ/1270م)، وقد انتقلت من هناك إلى ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا في بدايات القرن 7هـ/13م² غير أن الريادة في صناعة الكاغد سرعان ما انتقلت من مدينة شاطبة إلى مدينة بلنسية بداية من عصر الموحيدين لوفرة الكتان بها وجودته إذا ما قورن بشاطبة وكثرة عدد الوراقين و النّسّاخ. ويذكر كارياس من خلال مانشره من مراسيم ملكية كمرسوم 18، 21، 46 الخاصة بالملك خايمي التي أصدرها سنة (694هـ/1251م) والمرسوم 17 الذي أصدره بيدرو الثاني سنة (739هـ/1338م) الخاص بصناعة الورق في سان فليپ بشاطبة أن هذين الملكين قد حرصا على ضرورة الحفاظ على الشكل التقليدي القديم لهذه الصناعة³.

استنادا لما ورد عن الباحث الإسباني كارياس نجد أنه وبالرغم من تراجع الحكم الإسلامي في الأندلس فإنّ الملوك الإسبان عرفوا قيمة الورق الذي كان يصنع في شاطبة وبالتالي جاء الأمر بأن يتمّ التعامل به وتشجيع صناعته وهذا راجع للتطور الذي شهده المسلمون في هذه الصنعة التي سبقت الدول الأوروبية العريقة مثل إنجلترا وإيطاليا وفرنسا، ومن مميزاته الفريدة أنّه ورق أبيض أملس، وهو لا محالة المصنوع من أجود أنواع القطن في المنطقة وكذلك نبات الكتان، وقد تفنن الحرفيون في إخراجه حتى أصبح سطحه أملس وناعما وهو بذلك قد وصل في إجادته صناعته إلى الورق المشرقي.

يذكر الأستاذ حسين مؤنس أنّه وعلى غرار مدينة شاطبة اشتهرت مدن أخرى في الأندلس بصناعة الورق الجيد مثل بلنسية وطرطوشة، ثم يشيد بالورق الشاطبي بأنه كان مشهورا في العالم الإسلامي كله وبلغ من جودته أن بعض الوثائقيين كانوا لا يكتبون إلا عليه، وإلى جانب جودة صنعه اشتهر برخص ثمنه، كما عرف عرب الأندلس صنفين من الورق في القرون

1- سحر السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 347

2- sarthou carreras carlos: **datos para la historia de jativa**, 1933, p48

3- Ibid, p49

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الوسطى وهما الكاغد وهو الورق العادي، والرقاق وهو ما يعرف بالبرشمان وهو ورق سميك متين يقارب القماش في متانته مع الإحتفاظ بصلابة الورق، وقد وصلت الرقاق الشاطبية إلى كافة نواحي أوروبا وطلبتها البابوية لكتابة الأناجيل ووثائق الكنيسة ثم قلد الإيطاليون صناعتها بعد ذلك¹.

بلغت صناعة الورق بصفة عامة في الأندلس ذروتها في العهد المرابطي والموحدي حتى أنها أنتجت الورق الملون² وقد كان له دور أيضا في انتشار المصاحف بعدما تولى الوراقون عن الرق³ تدريجيا وظهور طائفة الوراقين والنساخ.

يذكر المختصون في مجال الدراسات الاقتصادية⁴ أن صناعة الورق إلى جانب ارتباطها بصناعة الجلود ارتبطت كذلك بالمنسوجات لأن الورق في الأندلس كان يصنع من القطن والكتان، أما عن بداية صناعته في مدينة شاطبة فكان خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري مع العلم أن صناعة الجلود والرق كانت الخطوة الأولى لصناعة الورق، وهناك من الباحثين من رأى بدايته في القرن الخامس الهجري، لأنه لا توجد إشارة عن إنتاجه قبل هذه الفترة في الأندلس إضافة إلى عدم استقرار المنطقة الذي كانت لا تزال في مرحلة الفتوحات في القرون الهجرية الأولى ولم ينتج الورق في الغرب الإسلامي في حدود القرن الثالث الهجري إلا في المغرب الأدنى في عهد الأغالبة، ثم بعد ذلك تدهورت الصناعة للعديد من الأسباب منها تراجع إنتاج القطن والكتان وكذلك الظروف السياسية المختلفة والنزوح الهلالي من مصر وغيرها، فتحول ميزان الصناعة مع مرور الوقت إلى المغرب الأقصى في عهد المرابطين ثم الموحدين ثم انتقلت أفكار الحرفة إلى شاطبة ثم إلى بلنسية.

1- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004، ص 384

2- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 224

3- حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998،

ص58

4- سحر السيد عبد العزيز: المرجع السابق، ص 247

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

توجد في بعض المصادر الأندلسية إشارات لتوفر الورق وهو ما استنتجناه من رسالتين للحسبة الأول لابن عبدون والآخر للجرسيفي اللذين أكدّا على توفر الكاغد أي الورق والمعامل التي كانت متوفرة في المنطقة حيث يقول الجرسيفي: "والكلام مع الكغادين في اختيار الخرق، وتميزها، والمبالغة في خطها وتنظيفها من جميع الشوائب والتخمير، واعتدال الغرف، والتلبيس النضج من الحنطة الجديدة السالمة من العفن والتسويس، مع وفور القالب المشهور، السالم من التشطي والتقنطر، والدلك المعتدل السالم من إخرق الضرس والتكسير ويتأكد الأمر فيهم، إذ عليهم مدار الدين والدنيا، وكذلك الرقاقين في اختبار الجلد، واعتدال التبشير والتنظيف"¹.

من خلال رسالة الجرسيفي في الحسبة نستنتج أن في الأندلس كانت توجد معامل الورق إلا أنه يوصي بضرورة التقيد بتقنيات الحرفة وهو ما ألح عليه ابن عبدون بقوله: "يجب أن يزداد في قالب الكاغد قليلا وفي دلكه، ومما نستخلصه أيضا هو التطبيقات الصارمة من مسؤولي الحسبة على الكغادين بحيث لم يتركوا لهم مجالا للغش فيه حتى أن أصحاب الحسبة تجدهم متمكنين في معرفة الجيد من الرديء من الورق حيث بين ابن عبدون من خلال ملاحظته للكغادين بضرورة دلكه جيدا لكي تصبح عجينة الورقة متماسكة وقابلة لأن توضع في القالب، كما أوضح الجرسيفي تقنيات معتمدة ومشهورة في اختيار الكتان والخرق من القماش ومراحل إعدادها، ويبدو جليا أن المتابعة التي كان أصحاب الحسبة قائمين بها على هؤلاء الحرفيين قد ساهمت في تحسين مستوى الصناعات وما أنموذج صناعة الورق في شاطبة إلا دليل على نجاح مهمة المحاسبين في الأسواق وهو ما تغنى به الجغرافيون مثلما سبق ذكره في أوصافها، ونستنتج أيضا أن وصول الأندلسيين لهذا المستوى في الصناعة دليل على وجود منظومة متكاملة سعت إلى ترقية الورق الشاطبي إلى أحسن مستوياته لكي يصل إلى مرتبة الورق البغدادي والشامي في المشرق، وهذه المنظومة كان أساسها الطبقة الحاكمة التي كانت تدرك أهمية إنتاج الورق على ازدهار الحركة العلمية وكذلك لا ننسى دور العمال

1- ليفي بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة،

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

في هذه المهنة فبالرغم أننا لا نمتلك معلومات حول أحوالهم فإنهم لا محالة سيكونون من الطبقة الاجتماعية ميسورة الحال نظرا لصعوبتها إذا ما جعلناها مع المهن الشاقة، حتى أن البعض ذهب لأبعد من ذلك وجعل الوراقة بصفة عامة من المهن المكروهة فقد روى ياقوت الحموي في معجم الأدباء أن محمد بن أحمد الدقاق المعروف بابن الخاضبة (ت479هـ/1103م) أنه أرهق نفسه حيث أنه في سنة واحدة كتب صحيح مسلم سبع مرات حيث يقول: "رأى في منام كأن القيامة قد قامت ومناد ينادي ابن الخاضبة فأحضرت فقيل لي أدخل الجنة فلما دخلت الباب وصرت في الداخل استلقيت على قفائي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت آه استرحت والله من النسخ"¹.

و يبرز الأستاذ عبد العزيز الدوري كذلك وجود الصناعة الورقية في الأندلس ومآثرها على الغرب بحديثه عن دور شاطبة ومصانعها الكبيرة، ويذكر أيضا دور طليطلة في الإنتاج في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي².

المبحث الرابع: نتائج صناعة الورق بالغرب الإسلامي

1/ النسخ والتأليف

أدى انتشار الورق في الغرب الإسلامي إلى ازدهار حركة التأليف ونمو نشاط الورّاقين الذين اشتغلوا بشؤون الكتاب من نسخ وتجليد وتجارة حيث ساعد الورّاقين الذين برزوا كطائفة في المجتمع من نسخ الكثير من الكتب بحيث مثل هؤلاء مهنة الطباعة التي نعرفها اليوم وفي هذا الصدد نذكر جملة الورّاقين الذين عُرفوا في الغرب الإسلامي:

– إبراهيم بن سالم التونسي المعروف بالوراق تخصص في صناعة الورق عند الأمير الحكم في الأندلس.

– محمد بن حارث الخشني من أبناء القيروان رحل إلى الأندلس واشتغل فيها بالوراقة والتزويق

1- الحموي: معجم الأدباء، ج5، ص 357

2- عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، دار القلم بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص 37

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

- عند الأمير الحكم كان عنده دكان بقرطبة يبيع فيه الورق الرفيع والأدهان وتحضير عقاقير الكتابة والتزويق¹.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعمري التلمساني (ت625هـ/1227هـ) وكان معروفا بجمعه للكتب النادرة.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي التلمساني (ت610هـ/1213م) سافر إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب واستقر في تلمسان² قام بنسخ العديد من الكتب التي درسها في المشرق.
- محمد بن أحمد بن محمد السبئي المراكشي (ت637هـ/1239م) كان بارع الخط، أنيق الوراقة نسابة لخطوط العلماء³.
- محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الأنصاري البلنسي المعروف بابن غوطس (ت610هـ/1213م) اشتغل بكتابة المصاحف الشريفة حتى شاع أنه كتب ألف نسخة من القرآن الكريم، وكان متقدما في براعة خطها، إماما في جودة ضبطها⁴.
- عائشة بنت حيان القرطبي (ت400هـ/1010م) قال عنها ابن بشكوال: كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب، وتعنى بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة⁵ بحيث يظهر لنا من خلال هذه المرأة الجليلة قيمة نسخ المصاحف في المجتمع الإسلامي الذي اعتنى به صفوة الخطاطين بالنسبة للجنسين الذي شمل النساء والرجال، وكانت جودة الخط من أهم المعايير التي يجب أن تتوفر في الناسخ، لذا نجد بعض الخطاطات قد

1- حسني عبد الوهاب: البردي، ص 42

2- ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703 هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2012، ج4، ص389

3- المنوني: المرجع السابق، ص35

4- المنوني: قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص28

5- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 567 هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1955، ص 654

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

قد اشتهر مثل الرجال في تاريخ الكتابة.

ومن الآثار التي كتبت عليها الكتب والمخطوطات على الورق التي وقف عليها المنوني¹ نذكر مايلي:

- الأحكام الشرعية الكبرى، لأبي محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي السفران 2 و 7 بخط أندلسي على ورق وردي وهو موجود بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 5380.
- كتاب الورع من تأليف أبي علي الأبياري ص 2 إلى 65، انتهى من كتابته يوم الإثنين 19 ذي القعدة 672هـ: فاس على يد علي بن أحمد بن عثمان.
- الإحياء لأبي حامد الغزالي: السفر السادس الذي يبتدئ بكتاب ذم الدنيا، كتب بخط أندلسي على أوراق يتنوع تلوينها بين مائل للصفرة أو الخضرة كتبه محمد بن إبراهيم بن محمد بن يعيش الأزدي، موجود بالخزانة العامة بالرباط قسم: ك تحت رقم 511
- تأليف في الزكاة لأبي بكر ابن الجد الفهري بخط أندلسي على ورق شاطبي مؤرخ في 26 ذي الحجة عام 698هـ بسبته، موجود بالخزانة العامة بالرباط قسم: ق تحت رقم 76.
- المحرر الوجيز لابن عطية: السفر الثالث منه كتب على ورق شاطبي، موجود بالخزانة الحسينية تحت رقم: 8912
- تاريخ الأنبياء والرسل لابن القطان الصغير، موجود بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 671.
- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار حيث كتب السفر الأول على ورق شاطبي، موجود بالخزانة العامة بالرباط قسم: ك رقم : 214.
- مجموعة من المؤلفات موحدة الخط مكتوبة على ورق شاطبي ملون في حجم صغير منها :
- مقالة في السماع وما فيه لعز الدين ابن عبد السلام القاهري
- مقالة في معتقد الصلاة لنفس المؤلف

1- المنوني: قبس من، ص 664

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

– مقالة في الإحسان لشهاب الدين السهروردي موجودة في خزانة خاصة بالمغرب وقع الفراغ من انتساخها عام 678هـ.

إنَّ الخدمات الكبيرة التي قدمها الورق للورّاقين جعلتهم مع مرور الوقت ينالون مراتب مرموقة حيث ذكرت المصادر التاريخية أنَّ الخليفة عبد الرحمن الناصر قد استعان بكاتبة تسمى مزنة (ت338هـ/949هـ)¹ ووصفت بالمهارة في الكتابة وحسن الخط بين كل النساء، وسار على منواله الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر الذي كانت لديه كاتبة تدعى لبنى (ت374هـ/984م) كانت حاذقة في بالكتابة، نحوية شاعرة، بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم وكانت عروضية، خطاطة جدا،² ومن النساء اللواتي برعن في المجال أيضا صفية بنت عبد الله الري (ت418هـ/1026م)، كانت جميلة الخط متقنة للنسخ، مشهورة بذلك، وكذلك الخطاطة الأندلسية الشهيرة فاطمة بنت زكرياء بن عبد الله الشبلاري (ت427هـ/1035م)، التي كانت بارة في الخط ضابطة لما تنسخه من الكتب، حيث كتبت في حياتها الطويلة التي قاربت التسعين سنة كتبا كثيرة، ومن جملة الوراقين الكبار من الرجال الذين كانوا مقربين من الحكم المستنصر عباس بن عمرو بن هارون الكناني (ت379هـ/989هـ) حيث أنزله منزلة كريمة وعينه مع جملة الوراقين وأعطاه كل ما يلزم لمهنته من ورق ومداد وغيرها من أدوات الوراقة³، وقد جلبت فترة حكم المستنصر أنظار المستشرقين الإسبان وعلى رأسهم أنخل بالنثيا الذي جعل فترة حكمه الأكثر تسامحا وحرية فكر ويشير في نفس السياق على أن قصره كان حافلا بالكتب وأهلها حتى بدا وكأنه مصنع لا يرى فيه إلا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحلون الكتب بالمنمنمات والرسوم الجميلة، وكان فهرست مكتبته يقع في أربع وأربعين كراسة في كل منها عشرون ورقة على قول وخمسون على قول آخر ليس بها إلا أسماء الدواوين⁴.

1- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص654

2- نفسه: ص653

3- ابن الفرضي (ت403هـ) : تاريخ علماء الأندلس، صححه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988/1408، ج1، ص343

4- أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ص10

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

وحيث حديثه عن ولاية المستنصر ذكر دوزي أنَّ إسبانيا لم تُشاهد من حكامها حاكما مثله فازدهر جميع فنون العلم في عهد الأمير فكثرت المدارس وآتت أكلها وكان جميع أهل الأندلس ملمين بالقراءة والكتابة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا بجميع رجالها ذوي المكانة الرفيعة عدا القسيس في حالة من الجهالة¹، كما اشتهر وراقون آخرون في الأندلس على غرار العلامة ابن فطيس الذين عيّن لديه ستة من الوراقين يكونون في خدمته لنسخ ما يريد من الكتب وقد منحهم مقابل ذلك رواتب مجزية، وكان لأبي علي القالي وراقون أيضا يعينونه على النسخ²، ومن شهيرات النسخ في المغرب الأوسط عائشة بنت أبي طاهر عمارة الشريف الحسني، حيث يقول الغبريني: "وكانت له رحمه الله ابنة تسمى عائشة كانت أديبة أريية، فصيحة لبيبة، وكان لها خط حسن، رأيت كتاب الثعالبي بخطها في ثمانية عشر جزءا، وفي خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها رحمه الله، إذا ختم السفر وتم التأريخ يكتب بخط يده، وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، وتكتب ابنته القطعة بخطها، وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا أصح، ولقد رأيت منه نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة، و يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان، ويقع التصحيح منها، وهذه النسخة من جملة الخزانة السلطانية ببجاية أبقاها الله وحفظها"³.

ومن بين النساخ المشهورين في المغرب الأقصى الذين احترفوا هذه المهنة عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي ثم الفاسي وكان من السابقين الأولين في الصناعة وكتب بخطه علما

1- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، إسبانيا الإسلامية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ج2، ص67

2- سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316_422هـ/ 927_1030م)، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، 1415، ص132

3- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (ت714هـ): عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص47

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

كثيرا كثيرا، ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التغمري السبتي الذي كان صاحب إتيان وضبط، ومحمد بن جرير المعروف بابن تاخميست الفاسي وقد وُصف أنه كان لديه خط حسن ينسخُ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب¹.

تُعتبر عملية نسخ الكتب من أحسن الحرف والأشغال لما فيها من نشر العلم وتخليده كما تُصان بها المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية لذا اهتمَّ بها العلماء الكبار وحتى الحكام والأمراء لعظم شأنها، لأنَّهم كانوا يعلمون الجزاء الذي ينالونه من كتابة المصاحف وتدوين الحديث والسنة النبوية هذا من جهة، أما بالنسبة للناحية التقنية فإنَّ عملية النسخ على الورق أو الرق هي نفسها بحيث شهدت جميع الحواضر الإسلامية في الغرب الإسلامي طريقتين الأولى منها أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه بدون مساعدة أحد وبعد فراغه من نسخ الكتاب يراجعه غيره للتأكد من ما نسخ وأنه لم يهمل ولم يقفز من على السطور، وأما الطريقة الثانية فهي أن يجلس عدد من النُساخ في أماكنهم وأن يملئ عليهم شخص آخر من مخطوط أريد الحصول على عدة نسخ منه وبعد الفراغ من عملية النسخ تجرى المقابلة²، وقد عرفت هذه الطريقة بمجالس الإملاء بحيث كان يجري غالبا من الذاكرة ويقوم به نفر من تلاميذ المؤلف أو أوثق التلاميذ صلة به والمتمتع بصفة الأمانة ويقال أن ابن قتيبة الأندلسي قد أملأ تاريخ إسبانيا عن ظهر قلب³ وكان الكتاب في بعض الأحيان يُقرأ للجمهور بحضور المؤلف لكي تجرى عليه التعديلات الضرورية حتى يحصل على إجازة نسخه بصفة نهائية، وقد اتفق أهل الاختصاص قديما وحديثا أنَّ الورقة بوجهيها تسمى صحيفة والوجه الواحد يسمى صفحة وإذا تعددت الأوراق تنوعت الأسماء فالملزمة للورقتين من الحجم الكبير والكُرَّاس عشرة من نفس الحجم والجزء بضع كراريس، والجزء يعتبر وحدة من السفر أو المجلد.

1- ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى به: محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كرونوبل، الجزائر، 1920، ص 42

2- ماهر حمادة: المرجع السابق، ص 175

3- بيدرسن يوهنسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ترجمة: حيدر غيبة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1979، ص 49

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ساهمت عملية نسخ الكتب في بروز ظاهرة البيع والشراء أي تجارة الكتب التي لا نمتلك الكثير عن أسعارها إلا أننا يمكن أن نستنتج من خلال مطالعتنا بعض العوامل التي تحكمت في أسعارها و التي اختلفت من منطقة إلى أخرى وهي :

- نوعية الكتاب المخطوط ومدى شهرته في الحواضر الإسلامية
- جودة الخط فكلما كان الخط مكتوبا واضحا وجميلا ازداد سعر الكتاب
- شهرة الخطاط التي تلعب دورا كبيرا في إعطاء المخطوط قيمة
- نسبة المخطوط إلى عالم كبير أو خليفة أو وزير
- شهرة مؤلف الكتاب مقارنة بالمؤلفين المبتدئين.

ومن جملة الشواهد التي ندعم بها استنتاجنا أن المستنصر أرسل إلى الأديب المشهور أبا الفرج الأصفهاني (ت356هـ/967م) ألف دينار من الذهب العين من أجل كتاب الأغاني وكذلك مع أبي بكر الأبهرى المالكي (ت375هـ/985م) في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم كما كان الكتاب يُباع ويُشترى في بعض الأحيان في المزاد العلني وهذا ما أورده ياقوت الحموي بأن الكتب كان يُنادى عليها بالمزاودة، كما عرفت مدينة قرطبة منافسة في سوق الكتب حيث يذكر الحضرمي عن زيارته لأحد أسواق الكتب المعروفة ويقول : " أقمت مرة في قرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط يد جيد وتفسير مليح ففرحت به أشد فرح فجعلت أزيد في ثمنه إلى أن بلغ فوق حده"¹.

كان بعض الوراقين يشترون الكتب ويحصلون على حق نسخها ونشرها من مؤلفيها ثم يقوم مرة أخرى بنشرها وتوزيعها بعدما يزداد الطلب عليها حتى وصل البعض إلى القول أن مهنة الوراقة شكلت كتلة يترأسها شيخ له مركزه الاجتماعي وخبرته طويلة في المهنة وهذا بطبيعة الحال يعود لقيمة هؤلاء في المجتمع .

1- خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة : الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ، ط2، 1994، ص 172

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

إنَّ الدرجة الكبيرة التي وصل إليها المسلمون في عملية النسخ جعلت الباحثين الغربيين يعترفون بهذا، فخوليان ريبيرا أكد أن النَّاسخ العربي يكتب أكثر من قرينه في اللُّغة اللاتينية وبالتالي فهو مع تساوي أجر اللاتين يُعطي من الإنتاج أربعة أمثال ما يعطيه الكاتب في لغتنا، أي أن اليد العاملة في ضوء هذه الظروف أرخص أربع مرات في مجال النسخ عند العرب مما عليه عندنا¹، وهي شهادة على أنَّ النَّساخ المسلمين كانوا محبين أيضا للعلم كون أنَّه حتى الذين مارسوها كانوا من الطبقة الحاكمة والعلماء ومن أدلتنا على ذلك أن ابن أبي الفوارس محمد بن اسماعيل كان يعد من أكتب الناس للمصاحف على أيام الحكم الثاني حيث أثر عليه أنه كان يكتب المصحف في أسبوعين أي في جمعتين أو نحوهما².

أكد الأستاذ عز الدين موسى أن شرق الأندلس احتل الصدارة في النسخ والوراقة بحيث أنه جعل من بلنسية رائدة المدن رغم أن قرطبة كانت من الحواضر الأندلسية الكبرى³ وهذا بعد أن وضع مقارنة بين الحواضر الإسلامية في الغرب وجعل من البلاد الغربية أكثر نشاطا في مجال النسخ والوراقة من البلاد الشرقية أي المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وهذا صحيح إذا ما علمنا أن تمركز القوى السياسية الكبرى كان في تلك الناحية مع المرابطين والموحدين، أين نجد مثلا باب الوراقين بجامع القرويين وهو الذي صار مع الزمن يسمى باب الأولياء ومنه إلى باب الشماعين.

إنَّ المآثر العظيمة التي قدمتها صناعة الورق للوراقين والنساخين قد أغنتهم مع مرور الأيام عن أوعية الكتابة التقليدية التي بدأت تزول شيئا فشيئا، حتى أن الكتب بدأت تنزّين وترتقي من حيث ترتيب الأوراق وثقلها على القارئ بعدما أتعبت أوعية الكتابة التقليدية المتعلمين والعلماء من الحمل الثقيل والسفر الطويل، وهذه الحال لم تأت إلا من خلال جهود كبيرة كان يقوم بها البسطاء من العاملين في مطابخ الورق لكي يُخرجوا للأسواق ذلك الوعاء الجميل الذي

1- خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 148

2- ابن الأبار: المصدر السابق، ج 1، ص 299

3- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 227

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

أحدث ثورة إسلامية في مجال الصناعة على الغرب الأوروبي، وكذلك بالنسبة للنساج الذين أبدعوا في تخريج الكتب والدواوين، ولم يكن هذا ليحدث لولا الرؤية التي كان يتمتع بها الحكام في العالم الإسلامي ككل من مركز الخلافة إلى أقصى نقطة في الغرب، وهي من المظاهر الراقية التي تأثر بها الحكام وتنافسوا فيها حتى أصبحت العدو الأندلسية مثلاً رغم أن جغرافيتها أوروبية تضاهي مثيلاتها البغدادية والشامية في المشرق.

مع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامي، فقد ازداد عدد المخطوطات كثيراً وأخذ التنافس يشمل الخلفاء والوزراء والأغنياء على اقتناء الكتب النادرة وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير بينما كان الكبار منهم يغمرون بالتواصي والهدايا القيمة وكان الكثير من الخطاطين يعملون في المكتبات حيث ينسخون هناك المؤلفات لحساب تلك المكتبات بينما كان كبار الخطاطين يعيشون في قصور الخلفاء حيث ينسخون المؤلفات الغالية للمكتبات الخاصة، وإلى جانب هؤلاء كان هناك خطاطون يعيشون فقط من عملهم، أي يعملون حسب الطلب¹، كما عرفت المنطقة فنون التجليد وذلك للعناية بمظهر الكتاب الخارجي ليتحقق جماله ومتانتة، علماً أن الزخرفة امتدت إلى باطن الغلاف فقد عثر في جامع الكتبية على كتب استعويض بلوح الجلد أو الخشب منها الورق السميك، وهي ابتكارات جديدة في فن التجليد، أما المصاحف فقد خصت إضافة إلى التجليد بصناديق خشبية أو فضية تكريماً لها، وكان الإهتمام بالكتب وتجليدها يعتبر أمراً مهماً على المستوى العالي من الدولة فالخليفة عبد المؤمن بن علي أمر بتجليد مصحف عثمان وهو أحد المصاحف التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار، وقد ذكر ابن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن أن السلطان أبا الحسن كان لا يسافر إلا ومعه المصحف الكريم العثماني، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم ومقام كبير، وجاء عن ابن بشكوال أنه أخرج من قرطبة وغرب منها وكان بجامعة الأعظم ليلة السبت الحادي عشر شوال اثنتين وخمسين وخمسائة في أيام عبد المؤمن بن

1- الكسندر ستييتشفيتش: تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرنؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،

القسم الأول، 1993، ص 237

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

علي وبأمره، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار وقد أهداه إياه أهل قرطبة حيث جمع من أجل ذلك الصناع والمتفنين من سائر بلاد المغرب والأندلس ولعل أشهر هؤلاء في العصر الموحي عمر بن مرجي الاشبيلي الذي كان يرصع جلود المصاحف بالجواهر والمجلد أبو عمرو بكر ابن إبراهيم بن المجاهد اللّخي الإشبيلي نزيل فاس ومراكش¹.

إنّ ازدهار الورق بشكل خاص في الأندلس جعل حركة التأليف تصل إلى أرقى صورها فربما ذلك النقص الحضاري الذي كان يميز الغرب الإسلامي عن المشرق قد بدأ يتناقص تدريجيا في جميع المجالات خاصة العلمية أين برز جملة من العلماء الكبار الذين أصبحوا ينافسون علماء المشرق، ومن الصور الراقية في مجال النسخ هو بروز دور المرأة بشكل لافت بحيث شكلت دورا بارزا في هذه العملية، أين وصلن إلى درجات راقية، حيث ذكر عبد الواحد المراكشي نقلا عن ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة أن بالريض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها².

2/ ازدهار المكتبات

عاشت منطقة الغرب الإسلامي في نهضة فكرية وعلمية رغم الأحداث السياسية الكثيرة التي مرت بها وتعاقب الدويلات على حكمها إلا أنها لم تهمل الدور العلمي في بناء دولتها خاصة في فترة المرابطين والموحدين اللّتين قامتا على مبدأ ديني حيث نشأ يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وعبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين في مهاد دعوتين دينيتين وتتلّمذا على عالمين هما ابن ياسين وابن تومرت³، وإلى جانب الحياة الدينية الحافلة كانت

1- المنوني: تاريخ الوراقّة، ص29

2- المراكشي عبد الواحد: المصدر السابق، ص 267

3- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر،

ط1، 1980، ص444

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

- هنالك الحياة الأدبية من أدب ولغة وحياة علمية من فلسفة وعلوم اجتماعية وغيرها وصارت المدن المغربية والأندلسية تعجُّ بالعلم والعلماء ونشطت حركة التأليف وهو ما أدى إلى تكوين المكتبات وتأسيس العديد منها، ولعل أن أسباب ازدهار الحركة العلمية كثيرة نذكر منها :
- تشجيع الحكام والولاة للطبقة المتعلمة والعامة في إطار التنافس الحضاري الذي كان يحاول من خلاله الحكام البروز بين مختلف الدويلات والمدن.
 - انتشار التعليم الذي كان إجباريا وبالمجان مثل الأندلس وهو ما جعل معظم البلاد تتقن القراءة والكتابة¹.
 - الاتصالات العلمية والتلاقح الفكري بين مختلف المشارب المذهبية والفقهية الذي قاده فئة النخبة من العلماء الذين كانوا يسافرون من أجل طلب العلم والإلتقاء بكبار المشايخ في الشرق والغرب.
 - انتشار حركة الترجمة ابتداء من المشرق إلى الغرب الإسلامي حيث نجد مثلا أن مدينة طليطلة كانت أهم مدن الغرب الإسلامي التي كانت عامرة بالمكتبات.
 - الرحلات العلمية في طلب العلم التي كانت ظاهرة العالم الإسلامي والتي مكنت من ربط المشرق الإسلامي بغربه كما ساهمت في تطوير النهضة الفكرية وتبادل المعارف².
 - انتشار اللغة العربية في الغرب الإسلامي منذ الفتوحات الأولى حيث كان لزاما على السكان الأصليين تعلم لغة القرآن بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بضرورة قراءته باللغة العربية ومحاولة تعلمها³.
 - انتشار الورق الذي نشط لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم وحاجات الدولة

1- حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، جامعة القاهرة، كلية الآداب، دار ضياء للنشر والتوزيع والطباعة

ط1، 1988، ص30

2- عبد العزيز بن عبد الله: الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة،

الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص 11

3- شوقي عطا الله الجميل عبد الله، عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، جامعة القاهرة،

1996م، ص 116

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المختلفة¹.

إنَّ العوامل السالفة الذكر وغيرها كان لا بد أن تتوفر على هياكل تسمح للعلماء والمتعلمين من العودة إليها وحفظ التراث وهو ما برز في تأسيس المكتبات التي احتضنت أمهات الكتب ومن أوائلها تلك التي أسسها الأغالبة في المسجد الجامع بالقيروان، والمكتبة الشهيرة التي أسسها السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز أحمد (ت837هـ/1433م)، أما في المغرب الأوسط فقد اشتهرت في العهد الزياني المكتبات العامة مثل مكتبة الجامع الأعظم سنة (760هـ/1359م) في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني ومكتبة الجامع الكبير سنة (796هـ/1394م) من قبل أبو زيان محمد الثاني (ت805هـ/1402م)، والمكتبات الخاصة مثل مكتبات المدارس اليعقوبية سنة (763هـ/1362م) ومكتبات الأسر العلمية المختلفة مثل أسرة المقرئ والعقباني وفي المغرب الأقصى تنوعت كذلك المكتبات مثل مكتبة المنصور بمراكش، والمكتبة الشارية بسبته المنسوبة لمؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري² كما عرف المغرب الأقصى تأسيس الخزائن .

أمَّا الأندلس فقد عرفت عددا معتبرا من المكتبات التي لعب الحكام فيها دورا رئيسا في تأسيسها والتي جذبت أنظار الباحثين الذين قدموا إحصائيات نوجزها في ما يلي:

– ذكر الباحث محمد أمان أنه خلال الإزدهار العظيم للثقافة الإسلامية في الأندلس كان هناك ما يقارب سبعين مكتبة عامة³.

– ذكرت الباحثة الألمانية زغريد هونكة أنه يوجد في قرطبة وحدها عشرون مكتبة⁴.

– ذكر محمد عجاج الخطيب أنه في الأندلس كثرت المكتبات وبلغت نحو سبعين مكتبة أيام

1- حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص 31

2- المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص186

3- محمد محمد أمان: الكتب الإسلامية، ترجمة: سعد بن عبد الله الضبيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1990

ص66

4- سيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية على أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون، كمال

دسوقي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1964، ص499

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الخلافة سوى المكتبات الخاصة¹

– أشارت دائرة معارف القرن العشرين إلى أنه كان في الأندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة².

ومنه يتبين أن عدد المكتبات في العدو الأندلسية كان كبيرا مقارنة بالمغرب الإسلامي لأن الحكام الأندلسيين توارثوا فكر عبد الرحمن الداخل الذي خطط لكيفية إعادة بعث تراث أجداده من المشرق وإقامته في قرطبة.

إن وجود مادة الورق ومؤسسات المكتبات والوراقين والنساخ والمتعلمين والعلماء في منطقة الغرب الإسلامي يقودنا إلى استنتاج دورة الإتصال الوثائقي التي كانت موجودة، فلا أثر لأعمال المؤلف ما لم يتم استنساخ هذه الأعمال في نسخ متعددة ثم توزيعها بطريقة رسمية أي نشرها ويمكن أن يكون في شكل كتاب³ أو كناشات صغيرة أو بضع ورقات أو مجلدات ضخمة وغيرها ولا يمكن للكتاب أن يصل إلى هذه المرحلة ما لم يوجد العلماء الذين إما يُدونون بأنفسهم أو يقومون بإملاء أفكارهم للخطاطين والنساخ، ففيها يستعين المؤلف بالمادة الورقية أو المواد التقليدية الأخرى، وعند الإنتهاء من عملية النسخ لا بُدَّ أن توضع هذه المؤلفات في رفوف المكتبات إما إهداء أو شراء من طرف أشخاص معينين أو حكام ووجهاء أو وقفا .

من المكتبات المشهورة التي عرفت الأندلس نجد مكتبة سرقسطة ومكتبة بلنسية التي كان يأتيها المهاجرون والتي استقر فيها مطروح التجيبي الذي كان ورّاقا يبيع الكتب، وابن نوح الغافقي الذي لم يكن في وقته بشرق الأندلس نَظِير لَهُ تقننا واستبحارا، كانَ رأسا في الراسخين من العلماء وصدرًا في المشاورين من الفقهاء قد برع في علوم اللسان وتمرس حياته كلها بالمسائل وتقدم في الفتيا واطلع على الآداب واضطلع بالغريب وشارك في التفسير وتحقق بالقراءات وأما عقد الشُّروط فإليه انتهت الرِّئاسة فيه وبِهِ اقتدى من بعده لم يسبقه أحد من أهل

1- محمد عجاج الخطيب: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص40

2- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون - الرابع عشر - العشرين - ، دار الفكر، بيروت، 1979، ص62

3- وفردر كانكستر: نظم استرجاع المعلومات ، ترجمة : حشمت قاسم ، مكتبة غريب ، القاهرة، 1981، ص23

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

زَمَانَهُ إِلَى مَا تَمِيز بِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى دُونَت عَنْهُ مَعَ حَسَنِ الْخَطِ وَبِرَاعَةِ الضَّبْطِ وَتَدْقِيقِ النَّظَرِ وَالْإِمَامَةِ فِي الْمَعَارِفِ وَالْبَصَرِ فِي الْحَدِيثِ وَالْحِفْظِ لِلْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ وَالْإِيضَاحِ لَمَّا اسْتَغْلَقَ مِنْ مَعَانِي الْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَلَهُ تَنَابِيهِ فِي فَنُونِ شَتَّى وَتَقْيِيدَاتٍ شَامِلَةٍ النَّفْعِ¹ وَمِنْ الْمَكْتَبَاتِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ مَكْتَبَاتُ غَرْنَاطَةَ، وَمَكْتَبَاتُ قَرْطَبَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْوِي حَوَالِي عَشْرِينَ مَكْتَبَةً لَوْحَدَهَا، وَيُوجَدُ بِهَا مَكْتَبَةُ الْقَصْرِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي تَسْمَى فِي الْمَصَادِرِ بِمَكْتَبَةِ الْحَكْمِ الْمُسْتَنْصَرِ، حَيْثُ يَذْكُرُ ابْنُ حَزْمٍ فَهْرَسَ مَكْتَبَةَ الْمُسْتَنْصَرِ فَيَقُولُ: "وَأَخْبَرَنِي تَلِيدُ الْفَتَى وَكَانَ عَلَى خَزَانَةِ الْعُلُومِ بِقَصْرِ بَنِي مَرْوَانَ فِي الْأَنْدَلُسِ أَنَّ عِدَّةَ الْفَهَارِسِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا تَسْمِيَةُ الْكُتُبِ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ فَهْرَسَةً، فِي كُلِّ فَهْرَسَةٍ خَمْسُونَ وَرَقَةً لَيْسَ فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ أَسْمَاءِ الدَّوَاوِينِ فَقَطْ"²، إِضَافَةً إِلَى الْمَكْتَبَاتِ الْخَاصَةِ حَيْثُ تَذْكُرُ الْمَصَادِرُ أَنَّ الْقَاضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ فُطَيْسٍ الَّذِي عَرَفَ عَنْهُ حُبُّ وَجْمَعِ الْكُتُبِ كَانَتْ لَدَيْهِ مَكْتَبَةٌ حَتَّى أَنْ قِيلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ مِنَ الْكُتُبِ فِي أَنْوَاعِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ بِالْأَنْدَلُسِ.

مِنْ الْمَحَاسَنِ الْجَلِيلَةِ لَصْنَاعَةِ الْوَرَقِ هُوَ ارْتِفَاعُ عِدَدِ الْكُتُبِ فِي الْمَكْتَبَاتِ رَغْمَ أَنَّهَا قَدْ مَرَّتْ عِبْرَ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَخْتَلِفَةِ بِمَرَاكِلِ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ فَتَارَةً يَتِمُّ احْتِرَامُ الْكُتُبِ وَتَقْدِيسُهَا وَتَارَةً يَتِمُّ إِحْرَاقُهَا وَمُطَارَدَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْكَتَابِ، أَوْ تَتَعَرَّضُ هَذِهِ الْبِلَادُ أَوْ تِلْكَ لَغْزَوْ يَتِمُّ فِيهِ سَلْبُ الْكُتُبِ وَنَهْبُهَا أَوْ حَرْقُ وَتَدْمِيرُ الْمَكْتَبَاتِ بِأَكْمَلِهَا، غَيْرَ أَنَّ وَجُودَ نَسَخٍ مِنَ الْكُتُبِ مُوزَعَةٍ فِي بَقَاعِ الْأَصْقَاعِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَاهَمَ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَى بَعْضِهَا مِنَ الضِّيَاعِ وَالْحَرْقِ³ وَلَنَا فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ تَجْرِبَةٌ مَعَ كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِلْغَزَالِيِّ بَعْدَمَا تَحَجَّجَ الْفُقَهَاءُ فِي عَصْرِ الْمُرَابِطِينَ بِأَنَّ الْكُتَابَ يَحْتَوِي عَلَى مَوَاضِيْعِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُرَابِطِينَ كَانَتْ سَنِيَّةَ مَالِكِيَّةٍ، كَمَا أُحْرِقَتْ الْكَثِيرُ مِنْ كُتُبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي عَهْدِ الْمُوَحِّدِينَ وَتَجْرِبَةُ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ

1- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج2، ص98

2- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ) : جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط 3، 1391، ص100

3- منصور محمد سرحان: المكتبات في العصور الإسلامية: مكتبة فخرآوي، ط1، 1417/1997، ص130

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الذي أمر بإخراج كل كتب العلوم القديمة المؤلفة في المنطق والفلسفة والنجوم وغير ذلك من علوم الأوائل التي كانت في مكتبة الحكم الجامعة وأمر بإحراقها تحببا وتقربا إلى عوام الأندلس وإرضاء الفقهاء وكسب عطفهم وتأبيدهم، وقد برر خوليان ريبيرا عن ظاهرة إحراق المخطوطات في الأندلس بقوله: "يجب أن لا نطن أن ذلك كان احتقارا للعلوم أو حقد منا على المسلمين وعلومهم، بل العكس فإن ذلك كان بفضل الحماس المتزايد أو المبادئ المغالى فيها وهي ميزة خاصة في شعبنا"، ويبدو أن ما جاء به هذا المستشرق الإسباني منطقي كون أن التعصب المذهبي كان موجودا في الغرب الإسلامي وله جذور تاريخية طويلة منذ عهد الخوارج والشيعة العبيديين .

إن ثورة تأسيس المكتبات في الغرب الإسلامي تعود بالدرجة الأولى لتوفر المصنفات العلمية المختلفة والتي أصبحت متداولة بعدما عرفت تحسنا ملحوظا في الشكل من حيث التجليد والتفسير ونوعية الورق المستخدم وبها أصبحت المكتبات مرتبة ومفهرسة خاصة الكبيرة منها حيث توفرت مكتبة الحكم على قسم للتأليف وفيها كلف محمد بن الحارث الخشني بتأليف بعض الكتب للمكتبة على غرار تاريخ قضاة قرطبة، فضائل الإمام مالك، مناقب سحنون وغيرها علما أن نسخ هذه المؤلفات كانت بأمر من الخليفة الناصر والمستنصر لتدعيم الوجود المالكي أمام المذاهب الأخرى خاصة الشيعي منها، وكان يوجد بها أيضا قسم للترجمة لأمهات الكتب الأجنبية الكبرى، إضافة إلى قسم النسخ وقسم العمليات الفنية، أما عن تمويل المكتبات في الغرب الإسلامي فكان من الأمور العادية التي تبارى القوم بالصرف عليها دون حساب¹. إن مرحلة الرقي التي وصلت إليها المكتبات في الغرب الإسلامي نابعة من اتفاق الطبقة الاجتماعية ككل على ضرورة الإهتمام بمثل هذه المراكز التي حفظت الكثير من المخطوطات المهمة من الضياع والتي هي موجودة اليوم في العديد من المكتبات العالمية التي تدعي أنها تحصلت عليها من طرف المسلمين بحكم قلة خبرتهم في تخصص المخطوطات وطرق الحفاظ عليها، إلا أن التاريخ يشهد أن الحركة الإستعمارية الأوروبية في القرن التاسع عشر الميلادي

1- حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص 123

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

قد تسبب في سرقة الكثير منها، إضافة إلى المشاكل السياسية الكبيرة التي عرفتھا المنطقة خاصة حروب الإسترداد الإسبانية وأشهر مثال على ذلك الحريق الذي حدث في باب الرملة¹ بمدينة غرناطة سنة 1492م رغم معاهدة الصلح مع النصارى وراح على إثرها آلاف المخطوطات الإسلامية .

3/ الخطّ

تغنى البلاغيون العرب بالخطّ ووصفوه بشتى النعوت فقالوا بأنه صورة الكتابة وأنه صورة ذات روح، ولكنهم لم يقصدوا من الروح سوى الرفع من قيمته لأنه جامع لكل المعاني والدلالات والعلامات والحالات، وتوسع الصولي في مدح الخط بقوله: "إنَّ أحسن الخط أبينه"² ساهم الورق في الغرب الإسلامي بتطور الخط وتدوينه فقد شكلا ثنائية مميزة في تكوين معالم الحضارة العربية الإسلامية بحكم أنَّ الورق والخط ارتبطا بمجالات الثقافة والفنون والتعليم والصنائع والدولة، بحيث ساهمت العديد من العوامل في جعل المنطقة تهتم بالخط منها حماسهم الديني، حيث ارتبط عندهم بقداسة القرآن الكريم، ثمَّ الجانب الثقافي المتمثل في الإنخراط التلقائي في الثقافة العربية الإسلامية واستعمال الخط العربي في التحصيل العلمي وفي الإدارة ثمَّ في التواصل تدريجيا، إضافة إلى الحاجة الاجتماعية والثقافية الماسة للخط نظرا لغياب كتابة محلية عند سكان شمال إفريقيا عند اتصالهم بالمسلمين، فالحروف المسماة اليوم بتيفيناغ كانت قد اندثرت بمدة طويلة قبل دخول الإسلام في شمال إفريقيا³، أما بالنسبة لتاريخ الخط في الغرب الإسلامي فإنه يعود إلى القرون الهجرية الثلاثة الأولى أين كان المستخدم فيها الخط الكوفي والشاهد على ذلك أن كل النسخ الخطية للمصاحف الأولى كتبت بالخط الكوفي وهو مشتق من الخطوط القديمة للجزيرة العربية⁴ والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر

1- رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2001/1422، ص 50

2- الصولي: أدب الكتاب، ص 54

3- عمر أفا، محمد مغزاوي: الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2007/1428، ص 29

4- هوداس: محاولة في الخط العربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث، ص177

الفصل الثاني: إنتاج الـوَرق في الغرب الإسلامي

مطبوعا بطابع شرقي محض تأثر بكتابة الفاتحين العرب بما فيهم الإمام إدريس الأول وحاشيته المشرقية ثم أخذ يميل حسبما يؤخذ من المقدمة إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هذه الفترة بالقيروان، ويرجع ارتباط المنطقة بالخط الكوفي لأنه اعتبر الأحسن لكتابة وحي القرآن وهو الخط الذي تأقلم مع أشكال الأقاليم التي امتدت مابين ما وراء النهر شرقا إلى الشمال الإفريقي غربا حتى بلغت أسماء أنواعه الإثني عشر على ما أورده أبو الحيان التوحيدي وهي: الإسماعيلي والمكي والمدني، الأندلسي، الشامي، العراقي، العباسي، البغدادى المشعب، الريحان، المجود، المصري¹ علما أنه وإلى غاية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي كان طلبة الفقه في القيروان يدرسون نصوصا مكتوبة بالخط الكوفي، أما عن كيفية انتقاله من المشرق فكان مع الفاتحين، بحيث أن المحطة الأولى التي حل بها الخط العربي قادما من مصر هي مدينة القيروان التي تأسست سنة 50هـ وكانت عاصمة ولاية المغرب والأندلس ومنها انتشر الخط العربي إلى باقي المدن الأخرى في أرجاء المنطقة² مثل منطقة السودان وذلك لانتشار الإسلام فيها، وعلى العموم فإن الخط المغاربي في تطوره مرّ بثلاث مراحل:

– المرحلة القيروانية: وهي التي استخدم فيها الخط الكوفي أي اتباع الخط القيرواني القديم الذي كتب به أهل القيروان قبل منتصف القرن الرابع الهجري، بالتحديد في عصر ابن مقلة الذي هدّب طريقته في الخط ابن البواب (ت423هـ/1032م) بعدما نقحها وكساها طلاوة وبهجة كما قال ابن خلكان، وأكمل قواعد الخط وتممها واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة كما ذكر القلقشندي.

كان الخط الكوفي يمثل المرتبة الأولى بين سلسلة الخطوط الإسلامية ومناسبا جدا لكل أنواع الزينة على الكتب والأوعية ويرجع ذلك إلى تركيب حروفه من حيث أشكالها العمودية والأفقية، أو اتصال بعضها ببعض على حسب خط الكاتب ومهارته، كما اشتهر هذا الخط

1- ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، مؤسسة رمزي للطباعة، بغداد، 1972، ص22

2- عبد الحق معروز: الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن هجريين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

، الجزائر، 2002، ص9

الفصل الثاني: إنتاج الـوَرق في الغرب الإسلامي

في أصوله بأسماء أخرى منها الجزم، والأنباري لأنه ظهر بين سكان الأنبار، والحيرة لأن سكان الحيرة اقتبسوا هذا الخط من الأنبار والحجاز بعد انتقاله إلى الحجاز ثم بالكوفي، كما قيل أنه اشتهر بهذا الاسم لأن الكوفة كانت مقر خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولأن عليا كان يكتب به وعلى هذا الخط أضيفت الأحكام والأرقام.

طور الخطاطون في جميع الحواضر الإسلامية الخط الكوفي وأدخلوا عليه كثيرا من أمور الزينة وأخرجوه إخراجا جديدا، وابتدعوا له أنواعا فنية رائعة وقد كتبوا به المصاحف الشريفة ونقشوا به الآيات الكريمة على جدران المساجد والقصور وشواهد القبور لكنه لم يعد مستخدما بكثرة بعدما استعمل مكانه خط الثلث المملوكي في مصر والنسخي الأتابكي في الشام وشمال العراق وبقي مستعملا في الغرب الإسلامي مع بعض التقنيات التي أدخلها عليه أهل المنطقة. – المرحلة الأندلسية تطور فيها الخط الكوفي إلى الخط اللين الدقيق ثم الخط القرطبي المبسوط، والجدير بالذكر أن الخط العربي في الأندلس دخل مع الفتوحات الإسلامية ومع مرور الزمن تكونت لدى الأندلسيين سمات خطية تقترب من الخط المغربي وتحاكيه بعض الشيء ومع هذا الخط دخلت الكثير من الألفاظ العربية إلى اللغة الإسبانية.

– المرحلة المغربية: تتمثل في انتقال الخط الأندلسي في عصر الموحدين وتطويره محليا حتى أصبح يعرف بخط المغاربة.

أسفر التطور الذي حصل خلال المرحلة المغربية على الخصوص في تحديد أنواع الخط إلى خمسة أنواع ابتداء بالقرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي وهي¹ :

– الخط الكوفي المغربي

– خط الثلث المغربي

– الخط المبسوط

– الخط المجوهر

1- أنظر الملحق : رقم 19، ص 291

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

– الخط المسند الزمامي¹

وقام ابن السماك العاملي الأندلسي (ت750هـ/1349م) بإعطائنا معلومات عن الخط في الغرب الإسلامي في كتابه رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير حيث قال: "ولا يعرف اليوم في زماننا هذا من أصناف الخط غير أربعة أنواع، خط المغاربة وهو الخط الذي يكتب به الآن من أقصى المغرب والأندلس إلى الاسكندرية، يتداول الكتب به أزيد من خمسمائة سنة وخط المشاركة وهو الذي يكتب به في مصر والشام والحجاز والعراق وهو عندهم صغير الثلث وخط المصاحف وهو الخط المبسوط المتداول كتبه لهذا العهد، وخط الجزم وهو الخط الكوفي، ولم يبق منه اليوم إلا رسم قليل في نقش الحيطان وفي بعض المصاحف القديمة".²

كما يوجد تقسيم آخر للخطوط التي ظهرت في الغرب الإسلامي وهي ذات الإنتشار الواسع منها:

– الخط القيرواني

– الخط الأندلسي

– الخط الفاسي

– الخط السوداني

أما المغرب الأوسط فقد عرف أنواعا ثلاثة هي:

– الخط الأندلسي الذي كان يستخدم في الحواضر الوسطى على غرار جزائر بني مزغنة

– الخط الفاسي اقتصر استعماله في الحواضر الغربية من المغرب الأوسط

– الخط القيرواني وهو المستعمل في شرق المغرب الأوسط.

ومن أجل تحسين الخط استعمل الخطاطون في الغرب الإسلامي أقلاما خاصة منها القلم المبسوط الذي يختلف قليلا عن القلم المشرقي في نوع القطة أي بعد بري القلم تكون له زاوية

1- عمر أفا، محمد مغراوي : المرجع السابق، ص36

2- ابن السماك العاملي (ت535هـ) : رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان، 2004، ص48

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

محددة¹ كما كان الخطاطون يتدربون لتحسين كتابتهم بالقواعد وضبط المقاييس والأوزان حتى يكتسبون المرونة والليونة وحتى تمتلك أصابعهم طلاقة ورشاقة في إمساك الأقلام أو قسبة الكتابة لأن الموهبة تفتقر وتذهب بالإهمال وتقوى بالتمرين والصقل المستمر وهو ما كان عليه الخطاطون في جميع الحواضر، ومن جملة الأساسيات التي نستنتجها من رسم الخط العربي ما يلي:

- وضعية حركة اليد وحركتها بحيث يجب أن تكون مرتاحة وفي وضعية صحيحة
 - المعرفة الجيدة بقياسات الحروف وأشكالها
 - معرفة طريقة مزج الحروف في كلمات وترك المسافات المناسبة بينها
 - ضبط الإتجاهات الأساسية لرسم أجزاء الحروف
 - الإنتظام في رسم الحروف وذلك من حيث الإرتفاع وسمك أجزائها ونوعها عمودية أو مائلة.
 - مدّ الحرف بمعنى طول الحرف حسب الفراغ المتبقي مثلاً.
- وقد اشتهر عن الخطاطين في الحواضر الإسلامية احترام المسافة بين الخطوط من حيث ضبط ارتفاع أجزاء الحروف بصورة متساوية وضبط ارتفاع الكلمات في السطر الواحد وكذلك ضبط المسافة بين السطور المتتالية وقد كتب ابن دُرستويه (ت347هـ/958م) الفارسي في كيفية ضبط الأسطر حيث قال: "ومما يعدل به السطور أن تجعل أعالي ألفاتها ولاماتها وكافاتها المنتصبة وطاءاتها المتوازية على مقدار واحد غير متفاضلة، وتجعل أسافل الحروف المعرّقة كالصادات والسينات والنونات والياءات متساوية بمقدار واحد غير متفاوتة وكذلك أسافل المعق كالجيمات والعينات، فإنها تسلم بذلك من الإعوجاج"².

إنَّ الإهتمام بتحسين الخط والإرتقاء به كان ظاهرة في الحضارة الإسلامية وقد كان لكتابة المصاحف أثر كبير في ذلك، حتى رووا في حسن الخط وتحسينه أحاديث، وسواءً أصحت أم

1- أنظر الملحق: رقم 20، ص 292

2- ابن دسترويه (ت347هـ): كتاب الكتاب، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2،

1967، ص، ص 75، 76

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

لم تصح، فإنها تعبر عن عناية الناس ورغبتهم في الكتابة، وارتقاء أذواقهم وحسهم الفني¹ وما زاد من جودة الخط هو صناعة الورق التي سهلت على الخطاطين من تنميته وتزويقه وإخراجه في أحسن صورة، بعدما كانت الكتابة صعبة نوعاً ما على الرقوق والجلود الصلبة وغير المسطحة، وقد ذكر لنا النويري بعض صفات الخط الإسلامي بصفة عامة بعدما سأل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق الجودة فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه، وتساوت أطنايه واستدارت أهدايه، وصغرت نواجذه، وانفتحت محاجره، وقام لكتابه مقام النسبة و الحلية، وخيل أنه يتحرك وهو ساكن²، ومن محاسن الخط العربي أن منازلها قد اختلفت وتقدمت بعضها على بعض بتقدم مراتبها وكذلك أماكنها وقدرة خطاطيها وشهرتهم في التدوين، فقد جاء عند ابن خلدون قوله: كان الخطّ البغداديّ معروف الرّسم وتبعه الإفريقيّ المعروف رسمه القديم لهذا العهد، ويقرب من أوضاع الخطّ المشرقيّ وتحيز ملك الأندلس بالأمويّين فتميّزوا بأحوالهم من الحضارة والصّنائع والخطوط فتميّز صنف خطّهم الأندلسيّ كما هو معروف الرّسم لهذا العهد، وطما بحر العمران والحضارة في الدّول الإسلاميّة في كلّ قطر، وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها³.

إنّ الإهتمام بالخط خلق في مجتمع الغرب الإسلامي مهنة الخطاطة⁴ بعدما بلغت غايتها في الجودة والإتقان بسبب التنوع في طرائق الخطاطين المغاربة والأندلسيين الذي كان نتاجاً لمدارس في الخط ظهرت في الأندلس منذ أواخر العهد المرابطي وبداية العصر الموحي كـمدرسة ابن أبي الخصال(ت540هـ/1146م) ومدرسة ابن الخير الإشبيلي (ت575هـ/1179م) ولا شك أن وجود مثل هذه المدارس قد ساهم في ذيوع صيت خطاطين مجيدين

1- يحي وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص97

2- النويري: نهاية الأرب، ج7، ص15

3- ابن خلدون: العبر، ج1، ص528

4- المنوني: حضارة الموحدين، ص180

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ومجودين في كل من المغرب والأندلس¹ بحيث ذكرت لنا المصادر التاريخية عددا معتبرا من هؤلاء نذكر منهم :

– ابن المناصف محمد بن عيسى الأزدي القرطبي (ت620هـ/1223م)، الذي كان يكتب على ثلاثة عشر نوعا من الخط المغربي الأندلسي، فضلا عن الخط المشرقي، قال عنه ابن عبد الملك: كان كاتبًا بارعًا، شاعرًا مجيدًا مُكثرًا، وَقَفْتُ على بعض شعره في سِفْرِ صَحْمٍ يحتوي على أزيد من خمسة عشر ألف بيت كان من أبرع الناس خطأ في الطريقة المغربية، كَتَبَ أزمّة المَجَابِي السُّلْطَانِيَّة، وفاق في أحكامها أهل عصره.² ومن النسخ المعتبرة والمخطوطة التي وقف عليها ابن عبد الملك لهذا الخطاط: الدرر السنية في المعالم السنية، التي رقمها بخطه المشرقي، والمذهبة في نظم الصفات من الحلي والشيآت، والمعقبة لكتاب المذهبة التي رقمها بخطه المغربي.

– ابن غوطس (ت610هـ/1213م) كان من أشهر الخطاطين في الأندلس الذين سبق ذكرهم مع جملة النساخين، ذاعت شهرته في المشرق والمغرب حيث ذكر المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد: أما أصول الخط المشرقي وما تجد له في القلب واللَّحْظ من القبول فمسلّم له، لكن خط الأندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسنٌ فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد³، وقد ذكر ابن الأبار عن ابن هذيل أن ابن غوطس كان يَكْتُب المَصَاحِف وينقطها وَانْفَرَدَ في وقته بِالْإِمَامَةِ فِي ذَلِكَ براعة خط وجودة ضبط وَيُقَالُ أنه كتب ألف نُسخة من كتاب الله عز وجل وَلَمْ يَزَلْ المُلُوكُ فَمِنْ دُونِهِم يَتَنَافَسُونَ فِيهَا إِلَى الْيَوْمِ وَكَانَ قد آلى على نفسه ألا يخط حرفا من غيره وَلَا يخلط به سواه تقربا إِلَى الله وتتنزيها لتتنزيله فَمَا حنثَ فِيمَا أعلم وَأَقَامَ

1- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني : الخط المغربي بين التجريد والتجسيد، دراسة تاريخية فنية من خلال مخطوطات

مرينية وسعدية: مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، ط1، 2013، ص24

2- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ج5، ص288

3- المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص151

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

على ذلك حياته كلها خلف أباه وأخاه في هذه الصناعة التي تميزوا بها وكان معروفا فيها وفي إبداعها آية من آيات خالقه¹ وقد انبهر الصدي من حسن خطه بقوله: "قد رأيت أنا بخطه مصحفا أو أكثر وهو شيء غريب من حسن الوضع ورعاية المرسوم ولكل ضبط لون من الألوان لا يخل به فاللازورد للشدات والجزمات واللك للضمات والفتحات والكسرات والأخضر للهمزات المكسورة والأصفر للهمزات المفتوحة لا يخل بشيء من ذلك وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة وكأنه متى فسد معه شيء أبطل تلك القائمة توفى المذكور سنة عشر وستمائة وممن سلك هذه الطريق في المصاحف ابن خلدون البلنسي".²

– عبد الله بن عيسى التادلي الفاسي (ت 579هـ/1183م)

– أبو الحكم بن غلندة الأندلسي الأصل.

– محمد بن يحيى بن صاف المعروف بابن المواق المراكشي ثم الفاسي.

– أما خطاطو المغرب الأوسط فقد ذكر بعضهم الغبريني والذي كان البعض منهم أئمة نذكر منهم:

– أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الذي كان ضابطا و متقنا³

– أبو جعفر بن أمية : قال عنه الغبريني : الشيخ الفقيه، العالم الفاضل، المحقق المتقن، أبو جعفر بن أمية وهو ابن مقله زمانه بارع الخط، حسن الضبط، مليح التنبيه، ووقفت على جملة كتب وعليها خطه في تنبيهات وتقييدات في كل فن من كتب الحكمة وكتب العربية وكتب تفسير القرآن العزيز، فما منها كتاب إلا وفي كثير من مواضعه بخطه تنبيه، إما تقييد المطلق وإما تخصيص العام وإما تفسير اللغة أو بيان وجه إعراب، وكل ذلك مما يروق خطه ولفظه

1- ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص105

2- الصفي صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت 764هـ) : الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000/1420، ج 3، ص 281

3- الغبريني: المصدر السابق، ص85

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

ومعناه، هذا فيما قبله أو طالعاه، وأما ما نسخه فأعجب من ذلك ولا يكاد أن يوجد فيه غلط بوجهه.¹

– أحمد بن العباس النقاوسي الذي قال عنه صاحب الديباج: لم تر عيني قط شرقاً ولا غرباً أسرع منه نسخاً وكتباً، ولا أقرأ منه لكل خط ما عسى أن يكون صعباً، مع جودة خطه وصحة نقله وضبطه.²

إنَّ هدفنا من ذكر هؤلاء الخطاطين ذوي الخبرة الطويلة جاء لبيان أن منطقة الغرب الإسلامي لم تكن أقل حظاً من المشرق الإسلامي في وجود أفراد محليين كانت لديهم المهارة في التفوق على الخطاطين في المشرق الذين سهل لهم الورق التقني في عملية النسخ والتدوين، كما نشير إلى أن اهتمام المسلمين بالمصاحف قد ساهم في تحسين الخط فحُسْنُهُ وجودته قامت على آداب وكيفيات وتقالييد فنية خاصة بكتابة النص القرآني لأنه يمثل المستوى الأول من الخط الروحاني الفاضل ومقدساً من المقدسات الإسلامية على وجه الأرض .

ولكن يجدر بنا التنويه على أن الخط الأندلسي بدأ ينتقل إلى المغرب الإسلامي شيئاً فشيئاً في عهد المرابطين حتى كاد يسيطر على الخط المغربي حيث يقول ابن خلدون:

فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ونسي خط القيروان والمهديّة بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت خطوط أهل إفريقية كلّها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوقّر أهل الأندلس بها عند الحالية من شرق الأندلس³، حتى أن ابن مرزوق الخطيب يذكر أن أحد أجداده كان له خط حسن يشبه الخط الغطوسي الذي تكتب به المصاحف ومثله المصحف الذي نسخه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق حيث أشار محمد المنوني أنه وقف عليه بالمعهد العالي بتطوان مكتوب بخط أندلسي عتيق⁴، ومما يؤكد على براعة

1- الغبريني: المصدر السابق، ص216

2- التبتكتي: المصدر السابق، ص95

3- ابن خلدون: العبر، ج1، ص529

4- المنوني: قبس ، ص 22

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

الأندلسيين وتفوقهم في الغرب الإسلامي ما جاء في حديث كلام ابن غالب في رسالة ابن حزم التي قال فيها: إنّ أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية، تركبون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها¹.

في نهاية العهد الموحيدي أصاب الخط المغربي نوع من التراجع وهو ما أكدّه ابن خلدون بقوله: "حتّى إذا تقلّص ظلّ الدولة الموحّدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والثّرف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخطّ وفسدت رسومه وجعل فيه وجه التّعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخطّ الأندلسيّ تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدّمناه من أنّ الصّنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخطّ الأندلسيّ لقرب جرارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريباً واستعمالهم إيّاهم سائر الدّولة، ونسي عهد الخطّ فيما بعد عن سدّة الملك وداره"². بحيث نستنتج من خلال ما أورده ابن خلدون أنّ تراجع قوة الدولة أثر على نوعية الخط الذي تأثر بدوره بتراجع العمران وهي من النظريات الفريدة التي اشتهر بها ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين، ويعتبر تدهور الخط أزمة كبيرة تدخل ضمن الأزمات الكثيرة التي عرفها الغرب الإسلامي بحيث أثرت المشاكل السياسية على ضعف العلوم بصفة عامة ودخلت المنطقة في مرحلة التقليد، وهكذا أصبحت أمهات الكتب تكتب بخط رديء ينسخها طلبة غير متمكنين من تقنيات الخط وكذلك من اللغة العربية الأصلية، وبقي الخط الأندلسي محافظاً نوعاً ما على خصوصية الخط في الغرب الإسلامي رغم أنّ ابن خلدون لم يشر إلى خصوصيات الخط المغربي بالمقارنة مع الأندلسي، ولم يعلل اختلاف أنواعه وتميزها من بيئة إلى أخرى على عادته في تحليل كثير من الظواهر التي تعرض لها³ أما الأسباب التي جعلت الخط الأندلسي يتفوق على الخط

1- المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص151

2- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 529

3- محمد المغراوي: الخط المغربي عند ابن خلدون، مجلة حروف عربية، ندوة الثقافة والعلوم، الإمارات، العدد الرابع، السنة

الأولى، تموز 2001، ص9

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المغربي فهي كثيرة، نذكر منها دور الهجرات الأندلسية منذ فترة المرابطين في انتشار الخط في إفريقية والمغرب الأوسط والأقصى وساعدهم في ذلك خدمة عدد منهم في الوظائف الرسمية وتزخر المكتبات اليوم بعدد معتبر من المصاحف التي لا تزال شاهدة على استعمال المنطقة الخط الأندلسي.

إنّ انتشار الخطوط في منطقة الغرب الإسلامي ساهم في إعطاء الورق جمالية خاصة بعدما أبدع الخطاطون في رسم الكتابة عليه بكل ليونة وانسيابية وتحكم كبير بعدما ظهرت شخصيات بارزة كانت بمثابة المدارس التي أرسّت معالم تكوين الشخصية المغاربية والأندلسية ومنافسة الخطوط الأصلية المشرقية وهو ما ساهم في خلق جو حضاري في مجال الفنون الكتابية الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية وهي من الإيجابيات التي لا تزال مآثرها إلى يومنا هذا، كما أننا لانقصي الوازع الديني للخطاطين في عملهم والذي يظهر في أعمالهم مثل كتابتهم: كتبه العبد الفقير لله تعالى، كتبه الضعيف لربه وغيرها من العبارات الدالة على رمزية الجانب الديني في المؤلفات الإسلامية.

تميز الخط المغربي بصفة عامة عن غيره من الخطوط بأن نقطة الفاء توضع تحت الحرف أما نقطة القاف فتوضع فوق الحرف، كما كتبت به أشعار السلف وعلوم الفقه والأحاديث النبوية وساد في الغرب الإسلامي ثمانية قرون وأهدانا تراثا عربيا وإسلاميا فذا وآثارا ثمينة أخاذة بقيت على مر الدهور وأصبحت محط أنظار المؤرخين وعلماء الآثار العرب منهم والأجانب.

تذكر بعض المراجع على أن الخط المغاربي وصل حتى لصقلية والدليل على ذلك شواهد القبور المكتوبة بالخط الكوفي والخط النسخي وغلبة الصبغة الإسلامية على هذه البلاد حيث ظل الإفرنج بعد استرداد صقلية يكتبون بالعربية والخط العربي على المباني والعمارات وكانت اللغة العربية في صقلية هي اللغة الأصلية.¹

1- حسان صبحي مراد: تاريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر، الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 234

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

وفي ختام الحديث نذكر ما جاء به المستشرق تيتوس بوركهارت عن الخط الإسلامي: "الخط أشرف الفنون البصرية في العالم الإسلامي ولا سيما كتابة متن القرآن الكريم، فهي تعد الفن الديني أساسا، ولقد غدت الألف باء العربية توأما للأعمال النباتية في الكتابات الدينية في كثير من الأمور ولا سيما في الأعمال التزيينية، فكأن ذلك شجرة أوراقها متطابقة مع كلمات كتاب السماء، كما أن التراكيب في الخط العربي هي في حد ذاتها ذات إمكانات تزيينية جمالية لا حد لها ولا حصر، وقد نقشت الكتابات على الجدران وفي المساجد وحول المحاريب ولا يأخذ المؤمن بمعاني الكلمات وحسب بل إنه يأخذ كذلك بالأشكال والصور الروحية له، فيحيط به فيضان من الإجلال والقدرة الإلهية¹."

4/ الزخرفة والتلوين

إن ظاهرة الزخرفة والتلوين رافقت بشكل عام المصاحف منذ النشأة الأولى، ذلك أن الأدوات التي استعملت في كتابة المصاحف منذ ظهورها في عهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تعدو لونا من الألوان، وهو في الأغلب الأعم لون السواد، أو ما يشاكله، كما أن القراطيس التي رسمت فيها ألفاظ القرآن الكريم لا تعدو أيضا لونا من الألوان وهو في الأغلب الأعم لون البياض أو ما يقاربه²، ومع مرور الزمن واتساع رقعة المسلمين واستحكام قوة الدولة بدأ الإهتمام بالتلوين والزخرفة يزداد في الحواضر الإسلامية الكبرى خاصة مع ظهور وعاء الكتابة.

كان فنُّ الزخرفة في بدايته متواضعا حيث توضع في نهايات الفصول فواصل زخرفية بسيطة كأن تكون صفا من النقط أو شريطا رفيعا بداخله خط أو بضعة خطوط متعرجة ولم تلبث تلك الزخارف البسيطة أن ازدادت بمرور الزمن تعقيدا واختلطت فيها الأشكال الهندسية

1- حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة لسان العرب، دمشق، ط2، 2002، ص

2- مولاي محمد الإدريسي الطاهري: استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف عند علماء الأندلس والمغرب

بين التأصيل الفقهي والتطبيق المنهجي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1430/2009، ص20

الفصل الثاني: إنتاج الـوَرَق في الغرب الإسلامي

بالزخارف النباتية¹ وكان التلوين والزخرفة وسيلة لا غاية أي الغرض منه التوضيح أكثر من التتميق والتزويق.

إنَّ الألوان الأولى التي كانت مشهورة عند المسلمين هو اللون الأحمر والأصفر وهو ما نستنتج من إشارة أبي عمرو الداني في قوله: "الذي يستعمله نقاط أهل المَدِينَة في قديم الدَّهْر وَحَدِيثه من الألوان في نقط مصاحفهم الحُمْرَة والصفرة لَا غير فَأما الحُمْرَة فللحركات والسكون وَالتَّشْدِيد وَالتَّخْفِيف وَأما الصُّفْرَة فللهمزات خَاصَّة"².

استخدمت كذلك ألوان أخرى في الحواضر الإسلامية فقد اشتهر على أهل الكوفة والبصرة أنهم استعملوا اللون الأخضر لنقط الحروف الشواذ في المصحف، وقد شكلت لا محالة جمالية فريدة في تاريخ المصحف الشريف.

إنَّ ظاهرة التلوين نشأت في النصف الأول من القرن الأول الهجري مع ظهور البدايات الأولى لنقط المصاحف حيث يقول حمزة بن الحسن الأصفهاني: فلما انتشر التصحيف بالعراق فزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضموا لهذه الحروف المشتبهة علامات فوضعوا النقط إفرادًا، وازدواجًا، وخالفوا في أماكنها بتوقيع بعضها فوق بعض الحروف وبعضها تحت الحروف، فغير الناس بعد حدوث النقط زمانًا طويلًا لا يكتبون دفترًا ولا كتابًا إلا منقوطًا³. نستنتج أن استخدام التلوين في الغرب الإسلامي لم يكن بدعة مستحدثة بل تنقلت مع انتقال الخط والكتابة العربية من المشرق الإسلامي بسبب العناية بالمصاحف.

يعتبر المصحف من الكتب المقدسة التي اعتنى المسلمون بها خاصة من الناحية التقنية في تزيين التشكيل والحروف التي خصها الفنانون بجهدهم لتجميله وزخرفته وتطوير أساليب

1- الحلوجي عبد الستار: المرجع السابق، ص203

2-الداني عثمان بن عمر أبو عمرو (ت 444هـ) : المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن دار الفكر، دمشق، ص19

3-الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت 360هـ) : التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق : محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط 2، 1412/1996، ص 28

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

رسمه وحفظه¹.

إنَّ الإهتمام بالتلوين والزخرفة بصفة عامة خلق طبقة مشغلة بهذا الفن ومشاهير عرفوا بالكتابة فيها في الغرب الإسلامي نذكر منهم:

– أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني القرطبي (ت444هـ / 1052م)، صاحب كتاب المحكم في نقاط المصاحف الذي ألحق بكتاب المقنع في معرفة مصاحف الأمصار.

– أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن وثيق الأندلسي الإشبيلي المقرئ (ت654هـ / 1256م) صاحب كتاب الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف

– أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي الفاسي الشهير بالخرار (ت718هـ / 1318م)، صاحب الأرجوزة المشهورة مورد الضمان في علم الرسم وذيلها في فن الضبط المشهور بضبط الخراز.

– أبو داود سليمان بن نجاح، صاحب كتاب أصول الضبط وكيفيته على جهة الإختصار الذي جعله ذيلًا لكتابه مختصر التبيين لهجاء التنزيل.

– الحسن بن علي بن أبي بكر المنبهي الشهير بالشباني من أعلام القرن التاسع، صاحب كتاب كشف الغمام في ضبط مرسوم الإمام، وهو شرح لضبط الخراز.

– أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجرجي الشوشاوي السوسي المغربي (ت899هـ / 1493م) صاحب كتاب تنبيه العطشان على مورد الضمان، وكتاب حلة الأعيان على عمدة البيان.

– أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأموي التنسي التلمساني (ت899هـ / 1493م) صاحب كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز.

إنَّ هؤلاء الأعلام من منطقة الغرب الإسلامي الذين اهتموا بالكتابة حول التلوين والزخرفة أسسوا مدرسة في هذا الفن لكنهم حرصوا على أن يترسموا خطى من كان قبلهم من الأئمة

1- سهى محمود بعيون: كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، العدد السابع، السنة الرابعة، ص 115

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

المعتبرين في ضبط حروف وكلمات القرآن الكريم واستعمال الألوان فيها خاصة في المشرق إلا أن أهل المغرب والأندلس تميزوا في بعض التطبيقات الخاصة عن المشرق وهي كالاتي:

– تمييزهم في الهمزات بين المحققة والمليئة، حيث خصوا المحققة باللون الأصفر والمليئة باللون الأحمر.

– استعمال اللون الأخضر أو اللأزورد للدلالة على كيفية ضبط الإبتداء بهمزات الوصل إعلاما لكيفية النطق بها، وزيادة في البيان وتنبئها على الإستثناء من القاعدة العامة المتعارف عليها عند علماء الضبط وهي أن النقط يُبنى على الوصل¹، وفي هذا الصدد يقول أبو عمرو الداني: ورأيت في مصحف كتبه ونقطه حكيم بن عمران الناقط ناقل أهل الأندلس في سنة سبع وعشرين ومائتين، الحركات نقطا بالحمرة، والهمزات بالصفرة، وألفا الوصل المبتدأ بهن بالخضرة، والصلات والسكون والتشديد بقلم دقيق بالحمرة، على نحو ما حكيناه عن نقاط أهل بلدنا².

– التوسع في استعمال أدوات الضبط وألوانها، حتى أنه شمل جميع الحروف والكلمات القرآنية وجميع الظواهر الإقرائية والأدائية من حركة وسكون وتثوين وقلب وصلة واختلاس وتليين همزة³.

إنَّ استخدام الورق في الغرب الإسلامي ساعد الخطاطين على استعمال الألوان بكل دقة ومهارة حيث برزت على وجه العموم خمسة أنواع معروفة وهي اللون الأسود الذي كان يكتب به في المتن بصورة عامة واللون الأحمر الذي كانت تكتب به الحركات الثلاثة وكذلك الشدة والتثوين قال أبو داود: "واتبع أهل المدينة عامة أهل الأندلس قديما واتباع أهل المدينة في هذا كله أولى، والعمل بقوله ألزم وإن كانا مستعملين وجائزين ومعروفين قديما وإليه أميل أنا في

1- ابن نجاح أبو داود سليمان (ت496هـ): أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، تحقيق: أحمد بن أحمد بن

معمّر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2007/1428، ص 68

2- الداني: المصدر السابق، ص 88

3- مولاي محمد الإدريسي الطاهري: المرجع السابق، ص 42

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

نقط المصاحف وأختار¹ واللون الأصفر استعمل لضبط الهمزات المحققة على اختلاف هيئاتها² كما استخدم اللون الأخضر عند الأندلسيين والمغاربة لضبط ألفات الوصل للدلالة على كيفية الإبتداء بها، واللون اللازورد وهو اللون الأزرق الذي استعمل إلى جانب اللون الأخضر في نقط ألفات الوصل حيث قال الداني: وقد جرى استعمال نقاط بلادنا على الدلالة على كيفية الإبتداء بهمزة الوصل، فيجعلون فوق الألف نقطة بالخضراء أو باللأوزرد³

مع العلم أن خطاطي المنطقة استعملوا ألوانا أخرى مثل اللون الذهبي والياقوتي والفسطقي. إن التناسق الجميل الذي أحدثه خطاطو الغرب الإسلامي زاد من جمال الأوعية الكتابية خاصة الرق والورق، وإن اختيار الألوان وصناعتها هو دليل على تحكم المسلمين شرقا وغربا بالكيمياء لأن الحبر كان يصنع من مواد مدروسة وهي التي تعطي ذلك الرونق للقلم لكي يصبح قابلا للكتابة ومنه جاء قول أبو حفص بن برد الأندلسي: "ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة ويلفظ نورا وورد عنه فيما نقله: أن جعفر بن محمد نظر إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له⁴:

لا تجزعن عن المداد فإنه..... عطر الرجال وحلية الكتاب

إن صناعة الورق وتطور أدوات الكتابة في الغرب الإسلامي كانت له إيجابيات كثيرة على تقدم العلوم وتسهيل التدوين والتنويع في الخط مما يزيد من فهم القاريء حيث يقول حسين مؤنس عن الأندلس: تقدمت الأندلس في صناعة أدوات الكتابة من حبر وأقلام وشمع للأختام وسكاكين لقطع الأقلام، وما إلى ذلك، وقد نبغ الأندلسيون في صناعة الأحبار وعرفوا المعدني والنباتي والمطبوخ وغير المطبوخ والبسيط والمركب منها، وعرفوا أقلام الغاب يسمونه الأنبوب،

1- ابن نجاح: المصدر السابق، ص 55

2- التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله : الطراز في شرح ضبط الخراز، تحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1420، ص 187

3- الداني: المصدر السابق، ص 87

4- ابن عبد ربه الأندلسي : المصدر السابق، ج4، ص282

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

وريش الطيور بل صنع بعضهم أقلام حبر، أي أقلاماً تملأ بالحبر وتصنع بهيئة محكمة بحيث يحملها صاحبها معه ويكتب بها ما يشاء وتقننوا في صنع المحابر من الزجاج والبلور والرخام، وكانوا يزخرفون المحابر ويكتبون عليها اسم صاحبها بالحضر مع بعض الشعر أيضاً، واشتهروا بمحابر محكمة الصنع تحمل على هيئة الخنجر في قرابه لتوضع في حزام الثوب مع أقلامها وأنواع غيار التجفيف¹.

ساهم اهتمام المسلمين في المشرق و الغرب الإسلامي في التلوين إلى تطور فنون الزخرفة على الورق وهي من الفنون الراقية والتشكيلية ومعها دخلت المخطوطات مرحلة التذهيب حيث كان الخطاطون يقومون بكتابة الخطوط ويتركون الفراغات اللازمة لتزيين بعض صفحات الكتاب وحواشيه وبدايات الفصول ونهاياتها، فضلاً عن الصفحات الأولى والأخيرة ويقوم بهذا العمل فنان متخصص في رسم الزخارف بالألوان المختلفة ثم يسلم المخطوط بعد ذلك للمذهب الذي يقوم بتذهيب وتلوين هذه الرسوم، وكان بعض الرسامين يجيدون التذهيب أيضاً لذلك حرصوا على إضافة كلمة مذهب قرين أسمائهم صفة يعتزون بها² والتذهيب في حقيقته هو صبغ الشيء بالذهب أي فن تزيين المخطوطات بالرسوم الملونة بألوان الذهب وكان لعناية الأمراء والأثرياء الأثر الكبير في فن تذهيب المصاحف والمخطوطات لحاجة المذهبيين إلى بعض المواد الثمينة، كالذهب واللازورد والورق الفاخر،³ وقد أدى الإهتمام بالتذهيب إلى أن صار القائمون به أرفع قدراً بعد الخطاطين وكان يسمح لهم أن يضعوا أسماءهم أسفل المخطوطة، كما صار بعض المصورين يعملون كمذهبيين محاولين الإلتحاق بمكانة المذهب التي تلت مباشرة مكانة الخطاط⁴، علماً أن المذهبيين كانوا يحتاجون في صناعتهم إلى بعض المواد الثمينة كالذهب وحجر اللازورد، والورق الفاخر والحبر والكتان نظراً لعناية الأمراء

1- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص385

2- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي: أصوله فلسفته مدارسه، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969، ص249

3- حمدي البغدادي: زخرفة وتذهيب القرآن الكريم، مجلة الفرات، عدد 140، ذو الحجة 1433، ص133

4- حنان عبد الفتاح مطاوع: الفنون الإسلامية الإيرانية والتركية، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2010/1443، ص44

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

والأغنياء بفن تذهيب المصاحف والمخطوطات¹ وفي القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي لم يعد تزيين الصفحات الأولى المغطاة بالزخارف المذهبة فقط وإنما تعداه إلى داخل ورق المخطوط في مواضع متعددة

أما عن طريقة التذهيب فكان إما يترك في شكل صفيحة أو بعد ترسيبه وتعريضه للحرارة كما أنه استخدم للكتابة، حيث يؤخذ ورق الذهب ويفرك في إناء يحتوي على ماء وعسل وملح يوضع على نار هادئة حتى ييبس ويترك في الإناء مدة من الزمن ثم يكتب به ويطلق على هذه الطريقة الكتابة بماء الذهب.² واللون الذهبي هو من الألوان الحيادية وله خاصية أنه لا يصدأ وله دلالات معنوية وروحية كثيرة إذا رجعنا إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن نعيم الجنة، فنجد أن الذهب من مبشرات الخير مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾³.

وعلى العموم فإن فن التذهيب شمل المواضع التالية:

- أن الذهب استخدم كأبي لون في زخرفة الأشكال الصغيرة والكبيرة في المخطوطات المهمة
- استخدم الذهب في المصاحف أي في فواصل السور والآيات وزخارف أشكال الأجزاء والأرباع وغيرها بالذهب.
- إحاطة صفحات الصور والرسوم التوضيحية وأسماء السور والفصول والأبواب بإطارات يتوسطها شريط من الذهب.
- استخدم الذهب خاصة في جلود المخطوطات بشكل عام وعادة ما يكون عبارة عن صفائح وأوراق يتم ضغطها بواسطة آلات يدوية صغيرة على تلك الأشكال الزخرفية.

1- حنان عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص 45

2- السيد السيد النشار: المرجع السابق، ص 55

3- سورة الحج، الآية: 23

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

أما بالنسبة لأشكال الزخرفة التي كانت في الغرب الإسلامي على أوراق المصاحف فقد انقسمت بصفة عامة على النحو التالي:

- زخرفة فواصل الآيات
- زخرفة علامات الأجزاء والأحزاب
- زخرفة الصفحة الأولى للمصحف
- زخرفة جلد المصحف
- زخرفة الشريط الذي يفصل بين سورتين
- زخرفة الصفحات في بداية المصحف أو الفارغة داخل المصحف
- الزخرفة الملونة للجزء الفارغ من نهاية السورة.

إلى جانب التذهيب استعمل المزوقون أنواعا أخرى من الأحبار الملونة حصلوا عليها بعد تجارب علمية طويلة، الهدف منها الحصول على ألوان جذابة يمكنها أن تضيف جمالا على الزخارف التي تزين الصفحات القرآنية كما أوجدت بدائل رخيصة للذهب مع الحصول على نتائج متقاربة كالذي حضره جابر بن حيان في المشرق من خلال كبريتيد النحاس مع غيره من المعادن حبرا مضيئا استخدمه الخطاطون بدلا من الذهب¹

إن الورق في الغرب الإسلامي إلى جانب عناصر التلوين المختلفة يمثل إلى حد كبير سمات مشتركة من خلال صيغ وأساليب متنوعة على مواد متباينة لمبدأ التوحيد وجوهره في الدين الإسلامي، إذ أن أكبر عامل على وحدة الشعوب الإسلامية عقيدتها الدينية، فالتوسع العالم الإسلامي جغرافيا وزمنا انعكس على الفنون فأكسبها روحا واحدة وأسلوبا عاما واحدا².

1- شوقي مصطفى الموسوي، سامرة فاضل الفتاوي: جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبات المقدسة في كربلاء، مجلة تراث كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد الرابع، جمادى الأولى، 2015/1436، ص 481

2- لعرج عبد العزيز: جمالية الفن الإسلامي في المشآت المرينية بتلمسان، دار الملكية، 2006، ص 28

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

إنَّ المسلمين في الغرب والشرق الإسلامي وهم يدونون في مختلف الأوعية خاصة الورق والرق قد مثلوا ظاهرة في العالم ككل باشتغالهم في إعلاء كلمة التوحيد على وجه الأرض ومنه فإن القرآن أصبح محفوظا بعد العناية الفائقة والكبيرة منهم، ولذلك وجدنا أن المخطوطات الإسلامية قد اهتمت كثيرا بالجانب الديني دون إهمال المخطوطات العلمية ويرجع السبب في ذلك أن كتابة المصحف تعتبر من المقدسات الإسلامية التي برع الخطاطون في كتابتها وتزيينها، ومما زاد المصاحف في شكلها بهاءً وحسنا تطور وعاء الورق، وبالتالي فإنه أصبح حجة باقية لحفظ القرآن الكريم بل وزيادة عدد نسخه في الغرب الإسلامي بعدما كان يكتب فقط في المشرق.

مثلت صناعة الورق في الغرب الإسلامي إضافة إلى فن الزخرفة والتلوين دليلا آخر على التلاحق الذي حدث في العالم الإسلامي وهو ما لاحظته غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب عندما تحدث عن خاصية الوحدة فيقول: إنه يكفي نظرة على أثر يعود إلى الحضارة العربية كقصر أو مسجد محبرة أو خنجر أو مغلف قرآن لكي تتأكد من أن هذه الأشغال الفنية تحمل طابعا موحدًا، وإنه ليس من شك يمكن أن يقع في أصالتها، ليس من علاقة واضحة مع أي فن آخر، إن أصالة الفن العربي واضحة تماما¹.

إنَّ النظرة البسيطة للإنسان سوف يجد أن الأوراق التي حُطَّ عليها في الغرب الإسلامي ما هي إلا إبداع إسلامي تكون عبر محطات زمنية مختلفة وجغرافيا مترامية الأطراف من الشرق إلى الغرب، فحقيقة هو إبداع وفن لأنَّ المسلمين استغلوا الطبيعة والمجال في إنتاج العناصر الزخرفية النباتية سواء في صناعة الورق أو التلوين والكتابة، وهذا الفن كان ينمو تدريجيا في المنطقة خاصة في الأندلس، وقد استعان الخطاطون والمذهَّبون بجماليات التجريد في الأشكال النباتية من أوراق ونباتات في زخرفة منتجاتهم الفنية سواء أكانت تلك المنتجات تحفا أو عمائر أو مخطوطات ورقية وذلك لتجريد العناصر المستخدمة من صورتها الطبيعية

1 - غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتير، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 4، القاهرة، 1964،

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

وقد زاد استخدام تلك الزخارف منذ القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي¹، كما اعتمد المسلمون على القيمة الجمالية للخط العربي التي زادت من جودة الكتابة ووضوحها ولولا تلاقي هذه العناصر من مهارة وموهبة إنسانية وطبيعة روحية لما استطاع المسلمون بلوغ هذه الدرجة من الوعي الفني، كما ساهم الإسلام بشكل لافت في إخراج الفرد المسلم من بوتقة العصبية والجاهلية التي كان يعيش فيها سنوات طويلة شغلته عن الصناعة والفن.

ساهم تلوين الورق وزخرفته في تنوع المخطوطات في أشكالها حسب المجال وهي بطبيعة الحال لم تقتصر على العلوم الدينية فقط فالمخطوطات الطبية تختلف عن الجغرافية وتختلف عن المصاحف إلا أنها تصب في وجهة واحدة وهي مهارة المسلمين التي توارثوها عبر الأجيال حتى باتت جزءا لا يتجزء من ثقافتهم وهذا ما أبطل دعايات الغرب القائلة بأنه لا يوجد فن إسلامي.

إنَّ حديثنا عن الورق والزخرفة يدخل أيضا في إطار الإشباع البصري للعين والأداء الوظيفي للمعنى، والأثر الطيب لراحة النفس واطمئنانها الروحي، وهو ما يتجلى في ورقات المصاحف الشريفة، وقد مثلت المخطوطات القرآنية المجال المعرفي الأكثر حيوية وبيانا لصيرورة الصور الخطية وأثرها الفني في إنشاء صورة المخطوط وصناعته العلمية والجمالية التي اعتاد العلماء المسلمون تسميتها كتابة المصحف الشريف²، ولكن لا يمكن أن نهمل شيئا خاصا وهو أن الزخرفة بدأت تتسلل إليه شيئا فشيئا ابتداءً بالقرآن الكريم لأن في القرنين الهجريين الأولين كانوا يتخرجون من أن يجددوا شيئا في المصحف أو أن يضيفوا إليه ما ليس منه، فلم تكن هناك فواصل آيات أو علامات تعشير، ولم تكن الفواصل بين السور إلا مساحات

1- محمد عبد الله الدرايسة: عدلي محمد عبد الهادي، الزخرفة الإسلامية، مكتبة المجتمع العربي، عمان، الأردن، ط1،

1435/2015، ص 101

2- إدھام محمد حنش: جمالية المخطوط القرآني وتقاليدھا الفنية، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد 55،

جمادى الأولى 1432/2011، ص203

الفصل الثاني: إنتاج الورق في الغرب الإسلامي

بيضاء تزيد قليلا عن مساحة سطر أو سطرين¹.

تكتسب دراسة الورق والزخرفة والألوان وكذلك نوعية الخطوط أهمية بالغة في التأريخ بالرغم من أن التوجه إلى مثل هذه الدراسات لم ينل قسطا وافرا من البحث في الغرب الإسلامي لأن معرفة الورق وتحليله يسمح بتعيين الإلتناء الجغرافي للمخطوطات وكذلك بالنسبة لنوعية الخط وأشكال ورموز الكتابة.

1- الحلوجي عبد الستار: المرجع السابق، ص 210

خَاتِمَةُ الْفَصْلِ الثَّانِي

نَسْتَنْتِجُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْفَصْلِ شُهْرَةَ مَدِينَةِ الْفَيْرَوَانِ وَفَاسَ وَشَاطِبَةَ بِإِنْتَاكِ الْوَرَقِ الْمَصْنُوعِ فِيهَا حَيْثُ يُعْتَبَرُ الْوَرَقُ الشَّاطِبِيُّ الْأَفْضَلُ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ مِثْلَمَا وَصَفَهُ الْإِدْرِيسِيُّ، وَقَدْ كَوْنَتْ هَذِهِ الْمُدُنُ إِحْدَى خَلَقَاتِ الْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَخِيرَةِ فِي الْجَنَاحِ الْغَرْبِيِّ، وَرَغْمُ قِلَّةِ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَدْعُمُ وُجُودَ الصَّنَاعَةِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ إِلَّا أَنَّهُ لَا مَحَالَةَ قَدْ عُرِفَ فِي تَارِيخِهِ وَجُودَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهَا الْعَدِيدُ مِنَ النَّتَائِجِ عَلَى مُسْتَوَى النِّسْخِ وَالتَّأْلِيفِ خَاصَّةً فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ خِلَالِ كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ وَالْمُتُونِ الدِّينِيَّةِ وَكَذَلِكَ الْعِلْمِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَى بُرُوزِ الْخَطِّ الْمَغَارِبِيِّ الْأَصِيلِ وَالْأَنْدَلُسِيِّ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَطَّاطِينَ الْبَارِعِينَ الَّذِينَ سَاهَمُوا فِي تَكْوِينِ أَصَالَةِ الْمُنَاطِقَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ عِصَامِيَّةً فِي هَذَا الْمَجَالِ بَعْدَ اسْتِفَادَتِهَا مِنْ غَيْرِهَا فِي الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَقَدْ بَلَغَ الْوَرَقُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْجَمَالِيَّةِ دَرَجَةً رَاقِيَةً مِنْ أَلْفٍ بِسَبَبِ رَوَاجِ تَقْنِيَّاتِ التَّلْوِينِ وَالتَّذْهِيْبِ وَالزَّخْرَفَةِ.

المبحث الأول : إشكالية المادة المصدرية لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1. المخطوطات الخاصة بصناعة الورق في الغرب الإسلامي
2. كتب الحسبة
3. كتب الفقه و النوازل
4. الكتب التاريخية والجغرافية.

المبحث الثاني : مراحل صناعة الورق في الغرب الإسلامي

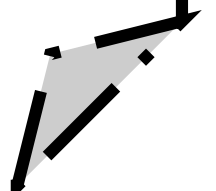
1. جمع المادة النباتية والتحضير .
2. الغسل والعرك والتقطيع
3. تحضير القالب
4. سقاية الورق

المبحث الثالث : تفسيرات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي

1. فتوى ابن مرزوق في جواز استعمال الكاغد الرومي
2. العامل السياسي
3. العامل الخارجي
4. العامل الطبيعي

المبحث الرابع: انعكاسات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي

1. انتقال صناعة الورق من الغرب الإسلامي إلى أوروبا
2. تقنية صناعة الورق بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية
3. مآثر الورق الإسلامي على أوروبا بين الإنصاف والإقصاء



مُقَدِّمَةُ الْفَصْلِ الثَّالِثِ:

يُنَاقِشُ الْفَصْلُ الثَّالِثُ قَضِيَّةَ الصِّنَاعَةِ الْوَرَقِيَّةِ فِي الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ حَيْثُ التَّحْكُمُ ثُمَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْإِشَارَةِ إِلَى مُخْتَلَفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَتَاوَلَّتِ الْحَدِيثَ عَنْ طُرُقِ الصِّنَاعَةِ فِي الْمَنْطِقَةِ وَتَتَمَثَّلُ فِي كُتُبِ الْحِسْبَةِ وَالنَّوَازِلِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْكَتُبِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْجُغْرَافِيَّةِ، وَعَلَى ضَوْءِ مَخْطُوطِ عُمْدَةِ الْكُتَابِ وَعُدَّةِ ذَوِي الْأَلْبَابِ الْمَنْسُوبِ لِلْمُعَزِّ ابْنِ بَادِيسِ الصَّنَهَاجِيِّ تَشَكَّلَتْ مَلَاحِجُ الْخُطُوتِ الرَّئِيسِيَّةِ لِصِنَاعَةِ الْوَرَقِ مِنْ مَرَحَلَةِ التَّحْضِيرِ إِلَى غَسْلٍ وَعَرْلٍ وَتَقْطِيعٍ ثُمَّ تَحْضِيرِ الْقَالِبِ وَسِقَايَةِ الْوَرَقِ، إِلَّا أَنَّ الصِّنَاعَةَ بَدَأَتْ تَتَرَجَّعُ بِفِعْلِ عَوَامِلَ كَانَتْ لَدَيْهَا خَلْفِيَّاتٌ سَابِقَةٌ مِثْلُ الْوُجُودِ الْعُبَيْدِيِّ وَالْهَجْرَاتِ الْهَلَالِيَّةِ وَالصِّرَاعِ بَيْنَ الدُّوَيَلَاتِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ سُقُوطِ الْمُوَحِّدِينَ، بِمَعْنَى عَدَمِ وُجُودِ اسْتِقْرَارٍ سِيَاسِيٍّ إِضَافَةً إِلَى الْعَوَامِلِ الطَّبِيعِيَّةِ مِثْلُ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ وَالْجَرَادِ الَّذِي يَقْضِي عَلَى الْمَادَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَقَدْ آدَى ضَعْفُ الْإِنْتِاجِ إِلَى الْإِسْتِيرَادِ مِنَ الدُّوَلِ الْأُورُوبِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُصَدِّرُ وَرَقًا خَاصًّا بَعْدَ فَنَوَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ الْكَاعِدِ الرُّومِيِّ لِابْنِ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ.

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

المبحث الأول: إشكالية المادة المصدريّة لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

1/ المخطوطات الخاصة بصناعة الورق في الغرب الإسلامي

تشكل المخطوطات جزءاً مهماً من تراث الأمة الإسلامية، وحضارتها من أبرز الحضارات الإنسانية وأشملها في العلم والمعرفة، وهي تراث غزير متنوع فقد امتدّ عبر حقبة طويلة من الزمن هي خمسة عشر قرناً هجرياً، واكتسب موقعا مميزا في الحضارة الإنسانية بما قدمه من المعرفة التي حوتها المخطوطات العربية وكان لها الفضل في بناء الحضارة والتقدم البشري في العالم¹.

إنّ محاولتنا في التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي تطلّبت منا البحث حول أهم المخطوطات التي كُتبت حول هذه المادة، إلّا أنّ هذه الصناعة لم تحظ بذلك الإهتمام الذي حظيت به الصناعات الأخرى رغم أنّ وعاء الورق كان له أثر في حركة التأليف والتدوين وخفف مشاقّ التعلّم والتعليم بسبب خصائصه الكثيرة.

رغم شهرة الحواضر في الغرب الإسلامي بإنتاج الورق على غرار القيروان، فاس، شاطبة، بلنسية، وأخرى لم تُذكر في المصادر إلّا أنّ الإشارات حول أهمية هذه الصناعة كانت مجرد شذرات قليلة مقارنة بمؤرخي المشرق الذين كان لهم باع طويل فيها، بحيث أتخف مثلا القلقشندي جُهور الدارسين المصريين بصفة خاصة و المشاركة بصفة عامة بجملة من المعلومات النادرة الموجودة في كتابه صبح الأعشى حول الصناعة الورقية التي عاصرها، ومن جهة أخرى إنّ محاولة تفسير الأسباب تُعدّ صعبة لأنّ القول بأنّ أهل الغرب الإسلامي يعتمدون في تاريخهم على الروايات الشعبيّة المتواترة فقط نظرا لعاداتهم وتقاليدهم المتوارثة وهو ما جعلها تفتقد للكثير من مصادر تراث الأجداد قد فندته الكثير من المخطوطات التي أرخت لصناعات أخرى خاصة في مجال العلوم العقلية والنقلية، كما أنّ التفسير القائل بأنّ المنطقة تُعاني من عقدة التأريخ بسبب عدم وجود من يكتب لتاريخها في تلك الفترة يُعتبر في حد ذاته إقصاء للمؤرخين الذين

1- سماء زكي المحاسني: دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1420/1999، ص 9

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

أنجبتهم المنطقة مثل ابن خلدون وغيره، ومن وجهة نظرنا إنَّ التفسير يعود في الحقيقة إلى من كان ينشط في الصناعة، أي أنَّ أهل الصناعة هم الأولى بالترويج لها، فلمَّا كان العاملون في صناعة الورق من الطبقة العامة، وغالبا ما تكون ميسورة الحال قليلة العلم لم تكن تمتلك الدِّراية بشؤون الكتابة ولو بالشيء القليل عنها، إذا ما وضعنا مقارنة مع الصناعات الأخرى التي وجدت من يؤرخ لها بحكم أنَّ من زاولها كان ذا مرتبة علمية معينة مثل فُنُون الحَطِّ وصناعة الأقلام والوراقة وغيرها.

إنَّ التأريخ لأيِّ صناعة يحتاجُ العودة إلى حقلها المرجعي المتمثل في المعاينة المصدريّة التي وقف عليها أو شاهدها المؤرخ في تلك الفترة ويُخصَّصُ لها كتابا أو صفحات معينة عادة ما تكون قريبة من مجاله، وهو ما يقف عليه الباحث حين دراسته عن صناعة الأدوات الحربية مثلا من خلال المخطوطات التي كُتبت في هذا المجال والتي أغنت الباحثين في الكشف عن أسرار الصناعة الحربية في المشرق والمغرب مثل كتاب سراج الملوك لأبي بكر محمد بن وليد الطرطوشي (ت520هـ / 1126م) ومخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشَّجاعة لبدر الدين محمد بن بكتوت¹ (ت735هـ / 1334م) أو يؤرخ لهذه الصناعة مجموعة من الكتب التي يجد فيها الدارسون ما يمكنهم من جمع معلومات وفيرة خاصة إذا كان هؤلاء من المشهورين في الكتابة التاريخية، وإذا ألحقت بمادّة جغرافية كانت عملية التأريخ صلبة و مؤسسة على قاعدة سليمة لأنَّ الجغرافيا تمثل الرُّوح الواقعية الطبيعية لظاهرة الصِّناعة من خلال الموقع والموارد، والوصف الجغرافي يزيد من الرِّواية التاريخية عمقًا وتأصيلا إذا كان المؤرخ يتميز بدقة الملاحظة في وضع المقارنات التي جاء بها المصنف التاريخي مع ما شاهده أو عاينه الرِّحالة الجغرافي. ومنه فإنَّ الطَّرح الخاص عن وجود مخطوطات معتبرة أرخت لصناعة الورق في الغرب الإسلامي خاصة بالنسبة لتقنيات الصناعة يُعدُّ نادراً جدًّا ليس فقط في الغرب بل في المشرق

1- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين (ت 856هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية

بحيدر آباد، الهند، ط2، 1976/1396، ج5، ص 132

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإسلامي أيضا سواء كانت المخطوطات تاريخية أو جغرافية.

في خضم بحثنا حول صناعة الورق في الغرب الإسلامي وجدنا شاهدا وحيدا ومميزا طرَحَ معلومات وافية حول هذه الحرفة وهو مخطوط: **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** بالرغم أنه لم يتحدث عن أماكن الصناعة في المنطقة أو أنه أعطى إحصائيات حول عدد العاملين وشواهد مختلفة على الحياة العملية في هذا المجال أو أنواع الورق المعروف مثلما فعل القلقشندي، إلا أنه انفرد في العالم الإسلامي كُله بذكر تقنيات الصناعة وهي سابقة في تاريخ المهن والحرف. إن وجود مخطوط **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** في ظل غياب مصادر كثيرة أخرى تحدثت عن صناعة الورق يُعتبر فتحًا على المؤرخين الذين حاولوا الدفاع عن الصناعة الإسلامية أمام الكتابات الغربية التي أقصت حتى دور المسلمين في تطويرها من أمثال المستشرق دارد هانتر (Dard Hunter) في كتابه *the history and technique of paper making* ، an ancient craft الذي يحتوي على 700 صفحة¹ ولم يذكر فيه مآثر المسلمين على الغرب فيها، علما أن التقنيات المذكورة في المخطوط كان متعارفا عليها في جميع الحواضر الإسلامية. يشكّل مخطوط **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** بالنسبة للغرب الإسلامي المرجع الأساسي والدليل الذي يُبرز طرائق الصناعة فقط، وبالتالي فإنّه ليس مصدرا تاريخيا بالمفهوم الذي اعتدنا عليه، وإنما هو بمثابة المرشد لكيفية صنع ورقة من مرحلة التحضير إلى مرحلة الإخراج النهائية.

1 - 1 التعريف بمخطوط **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب**

يتكون مخطوط **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** من اثني عشر بابا حسب ما جاء في تحقيق الباحث عبد الستار الحلوجي وعبد المحسن زكي، حيث بدأت المخطوطة بما يلي: وقسمته على اثني عشر بابا، كُلُّ باب يشتمل على فنون عجيبة وأمور غريبة ليسهل على من

1 -Dard Hunter: paper making , **the history and technique of an ancient craft** dover

publications ,new york, 1978.p,p 1,700

أنظر الكتاب، أقصى فيه الكاتب كل المجهودات التي طورها المسلمون في مجال الصناعة الورقية وهي دليل على عدم اتباعه الموضوعية في نقل الحقائق التاريخية أمام الشواهد الكثيرة التي تثبت تفوق المسلمين في صناعة الورق.

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

طلب فنًا من الفنون نظره في بابه من غير تعب ولا إحساس نصب والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما قسم الباحث مايل الهروي وعصام مكية المخطوط إلى خمسة عشر بابا معتمدين على نسخة مكتبة شيكاغو المسجلة تحت رقم (A12066)¹ والتي عُرفت لأول مرة من قبل خبير الشرق الأمريكي مارتين لوي (Louie Martin) وهي مرتبة كالآتي:

الباب الأول² : في فضل القلم والخط وانتخاب الأقلام الجيدة واختبارها واختلاف بريها على أجناس الخطوط وصفة الدواة وما يصلح لها من الآلات ويليق بها على سائر الأوقات واختيار آلاتها من السكاكين .

الباب الثاني: في عمل أجناس المداد وإضافة الحُداد وفيه وجوه وأنواع.

الباب الثالث: في عمل أجناس الأحبار السود، وأجناس التركيبات وفيه وجوه.

الباب الرابع: في عمل أجناس الأحبار الملونة والليق المركبة وفيه أنواع.

الباب الخامس: في عمل الليق العجينة بشتى غريبة وفيه فصول .

الباب السادس: في تلوين الأصباغ وخطها واستخلاص بعضها من بعض وتصويبها.

الباب السابع: في الكتابة بليق الذهب والفضة والنحاس وحلهم وعمل ما يقوم مقامهم.

الباب الثامن: في وضع الأسرار في الكتب وما في ذلك من العجب .

الباب التاسع: في عمل ما تمحى به الكتابة من الدفاتر والرقوق

الباب العاشر: في عمل الغراء من الحلزون، وحل غراء السمك، وإصاق الذهب بالفضة وصفة

مصاقله وصقله وأقلام الشعر والریش وجميع آلات الذهب.

الباب الحادي عشر: في عمل الكاغد والأوراق وسقيتها وتوشية الأقلام ونقشها

1- أنظر الملحق، رقم 21، ص 293

2- المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق : نجيب مايل الهروي ،عصام مكية ،

مجمع البحوث الإسلامية ، إيران، ط1، 1409 ، ص، ص 24، 25

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الباب الثاني عشر: في صناعة التجليد وعمل جميع آلاته حتى يستغنى عن المجلدين

الباب الثالث عشر: في عمل الهباب وعمل الصبغ

الباب الرابع عشر: في حلِّ اللَّكِّ وحلِّ العصفور

الباب الخامس عشر: في توصيل الزنجفرد واللازورد، وغسله وتنظيفه

إنَّ المُلَاحِظ لأبواب الكِتَاب سوف يَجِدُه خَاصَا بِالكَتَابَةِ وَأَدَوَاتِهَا وَهُوَ مُوجِهٌ لِلْمَشْتَغِلِينَ فِي مِهْنَةِ الْوَرَاقَةِ بِصِفَةِ عَامَةٍ لِأَنَّهَا الْجَامِعَةُ لِلنَّسْخِ وَالْخَطِّ وَالْمَدَادِ وَالْوَرَقِ، وَالنَّوْعُ مِنْ هَذِهِ الْمَخْطُوطَاتِ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ مَخْطُوطِ الْأَبْرَارِ فِي بَرِي الْقَلَمِ وَعَمَلِ الْأَحْبَارِ وَ مَخْطُوطِ الْمَخْتَرَعِ فِي فَنُونِ مِنَ الصَّنْعِ، وَهِيَ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي أَهْتَمَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ بِسَبَبِ أَهْتِمَامِهِمْ بِالتَّدْوِينِ، كَمَا أُلْفِتَ مِنْ أَجْلِ تَسْهِيلِ أُمُورِ الْكَتَابَةِ وَأَدَوَاتِهَا لِلخَطَّاطِينَ وَالنَّسَاحِينَ.

تَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ مَخْطُوطِ عُمْدَةِ الْكُتَّابِ وَعُدَّةِ ذَوِي الْأَبَابِ فِي أَنَّهُ يَنْتَمِي إِلَى مَنَاطِقِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ وَبِالْتَّحْدِيدِ فِي الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَ الْأَوْسَطِ وَهِيَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تُثِيرُ التَّعْجِبَ وَالْحَيْرَةَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَوْنُ أَنَّ الْمَغْرِبَ الْأَوْسَطَ لَمْ يَنْلِ مِنَ الْمَوْشُرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي مَجَالِهِ مِثْلَمَا نَالَهُ مَجَالُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَقْصَى مِثْلًا بِالرَّغْمِ أَنَّ الْكُتَابَ كَانَ يُمَثِّلُ جَمِيعَ الْمَنَاطِقِ وَلَا يُمَثِّلُ رَقْعَةً جُغْرَافِيَّةً مَعْيِنَةً، بَحِثْ يَنْسِبُهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى الْمَعْرِ بْنِ بَادِيسِ الصَّنَهَاجِيِّ (ت 453 هـ / 1061 م)¹، وَإِذَا كَانَ الْمَخْطُوطُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ أَوْ لغيره فَإِنَّهُ بِالضَّرُورَةِ كُتِبَ وَقُدِّمَ إِلَى أَحَدِ الْحُكَّامِ فِي الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَبْقَى هَذَا الْكُتَابُ قِيَمًا لِمِثْلِ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ لَكِي لَا تَضْيَعُ وَتَذْهَبُ لِلْغَيْرِ لِأَنَّ الشُّوَاهِدَ تَكَادُ تَكُونُ مُنْعَدِمَةً فِي طَرَائِقِ الصَّنَاعَةِ.

إنَّ الأبواب التي بين أيدينا لا تتحدث كلها عن صناعة الورق بل هي رسالة مقدمة لفئة خاصّة من المجتمع وهم المشتغلين بالكتابة، لذا فإن الكتاب لا يتحدث عن تاريخ صناعة الورق، بل عن تطبيقات عملية وميدانية موجهة لفئة الخطّاطين ومن تبعهم من أصحاب الصنعة، أمّا المشتغلون بصناعة الورق فقد خُصَّصَ لهم المؤلف الباب الحادي عشر الذي جاء تحت عنوان:

1- أنظر عمدة الكتاب: تحقيق مايل الهروي و عصام مكية ، ص 12

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

في عمل الكاغد والأوراق وسقيتها وتوشية الأقلام ونقشها، حتى أن الظاهر من الباب قد أطلق عليه اصطلاحين الكاغد والورق ويبدو أنه المتعارف عليه في ذلك الوقت.

يُنسب مخطوط **عُمدة الكُتّاب وعُدّة ذوي الألباب** إلى الأمير المعز بن باديس الصنهاجي بن المنصور بن بلكين بن زيري الذي وُصف في الكثير من الكتب بالملك الجليل عالي الهمة، والمحب لأهل العلم كثير العطاء عنه بإفريقية، قال عنه ابن خلكان: "أظهر المذاهب، فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب واستمر الحال في ذلك إلى الآن¹ بعد أن خلع الطاعة عن الفاطميين التي كان يدين بها هو وأسلافه، وخطب للخليفة القائم بأمر الله، توفي سنة (453هـ/1061م)²".

أمّا بالنسبة لتحقيق المخطوط ونسبته إلى المعز ابن باديس الصنهاجي فقد أفردا الأستاذ عبد الستار الحلوجي وعبد المحسن زكي بالتفصيل بعد وقوفهما على مجموعة من المخطوطات نذكر منها:

- نسخة رامبور بالهند³: عنوانها كتاب **عُمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** تأليف الأمير الأجل المعز بن باديس صاحب المهدية عفا الله عنه آمين.
- هذه النسخة كاملة مخطوطة بخط نسخ تمت كتابتها في 12 ذي القعدة 1188هـ على يد أحمد بن مصطفى المناستري وبآخرها مقابلة مؤرخة بسنة (1188هـ/1774م) بنفس السنة.
- نُسخ دار الكتب المصرية بالقاهرة⁴:

1- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، دار صادر، بيروت، تحقيق: إحسان عباس، ج5، ص234

2- بروكلمان كارل: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج5، ص107

3- المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: **عُمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب**، تحقيق: عبد الستار الحلوجي، عبد المحسن زكي، ص55

4- بالنسبة لمخطوط **عُمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب** فقد اعتمدت على تحقيقين، الأول للأستاذان مايل الهروي وعصام

مكية والتحقيق الثاني للأستاذان عبد الستار الحلوجي وعبد المحسن زكي، لذا أعدت كتابة المصدر في الصفحات اللاحقة بناء على ما جاء في تحقيق كل كتاب لكي لا يحدث تداخل بين التحقيقين .

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

1/ رقم 345 زكية¹: جاءت بعنوان كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ويلى هذا العنوان: في صفة الخط والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد تأليف الأمير الأجل التميمي بن المعز بن باديس صاحب المهدية غفر الله تعالى له وللمسلمين.

2/ رقم 6 صناعة تيمور: تقع هذه النسخة في 60 صفحة وهي منسوخة عن النسخة الأصل.
3/ 38 صناعة تيمور: كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب تأليف أهل الفوائد والعقول الفرائد رحمهم الله، وفي الهامش الأيمن للصفحة الأولى من النص عبارة تقول: وهو عدة أبواب مما أُلّف للأمير الأجل المعز بن باديس.

4/ رقم 185 مجاميع: على صفحة العنوان كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب مما أُلّف للأمير الأجل المعز بن باديس صاحب المهدية رحمه الله تعالى، كما توجد مخطوطات أخرى ذكرها المحققون في نسخ مختلفة.²

إنّ هذه النسخ التي اجتهد في جمعها ومقابلتها الباحثان عبد الستار الحلوجي وعبد المحسن زكي تؤكد قطعا أنّ المخطوط يُنسب إلى المغرب الأوسط رغم الاختلاف في المؤلف حيث توصلنا إلى رأي يبدو أقرب إلى الحقيقة أنّ المعز بن باديس الصنهاجي وابنه الأمير تميم (ت501هـ / 1108م) ورغم طول فترة حكمهما التي امتدت للأول ثمانية وأربعين سنة وللآخر ما يُناهز السبعة والأربعين سنة إلا أنّهما قضيا وقتا طويلا في الحروب، لأن المعز حارب قبائل زناتة وقاوم الغزو الفاطمي الشيعي، ثمّ حارب أعراب بني هلال وبني سليم، أما الإبن تميم من بعده يبحث عن استرجاع الأرض ثم يتعرض بعد ذلك لغارات الفرنجة رغم أننا لا ننكر أنّهما كانا من أصحاب العلم وبالتالي يكون قد أُلّف لهما بسبب اشتغالهما بالحروب.

وتوجد نسخة أخرى للمخطوط في المكتبة السلیمانية بإسطنبول نسخت سنة 1321هـ تسمى بنسخة وهبي أفندي رقمها 1482 مكتوب عليها أنّها تنسب إلى المعز ابن باديس الصنهاجي.³

1- أنظر الملحق: رقم 22، ص 294

2- أنظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: الحلوجي وعبد المحسن زكي، ص 57

3- أنظر الملحق: رقم 23، ص 295

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

ذكر الأستاذان نجيب مايل الهروي وعصام مكية اللذان حققا المخطوط سنة (1410هـ/1989) أنه ليس مهما أن يكون الكتاب قد حرر بقلم المعز ابن باديس لكن النقطة الأساسية هي أن الكتاب يعتبر رسالة ذوقية في فن صناعة وتزويق الكتاب الإسلامي ويحتمل أن يكون اللّخمي الإشيلي (ت570هـ/1174م) والقلقشندي قد كسبوا خبرة منها في المجال الفني لصناعة وتزويق الكتب¹.

من جهة أخرى نسب البغدادي كتاب عمدة الكتّاب إلى الزّجّاجي أبو القاسم بن عبد الله البغدادي النحوي (ت415هـ/1024م) بقوله: من تأليفه عمدة الكتّاب² وحاجي خليفة كذلك³ إلا أن هذا القول يبدو بعيدا وموضع تأمل وبحث لأن الرسالة لا تتناسب وحال يوسف الزجّاجي النّحوي البغدادي الذي عُرف بكتاباتة الأدبية العريقة وقلمه الذّواق وعلمه بدقائق الكلمات العربية الأصيلة لذا تُرجّح القول على أن الذي حرر هذه الرسالة إما يكون شخصا مغربيا من الغرب الإسلامي أو إيرانيا من شرقه، حيث نرى ذلك أنسب من أن تنسب هذه الرسالة لأحد نحوي بغداد⁴.

أمّا الأستاذ الحلوجي وعبد المحسن زكي فقد نسباه إلى المغرب الأوسط على اعتبار أنه قد أُلّف من أجل المعز أو ابنه تميم وهو ما نستنتجه بقولهم: "ولعله أُلّف في الفترة ما بين سنة (445هـ/1053م) التي ولي فيها تميم أمر المهدية وسنة (454هـ/1062) التي توفي فيها والده المعز، فهذه الفترة التي يمكن أن يحدث فيها خلط واضطراب في نسبة الكتاب للأمير الوالد أو للأمير الإبن وهذا الترجيح تدعمه مخطوطة الكتاب رقم 38 صناعة تيمور بدار الكتب حيث

1- أنظر: عمدة الكتاب، تحقيق: مايل الهروي وعصام مكية ، ص 16

2- البغدادي إسماعيل باشا (ت 1399 هـ) : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة البهية، إسطنبول 1951، ج2، ص 550

3- حاجي خليفة (ت1067): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941، ج2، ص171

4- أنظر: عمدة الكتاب، تحقيق: مايل الهروي وعصام مكية ، ص 15

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

تنص على أن الكتاب من تأليف أهل الفوائد والعقود الفرائد، والمخطوطتين 185 مجاميع و 45 زكية تتصان على أنه ألف للمعز¹.

أمّا بالنسبة للدراسات الإستشراقية فقد نسبها الباحث الألماني كارل بروكلمان إلى المعز²، وقد قام بنشره إلى اللغة الإنجليزية المستشرق الأمريكي مارتين ليفي وأعاد نشره الباحث الإيراني إيرج أفشار وطبع ثلاث مرات باللغة العربية.

ومن باب الإستفادة فإن الدراسات استمرت حول هذا المخطوط، فقد قام بتحقيقه الأستاذ إياد خالد الطباع سنة 2007، وآخرها إلى حدود دراستنا كان سنة 2013 من طرف الدكتور علاء الدين عبد العال عبد الحميد.

إنّ التفصيل السابق حول نسبة المخطوط لمنطقة المغرب الأوسط يُعتبر أمراً مهماً في ظل غياب مؤشرات عن صناعة الورق فيه كونه يمثل نقطة فارقة في تاريخ المعز بن باديس الذي كان يبحث عن بعث الروح التأليفية والكتابية في دولته من خلال الوصايا التي وردت في الكتاب وهذا دليل على اهتمام هذا الرجل بترقية الفرد الذي يدخل في مجال دولته ومنافسة الحواضر الأخرى.

إنّ مخطوط عمدة الكتاب وعُدّة ذوي الألباب يمثل ركيزة أساسية في التأريخ لتقنيات صناعة الورق في الغرب الإسلامي أو في الدراسات التاريخية الخاصة بالموضوع في العالم الإسلامي أو حتى الأوروبي في العصر الوسيط نظراً لتشابه طرائق صناعته، بحكم انتقال أفكار الصناعة بين الحرفيين بشكل تلقائي، وهذا يدخل في إطار التلاقح الفكري والحرفي الذي عرفته البشرية منذ الحضارات الأولى، وبالتالي فإنّ هذا المخطوط هو بمثابة المرشد للصانع والحرفي الذي يتتبع المراحل بكل دقة، ومن هذه الفكرة كانت نسبته إلى المعز ابن باديس مباشرة تعد من الأطروحات التي تستوجب النظر كونه كان حاكماً فلا يمكنه الصناعة وإرشاد العامة إليها ولم

1- أنظر: عمدة الكتاب، تحقيق: الحلوجي وعبد المحسن زكي، ص 54

2 - بروكلمان كارل : المرجع السابق، ج 5، ص 107

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

تكن له خلفية متوارثة عن أجداده مثلاً لكي نجزم أنه من ألف الكتاب إنما الراجح أنه طلب تأليفه لكي يُقيم ويؤسس محطة جديدة للدولة الزيرية في المجال الخاص بالكتابة والتدوين والتي تُهيء إلى نهضة علمية وثقافية في عهده.

2/ كُتُب الحِسْبَةِ

إنَّ البحث عن مصادر يمكن من خلالها التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي تتطلب التنقيب في بعض القضايا التي كانت تطرحها كتب الحسبة من خلال التجارب الميدانية التي كان المحتسبون يخوضونها حين معاينتهم للأسواق، لأنَّ المحتسب يمثل المراقب المدني للدولة الذي يعينه الخليفة أو الوزير أو القاضي والتي تتضمن تطبيق مبادئ الشرع تطبيقاً سليماً وكشف المخالفات وإنزال العقوبة المناسبة بالمخالفين، وفي إطار مهمته هذه يراقب سير الحياة التجارية والصناعية¹ والدينية وغيرها من المهام الأخرى.

إنَّ كتب الحسبة في الغرب الإسلامي كانت متنوعة بتنوع فروعها لذا ظهرت محاولات للتأليف عن السمسرة وعن الغش وعن آداب المعلمين والقضاة والوكلاء، وفي أحكام السوق وفي التعزيرات والحدود وكانت كلها في إطار المصادر الشرعية²، ومن هذا المنطلق فإنَّ الصناعة الورقية تدخل ضمن الحرف التي كانت موجودة في أسواق المدينة، وبالتالي لا بد من وجود بعض الإشارات حول المهنيين الذين كانوا مشغولين بها على غرار المهن التي كانت مُشابهة لها أو قبلها ونقصد بذلك الدباغة التي سيطرت على صناعة الجلود ثم الكتابة عليها بمعنى تخريج الرُّقوق في القرون الهجرية الأولى في الغرب الإسلامي.

إنَّ صناعة الورق في الغرب الإسلامي لا بد من النظر إليها من زاوية كتب الحسبة في أحوالها الخاصة بالعمال وطرائق الصناعة والمشاكل التي تعترضها سواءً في الغش أو البيع والشراء، لا من جانب مفهوم كتب التاريخ العامة فقط لكي لا تتعرض إلى الإقصاء والتهميش

1- لقبال موسى : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

ط 1 ، 1971، ص 27

2- نفسه: ص 62

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وذلك لتمييزها المباشر بدراسة قضايا مُعاشة يوميا، ولما كانت بهذه الأهمية تصيّد الباحثون في مختلف دراساتهم بعضا من هذه القضايا التي أثّرت رصيدهم ودعمت حججهم خاصة في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية.

في سبيل البحث عن شذرات ونوادر حول صناعة الورق في الغرب الإسلامي من خلال كتب الحسبة تصفحنا العديد منها ابتداءً من أقدمها، مثل كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الذي يعود إلى أواخر القرن الثالث الهجري، وكتب أخرى مثل آداب الحسبة للسقطي، وتحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر لابن سعيد العقباني التلمساني، والتيسير في أحكام التسعير لأحمد سعيد المجيلدي، إلا أنّ الحديث عن الورق كان غائبا تماما رغم أن بعض الحرف الأخرى تناولتها هذه المصادر بالتفصيل والتدقيق¹.

من النوادر القيّمة التي عثرنا عليها في إشارة بسيطة حول الورق كانت من طرف ابن عبدون الثجبي الأندلسي في رسالته المشهورة في القضاء والحسبة بقوله: "يجب أن يزداد في قالب الكاغد وفي ذلك قليلا".²

حقيقة أنّ هذه الإشارة تبدو قليلة الكلمات لكنّها مُعبّرة جدا لأنّها تمثل أمرا للمهنيين بضرورة تحسين صناعة الورق من خلال الزيادة في طول وعرض القالب لكي تكون الورقة بالمقاييس التي تسمح للمجلدين من إخراج كتاب مفصل بشكل جيد وفي ذلك وهي من أهم الخطوات لصناعة ورقة والتي سنتناول شرحها في المباحث القادمة.

إنّ ابن عبدون الأندلسي الذي عاش في القرن السادس الهجري وهو يُدون عن آداب الحسبة لم يغفل على دور الكغادين ومهمتهم في ضبط صناعة الورق، ويبدو أن هؤلاء الحرفيين في زمانه لم يستطيعوا التحكم في تقنياته إما عن تقصير أو بسبب الغش، وهنا تكمن قيمة هذه

1- مثلا في الحديث عن الصناعات التي تناولتها كتب الحسبة صناعة الخبر وأحواله من الفرنين وغيرها. أنظر: ابن سعيد

العقباني التلمساني (ت871هـ): تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، المعهد

الثقافي الفرنسي، دمشق، 1968، ص 117

2- ليفي بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ص 48

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الكتب في معرفة بعض الجزئيات الخاصة جدا التي لا نجدها في كتب التاريخ العامة، بالرغم من أننا لا نعرف المكان بالضبط إلا أنه يمكن الإشارة إلى أهم حاضرتين في صناعة الورق الأندلسي وهي شاطبة وبلنسية.

من كتب الحسبة التي استلهمنا منها بعض المعلومات حول صناعة الورق رسالة الجرسيفي التي ذكرناها سابقا والتي قدم من خلالها سبعة أوامر للحرفيين¹:

– **اختيار الخرق:** ويقصد بها القماش والثوب الممزق الذي يجب أن يختار بعناية ولا يصلح القماش الذي يكون فيه الصوف.

– **تمييز الخرق:** يتم تمييز الخرق عن طريق وضع كل جنس من الكتان والقماش لوحده وكذلك بالنسبة إلى الألوان مع بعض لكيلا تختلط الألوان في حوض الماء، كما تساعد عملية تمييز الخرق في معرفة الورق الجيد من الورق الرديء لأن الخرق القطنية أحسن من الخرق العادية.

– **المبالغة في خبطها وتنظيفها:** وهي من خطوات الصناعة الهامة لأن الأثواب في العادة تكون غير نظيفة وبالتالي يقوم الحرفيون بنفض الغبار عنها جيدا، أو غسل البعض منها كطريقة أولية بحكم أن الخرق كانت تجمع من مصادر متعددة.

– **اعتدال الغرف:** أي غرف الخرق أو القطن أو أي نبات آخر بطريقة تكون متزنة غير سريعة لكي تنجح عملية الغسل.

– **التلبيس النضج من الحنطة الجديدة السالمة من العفن والتسويس:** فإذا استعمل الحرفيون الحنطة في الصناعة لا بد أن تكون جديدة وصالحة لأن المعفن منها لا يُخرج ورقة سليمة في الأخير وتقطع بسهولة.

– **وفور القالب المشهور السالم من التشطي والتقنطر:** بمعنى يجب أن يكون القالب سالما من التحدب والإعوجاج رغم أنه لم يوضح حالة القالب المشهور، ويبدو أنه كان متعارفا عليه في الأندلس.

1 - ليفي بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية، ص124

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

– ذلك المعتدل السالم: ويقصد بها ذلك الخرق جيدا لكي تصبح العجينة قابلة لأن توضع في حوض الماء.

3/ كتب الفقه والنوازل

تُمثل كتب الفقه والنوازل أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين في مجال التاريخ لأنها تغطي بعض الجوانب والجُزئيات التي لا نجدها في المصادر الأخرى، فالمسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع التي سببها توسع الأعمال، وتعدد المعاملات والتي لا يوجد لها نص تشريعي مباشر أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها¹، تتطلب من الفقهاء الإفتاء فيها والتقيد بالقرآن والسنة مع المحافظة على أركان الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وهي تحوي على معطيات مميزة نابغة من عمق المجتمع وأحواله وبالتالي هي دائمة ومستمرة ومختلفة بين البلدان والأقاليم.

إنَّ الباحثين الذين يتفحصون النوازل يُدركون من الوهلة الأولى أن نصوصها كانت كفيلة بتعويض النقص الحاصل لدى المؤرخ الذي تُعوزه المعلومات والتفاصيل الضرورية لتحليل المواقف وفحص الظواهر التي يدرسها، ويمكنه فهم كافة النظم والظواهر التاريخية المدروسة ومن ثم يمكنه أيضا تحديد مختلف المعايير الأخلاقية والقانونية التي وجهت المجتمع².

إنَّ كتب النوازل غنية بمادة إنسانية دسمة تُهم الدارس للتاريخ الحضاري باعتبارها الوصف الصحيح والكامل للمجتمع أثناء ممارسته لحياته اليومية والعقائدية والإقتصادية وحتى السياسية، وما يؤكد هذا الطرح ما أشار إليه الباحث إسماعيل الخطيب أنَّه من بعض الطرائف التي استفاد منها مثلا من خلال مسائل ابن لب: "توفر غرناطة على تعاونيات للألبان وتعاونيات لمنتجي زيت الزيتون، والملاحظ أن أصحاب هذه التعاونيات هم صغار الفلاحين كما استطعنا التعرف على الأوضاع الإجتماعية للطبقات الفقيرة وتردي الأحوال الإقتصادية في غرناطة، وما

1- وهبة الزحيلي: سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، دار المكتبي، ط1،

2001/1421، ص9

2- أنظر : نوازل ابن الحاج التجيبي: تحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، ج1، ص12

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

نتج عن ذلك من أزمت خانقة¹ وهذه المسألة من النماذج البسيطة في هذا السياق لأن البعض من المسائل الأخرى جاءت مطولة بحكم الخلاف الكبير الخاص بها والتي كانت تحتاج إلى تأصيل وتفصيل من طرف الفقهاء والإتيان بمختلف الآراء الفقهية لإقناع السائلين خاصة إذا كانت الفتوى خارجة عن إقليم المفتي وبعيدة عن الحواضر الكبرى في ظل غياب المشاهدة العينية وهو ما تطلب منهم الإجتهد قدر المستطاع مع نوعية السؤال.

إنّ تصفح الأعمال التاريخية للكثير من الباحثين وهم يتناولون في دراساتهم النوازل والفقهاء كمصادر جديدة جعلتنا نتساءل عن إمكانية وجود بعض المؤشرات عن صناعة الورق من خلال مصادر الغرب الإسلامي علماً أنّ هذه الكتب خاصة بمسائل فقهية متعددة الأسئلة والأجوبة في شكل مطول ومختصر، وهي موجودة ومتوفرة في المنطقة نذكر منها على سبيل المثال: أجوبة الفقهاء لمحمد بن سعيد التتوخي القيرواني، نوازل الباجي (ت474هـ/1055م) ونوازل البرزلي لأبي القاسم البرزلي (ت841هـ/1437م)، أجوبة العبدوسي لابن موسى العبدوسي (ت849هـ/1445م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المازوني (ت883هـ/1478م) المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس الونشريسي (ت914هـ/1508م) ونوازل الجزولي للحسن بن عثمان التملي السوسي (ت932هـ/1525م).

رغم تعدد المصادر التي كُتبت في مجال الفقه والنوازل في الغرب الإسلامي والتي ذكرنا بعضها في إطار التوضيح على مختلف المواضيع التي تناولتها من خلال الفتاوى اليومية التي تصل إلى الأئمة وكبار المشايخ إلا أننا لم نحصل على معلومات وافية حول الصناعة الورقية إلا في مصدرين، والمتمثل في كتاب المدخل لابن الحاج الفاسي وفتوى ابن مرزوق الحفيد حول الكاغد الرومي في المعيار المعرب للونشريسي.

1- عبد العزيز وصفي: فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغربية، مجلة الشهاب، مجلد4، عدد4، ربيع الثاني1440/

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

تمدنا هذه الكتب بسيل من النصوص الفقهية التي تخدم التاريخ¹ وهي التي استقى منها الباحثون الكثير من القضايا التي كانت عالقة وصعبة مثل أحوال الأرض ووضعياتها والعملية وتقلباتها، والمعاملات الاجتماعية، والعادات والتقاليد والمشاكل الأسرية والصنائع والحرف.

إن ابن الحاج وهو يكتب عن الورق في كتابه المدخل استعمل أسلوبا عاما في الطرح الخاص بآداب صناعته وبيعه بمعنى أن الآداب التي أوصى بها تخص جميع الحرفيين الذين يمتنون هذه الصناعة في فصل نية الورق التي تحدثنا عنها سابقا في الفصل الأول وعلى العموم فإن التأريخ من هذا الباب يعد مهما لأنه أورد معلومات جديدة بالنسبة لهذه الصناعة وقد استنتجنا منها سبعة أوامر متعلقة بها وهي:

– **ضرورة إعلام المشتري بسعر الورق:** وهي حالة عادية في العلاقة بين البائع والمشتري بحيث يتوجب على البائعين تحديد سعر الورق وفق نوعيته وعدم الكذب والتدليس، كما يتضح أن هذا الأمر كان شائعا عند البائعين فهذه المسائل لا تكتب اعتباطا بل عن طريق الخبرة أو ما شاهده ابن الحاج ووقف عليه في الأسواق.

– **ضرورة إعلام المشتري بصفة الورق:** وهو أمر يدخل في إطار عدم الغش والتدليس أيضا وله علاقة مباشرة مع السعر فكلما كان الورق رديئا انخفض سعره وإذا بيع بثمن جيد فهذا غش ولا يجوز شرعا.

– **صناعة الورق تختلف من فصل لآخر:** ميّز ابن الحاج الصناعة في الصيف مقارنة بالشتاء الذي تقل فيه الكمية فيرتفع ثمنه بسبب صعوبة العمل وقلة المواد الأولية لأن طريقة الصنع كانت بدائية نوعا ما وهي تعتمد بالدرجة الأولى على استعمال اليد، كما أن تأثير المناخ من برودة وشتاء يقلل من الإنتاج، إضافة إلى أن توفير الورق من فصل الصيف إلى الشتاء قد يؤدي به إلى التلف.

– **ضرورة التستر وقت العمل:** انفرد ابن الحاج بطرح مسألة مهمة جدا خاصة بالعمال وهي

1- بوتشيش إبراهيم القادري : حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية، مكناس، ص126

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

التستر بحكم مشاق العمل، لأن صناعة الورق تحتاج إلى ماء وفير وغزير وهو يصيب أعضاء الجسم، وهو التنبيه الذي نصح به ابن الحاج لكيلا تتكشف عورات الحرفيين.

– تنبيه المشتريين على احترام أوقات عمل الحرفيين: وهي مسألة تابعة لاحترام أوقات العمل التي قد يكون فيها الصانع منكشف العورة وبالتالي فإن المشتري لا بد عليه معرفة أوقات البيع التي يكون فيها العاملون في راحة من العمل كما وصفها.

– التحذير من خلط الأوراق¹: من أهم النقاط التي حذر منها ابن الحاج عدم التدليس على المشتريين وخلط الورق الجيد مع الرديء وكذلك الخفيف الذي لا يحتمل كل أنواع الكتابة وكذلك الكشط والمحو عدة مرات، وهو ما يشكل عائقا أمام الخطاطين الذين يعجزون عن الكتابة بأريحية لأن الخط وارد وكذلك تسبب الورقة الخفيفة مشكلة للحبر الذي قد يصيبها بالتلف منذ أن يضع الخطاط القلم عليها .

إنَّ المتتبع لما جاء به ابن الحاج في فصل نية الورَّاق يُعتبر من النوادر في التأريخ لصناعة الورق لأنَّ من خلاله استطعنا أن نكشف على حالة اجتماعية واقتصادية في نفس الوقت، أمَّا الإجماعية فهي تتعلق بالعلاقة الموجودة بين البائعين والمشتريين يوميا، الذين يقصدونهم للحاجة إلى الورق، فقد يكونون من المتعلمين أو المعلمين والمشايخ، وهي دليل على اهتمام الطبقة العامة بالعلم والتعلم ورواج صناعة الورق، وأمَّا الإقتصادية فهي تختص بحالة الأسواق والبائعين، حيث انتقلت ظاهرة الغش والتدليس إلى مختلف الصناعات ومنها الورق الذي لم يسلم من الطرق غير الشرعية في صناعته وبيعه، فكل الصناعات إلا ووجد لها أهل الإختصاص ثغرات من أجل الكسب السريع، وهي ظاهرة بشرية في نفوس البعض من الناس ولا تزال إلى يومنا هذا، وهو ما يعيشه الباحثون ويُحسون به عندما يطالعون مثل هذه الكتب.

نستنتج من خلال كتاب المدخل أيضا اطلاع ابن الحاج الواسع على مختلف القضايا الاجتماعية والإقتصادية التي كانت في عصره سواءً عندما كان مقيما في الغرب الإسلامي أو

1- ابن الحاج : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 81

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

في مصر، وهذا دليل على خبرته التي استقاها من تجاربه اليومية.

لا محالة إذن أن ابن الحاج كان من الذين يذهبون إلى السوق لكي يشتري الورق من الوراقين ليُدون ما فُتح عليه في مجال الفقه وغير ذلك، أو من خلال الشكاوي التي كانت تصله من طلابه أو المشتريين بصفة عامة، لأنّ تقديم مثل هذه النصائح والإرشادات التي تدخل في كتابه الفقهي دليل على تمكنه من ضبط الأبواب الفقهية وتقسيمها وفق منهجية سليمة كانت نابعة من واقع اجتماعي واقتصادي خاص، فالتفرد بمثل هذه الجزئيات قد يقودنا إلى القول بأنّ ظاهرة التدليس والغش قد استفحلت لذا خصص لها حديثاً حول نيات الوراقين¹.

من الإشارات القيّمة التي تحدثت عن الورق في الغرب الإسلامي كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس الونشريسي، الذي نقل فتوى ابن مرزوق الحفيد في قضية جواز استعمال الكاغد الرومي² بالرغم من أنّ المسألة تُفيد في تفسيرات أخرى إلا أنها تعتبر مصدراً للتأريخ لصناعة الورق خلال دخول منطقة الغرب الإسلامي مرحلة الضعف.

نستنتج أنّ المادة المصدرية التي تحدثت عن الورق بصفة عامة نادرة جداً في كتب النوازل و الفقه وهذا أمر ملموس وواقعي بسبب اهتمامها بقضايا أخرى أكثر طلباً واهتماماً من طرف عامة الناس خاصة في مجال العبادات والمعاملات، لأنّ أحوال المجتمع كانت تتطلب الخوض في مسائل حيوية ومعقدة، وصناعة الورق لم تكن من الحرف التي نالت الاختلاف الذي يتطلب اللجوء إلى القاضي أو المفتي سوى ما جاء في مرحلة الضعف من خلال فتوى ابن مرزوق الحفيد أو الآداب التي ذكرها ابن الحاج في المدخل، لكنّها تساهم في سد ثغرة مكنتنا من معرفة بعض الأسرار المخفية حول سلبات المهنة التي أفسدها بعض البائعين والنصائح التي قدمها ابن الحاج للمشتريين.

1- ابن الحاج : المصدر السابق، ج4، ص81

2- الونشريسي : المعيار المعرب، ج 1، ص85

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

4/ الكتب التاريخية والجغرافية والرحلات

تكمُن القيمة العلمية للكتب التاريخية والجغرافية والرحلات في أنها تحتوي على الكثير من المعارف والمدونات، ففيها عدا عن ذكر ما قاساه كاتبوها من ألوان المتاعب والأهوال صور وتقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورهم من شعوب آسيا وإفريقية وشطر من أمم أوروبا، كذكر المعالم التاريخية ودرس العلاقات الاقتصادية، ووصف الممالك والبلدان، والأصقاع والأقطار، والمسالك والطرق وغير ذلك ممّا لا يزال يُعتبر اليوم مرجعا أساسيا في دراسة وصف بعض البلدان الجغرافي والعمراني والاجتماعي والاقتصادي¹.

إنّ الصّلة التي تربط علم التاريخ والجغرافيا جعلت من الباحثين يستعينون بهما في عملية التأريخ لأي دراسة، وهو ما جعلنا نسير على خطاهم في موضوعنا حول الورق في الغرب الإسلامي لأنّ التفريق بينهما في عملية البحث سوف يفقده الكثير من المعطيات التي تتميز بها كتب الجغرافيا، فمن الخطأ التمييز بين الجغرافي والمؤرخ على أساس أنّ الجغرافي يهتم بالحاضر، بينما يهتم المؤرخ بالماضي، أو أنّ الجغرافي يهتم بالبعد المكاني بينما يركز المؤرخ اهتمامه على البعد الزمني، وبالتالي فإنّه لا يوجد حد فاصل بين الجغرافيا والتاريخ بسبب أن جغرافية أي مكان في الوقت الحاضر ما هي إلا صورة مؤقتة و متغيرة ستدخل في عداد التاريخ خاصة النواحي الاقتصادية، كما أنّ شخصية أي إقليم ليست مرجعها فقط اختلافات في التضاريس والمناخ والتربة، وإنّما يرجع سببها إلى طرق استغلال الأرض خلال الفترات التاريخية المختلفة².

من هذا المنطلق كان البحث في هذه المصادر مُهما للتأريخ لموضوع صناعة الورق في الغرب الإسلامي رغم أنّ المعلومات قليلة ونادرة إلا أنّ البعض من اللّمحات تُمكننا من إعطاء

1- أحمد أبو سعيد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، ط 1، 1962، ص5

2- محمد الفتحي بكير محمد: الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1999،

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

تصور عام حول هذه الصناعة.

من الكتب الجغرافية التي يُمكن أن يستقي منها الدارسون لموضوعنا بعضا من المعلومات ما يلي:

– كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت367 هـ / 977م): خصّ ابن حوقل الجناح الغربي للدول الإسلامية في كتابه بمادة واسعة تصل إلى حدود إحدى وستين صفحة شغلت المغرب الأدنى والأوسط والأقصى من هذه الصفحات تسعة وثلاثين صفحة، أمّا الأندلس فقد شغلت ثمانية صفحات¹.

استطاع ابن حوقل تقديم أو رسم صورة جيّدة لجوانب النشاط الإقتصادي من حيث حديثه عن المدن وخصائصها وعن الطرق التجارية والمواصلات، وكذلك العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والأندلس، إضافة إلى الجانب الصناعي أو ما يسمى بالجغرافيا الصناعية التي لم يغفل الجغرافيون المسلمون أن يшиروا إلى ما اشتهر به كل قطر إسلامي من الصناعات المختلفة². من أهم الإشارات التي نستخلصها من كتاب صورة الأرض أنّه قدّم لنا معلومة تاريخية هامة حول أدوات الكتابة في إفريقية وهي البردي، والرّق، والكاغد، كما أشار إلى أنّ صقلية قد غلب عليها البربر، علما أنّ هذه المعلومة عند الدارسين ورغم قصرها إلا أنّ فائدتها تكمن في أنّ ابن حوقل تحدث عنها بالمشاهدة العينية بعد زيارته للمنطقة في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي.

– كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت559 هـ / 1166م):

قدّم الإدريسي لنا معلومات مفيدة حول صناعة الورق في الغرب الإسلامي، وهو ما جعلنا

1- يوسف بن أحد حوالة: ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية، رسائل جغرافية، دورية علمية محكمة، قسم الجغرافيا، الكويت، 1416 / 1991، ص15

2- محمد محمود محمددين: الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1417 / 1992، ص 206

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

نَحْصَ مدينة شاطبة الأندلسية بالمدح بعدما صُنِّفَ ورقها ضمن الأجود والأحسن مما رآه كما سمح لنا الإدريسي في وضع محاولة للتحقيب الزمني للمعرفة المغاربية بصناعة الورق بعدما أَكَّدَ على أَنَّ أهل إفريقيا في زمانه كانوا يستخدمون الرُّقوق في كتابة المصاحف، والجدير بالذكر أنه كان يعتمد على المعاينة لأنه زار الأندلس زيارات فاحصة دارسة، وزار المغرب وطاف بكثير من أرجائه، كما جال في جزيرة صقلية التي أقام فيها زمانا، ومن هنا كانت أوصافه لهذه الأقطار تتميز بالدقة والملاحظة¹، علماً أَنَّ المؤلفات الجغرافية بعد الإدريسي لم تعرف شيئا من الابتكار والجدة وكان جُلُّ ما فيها أخباراً لأسفار الرّحالين التي كثرت في تلك الأزمنة²، ولا بُدَّ أيضا أن نُنوه أَنَّ علم الجغرافيا في بلاد المغرب قد اتخذ طابع المعرفة للمسالك والممالك التي كان يسلكها التجار، أو علم الفلك الذي اهتم به المغاربة وبرعوا فيه، غير أن الذي أَلَّفَ في علم الجغرافيا في بلاد المغرب خلال القرون الإسلامية الأولى لم يحتفظ لنا به المؤرخون أو الجغرافيون العرب بشيء منه مثل كتاب يوسف الوراق الذي كتب حول مسالك إفريقيا وممالكها وكتاب عجائب البلدان لابن الجزار القيرواني³.

– كتاب الروض المعطار للحميري (ت900هـ/1495م): وهو من المصادر الجغرافية المتأخرة التي تحدثت عن وجود صناعة الورق في شاطبة، ويبدو أنه نقلها عن الإدريسي نظرا لتشابه الوصف وجعل منها مدينة منتجة للورق الذي لا نظير لها في البقاع.

أما المصادر الجغرافية الأخرى التي يُمكن أن يُستقى منها معلومات تقريبية من خلال وضع إسقاطات عامة حول المواد الأولية المساعدة في صناعة الورق والتي سبق تناولها في الفصل الثاني كالقطن والكتان والحلفاء والقنب، نذكر كتاب البلدان لليعقوبي (ت284هـ/897م)،

1- محمد عبد الغني حسن: الشريف الإدريسي أشهر جغرافي العرب والإسلام، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1971، ص125

2- فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب، دار الكشاف، 1951، ج3، ص676

3- بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص478

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وكتاب المسالك و الممالك للبكري (ت487هـ/1094م) وهو من الكتب القيمة في ذكر التفاصيل المجالية للمدن والحوضر.

من جملة الكتب التاريخية المهمة في التأريخ للغرب الإسلامي بصفة عامة كتاب نفح الطيب للمقري أبو العباس التلمساني (ت1041هـ/1631م)، الذي تقوم فكرته الأصلية حول رغبة المؤلف في ترجمة لرجل واحد، هو ابن الخطيب، ولكنه أراد بعد ذلك أن يتوسع في الحديث عن الأندلس، وجعل صاحب الترجمة مركزا لدائرة معارف تاريخية وأدبية وعلمية، وبهذا كان نفح الطيب أوفى المصادر العربية عن تاريخ الأندلس وآدابها¹، وقد ألف المقري كتبا أخرى أهمها رحلته إلى المغرب والمشرق التي تحتوي على معلومات تتعلق بحياته خاصة.²

إنّ ما يفيدنا من كتاب نفح الطيب في التأريخ لصناعة الورق هو ذكره بعض الشواهد عن هذه الحرفة خاصة في الجزء الأول و الرابع و الخامس منه، فقد أشار فيه إلى المصاحف التي كانت تكتب على الجلود ومنها مصحف ابن مرزوق الجد، كما أنّه انفرد بذكر الورق الذي بعثه بعض المغاربة إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب، وكونه كتب عن الأندلس لم يغفل أن يذكر مدينة شاطبة وأهميتها في صناعة الورق الجيد، كما أضاف المقري عن جملة المؤرخين السابقين أنّ مدينة بلنسية هي الأخرى اشتهرت بالصناعة، وهي من المعلومات المهمة الدالة على أن حاضرة شاطبة قد تراجعت في جودة الصناعة إلى صالح بلنسية كونها من مقاطعاتها وهو ما أكدّه بقوله أنها من أعمال بلنسية³، ولم تكن معلومات المقري بالنسبة إلى شاطبة جديدة منذ عهد ترجمة الإدريسي لشاطبة في القرن السادس الهجري أي قبل المقري بحوالي أربعة قرون ونصف حتى أن وصف ورقها لم ينزل على مستواه بالنسبة للمصدر الجغرافي أو المصدر التاريخي إذا ما حاولنا وضع إسقاط زمني بينهما، وهذا يدل على اهتمام الأندلسيين بهذه الصناعة

1- الحبيب الجحاني: المقري صاحب نفح الطيب دراسة تحليلية، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1955، ص 65

2- أبو العباس أحمد المقري : رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر 2005/1425، ص9

3- المقري: نفح الطيب، ج 1، ص 166

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

لأنَّ البقاء في ريادة صناعة معينة يعتبر من الصعوبة بما كان، وهذا بسبب تغير الظروف. بحكم خبرته الطويلة في ميدان الكتابة وتناوله لمواضيع الصنائع كان كتاب العبر لابن خلدون من أهم الكتب التي تحدثت عن فن التاريخ بأسلوب أحدث جدلاً واسعاً بين المفكرين إلى يومنا هذا، وهو يتألف من سبعة مجلدات حسب طبعة بولاق سنة 1868م ومعها مقدمته وهي المجلد الأول من سبعة مجلدات¹ شكلت النتاج الفكري الإسلامي الخالص في زمن كان العرب ينتجون في كل مجال، حتى أجله معاصروه، وعرفوا قدره، وتعلموا منه، وقرؤوه جيداً فمن يقرأ كتابات المقرئ وغيره من المعاصرين فسيدرك أن المؤرخين العرب في ذلك الزمان أحسنوا قراءة ابن خلدون، فقد كشف المقرئ عن موهبة مؤرخ فذ تمكن من الاستفادة من أستاذ فذ².

إنَّ المقدمة التي ألفها ابن خلدون قد نالت شهرة واسعة في أوساط الباحثين وحتى المطالعين كيف لا وهي التي كُتبت في المغرب الأوسط في قلعة بني سلامة كما حدد لها بنفسه التاريخ بخمسة أشهر سنة (779هـ/1377م³)، وقد وصل عدد البحوث الصادرة باللغة العربية التي تناولت الفكر الخلدوني بالدراسة أكثر من ستين بحثاً باللغة العربية وأكثر من مائتي بحث باللغات الأجنبية المختلفة، وهو دليل آخر على أهميتها وقيمتها بين الكتب الأخرى.

لما كانت المقدمة بهذه القيمة كان لا بد من الرجوع إليها في محاولة التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي، لكن نظرة ابن خلدون لهذه الصناعة كانت ضعيفة جداً، حيث وضع الفصل الحادي والثلاثين في حديثه عن الوراقة لكن من وجهة الصنائع الإنسانية التي تدخل في الحاجات فقط .

إنَّ التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي من خلال مقدمة ابن خلدون يدخل في إطار نظري خالص فهو لم يميز في ازدهار وتراجع صناعتها بين حاضرة أو أخرى من المشرق

1- علي عبد الواحد وافي: عبقریات ابن خلدون، شركة مكتبة عكاظ، الرياض، ط2، ص 199

2- محمد الجوهري ومحسن يوسف: ابن خلدون انجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، ط 1، 2008، ص 50

3- عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون، دار المعارف، مصر، 1962، ص 1962

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

والغرب بل عرضها في مفهوم قوة الدولة وضعفها أو في إشكالية ازدهار العمران وتناقضه وهو التفسير الوحيد من بين جميع الكتب التاريخية الذي يعتبر منطقيا في الكشف عن أسرار تراجع الصناعات بصفة عامة¹.

وعلى هذا الأساس ضرب ابن خلدون للباحثين مثالا حول نظرية ازدهار العمران وعلاقتها بالوراقة بالصفة التي تدخل ضمنها عملية النسخ والخط والتجليد وغيرها بالأندلس والعراق وبين أن هذا من توابع العمران واتساع نطاق الدولة وقد أثر ذلك بالإيجاب على التأليف العلمية والدواوين.

يُفيد ابن خلدون في معرفة أسباب اتجاه الكتابة من الرق إلى الورق في العالم الإسلامي ككل وبالتحديد في بغداد بسبب زيادة التأليف والتدوين والرسائل السلطانية، فأصبحت مادة الرق لا تفي بالغرض، فما كان إلا الاتجاه نحو صناعة الورق الذي بدأ ينتشر حتى وصل إلى الغرب الإسلامي الذي استحكمت فيه الصناعة، لكنه أعطى البدايات المشرقية لذلك الحدث في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، أما البدايات المغاربية لم تذكر أبدا بالرغم أن الورق كان متداولاً في زمانه.

رغم أن ابن خلدون قد عاش دهرا وهو يصول في المنطقة متقلدا العديد من المناصب إلا أنه لم يشر إلى الحواضر التي اشتهرت بصناعة الورق في الغرب الإسلامي ولا ندري ما هي أسباب ذلك بالرغم أنه كان من القضاة وممن اختارهم السلطان أبي عنان في مجلسه العلمي للكتابة والتوقيع سنة (755هـ / 1354م)²، وهو ما أدى به إلى الميل نحو ذكر أسباب تراجع الكتابة من الخط و الرواية التي ربطها بدخول المستعجمين من ذوي قلة الخبرة وأيضا بمصطلح البداوة الذي يعبر عن العودة إلى المرحلة الأولى لقيام الدولة، وإذا قمنا من خلال حديثنا السابق بنقد ابن خلدون حول ضعف معلوماته عن صناعة الورق فإن ذلك يعود لكونه من أهل

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 532

2- السيد محمد خضر: حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343، ص8

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإختصاص، وقد فوّت علينا الكثير من المعلومات القيّمة في هذا المجال على العكس من المؤرخ المصري القلقشندي الذي جاء من بعده فكان من المساهمين الفاعلين في التعريف تفصيلاً وتدقيقاً.

تفيدنا بعض المصادر التاريخية الأخرى بذكر معلومات بسيطة حول الورق في الأندلس مثل كتاب الصلة لابن بشكوال الذي نستنتج منه بعض الأعلام الذين مارسوا النسخ أو الكتابة مثل عائشة بنت حيان القرطبي والكاتبة مُزنة في عهد عبد الرحمان الناصر¹ وسار على نهجه ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة، ففيه ذكر جملة من النساخين الذين نستنتج من ترجمتهم بعض الآثار الخاصة بمهارتهم في الخط وكتابتهم على الورق.

أمّا بالنسبة للمصادر الخارجية التي ذكرت الورق المغربي في وصف عابر هو كتاب صبح الأعشى للقلقشندي في القرن التاسع الهجري.

إنّ الشذرات السّالفة الذكر عن بعض الكتب الجغرافية والتاريخية التي تحدثت عن وجود الورق في الغرب الإسلامي مقارنة بما كتبه المصادر المشرقية في هذا المجال لم يُمكن لهذه الصناعة من التميّز بشكل أحسن لما هو موجود من مصادر مشرقية سهلت على الدّراسين عملية التأريخ والإستنتاج وكذلك تقديم براهين وحجج مقنعة على جودة صناعة الورق في الحواضر المشرقية، ولكن مع ذلك حفظت لنا بعض المخطوطات الهامة مثل عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب أسرار الصناعة كمصنف خاص للكتابة والنسخ والتجليد وكذلك صناعة الورق.

أصبحت الإستعانة بمختلف المصاير من مخطوطات وكتب تاريخ وجغرافيا ونوازل فقهية أدوات مهمة لتكوين معالم الشخصية لمنطقة الغرب الإسلامي في صناعة الورق ويبقى المجال مفتوحاً أمام الباحثين في الكشف عن مواد مصدريّة جديدة تغطي الثغرة الخاصة في هذه

1- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 654

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الصناعة الإنسانية، وهي في حقيقة الأمر تعتبر من الإشكاليات المصدرية التي تشكل عقبة للإحاطة الكاملة بهذه الحرفة من الصناعة إلى طرق البيع والشراء، ومع ذلك تبقى المقارنات والإسقاطات بين الحقب التاريخية والمجالات الجغرافية حلا من الحلول التي تفسر وجود صناعة ورقية في المنطقة.

المبحث الثاني: مراحل صناعة الورق في الغرب الإسلامي

1/ جمع المادة الأولية والتحضير

إنّ تقنية صناعة الورق في الغرب الإسلامي هي نفسها المتعارف عليها في المشرق حتى أنّها لم تتطور في أوروبا حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وقد كان استبدال المطارق هو العامل الوحيد الذي أدخل تغييرا ملحوظا¹ على الصناعة، أمّا بالنسبة لدليل الصناعة في المنطقة المدروسة فهو مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، الذي يتناول بابه الحادي عشر طريقة صناعة الورق، وحين مقارنته مع ما ألفه صاحب كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار، ومؤلف كتاب المخترع في فنون من الصنع في وصف عمل الكاغد البلدي نجد الطريقة جدّ متشابهة وهي دليل على تعاقد الحرفيين في مختلف الحواضر على إتباع نفس الوسائل والمكونات وخطط العمل، إلّا أن الفرق كانت تحدده مهارة الصانع ومدى إتباعه للمراحل بدقة وكذلك الدعم الذي أولاه الحكام لهذه الصناعة التي كانت ترقى وتزدهر في الحواضر الكبرى والقريبة من مركز الخلافة.

تتمثّل الخطوة الأولى لصناعة الورق في جمع المادة سواء كانت من النباتات أو من الخرق البالية، أمّا من النباتات فقد كانت موجودة، مثل القطن والكتان، في العديد من الحواضر، وقد كان جامعو الخرق يرفضون تماما الخرق التي أصلها من الصوف، كما كان يصنع الورق من الحلفاء والقش والخشب، ومن بين هذه المواد جميعا فإنّ خرق القطن تعطي أنقى وأطول الألياف السليلوزية، علما أنّ الورق المصنوع من القماش يتحمل كثرة الإستعمال ويحتفظ بلونه الأصلي

1- لوسيان فافر وهنري جان مارتان: ظهور الكتاب، دار طلاس، ط1، 1988، ص 45

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

فترات طويلة ويقاوم عوامل التقادم¹.

تجدر الإشارة إلى أنّ ثمة فروقا بين جودة الورق المصنوع من المواد السابقة الذكر فالورق المصنوع من الكتّان يُشبه في خصائصه الورق المصنوع من القطن لأنّ فيهما أليافا سليولوزية عالية الجودة والنّقاء لكن الكتّان أسمك منها، أمّا نبات الحلفاء الذي ينمو برا في البرك أو على شواطئ الأنهار والمستنقعات يُعدّ من المواد الضرورية في الصناعة أيضا رغم أنّ أليافه قصيرة نوعا ما، ممّا يجعل ورقه متوسطا في القوة والتحمل وكذلك العمر، ومع ذلك فإنّ سطح الورق يكون ناعما نظيفا ويسهل استخدامه في الكتابة والطباعة وهو صالح لتصوير الإيضاحات، ولو أحسن المهنيون صناعته فإنّ هذه المادة تعطينا نوع الورق المعروف بوزن الريشة²، ولا يزال الخشب مصدرا أساسيا أيضا لهذه الصناعة منذ العصور الوسطى إلى يومنا هذا نظرا لتوفره على أنسجة وخلايا ليفية تختلف أطوالها، لكنها في جميع الحالات تعتبر أطول العناصر الموجودة بين المواد الأخرى³ وكان الصانعون يستغلون كل ما هو مفيد من الأشجار مثل الجدار الصلب الأول من القشرة الذي يحتوي على مادة السليلوز وهي من الصفات المميزة للخلايا النباتية إذا ما قورنت مع الخلايا الحيوانية التي تفتقر للجدار الصلب لأنها تتكون من غشاء بلازمي حي⁴ كما يوجد في الخلايا التي يتركب منها النخاع الخشبي للساق أي اللب.

إنّ الألياف النباتية التي كان يستخرجها العمال تؤكد على مدى براعة المسلمين في ذلك الوقت لأنّ استخراجها يختلف من نبات إلى آخر فبالنسبة للكتّان يوجد في اللحاء الداخلي للساق، أما القطن فتوجد في الشعيرات المكونة له، أما الحلفاء والقنب وغيرها من النباتات مثل القمح والشعير توجد في جميع الساق.

إنّ جمع المادة الأولية ليست بالمهمة السهلة رغم توفرها في العديد من الحواضر في الغرب

1- شعبان عبد العزيز خليفة: البليوغرافيا، ص 43

2- نفسه

3- Edwin Sutermeister: **chemistry of pulp and paper making**, new York, 1920, p 45

4- بدري عويد العاني، قيصر نجيب صالح: أساسيات علم تشريح النبات، جامعة بغداد، ط3، 1988، ص21

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإسلامي إلا أنّ بعض مواسم الجفاف والكوارث الطبيعية كان يؤدي إلى نقصها رغم أنّ الحرفيين من المشرق والغرب الإسلامي وحتى أوروبا قد تفتنوا لهذا المشكل بسبب الكميات المعبرة التي تتطلبها عملية الصنع، وهو ما أدّى بالحرفيين إلى الإقامة بالقرب من المراكز السّكنية لتعويض المادة النباتية بالخرق، كما كان النسيج من الحلول المنطقية لوجود صناعة الورق بالجوار منها بسبب تشابه المواد الأولية من جهة وجلب بقايا ما ينتجه الخياطون والنسّاجون واستعماله في الصنع، مع العلم أنّ جلب هذه المواد كان يتطلب الخبرة والمهارة خاصة إذا ما كُلف العمال بجمع الأخشاب الذي يستلزم قطع الأغصان من أشجار خاصة وبالتالي بذل مجهود كبير.

إنّ مؤلف مخطوط عمدة الكتاب وهو يفسر لنا مراحل الصنع ذكر أنّ الورق المصنوع هو الطلحي الذي نجد ذكر اسمه في كتاب الفهرست¹، وأصله يعود إلى خراسان، أمّا فيما يخص المرحلة الأولى وهي التحضير فيقول: "يؤخذ القُنب الجيد الأبيض فتتقيه من قصبه وتسرحه بمشط حتى يلين".

من خلال ما ورد في المخطوط فإنّ العملية تبدأ باختيار المادة الأساسية والمتمثلة في أنموذج القُنب، ويبدو أنه كان الشائع وهو المستعمل في خراسان نظرا لاختياره الورق الطلحي الذي يُصنع منه، أي من ألياف نبات القُنب فقط وقد بينا سابقا أماكن وجود القنب في الغرب الإسلامي، علما أنّ اختيار القُنب أو غيره من المواد الأخرى يتطلب إتباع نفس الخطوات ولا ندري الأسباب الحقيقية وراء تخصيص المؤلف للورق الطلحي فقط، ولعل أنّ أقرب الحجج على ذلك هو أنّ الأمير المعز ابن باديس الصنهاجي كان يبحث عن بلوغ درجة من الصناعة تصل في مستوى الحواضر المشرقية إذا ما علمنا أنّ خراسان كانت قريبة من مركز الخلافة وأنّ أجود الورق كان يصنع في بغداد وبالتالي فإنّ الورق الطلحي الذي كان ينافس البغدادي سيكون جيدا أيضا، كما أنّ حرص المعز ابن باديس على تأسيس مشروع علمي لا بُدّ له من مرجعيات تقنية

1- ابن النديم: المصدر السابق، ص36

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

سليمة، وهو ما اتضح جليا من خلال تحليل الكتاب الذي برزت فيه علوم تطبيقية مباشرة خاصة الكيمياء، ومنه فإن إتباع طريقة الصناعة على منهاج الورق الطلحي يُعد خطوة صحيحة وهو ما تؤكد الأبواب الأخرى التي تضمنت العديد من التوجيهات النظرية التي توجه المهتمين والمختصين في المجال لكي يصلوا إلى نتائج مرضية وهو ما سيحصل عن طريق التدريب على اكتساب تلك المهارات ابتداءً بالبواب الأول الذي تحدث فيه عن كيفية اختيار الأقلام الجيدة ثم التمكن من مهارات صناعة المداد الأسود والملون وطرق التجليد وغيرها.

بعد عملية جلب المواد الأولية يقوم الصانعون يدويا باختيار أحسن النباتات قصد الوصول إلى نتيجة حسنة في الأخير ومن ثم بيعها في الأسواق، وعلى ضوء الاختيار الأول تمكنت حاضرة شاطبة الأندلسية من نيل المرتبة الأولى في صناعة الورق¹ خاصة الورق القطني الذي كان موجودا في مصانع مختلفة في الأندلس² والتي شهدت بها مختلف المصادر سواء كانت تاريخية أو جغرافية.

بانتهاى عملية جمع المواد يذكر صاحب مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الأبواب الخطوة الثانية وهي التنقية والتسريح³، وهي مرحلة تستغرق بعض الوقت لأن الحُزم من النباتات التي يأتي بها العاملون من مختلف المناطق ليست كلها صالحة وبالتالي فإن المهنين يقومون باختيار الأحسن، كما تسمى هذه العملية بالفرز والانتقاء، وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من يقوم بعملية الفرز هو الصانع لأن المهام كانت مقسمة بين الذي يفرز والذي يُخرج الورقة من القالب في الأخير، هذه الطريقة تكون في المعامل أما إذا كانت الصناعة فردية فالمهام تصبح مقتصرة على عامل واحد فقط.

1- Torres Balbas, Leopoldo Torres: **Jativa y los restos del, Palacio de pino Hermoso, Al-Andalus**, vol. XXIII, 1958, p 146

2- Javier, Florencio: **Condicion Social de Los, Moriscos de Espana**, Madrid, 1857,p 48

3 - عمدة الكتاب وعدة ذوي الأبواب ، تحقيق : نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ص 147

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

إنَّ عملية التنقية تحتاج إلى الملاحظة الدقيقة لمُختلف الشوائب التي قد تُفسد درجة نُعومة الورقة من جهة وتفسد عمل القالب الذي يُمكن أن يُصاب بالتلف إذا حدث خطأ في الفحص الأوَّلي للمواد القادمة من الخارج إلى مكان الحجز المخصص للجمع وهذا للحصول على ورق من النوع الجيد، وكذلك بالنسبة للخرق من الملابس التي استعملت في شاطبة خاصة من جهة أخرى والتي تحتوي على الأزرار والدَّبَابِيس وكل ما يُستعمل كزينة في واجهة اللباس تنزع ويبقى القماش فقط، وهذه الطريقة لا تزال معروفة في الصناعات وهي عملية التدوير، وقد ساهمت الخرق في تغطية العجز الحاصل في بعض المحاصيل الزراعية لأنها كانت تستخدم في صناعات أخرى مثل القطن في النسيج ونبات الكتان لصناعة الزيت والحلفاء للتدوي الطبيعي كما أن زراعة القنب لم تكن كافية في المنطقة.

إنَّ استعمال المسلمين في الأندلس للخرق لم يعجب بعض المستشرقين المعاصرين، فقد ذكر جوناثان بلوم أن المستشرق ديديروت اعتقد أن الورق المصنوع من القطن هو من صناعة البيزنطيين وأنَّ ورقة الخرق هي اختراع أوروبي خالص وبناءً على هذا، فحص المصادر الأوروبية المحتملة لهذه الصناعة وتقنياتها من الألمان مروراً بالإيطاليين وحتى اللاجئين اليونانيين في بازل بسويسرا ورفض الإحتمال الذي يقضي بأن تلك الصناعة قد جاءت من الشرق أو من قبل مسلمي الأندلس¹.

يُعد هذا الطرح من الشبهات الكثيرة التي طالت الإنجازات الإسلامية على غرار العلوم الطبية والفلكية والفلاحية وهلمَّ جرا من الشواهد التي سُرقت من المكتبات الإسلامية في القرن التاسع عشر مع موجة الإستعمار المدمر ولكن كان الرد المنصف في نفس الوقت من المستشرقين أنفسهم الذين كانت لهم الشجاعة في رد الاعتبار للمنجزات الإسلامية مثلما قال بلوم: " قد يعود تجاهل الغرب للدور الإسلامي في تاريخ الورق جزئياً إلى ميل خبيث يرمي إلى تجاهل الإسهامات الرئيسة للحضارة الإسلامية لا سيما في حالتنا هذه بوصف هذه الحضارة

1- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 46

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وسيطا لنقل الأفكار¹ زد على ذلك أنه همش دور الصينيين الكبير في تطوير الصناعة وكذلك جيرانهم اليابانيين، وهذا بطبيعة الحال لأنه لم يُحكم العقل في طرحه الكرونولوجي في تطور المادة بل أسقط جميع الحضارات العريقة في شرق آسيا وأنكر حتى وجود ورق عند الهنود البوذيين، كما أدى به التعصب كغيره من الدارسين إلى إقصاء متعمد أو إرضاء المدرسة التاريخية الأوروبية في مجال الفنون والصناعات الحرفية .

لم تذكر المصادر التاريخية والجغرافية معلومات حول الكيفية التي كانت تُنظف بها الخرق وطريقة تنقية النباتات إلا أنّ الحاجة إلى صناعة هذا المنتج جعلتهم يستخدمون جميع الطرق في عملية الفرز الأولية، وإن المواد التي كانت تستخرج لا محالة تكون عبارة عن أعشاب ضارة غير قابلة لاستخراج السليلوز وبالتالي يتم الإستغناء عنها أو ألبسة صوفية مختلفة لا تساعد في الصناعة.

إنّ صناعة الورق على الطريقة الصينية السمرقندية بحكم أنّها الحاضرة الإسلامية الأولى التي أُنقن أهلها صناعة الورق والذي احتفظ بوصف له مخطوط عمدة الكتاب في مبحث خاص خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي في الغرب الإسلامي استخدمت المواد الخام الرئيسة من الخرق الكتانية أو القنبية وكذلك الكلس والنشاء القمحي، ومجموعة من الأدوات غير المعقدة كالطاحونة أو الجرن وإلى خابية أو إطار² وهذه الطريقة لم تتعرض لأيّة تغيرات ملحوظة خلال عدة قرون، وقد أثبتت التجارب الحديثة براعة الإنسان في ذلك الوقت في كيفية التمييز بين المواد التي تحتوي عنصر السليلوز رغم أن هذا المصطلح يعتبر حديثا بالنسبة للمفاهيم المتداولة حينها.

نستنتج من خلال عملية تحضير المادة الأولية أنها أساسية في التمييز بين كل أنواع الورق التي عرفها المسلمون والتي أوصى بها صاحب مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب وهي

1- جوناثان بلوم : المرجع السابق، ص 55

2- أنس خلدوف: المخطوطات العربية وتقاليدها، مركز جمعية المآجد للثقافة والتراث، ط1، 2009، ص214

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

التي سار عليها صانعوا الغرب الإسلامي بالرغم أن توفرها كان هو المحدد الرئيس لازدهار الصناعة أو تراجع إنتاجها، وكذلك ارتفاع أسعار الورق أو ثباتها.

تعقيب

إنّ الوصفة التي وردت في مخطوط عمدة الكتاب وعدة دوي الألباب بخصوص عملية التحضير كانت معروفة أيضا في المصادر المشرقية رغم قلتها أيضا بحيث لم تكن الندرة خاصة بالغرب الإسلامي فقط وهذا ما طرحه عدة باحثين في مجال المخطوطات، ولعلّ أن أشهر الباحثين الذين أضافوا اللثام عن هذه المصادر الأستاذ كوركيس عواد الذي أشار لبعض المخطوطات التي تناولت الصناعة الورقية الإسلامية في مقالته عن الكاغد وصناعته في العصور الإسلامية في عنوان المؤلفات القديمة في صناعة الورق ومن جملتها: مخطوط فيه ثلاثة وخمسون ورقة عنوانه: كتاب فضل القلم والخط وأعمال المداد وهو مجهول المؤلف وقد تحدث فيه عن صفة عمل الكاغد وصقله في أربع صفحات¹ أمّا المصدر الآخر فهو مخطوط موجود في الخزانة الأصفية الهندية وهي نسخة فريدة من كتاب المخترع في فنون من الصنع لكن مؤلفه مجهول وضع فيها عنوانا في الفصل الخامس جاء فيه : في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والكتب² وقد فصل الأستاذ محمد اللهيبي في مقال أصدره عن جامعة الشارقة سنة 2017 في كيفية صنع الكاغد بشكل دقيق وواضح، أمّا المصدر الآخر فهو مخطوط كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار وهو مجهول المؤلف موجود منه نسخة في خزانة تطوان بالمغرب حيث ذكر المؤلف في الباب الحادي عشر بيان عمل الكاغد وتعتيقه وجميع النقش عليه، علما أنني لم أطلع عليها ولكن استقدت من نقلها المباشر والمفصل من كتاب علم الإكتناه للباحث قاسم السامرائي³ الذي يعتبر من جملة المؤرخين الذين بحثوا

1- كوركيس عواد : الكاغد أو الورق، ص 435

2- نفسه : ص 435

3- السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 263

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

عن طرائق صنع الورق الإسلامي بشكل دقيق ومفصل.

من خلال قراءتنا لطريقة تصنيع الورق الإسلامي سيلاحظ الدارس حين المقارنة بين المصادر الشرقية ومخطوط عمدة الكتاب تشابها كبيرا في مرحلة التحضير وجمع المادة الأولية حيث جاء مثلا في كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار لمؤلف مجهول¹، نفس صيغة التعبير بقوله: في كيفية عمل الكاغد الطلحي : يؤخذ القنب الجيد الأبيض فتنقيه من قصبه وتسرحه بمشط حتى يلين، أما في كتاب المخترع في فنون من الصنع قوله : في كيفية عمل الكاغد البلدي يؤخذ لحاء شجر المرخ² فييبس وتقشر الظاهرة فيرمى بها وتؤخذ القشرة الداخلية البيضاء التي كانت متينة.

نستنتج من المصادر المذكورة اتفاق مصدر عمدة الكتاب وكتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار لمؤلف مجهول في مادة صناعة الورق وهو القنب وهذا راجع لنوعية الورق المصنوع وهو الورق الطلحي ويبدو أن هذا النوع كان معروفا بين الأنواع الأخرى لذا تم اقتراحه في وصفه صناعته في الغرب الإسلامي بسبب وجود هذه المادة.

إن اختلاف النبات أو مواد أخرى في صنع الورق مثلما ورد في مصدر المخترع في فنون من الصنع لم يؤثر على جوهر الصناعة، بل بالعكس فتح المجال أمام الصانعين لإيجاد وسائل وطرق أخرى توفرت في منطقة دون الأخرى وهو ما اتضح جليا في نوعية الورق الآخر الذي طرحه مصدر المخترع في فنون من الصنع وهو نوع الورق البلدي الذي يقوم على مادة أولية أخرى من النبات لم تكن معروفة في مراكز الحواضر الإسلامية الكبرى وهو نبات المرخ، وإذا

1- مؤلف مجهول : كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار ، مخطوطة المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، رقم : 190

، ص، ص 51، 53 ، نقلا عن : السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 263

2- المرخ : من شجر النار معروف ، قال أبو حنيفة : المرخ من العضاة وهو ينفرش ويطول في السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك وعيدانه سلبية وينبت في شعب وخشب ومنه يكون الزناد الذي يُقندح به . الزبيدي: تاج العروس من

جواهر القاموس ، دار الهداية، ج7 ، ص، ص 339 ، 340

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

ما حاولنا تفسير أسباب الإستعانة بهذا النبات سوف نجد الإجابة في نوع الورق في حد ذاته، فتسميته بالبلدي دليل على أن صناعته كانت محلية في البادية التي يوجد فيها هذا النبات الذي ينمو في المناطق الجافة نوعا ما وكذلك الصحراوية.

2/ الغسل والعرك والتقطيع

بعد أن يقوم العاملون بتحضير المواد الأولية ينتقلون إلى المرحلة الثانية، أي يقومون بتحويل المادة الخام المختلفة سواء القطن أو الكتان والحلفاء وكذلك الخرق إلى لب سليولوزي علما أنه لا يمكن الخلط بينها بحكم أن الورق لا يصلح بهذه الطريقة.

إن تعلم هذه الطريقة قد وردت بالتفصيل في كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب حيث قال المؤلف: " ثم تأخذ ماء الجير ينقع فيه ليلة إلى الصباح ثم تعركه باليد وتبسطه في الشمس نهارك كله حتى يجف، ثم تعيده الليلة المقبلة في ماء جير غير الماء الأول، وتتركه حتى الصباح، ثم تعركه كعرك الأول ليلة وتبسطه في الشمس تفعل به ذلك ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة وإن بدلت ماء الجير في كل يوم مرتين كان أجود¹ ".

إن الماء المستعمل في عملية الغسل لا بد له من ماء الجير، وهو الذي عرفته الحضارات القديمة في البناء أو صناعة التماثيل وغيرها عن طريق استعماله المباشر بعد استخراجها في شكل صخور أو إضافته مع مواد أخرى مثل الطين كما استخدم في مجال الزراعة، وكان يستخرج أيضا عن طريق حرق الحجر الكلسي في أفران تقليدية تكون فيها درجات الحرارة مرتفعة تصل إلى حدود التسعمائة درجة حيث تتحول الحجارة الكلسية إلى أكسيد الكالسيوم وهو ما يُعرف لدينا اليوم بالجير الحَيّ وعند إضافة الماء له يسمى بالجير المطفي ويستخرج أيضا عن طريق تقطيع أحجار بأحجام مختلفة حسب نوع هندسة البناء.

إن ماء الجير الذي ذكر في المخطوط يُستخرج وفق عملية كيميائية برعت فيها البشرية منذ العصور القديمة وانتقلت فائدتها إلى المسلمين بحيث تتم العملية عن طريق وضع الجير في

1 - عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق : نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ص 147

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الماء ثم يخلط جيدا بواسطة أداة معينة، وبعدها يترك لمدة على حسب الكمية الموضوعة ليصعد الماء إلى الأعلى وينزل غالبية مسحوق الجير إلى الأسفل وتسمى هذه العملية في الكيمياء المعاصرة بالترشيح أو التصفية، وبهذه الطريقة يستخرج ماء الجير، أما الباقي من المادة فقد كان يترك في الهواء الطلق في شكل أكوام بديلة للحجر¹ تستعمل في البناء مثلاً.

تتمثل الفائدة من ماء الجير في أنه يزيل الشوائب والملوثات كونه يحتوي على كربونات الكالسيوم، كما أنه يسرع من عملية التحلل، ومنه فإن استخدامه في مرحلة الغسل تعد ضرورة ومهمة.

إن مرحلة الغسل تدوم لبضعة أيام بحيث يعمل فيها ماء الجير دوراً أساسياً في تحليل ومعالجة النباتات، أي نبات القُنْب حسب وصفة المخطوط التي تدوم حوالي سبعة أيام وتسمى هذه الطريقة بعملية التنقيع عن طريق تشريب مختلف المواد لكي تصبح لينة ورطبة لكي ترق أليافها وتسمى أيضاً بعملية التطعين بجعلها مدة من الزمن في الماء لكي تزول المواد الصمغية من سيقانها² ولكن خلال هذه المدة الزمنية يأتي دور العمل اليدوي الذي نطلق عليه العرك والدلك الذي يحتاج إلى مجهود شاق خاصة إذا كانت الكمية كبيرة وهذا كله من أجل الحصول على السليلوز.

من المعروف أن الورق اليدوي يحتاج في صناعته إلى عناية ودقة أكبر وصبر لذا اهتمت المسلمون إلى عدة طرق لتسهيل عملية ترطيب وتليين المواد الخام عن طريق وضع الماء الساخن في الحوض، كما قام البعض الآخر بغلي المواد نفسها بعد أن قام بفرزها وتقطيعها يدوياً حتى تصير لزجة نوعاً ما ثم تخزن في أحواض للأخذ منها، وعادة ما تكون هذه العجينة اليدوية أكثر لزوجة من لزوجة المواد التي عركت بالمعدات التي استخدمت فيما بعد.

1- A, h, Heath: **A manual on lim and cement their treatment and use in construction**, London, 1893, p 30

2- إدوارد غالب : الموسوعة في علوم الطبيعة ، دار المشرق ، بيروت ، ط2، ص 285

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

يقدم الباحثان لوسيان فافر وهنري جان مارتن تفصيلا أوروبا في هذه الخطوة وهي أنّ الخرق البالية تخرن في الأقبية لتتنقيها حتى تتخمر ويبدأ السليلوز بالإنعزال ثم تؤخذ المادة إلى الطواحين المائية التي تُشغل المطارق والمدقات التي تتحرك داخل أوعية خاصة من الخشب ثم تسحق الخرق في ماء الصابون بعناية للحصول على معجون ذي كثافة مناسبة وهو معجون الورق¹.

إنّ أوجه التشابه في الطريقة الأوروبية مع ما ورد في مخطوط عمدة الكتاب تتمثل في المادة الخام وهي الخرق أمّا بالنسبة لتقنية العمل فإنّ الأوروبيين قد استعملوا طرقا جديدة لتسهيل عملية الغسل والعرك بواسطة الطواحين المائية التي تقوم برفع المدقات التي تسقط على الخرق ثم تتمزق شيئا فشيئا، علما أنّ الورق اليدوي أقوى وأمتن ومن ثمّ فهو أبقى وأطول عمرا وتحملا من الورق الآلي، لكن مع ذلك يحتاج الورق اليدوي وقتا أطول في صناعته التي تصل حتى عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما متتالية، ومن هذا فإنّ الورق الآلي يمكن إنتاجه بكميات ضخمة في وقت قصير².

وفي هذا الصدد يمكننا أن نميز بعض الخصائص بين الورق اليدوي والآلي:

- الورق اليدوي المصقول أكثر تحملا من الورق الآلي
- الورق اليدوي عادة أسمك من الورق الآلي
- الورق الآلي أخف وزنا من الورق اليدوي
- الورق اليدوي ليس دقيقا في المساحة مقارنة بالآلي
- مظاهر الدقة تظهر أكثر على الورق الآلي
- تعرض الورق اليدوي للتآكل في الأطراف بعد إخراجها من القالب
- يتميز الورق الآلي بالمرونة عكس اليدوي يكون صلبا نوعا ما

1- لوسيان فيفر وهنري جان مارتان: المرجع السابق، ص 46

2- شعبان عبد العزيز خليفة : المرجع السابق، ص 51

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

- يستخدم في الورق الآلي مواد كيميائية أكثر من اليدوي.

إنّ عملية التقطيع والسّحق التي تطورت مع الزمن باستخدام المطارق والطواحين كانت في الغرب الإسلامي تقليدية حيث يواصل صاحب كتاب عمدة الكتاب بالإنّقال بين المراحل ليصل إلى خطوة أخرى وهي المتمثلة في التقطيع بحيث نستشهد بقوله: " فإذا تناهى في البياض قطعه بالمقراض صغارا ثم أنقعه في ماء عذب سبعة أيام أيضا وبّدل له الماء كل يوم، فإذا ذهب منه الجير، دقّته في الهاون دقا ناعما وهو ندي فإذا لان ولم يبق منه فيه شيء من العقد أخذت له جيرا آخر حلّته في إناء نظيف حتى يصير مثل الحرير¹.

إنّ هذه الطريقة تقود العاملين إلى إنتاج عجين الورق من خلال سحق الخرق الرثة والأقمشة القديمة² والنباتات المختلفة في مدة سبعة أيام أخرى أو حسب درجة ليونة المواد وقد قدم لنا المؤلف المدة القصوى من عملية الغسل والعرك والتقطيع والسّحق التي تصل إلى أربعة عشر يوما قبل وضع العجين في القالب.

إنّ الملاحظ من هذه الطريقة أنّها ملازمة لماء الجير الذي يلعب دورا كبيرا في تنظيف المواد الخام، كما أكد المؤلف على ضرورة سحق النبات في الهاون وهو المصنوع عادة من الخشب أو النحاس لضمان نجاح عملية السحق، والجدير بالذكر أنّ عملية التقطيع تمر بمراحل، ابتداءً بنزع القشرة الخارجية للنبات ثم ضرب النبات بعد أن يكون قد تشرب في الماء الساخن ليقطّع إلى قطع صغيرة أو ألياف طويلة ليوضع في شكل حزم ملفوفة، لذا كان من اللازم أخذ الوقت لكي تتجح العملية.

من خلال ما تم ذكره سابقا يمكننا وضع مقارنة بين هذه العملية التي جاءت في مخطوط عمدة الكتاب والطريقة التي كانت مستعملة في الصين وهي لا تختلف كثيرا عن طريقة الغرب الإسلامي، فمن المعلوم أنّ الصينيين كانت مادتهم الأولية في الصناعة قصب الخيزران أو

1- أنظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ص 147

2- لومير جاك: المرجع السابق، ص 64

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

القش أو لحاء الأشجار، حيث كانوا يقومون بتجريد القصب من أوراقه وبراعمه، ثم يربطونه بحزم، وينقعونه في برك حتى يتمكنوا من إزالة القشرة الخارجية الخضراء أو اللحاء.

بعد أن يتم فصل الطبقة الخارجية توضع الحزم في حفرة مملوءة بالماء مع الجير لعدة أشهر، وبعد اكتمال المدة يؤخذ الخيزران من الحفرة ويوضع في ماء صاف لتحرير الماء من الشوائب، وعند تحضير اللحاء الذي يتم عادة في فصل الشتاء يقومون بتبخير الحزم في مرجل حديدي لمدة ساعتين أو أكثر ثم يجفف اللحاء في الشمس، ثم تُغلى وتبخر مرة ثانية حتى تصبح المواد بيضاء نوعاً ما، وهي تستغرق مدة من الوقت تصل لأسابيع، وبعدها يتم وضع اللحاء المبيض على لوح حجري وضربه بمطارق يدوية حتى يصبح مهياً لوضعه في القالب¹، كما استخدم الصينيون قش الأرز الذي صنعوا منه الورق ذا اللون الأصفر وذلك لوجود زراعة الأرز في المنطقة، وقد كان صنع الورق من هذه المادة أسهل بكثير من ورق الخيزران أو لحاء الشجر، بحيث ينتفون قش الأرز ويسرحونه ويضعونه في ماء الجير لتتواصل العملية بوضع قش الأرز في أكياس قماشية مسامية يتم ربطها في تيار مستمر من الماء لكي تنظف من جميع جزيئات الجير ومن العوالق الأخرى، وفي الأخير تضرب لكن بشكل أقل من الخيزران واللحاء ثم يوضع عجين القش في القالب².

من خلال ما تم عرضه حول الطريقة الصينية في عملية الغسل والسحق نلاحظ تقارباً إلى حد كبير رغم اختلاف الثقافات وبعد المسافة إلا أن مفهوم الصناعة واحد خاصة في وضع مادة الجير لإزالة الشوائب، ولكن يبدو أن طريقة الصينيين تستغرق وقتاً طويلاً نوعاً ما مقارنة بالطريقة التي جاءت في مخطوط عمدة الكتاب، أما الاختلاف الملموس فهو في مكونات المواد الخام التي تشتهر بها كل منطقة، لأن قصب البامبو والأرز ينمو في الأماكن التي يوجد فيها

1- Dard Hunter : paper making , the history and technique of an ancient craft dover publications ,new york, 1978, p 216

2 - ibid, p 217

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الماء بكثرة.

إنَّ العرض السابق للطريقة الإسلامية من خلال مخطوط عمدة الكتاب ومقارنتها بالصينية في الخطوة الثانية من صناعة الورق دليل واضح على التواصل الفكري والبشري بين الشعوب وهو ما ظهر لنا في جزئية صناعة الورق، حيث تشاركت الأمم في إتباع طرائق في الصناعات، ولا محالة أن حاضرة سمرقند كانت نقطة فاصلة في وصول الفكرة إلى الحواضر الإسلامية الأخرى بعد معركة طلاس، وطريقة التحضير التي استعملها تساي لون مستبدلاً ألواح الخيزران الثقيلة وغير المريحة في الكتابة والحريز الباهظ الثمن بنقع لحاء البامبو وقش الأرز في الماء الساخن¹ ليخرج ورقة رخيصة الثمن ذات مميزات جيدة كانت أهم اكتشاف سوف ينتشر خبره فيما بعد، وبناءً على هذا بحث صناع الورق في آسيا الوسطى عن مصادر أخرى للألياف كي يصنعوا منها أوراقهم وكان هؤلاء أول من قام بتطوير صناعة الورق من الخرق بوصفه مكوناً رئيسياً في صناعة اللب، ومن ثم حمل المسلمون هذه التقنية الجديدة في صناعة الورق إلى العراق والشام ومصر والمغرب وصقلية، وأخيراً الأندلس².

تعقيب:

إنَّ عملية الغسل والعرك التي وردت في مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب هي نفسها التي وردت في مخطوط كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار وهذا يقودنا إلى القول بأنَّ ثقافة الصناعة الورقية كانت شائعة ومتداولة في الأقطار الإسلامية سوى الاختلاف في العرض اللغوي ومثال ذلك قوله: ... "ثم تأخذ ماء الجير ينقع فيه ليلة إلى الصباح ثم يعرك باليد ويبسط في الشمس، افعل ذلك نهارة كاملاً، ثم يعاد في ماء الجير، غير الماء الأول ليلة أخرى إلى الصباح، ثم تعركه كالعرك الأول ليلة، وتبسطه في الشمس افعل به ذلك ثلاثة أيام

1- Henri CORDIER :HISTOIRE GÉNÉRALE DE LA CHINE ,Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920,p 478

2- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 52

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

أو خمسة ، أو سبعة وإن بدلت ماء الجير في كل يوم مرتين كان أجود وأروح"¹ .

يلاحظ من الطريقة المشرقية استخدام ماء الجير ، وتوصية المؤلف بضرورة مواصلة تغيير الماء والعرك المستمر لمدة زمنية تصل إلى سبعة أيام .

إذا ما وضعنا مقارنة ثانية مع مخطوط المخترع في فنون من الصنع نجد كذلك تقارب طريقة صنع الورق البلدي بالتقنية التي شرحها مؤلف عمدة الكتاب، حيث جاء فيه ما يلي: "... فاغسلها بماء حائر تشبه البركة ويفرش من تحته ورق الشمس ما يقيه من التراب ووسخ البركة، ويكون الماء قدر ما يغمره مواد كثيرة ويغطي فوقه في وسط الماء بورق العشر عيدان لطاف وعيدان صغار حتى يمنعه ويمنع الورق من الصعود وحتى لا يبان منه شيء ولا يطفو فوق الماء، ويقيم في الماء منقعا أربعة أيام بلياليها ثم يخرج من حوض الماء ويعصر ما فيه من الماء ويترك في زاوية البيت وهو مرصوف كدسا شيئا فوق شيء، ثم يفرش له من ورق العشر ما يقيه من تراب البيوت"².

نلاحظ من خلال عملية الغسل والنشر أن المسلمين في المشرق و الغرب الإسلامي تميزوا بالدقة في شرح التقنيات المستعملة، ففي العملية الثانية نستنتج دور الماء الكبير في تليين وترطيب النباتات فبالنسبة لكتاب عمدة الكتاب وكتاب الأبرار عملية الغسل تستمر لسبعة أيام والماء يبذل كل مرة في الغسل دون أن يذكر المؤلفان مقدار الماء وهو الذي نجده في كتاب المخترع بحيث يتمثل في مقدار غمر الماء للنبات المراد غسله، أما عن عدد الأيام فهي محددة بأربعة، وقد اتفق المؤلفون جميعا على ضرورة نشر النبات المغسول كل مرة وتعريضه للشمس. أما بالنسبة لعملية التقطيع فقد تم شرحها في المخطوطات المذكورة إلا أن مؤلف كتاب

1- مؤلف مجهول : كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار، نقلا عن فاضل السامرائي، ص 263

2- وصف النسخة: هي فصل من كتاب المخترع في فنون من الصنع لمؤلف مجهول كتبها محمد بن قوام بن صفى بن محمد ضياء ترك المعروف بقاضي خان (ت 876هـ) وتتألف من خمسة عشر بابا خامسها في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق. أنظر النص كاملا عند: بروين بدري توفيق: رسالتان في صناعة المخطوط العربي، مجلة المورد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، مجلد 14، العدد الرابع ، 1405 / 1985، ص 273 إلى 286

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

المخترع في فنون من الصنع قد أضاف بعض التقنيات البلدية وهي كالآتي: ثم تغمر القشرة الداخلية بالماء ثانية وتعصره من الماء وتُكَبِّه كُبًّا صغارا ثم تُخلى في ركن خزن الكتب، بعضها فوق بعض وتسوى كبة واحدة بعد واحدة وتتقى ما تبقى فيها من قشور اللحاء الغليظ الأخضر ومن الوسخ ومن أثر ما تعلق من الماء حتى يصير نقيا من كل قشر وقش، هذا هو الرطب، وينعم ما تكون بالظفر حتى يخلو من جميع ما فيه ولا يحتاج إلى أن تكبسه، لأن الدق يمسكه وينعمه ويخلطه ثم يضحى بالشمس ثانية على موضع نظيف أو ثوب حتى لا ينشفه تراب ولا قش ولا تنس تذرّه بالماء ثانية على موضع نظيف ثم يطبق وتعصره وتكبيه ثم يعاد عمله الأول وترده إلى وعائه الذي كان فيه وهو رطب يخرج من الوعاء كبة لينة وتضع الكبة الأرض مثل حجر الرحا نظيفة وتستعمل دقماقا نظيفا من خشب العتم و من خشب يكون بوجهين ويكون بقدر ما وقع الإنسان بيده، وتتابع به الضرب ولا تتعب ولا تترك الضرب بالدقماق ويصير مثل العجين لين في كل يوم تضربه مرة واحدة وتعيده إلى وعائه ولا يزال لذلك خمسة أيام¹.

نلاحظ أن طريقة كتاب المخترع جد مفصلة عكس كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب غير أن النتيجة في العملية الثالثة تبقى واحدة وهي الوصول إلى عجينة الورق بحيث تستمر عملية التنقيع بواسطة الماء سبعة أيام أخرى بالنسبة للكتاب الأول والثاني وخمسة أيام في الكتاب الثالث غير أن النبات يزداد ليونة ويدخل في مرحلته الأخيرة، والجديد في هذه العملية هي دقّ النبات حيث يذكر مؤلف المخترع أنه يوضع على حجر نظيف ويضرب بواسطة مطرق مصنوعة من الخشب مدة خمسة أيام، كذلك بالنسبة لكتاب الأبرار وكتاب عمدة الكتاب يدق النبات حتى يلين بشكل كامل.

إنّ الهدف من وراء الإستعانة بمخطوطات أخرى خارجة عن مجال الغرب الإسلامي يعدّ

1- مؤلف مجهول : فصل في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق ، نقلا عن برون بدري توفيق ، المرجع السابق ، ص 280

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

أمرا مهما لاستنتاج طبيعة الفكر الحرفي المتداول في جميع الحواضر الإسلامية، وكذلك محاولة إيجاد المرجعيات التي استند عليها مؤلف كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب في بابها الخاص بصناعة الورق، لأن إعطاء تلك الوصفة الدقيقة هي دليل على خبرة المؤلف بهذه الصناعة إما عن طريق التجربة والممارسة اليدوية المباشرة أو نقل واقتباس التقنيات من مصادر مشرقية وهو ما يظهر حين وضعنا المقارنة في المرحلتين السابقتين خاصة بين مع مخطوط كتاب الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار، وإن قصدنا من إجراء هذه المقارنات هو محاولة حصر الخطوات بدقة لكي لا تضيع منا فرصة الوصف الجيد لها.

3/ تحضير القالب

تتمثل المرحلة الثالثة من صناعة الورق في تحضير القالب استنتاجا لما ورد في وصفة مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب بقوله: "ثم تعمد إلى قوالب على قدر ما تريد ويكون معمولاً مثل السِّل من السَّمار وتكون مفتوحة الخيطان ثم تعمد إليها فتتصب تحتها قصرية فارغة وتضرب ذلك القنب بيدك ضرباً شديداً حتى يختلط ثم تضربه بيدك وتطرحه في القالب وتعده بيدك لئلا يكون ثخيناً في موضع رقيقاً في موضع آخر"¹.

إن هذه المرحلة في عملية الصنع كانت متداولة أيضاً في المشرق استناداً على ما ورد في المخطوطات السالفة الذكر إلا أن مخطوط المخترع في فنون من الصنع قد أضاف بعض التفصيل في كتابه الذي جاء فيه ما يلي: "ثم يُنزل الكُنب في الحوض كلها ويخدشها بعود، رأسه فيها أربعة عيدان صلبة مزدوجاً مثل مجدح اللبن ضرباً جيداً في الماء حتى يختلط جميع الكنب في الماء ويبقى مثل الجُفر، الذي يدق القطن في الماء ثم تنشفه بالخرقة ثانية وتعمله كبا كل كبة بقدر الأترجة أو كيفما تشاء، وتضع الكنب على حافة الحوض ثم يرجع ينزل في الحوض من الكنب قطعة قطعة بقدر الليمون المركب أو النار نخبة بشيء تستعمل منه خمسة أوراق، رَوْها ونقها وتخدشها من الساعة الثانية بالمخدش المذكور المدقوق في الماء

1- أنظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق : نجيب مايل الهروي ، عصام مكية، ص 147

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وينزل فيه القالب ويطلع فيه الشجر بقدر حتى يطلع متساويا وتكون الورقة متساوية في جميع جوانبها وعلى قدر الحافة التي تريد، فإذا تساوت الورقة في القالب فيكون تحته على الأيسر لوح واطى على قدر القالب بطوله وعرضه فتضعه وتفرش فوقه ثوبا أبيض¹.

تعتبر عملية وضع عجينة النباتات من أهم التقنيات المهارية التي برع فيها المسلمون وهي تدل على التخرج ما قبل النهائي للورقة حيث تميز كتاب المخترع بالتفصيل الدقيق لهذه العملية مع وجود صعوبة في اللغة والفهم على عكس كتاب عمدة الكتاب وعدة دوي الألباب الذي اختصر العملية في وضع العجينة في القالب على حسب المقاس المراد إخراجة.

إن القالب الذي كان يستخدم في بدايته كان تقليديا فشكله كان مربعا مصنوعا من القماش المنسوج بشكل خشن ومثبت داخل إطار رُباعي الجوانب بحيث أنه كان يستخدم بطريقتين أما الطريقة الأولى فكان يغمس فيها بشكل عمودي في الماء الذي تطفو عليه الألياف ثم ترتفع أفقيا لتصفى في الغربال الذي يسمح بتصريف المياه عبر شبكات القماش، أما الطريقة الثانية فكان القالب يثبت بشكل مسطح ثم تسكب عليه الألياف، وفي كلتا الحالتين كان يتم وضع القالب الذي يحتوي على رواسب رقيقة من الألياف في الشمس لكي يجفف ثم بعد انتهاء هذه العملية وتبخر الرطوبة من الورق يتم تجريده بسهولة من القالب²، ولكن هذه العملية كانت تستغرق بعض الوقت لذا تم اختراع طريقة جديدة تتمثل في فكرة إزالة الورقة المبللة وهي لا تزال رطبة عن طريق تشكيل ألواح على نفس القالب من خلال صنع غطاء للقالب من مادة ناعمة وثابتة يمكن للورقة الرطبة أن تحرر نفسها بسهولة.

لم تصف المصادر الإسلامية كيفية صنع القالب الإسلامي ولكن يبدو أنه بقي تقليديا منذ انتقاله من الصين حيث كان يصنع من شرائط الخيزران الرفيعة والتي تربط جنباً إلى جنب

1-أنظر: فصل في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يحو الدفاتر والرقوق ، نقلا عن بروين بدري

توفيق ، المرجع السابق ، ص 281

2- Dard Hunter:op. cit, p 82

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

بالحرير أو الكتان أو شعر الخيول، أما بالنسبة للمسلمين كانت الفكرة واحدة عن طريق شرائط البردي وبعض النباتات الأخرى، وبهذه الطريقة يتم الاحتفاظ باللب داخل حدود القالب مما يؤدي في الأخير إلى تشكيل ورقة بحجم القالب تقريبا.

إنَّ اختلاف مساحة القوالب ساهمت في بروز العديد من الأنواع للورق في جميع الحواضر الإسلامية كما ساعدت الخطاطين والنُساخ على التنافس في اقتنائها حسب الغرض من مواضيع الكتابة ومعها برزت العديد من المؤلفات المختلفة الأحجام والأطوال، كما ساهمت مساحة القوالب في التمييز بين مختلف المناطق المشهورة بصناعة الورق وكذلك في جودته وتحديد أسعاره أيضا.

كان القالب المشهور يتألف من غريال يكون في العادة مستطيلا به ثقب ناعمة أو عبارة عن شبكة منسوجة من الأسلاك أو الخيوط ويوضع حولها إطار خشبي تكون قياساته مدروسة، ثم يأتي دور العامل الذي يقوم بغطس القالب داخل الحوض الذي يحتوي على العجينة اللينة ثم يرفعه وتكون المادة الخام قد غطت سطحه بطبقة رقيقة من الألياف، ثم يرفع العامل القالب إلى الأمام والخلف، حتى تنتزع الألياف على سطحه بالتساوي وتتشابك ويتماسك بعضها مع بعض، وهذا ما يمنح الورق قوة ومتانة، بعد ذلك يصفى الماء ويتماسك الورق الرطب حتى يتم نزعه وقلب القالب على وجهه حتى تسقط الورقة على قطعة القماش ثم تستمر العملية مع الأوراق فوق بعضها البعض، هذه العملية تطبق على كل التقنيات التي كان يصنع بها الورق الإسلامي في الشرق والغرب.

لعب القالب دورا حاسما في تشكيل الورقة وإخراجها فعليه يتوقف سمك الورقة بعدما يقوم العامل بتفريغ كمية العجين¹ فمن خلال تخصيصه لهذه الكمية تظهر رقة الورقة وسمكها، فأما ما كانت جهتها أكثر خشونة وأقل انصقلا تسمى ظهر الورقة بسبب أنها الجهة المباشرة التي كانت ملتصقة مع الغريال، وهذه الجهة التي كان العاملون يقومون بصقلها أكثر من جهة الوجه

1- لومير جاك : المرجع السابق، ص 64

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

لكي لا تظهر اختلافات كبيرة بين ظهر الصحائف ووجهها.

إن القالب المصنوع من شبكة الأسلاك هو آخر ما توصلت إليه البشرية في هذه الصناعة قبل ظهور المكننة ومعامل الورق الصناعية وإن هذه الشبكة قد طورها الأوروبيون انطلاقاً من الأندلس بالرغم من أن الأوروبيين ينفون دور الأندلس في تطوير صناعة القوالب، وقد وصلت الورقة مع تطور القوالب إلى أرقى درجة في الصناعة مع العلم أن الحضارات الأخرى على غرار اليابانيين والكوريين وفي الهند اشتهروا كذلك بتطوير صناعة القوالب من مختلف المواد إلا أن الفكرة الأساسية كانت صينية وهي تصفية الألياف بواسطة غربال دقيق ومتساوي المسافات.

إن القالب المصنوع في العصر الوسيط بصفة عامة كان مدعماً بواسطة مسطرات من الأخشاب أو الخيوط أو الأسلاك وذلك لدعم الأسلاك التي قد تتمدد وتتوسع تحت ضغط العجين علماً أن هذه الدعائم تُمسك في سلك نحاسي سميك نوعاً ما ملصق بمسطرة الأسلاك¹ وكل هذا لضمان إخراج الورقة مستوية السطح.

لا يكفي القالب وحده دون مهارة العامل الذي يقوم بغمر القالب داخل الحوض ومعه العجينة التي حُضرت سابقاً والتي تكون قد تحللت في الحوض للمرة الأخيرة بحيث تكون على شكل كُعب ملفوفة ثم يرفعه إلى الأمام والخلف حتى تنتزع المادة النباتية بشكل دقيق ولا يكون طرف سميكا على الآخر لأن ذلك يؤثر على جودة الورقة، وبعد ذلك يُصفى الماء بعدما يخرج متسللاً من غربال حتى يتماسك الورق ثم يتم نزع القالب ثم يُقلب على وجهه وتسقط الورق على قطعة من القماش، موضوعة بجانب العامل لكي تكون عملية القلب يسيرة على العامل وتستمر العملية نفسها مع الأوراق الأخرى، وعندما يجمع العاملون قطعاً معتبرة من الورق يقومون بضغطها جميعاً حتى تُخرج جميع الماء الذي فيها وتجف.

1-Jean irigoin : la datation par les filigranes du papier, codicologica, les materiaux du livre manuscrit, leiden, 1980, p11

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

إن مخطوط عمدة الكتاب بمقارنته مع ما ورد مع المخطوطات سالفه الذكر قد أطلعنا على أحد أهم أسرار نجاح عملية صناعة الورق رغم أنه لا يوجد شكل دقيق أو رسم إسلامي تقريبي يمكننا من خلاله وضع أو طرح تصور معين مثلما تمكن الصينيون والأوروبيون من إيجاد صور تقريبية لهذا القالب في العديد من المراكز الصناعية التقليدية، ولكن بالرغم من ذلك نقول أن جودة الورق الإسلامي المصنوع في شاطبة لم يكن ليصل إلى تلك الدرجة من الإتقان لولا براعة المسلمين في إتباع جميع المراحل السابقة بشكل دقيق وسليم خاصة في صناعة القالب وكيفية التعامل معه.

4/ سقاية الورق

أدرك المسلمون وقبلهم الصينيون أنّ استخراج الورقة من القالب لن تكون هي المرحلة النهائية لأنّ الورق بهذه الطريقة سوف يمتص الحبر ولذا ابتكروا طريقة تغرية الورق عن طريق استعمال النشا الذي يستخرج من الحنطة إذا نقعت في الماء حتى تلين ثم تمرس مرسا شديدا ويصفى المريس في مناخل ضيقة المسام ويترك حتى يجف، وتكمن فائدته أنه يتخلل المسام بين شعيرات السيلولوز فيسدها¹، وكذلك تتم عملية سقي الورق ثم تترك حتى تجف ثم تحك في الأخير بأي قطعة تكون محدبة من الحديد أو الرخام أو البرونز أو الزجاج لإكساب الورقة نوعا من النعومة واللمعان، وفي هذا يذكر صاحب كتاب المخترع : ثم ترفع سويا ثانية، ثم تصقله ورقة ورقة على حجر ملساء مثل الرخامية بحجر أخرى يكون مسنده ملساء مدورة مثل المصقلة أو الخرزة.

وتسمى عملية التغرية أيضا بالسقاية بحيث نقوم بتدوير مادتي الطحين والنشاء بالماء البارد ثم نضعها على النار حتى الغليان والفوران، ونصفيهما بقطعة من القماش النظيف ونتركهما حتى يبردا، ونقوم بعد ذلك بعملية دهن الأوراق المصنوعة على الوجهين حتى تجف².

1- السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 265

2- بسام داغستاني: صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد ، الدورة التدريبية الدولية الثانية 1999 ، الإمارات، ط 1، 2001/1422 ص467

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

والجدير بالذكر أنه بالرغم من توفر المواد الأولية لدى الصانعين في الحواضر الإسلامية تبين لنا سابقا أن فيه اختلافا بين جودة صناعة الورق من مدينة إلى أخرى وهذا راجع لمهارة الصانعين في إخراج الورقة في شكلها النهائي فقد تفوق الورق الشاطبي على المغربي بسبب نصاعته و نعومته وخفته ويرجع ذلك إلى استخدامه في معاملات الدولة والوزارية والرسمية الداخلية والخارجية مثلما توفر الورق الرديء وهو المستعمل من طرف العامة في غالب الأحيان.

ذكر مؤلف عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ثلاثة طرق لسقاية الورق وهي كالآتي:

الطريقة الأولى: استخدام الأرز

ذكر المؤلف وصفة للعملية عن طريق غسل الأرز الأبيض ثم طبخه في طنجير أو برنية خالية من الدسم، وعند الإكتمال من الطبخ يصفى ذلك الماء بواسطة منخل أو خرقة نظيفة ثم يبسط على ثوب نظيف ليجف ويذكر المؤلف أيضا في نفس سياق الكلام أن الناس في زمانه يطبخون النخالة ومنهم من يقوم بتتقيع عشبة الكثيرة وذلك بعد أن يغليها ويسقيها.

الطريقة الثانية: استعمال النشا

ذكر مؤلف عمدة الكتاب طريقة جربها بنفسه عن طريق إحضار طنجير من النحاس، يصب فيه عشرة أرطال من الماء العذب ويُغلى حتي ينقص الماء نوعا ما ثم يُجعل فيه مقدار يسير من الزعفران بقدر ما يحتاج إليه من شدة تلوينه أو صفائه ثم يصب في طست واسع ويُغمس فيه الورق غمسا خفيفا برفق ثم ينشر في الظل لأن نشره في الشمس يؤدي إلى فسادة فإذا جف يصقل بواسطة زجاج¹.

الطريقة الثالثة: استخدام التين

أرشد المؤلف الصانعين إلى وسيلة أخرى للسقاية عن طريق تتقيع التين القديم في الماء

1- أنظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ص 149

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

لمدة ثلاثة أيام أو أكثر ثم يغلى حتى يذهب منه ثلث الماء ويُطرح فيه النشا ثم يغمس فيه الورق بلين ورفق ويترك ليجف في الظل.

إنَّ هذه الطرق المذكورة لم تكن خاصة فقط بمنطقة الغرب الإسلامي فقد ورد في المشرق الإسلامي صفة مشابهة لها في مخطوط المخترع في فنون من الصنع حيث ورد فيها التفصيل الآتي: ثم غرّ مصلحًا الورق المنشأ وروية بغراء النشا ثم ترفعها على عقده وتضعه في الشمس على شرف مقعر نظيف من التراب وتلّزق أطراف الورق القصاص تربطه بالنشاء حتى لا يطيرها الريح ولا نكمشها إلا أن تجف وينشف النشاء الذي فيها، ثم مرر عليها بسكين رأسه حاد مثل المشروط وتقشع به أطراف الملزقة على القفاص حتى يخلصها بسهولة ولا تتحرف من طرفها الملزق إلى طرفها السائب¹.

أما الوصفة الأصلية التي ذكرها مؤلف عمدة الكتاب ورد فيها ما يلي: "ثم خذ له الدقيق الناعم النقي والنشا² نصفين، فيُمرس له الدقيق والنشا في الماء البارد حتى لا يبقى فيه ثخن ثم يغلى الماء حتى يفور، فإذا فار صفيته وحركته حتى يسكن ويرق، ثم تعمد إلى تلك الورقة فتطليها بيدك ثم تلقيها على قسبة، فإذا جفت الورقة طليتها من الوجه الآخر ورددته على لوح ورششت عليه ماء النشا رقيقًا ثم تجمععه وترزمه وتصلقه كما يصقل الثوب وتكتب فيه."

إنَّ الطرائق التي ذكرها صاحب عمدة الكتاب كانت متداولة ومعروفة من قبل فقد أورد الرازي (ت 311هـ / 923م) في رسالة زينة الكتب عنوانا سماه كيف يسقى الكاغد وفيه ذكر طريقتين الأولى منها هي طبخ الأرز الشديد البياض والثاني طبخ النخالة، وقد كتبت في مخطوط عمدة الكتاب بنفس الصيغة ويبدو أنه نقلها مباشرة عنه بحكم أنه اقتبسها بنفس الطرح و التعبير ضف

1- أنظر: فصل في عمل الكاغد البلدي ، نقلا برون بدري توفيق : المرجع السابق ، ص 284

2- النشا : مادة عضوية لا متبلورة ، بياض اللون ، عديمة الطعم والرائحة، ناعمة الملمس ، تذوب في الماء الدافئ، توجد في معظم الخضر ويكثر في بعض الحبوب كالحنطة والأرز والشعير والحمص والفاصوليا. إدوارد غالب : المرجع السابق ،

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

إلى ذلك أن الرازي ينتمي إلى جيل القرن النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري وشهرته الواسعة في العديد من المجالات جعلته مصدرا للعديد من الوصفات سواء كانت في مجاله الطبي أو في مجال العلوم الأخرى، وهو ما ظهر في رسالته المشهورة للكتابة بعناوينها المفيدة والقيمة .

إن طريقة سقاية الورق في الغرب الإسلامي تبعا لما ورد في مخطوط عمدة الكتاب ومقارنتها مع ما ورد في المخطوطات المشرقية هي دليل واضح على مدى تحكم المسلمين واستقاداتهم من بعضهم البعض ويعود سبب ابتكار المسلمين لهذه الطريقة بعد تجربتهم الكتابة بالحبر حيث وجدوا أن الكاغد يمتص بسرعة المداد ومنه تطلب عليهم دهنه بهذه المادة بحيث تتخلل المسام والشعيرات فتسدها¹.

عندما ينتهي الصانعون من هذه العملية يصفقونها ويلمعونها حتى تصبح أكثر رطوبة وكغيرهم من البشر اشتكى المسلمون من الحشرات و القوارض التي كانت تأكل كتبهم وأوراقهم حتى وجدوا لها حلا وهو يدخل في صناعة الورق عن طريق طبخ مادة النشا أو الأرز بالحنظل² حيث جاء في رسالة الرازي ما يلي: الحيلة في الكاغد لئلا تقرضه الفأر ولا يقع عليه الذباب: وهو أن تطبخ مع هذه الأشياء التي سميت جوف حنظلة فلا يقربه شيء من الهوام، وكذلك القرطاس والدفاتر والرقوق إذا سقيته بماء نقع فيه حنظل لم يقع عليه ذباب ولم تدن منه فأرة ولا غيرهما.

رغم أن كبار المؤرخين في الغرب الإسلامي على غرار عبد الرحمن ابن خلدون الذي كتب عن الوراقة و مختلف الخطاطين السالفين الذكر في الفصل الثاني الذين اشتغلوا بمهنة الوراقة لا تزال أسرار سقاية الورق مفقودة وقليلة جدا وهذا ينطبق على الغرب الإسلامي أو المشرق سوى بعض الإشارات النادرة التي وجدناها عند أبي بكر الرازي أو في مخطوط المخترع في

1- السامرائي قاسم : المرجع السابق ، ص 265

2- الرازي: رسالة زينة الكتابة، تحقيق: لطف الله قاري ، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، مج 16 ، عدد 2 ، 2011/1432 ، ص 225

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

فنون من الصنع، وكذلك مخطوط الأبرار في بري القلم وعمل الأحبار الذي وافق في طرحه في جميع مراحل الصناعة ما ورد عند مؤلف عمدة الكتاب، وربما يرجع هذا التغافل في فترة ابن خلدون وما بعده إلى انقلاب موازين الصناعة لصالح الدول الأوروبية وهو ما أنقص من فرصة تدوين ابن خلدون أو غيره لطرق سقاية الورق الإسلامي.

إنَّ سقاية الورق وفقا لما ورد في مخطوط عمدة الكتاب كان لا بد أن تتوفر فيها شروط أساسية وعلى رأسها الجودة والإتقان والتحكم في تغرية الورق بطريقة سليمة لكيلا يفسد بعد عملية شاقة وطويلة من التحضير إلى الإخراج وهو ما جعل من المؤلف يُعدد من الطرق لكي لا يقع العاملون في إشكال ندرة المادة ولكنه مع ذلك أرشد العاملين إلى ثماني خطوات رئيسة في عملية السقاية¹ هي:

- استخدام مادة الدقيق والنشا بحيث تقسم الكمية إلى نصفين
- خلط مادة الدقيق والنشا في الماء البارد جيدا حتى لا يبقى فيه شيء صلب أو متجمد أو خشن ونحو ذلك.
- غلي الماء حتى درجة الفوران بدرجة عالية ووضع مادة الدقيق والنشا وخلطها
- تصفية وتحريك الماء بشكل جيد حتى يرق النشا والدقيق ثم تصفيته جيدا.
- طلي الورقة باليد ثم نشرها على قسبة في الوجه
- طلي الورقة من الوجه الآخر بعد جفاف الوجه الأول
- صقل الورقة في المرحلة الأخيرة بواسطة حجر أو زجاج
- مرحلة الكتابة بالحبر المخصص للورق.

نستنتج مما سبق أن مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب الذي ينتمي إلى منطقة المغرب الأوسط وبالتحديد إلى الفترة الزيرية (362_543هـ / 971_1152م) من الناحية الزمنية والجيوسياسية، وبالرغم من اختلاف الباحثين حول نسبته إلى المعز بن باديس الصنهاجي أو

1- أنظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق : نجيب مايل الهروي ، عصام مكية، ص 149

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

أنه قد أُلّف من أجله يبقى من أهم المصادر التي أبرزت بشكل لافت طريقة صنع الورق الإسلامي والتي تعتبر شاهدا حقيقيا على تحكم المسلمين وبراعتهم في هذا المجال وقد مثل لنا رصيда حضاريا خالصا في مجال الكتابة التاريخية إلى جانب المخطوطات التي كُتبت في المشرق الإسلامي بخطواته الأربعة التي تدخل في إطار الجانب التطبيقي للعملية الصناعية وهي من النواذر التاريخية بعدما كانت تعد من الأسرار المخفية عند الأمم الأخرى، بل ساهمت هذه المخطوطات رغم قلتها في دحض الحجج الغربية التي استهانت بإنجازات المسلمين المختلفة خاصة فيما تعلق بتطوير المسلمين لفكرة سقاية الورق وتغريته بواسطة مواد مختلفة لم تصل إليها الحضارات الأخرى.

المبحث الثالث: تفسيرات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي

1/ فتوى ابن مرزوق في جواز استعمال الكاغد الرومي

أ/ التعريف بصاحب الفتوى

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني المالكي¹ المكنى بأبي عبد الله، عُرف في التاريخ بابن مرزوق الحفيد تميزا له عن جده العلامة ابن مرزوق الخطيب، ينتمي إلى أسرة علمية عريقة مشهورة بالصلاح والزهد والتعبد اتفق على ترجمة خصالها العديد من المؤلفين المشهورين حيث يقول ابن مريم: شيخ الإسلام وإمام المسلمين ومفتي الأنام الذي له القدم الراسخ في كل مقام ضيق والرحب الواسع في حل كل مشكل، مقفل صاحب الكرامات والإستقامات، السني الحريص على تحصيل السنة ومجانبة البدعة، السيف المسلول على أهل البدع والأهواء الزائغة الذي أفاض الله تعالى على خلقه بركته²، وفي نفس السياق أورد الونشريسي في المعيار شهادة بعد جوابه عن نازلة لأحد أقرانه

1- المقرئزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، مجلد3،

ص 227

2- ابن مريم الشريف المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908،

ص 202

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

فقال: الشيخ الفقيه الإمام العلامة العالم العامل وحيد دهره وفريد عصره محيي السنة وقامع البدعة، الحاج الزاهد، المحدث المؤلف المحقق، الأعرف مفسر التنزيل الورع المبارك أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي أطل الله حياته للمسلمين ونفع به السائلين والمتعلمين.

ولد ابن مرزوق الحفيد في تلمسان يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الأول سنة (766هـ/1365م)، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان سنة (842هـ/1438م)

وخلال هذه الفترة العمرية رحل شرقا وغربا طلبا للعلم والتقى بخيرة المشايخ في الأقطار ساهمت في تشكيل شخصيته العلمية حتى أصبح من أحد مصادر الفتوى الرسمية في الغرب الإسلامي.

من خلال التراجم التي تحدثت عن ابن مرزوق الحفيد نستنتج أنه وصل إلى درجة رفيعة من الفتوى والإجتihad حيث قال عنه المازوني: شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار والمجتهدين ذو التأليف العجيبة والفوائد الغريبة مستوفي الطالب والحقوق¹ وحقيقة أن مؤلفاته المعروفة هي كثيرة في علوم شتى نذكر بعضها:

1/ في الحديث:

- المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح أي صحيح البخاري
- أنواع الدراري في مكررات البخاري

2/ في الفقه:

- إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم
- مختصر الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور

3/ في العقيدة:

- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد

1- التبتكي: نيل الإبتهاج، ص 504

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

– الآيات الواضحات في بيان وجه دلالة المعجزات

4/ في التفسير:

– فسر ابن مرزوق سورة الإخلاص وسورة مريم والمائدة على طريقة الحكماء¹

5/ في اللغة:

– أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك

– إظهار المودة في شرح البردة ويسمى أيضا صدق المودة حيث اختصره وسماه: الإستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب².

– إيضاح المسالك في شرح ألفية ابن مالك.

برع ابن مرزوق الحفيد في كتابات أخرى فكتب أرجوزة في نظم تلخيص أعمال الحساب لابن البناء، كما كتب أرجوزة في الميقات أين ذكر فيها الأوقات والشهور وسمها المقنع الشافي. إنَّ الكمّ المعبر لمؤلفات ابن مرزوق الحفيد هو دليل واضح على تحكم هذا العالم الجليل بمختلف مشارب العلم وهو ما جعله في منزلة كبار المفتين في الغرب الإسلامي وقد أطرى عليه المقري بأوصاف كثيرة تدل على القيمة الكبيرة التي كان يتميز بها هذا العالم حيث قال: الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الراعي في كل علم مرعاه الخصيب، حجة الله على خلقه، المفتي الشهير الرحالة الحاج، فارس الكراسي والمنابر، سليل الأكابر، سيد العلماء الأخيار وإمام الأئمة وآخر الشيوخ ذوي الرسوخ، بدر التمام الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة بأجل محصول، وآخر النظار الفحول، شيخ المشايخ، صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيفة، والأبحاث الغربية، والفوائد الغزيرة³.

من خلال حديث المقري نستنتج أن ابن مرزوق الحفيد كان عظيم النفع على الأمة من

1- ابن مريم: المصدر السابق، ص 211

2- القرافي بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر (ت 1008هـ): توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، مكتبة

الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص 154

3- المقري: المصدر السابق، ج5، ص420

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

خلال التأليف أو التدريس والنصائح الكثيرة التي كان يقدمها لإصلاح المجتمع وقد سار في ذلك على نهج أجداده وآبائه في طريقة الفتوى دون تعصب وإنما نصرة لكلمة الحق وفق الشريعة السليمة الصحيحة وهو ما جعله مرجعا حاسما في زمانه إذ أنه اتبع منهاجا خاصا سلكه كوسيلة لتقديم الإجابات عن الأسئلة الواردة إليه من مختلف المناطق.

إنَّ عرضنا لمنهج ابن مرزوق في الفتوى يُعد أمرا مهما لمناقشة السؤال الذي طُرح عليه بخصوص جواز استعمال الكاغد الرومي لأنها كانت تعد من الأمور الطارئة التي كثر عليها الحديث في ذلك الزمن، وإن تحليل منهجه سوف يقودنا لا محالة إلى استنتاج دواعي قبول أو رفض ابن مرزوق الحفيد استعمال الورق الرومي.

من خلال دراسة فتاوي ابن مرزوق الحفيد سوف نلاحظ أنه اتبع طريقة السلف، لأن الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل، كون أن المفتي وارث الأنبياء، وقائم بفرض الكفاية¹ ومن شروطها أن يكون مكلفا مسلما، ثقة مأمونا متنتزها عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والإستنباط متيقظا، سواء فيه الحر والعبد والمرأة والأعمى والأخرس إذا كتب أو فهمت إشارته وكلها قد توفرت في شخص ابن مرزوق الحفيد الذي سلك المنهج الآتي:

- التقيد بالكتاب والسنة النبوية الشريفة في عرض الحجج والدلائل المختلفة
- عرض النازلة على اجتهادات الأئمة والمذاهب الكبرى من دون تعصب للمذهب المالكي
- افتتاح الأجوبة بحمد الله تعالى والثناء عليه
- دراسة النازلة والأسئلة لأن فهمها يؤدي إلى الإجابة السديدة
- تقدير ظروف المستفتي ومكانته الإجتماعية إن كان رجلا عاميا أو إماما وما شابه ذلك
- معرفة الأحكام الشرعية المتنوعة خاصة القياس

1- النووي يحيى بن شرف الدين (ت676هـ): آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ/

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

– مراعاته للأعراف والعادات ما لم تخالف به الشرع والإستدلال بعمل المسلمين إن كان في ذلك منفعة لهم.

– اتخاذ القول المشهور في المسألة وتقديمه خاصة إذا كانت الفتوى متعددة.

– سرده لأقوال العلماء واختلافاتهم في المسألة الواحدة.

ب/ عرض وتحليل فتوى جواز استعمال الكاغد الرومي

تراجعت صناعة الورق في الغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري وهو ما تؤكدته أشهر فتوى سئل على إثرها ابن مرزوق الحفيد سنة (812هـ / 1409م) بعد رواج الورق الرومي في المنطقة وقد جاءت تحت عنوان تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم حيث تناول فيها بالشرح المطول مختلف الآراء الفقهية في المسألة وقد جاء في مطلعها ما يلي: هل يجوز استعمال الكاغد الرومي والنسخ فيه أم لا؟ لأن بعض الناس قال أنه نجس لأنه يعملونه بأيديهم المبلولة النجسة على مقتضى المدونة، قال ودعوى القياس على ما نسجوه غير صحيحة لأنه خارج عن القياس سلمناه، لكن إنما يقيس المجتهد لا المقلد، وقال آخر أن أهل المشرق شاع عند علمائهم أنه لا ينتسخ فيه، وهل ترك النسخ فيه من باب الفقه أو من باب الورع¹.

إن إجابة ابن مرزوق الحفيد كانت مفصلة ودقيقة جدا رغم تأكيده على أن هذه المسألة لا يوجد فيه دليل على حد علمه في بيان حرمة وفي سبيل الفصل في المسألة قسم إجابته إلى ثلاثة أقسام جاءت على النحو الآتي:

– **القسم الأول:** نصوص عامة يندرج فيها هو وغيره مما ليس على صفة في الصنعة والمنفعة: قام ابن مرزوق الحفيد بقياس مسألة الورق التي هي الفرع والوضوء الذي يمثل الأصل في إطار العلة المشتركة بينهما وهي الطهارة، بحيث بيّن فيها أن هذه المسألة مبنية على مسألة حكم الماء الذي أدخل الكافر يده فيه، وهي مسألة مختلف فيها على ثلاثة أقوال:

1- الوئشريسي: المعيار، ج1، ص 75

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

– القول الأول: لا يعيد الصلاة، ويعيد الوضوء لما يستقبل

– القول الثاني: يعيد الصلاة ويعيد الوضوء في الوقت

– القول الثالث: إن لم يجد ماء آخر ففيه قولان:

– يتوضأ به ولا يتيمم فإن تركه وتيمم أعاد الوضوء.

– يتيمم ويتركه فإن توضأ به أعاد في الوقت¹

على ضوء الخلاف المطروح عرض ابن مرزوق الحفيد جملة من الحجج التي تعدت بعض الصفحات خلص إلى أنه إذا كان ما أدخل الكافر يده فيه لم يتفق على نجاسته، فينتج من ذلك أن الورق الرومي لا اتفاق على تنجيسه، على أن القول بنجاسته لا يعني حرمة استعماله، بل كراهته فقط.

القسم الثاني: نصوص خاصة يندرج فيها هو وما يشبهه في الصنعة دون المنفعة استدل ابن مرزوق الحفيد بمسألة أخرى لكي يفيد بها الأمة في استفسارهم حول جواز استعمال الكاغد الرومي وهي الصلاة بلباس أهل الذمة وما نسجوه من ثياب أو خفاف واختلاف أهل العلم في طهارتها وغسلها إن لم تر عليها النجاسة وبعد عرضه لعدة نصوص أهمها ما جاء في قول مالك بن انس في المختصر: لا بأس بالثوب الجديد يشتري من النصراني يصلي فيه إلا أن يكون كان لبسه، واستدل كذلك بما أخرجه البخاري في كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الجهاد وكتاب اللباس وعند مسلم في كتاب الطهارة من حديث المغيرة حين توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عليه جبة شامية ضيقة، ومعلوم أنها من نسج الكفار، لأن الشام حينئذ لم يفتح².

في هذا القسم توصل ابن مرزوق الحفيد من خلال مجموعة الأقوال التي جاء بها إلى أن ما نسجه الكفار يعد طاهراً اتفاقاً إن لم يلبسوه وبهذا فإن الكاغد الرومي لا يخلو أثره إما أن

1- القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص 36

2- الونشريسي: المصدر السابق، ج1، ص 82

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

يلحق بما نسجوه وهو الظاهر بل الذي يكاد يقطع به، وإما أن يلحق بما لبسوه فيكون مختلفا في طهارته.

إن الراجح في هذه المسألة عند ابن مرزوق الحفيد هي طهارته بمفارقة ما لبسوه.

القسم الثالث: نصوص خاصة دون هذا الخصوص يختص بما يشاركه في منفعة الإستعمال، ففي هذا القسم استدل ابن مرزوق الحفيد بمسألة الصلاة بالسيف الذي يقاتل به في سبيل الله فيكون عليه آثار للدم حيث قال: ووجه شهادة فرعي العتبية لما نحن فيه أنه أباح الصلاة بالسيف النجس¹، واستدل كذلك بالخاتم الذي نقش عليه اسم الله ووضع في اليد اليسرى الذي يستتجى بها، وبعد عرضه لمجموعة من الشواهد والحجج ذكر بأن إباحة النسخ في الورق الرومي أولى بجواز المسألتين السابقتين لأن أولوية الصلاة بالسيف النجس محققة ونجاسة الورق مشكوك فيها، وأما كونه أولى بالجواز من مسألة الخاتم فلتحقق ملاقة النجس بالخاتم وعدم ذلك في الورق الرومي، ثم فصل في المسألة بقوله: فتبين أن الورق أولى بجواز النسخ فيه من جواز الصلاة بالسيف وجواز الإستنجاء بالخاتم المنقوش².

إن المسألة التي طُرحت على ابن مرزوق الحفيد تبدو في جوهرها فقهية خالصة من ناحية الجواز والتحريم لكنها تعبر في باطنها عن تساؤل اجتماعي في زمانه تسبب في رواج الورق الرومي في الساحة المغاربية في ظل تراجع كبير للصناعة المحلية، وإن سبب الرجوع لهذا المفتي الكبير يعود إلى الدرجة الكبيرة التي كان يتمتع بها هذا العالم في الفصل بين المسائل الكبيرة والمعقدة من جهة وكذلك تخوف النساخ والمهتمين بكتابة المصاحف من نجاسة الورق الأوروبي من جهة أخرى، ذلك أن نسخ القرآن الكريم والحديث يعتبر من المقدسات الإسلامية التي عمل المسلمون على تدوينها في أحسن الأوعية الكتابية وبالتالي فإن الكتابة على الورق الرومي لم يكن بالأمر الهين على المسلمين في ذلك الوقت وهو الشيء الذي جعل ابن مرزوق الحفيد يأتي بمختلف الشواهد ويطيل في تفصيل الأقسام والمسائل لكي يستطيع إقناع العامة

1- الوثنريسي : المصدر السابق، ج1، ص 86

2- نفسه: ج1، ص 87

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

بجواز استعماله استثناءً.

إن المعرفة الجيدة لمقاصد الدين جعلت ابن مرزوق الحفيد يقدم المصلحة بعدما اعتبر أن استعمال الورق الرومي من ضرورات الدين استناداً لقوله: وضرورة استعمال الورق في أمور الدين والدنيا لا يخفى¹.

إن جواز استعمال الورق الرومي في هذه المرحلة الحساسة جاء نتيجة عوامل كثيرة أهمها حفظ كتاب الله تعالى والسنة من الضياع وهذا كله من باب حفظ الدين، وفي هذا الصدد واصل ابن مرزوق الحفيد إعطاء الدلائل المختلفة حول جواز الورق الرومي حينما استدل عن حال المسلمين لو غنموا في معركة ضد النصارى وظفروا بورق أليس هو في هذه الحالة من مال المسلمين وأن ضياعه يعد من ضياع المال، كما استدل على استعمال العديد من العلماء المعروفين بالدين والعلم في الأقطار الكثيرة لهذا الورق من دون أن ينكر ولا يتكلم أحد في المسألة خصوصاً علماء المغرب بما خصهم الله به من الشدة في الدين².

إن ابن مرزوق دعم جوابه بأدلة تتم على سعة علمه وإطلاعه وتبحره في الفقه، منها³:

- لا اتفاق على تنجيس ما أدخل الكافر بيده فيه.
- إذا لم يتفق على نجاسة الورق فقهو إما متفق على طهارته أو مختلف فيها.
- أن استعمال العلماء له من الأئمة المعترين علماً وديانة في الأمصار الكثيرة والمدن الكبيرة ذائع من غير نكير.
- أن كتب العلماء المتقدمين كانت منسوخة في هذا الورق، فالصالحون مضوا على ذلك.

1- المغيلي أبو زكريا بن يحيى المازوني (ت 883هـ): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق، اسماعيل بركات، من

مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة،

قسم التاريخ والآثار، 2010/2009، ص 308

2- الوشيري: المعيار، ج 1، ص 88

3- أنظر في أدلة جواز النسخ في الكاغد الرومي تحقيق: الأستاذ عبد السلام بن المبارك الزاوي لفتوى تقرير الدليل الواضح

المعلوم لابن مرزوق الحفيد المنشور في مجلة الوعي الإسلامي في إصدارها المئة والخمسون عن وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية لدولة الكويت عام 1441/2022، ص 16، 17

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

- داوى النبي صلى الله عليه وسلم وجهه يوم أحد بعظم بال، فاستعماله مع احتمال نجاسته دليل على جواز استعمال الكاغد الرومي.

إنَّ ابن مرزوق الحفيد سار على نهج العلماء السابقين في عرض المسألة والإجابة عليها عندما قال: وما رآه المسلمون حسنا فهو حسن، والأصل عدم التخصيص، وليس النسخ في هذا الورق مختصا بهذا العصر أو به وبما قبله بقليل، بل رأينا كُتبا قديمة من كتب العلم منسوخة في الورق الرومي فيما يَغلب على الظَّن، فإذا يقال في جواز النسخ فيه مضى الصالحون على ذلك¹.

إنَّ إصدار فتوى من طرف عالم جليل لم تكن بالأمر الهين في ذلك الوقت نظرا لما قد تحدثه من مشاكل بالنسبة لابن مرزوق الحفيد في حد ذاته أو في المجتمع بصفة عامة نظرا لتأثيرها على المستوى المحلي وحتى الخارجي بين الدول إذا علمنا أن الإستيراد كان يتم على المستوى الرسمي بين الدول وبالتالي فإن انتباه العامة في ذلك الوقت للمصلحة قد جنَّب حدوث الكثير من المشاكل التي وُفق في حلها العالم ابن مرزوق الحفيد بعد تفصيل شامل للمسألة جمع فيه مختلف الشواهد الدينية للفصل في المسألة.

تعقيب:

بالرغم من رواج الورق الأوروبي في الغرب الإسلامي الذي قلَّت فيه الصناعة سوى في فاس والأندلس² طرحت مسألة أخرى وهي العلامات المائية في الورق الأوروبي فقد سئل ابن مرزوق عن مشروعية الكتابة على الورق الذي تظهر عليه علامات مائية فيها رموز للصلبان المسيحية أو صور الحيوانات، وقد أجاز ابن مرزوق النسخ عليه استنادا لما فعلته عائشة رضي الله عنها بالدرنوك حينما محت ما عليه وجعلت منه نمرقتين.

إن إجازة ابن مرزوق الحفيد لاستعمال الورق الأوروبي جاء في وضع خاص يتمثل في ندرة الورق المحلي لذا كان من الضروري استعماله بحكمة عن طريق محو هذه الصور نظرا لضرورة

1- الونشريسي: المعيار، ج1، ص 89

2- نفسه: ج1، ص 85

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإستعمال، مع العلم أن الأوروبيين قد وصلتهم أخبار معارضة المسلمين لهذه العلامات، وخوفا من كساد سلعتهم قاموا بتصنيع ورق خاص للمسلمين يحمل رموزا قريبة للإسلام مثل الهلال والتيجان.

نستنتج مما سبق أن فتوى ابن مرزوق الحفيد متفرعة إلى شقين قسم يختص بسؤال جواز شراء الورق الرومي باعتبار أنه مصنوع من طرف الكفار وهو يدخل في إطار فقهي فيما يخص طهارة الفرد المشترك والكافر، وقسم آخر يتعلق بفتوى جواز الكتابة والنسخ على الورق الأوروبي الذي يحمل علامات الصليب، وهي إشارة تاريخية خطيرة لتراجع هيبة المسلمين في ذلك الوقت بعدما فرضت عليهم الظروف الداخلية والخارجية اللجوء إلى العدو الذي اغتتم الفرصة في بعث كل ما له علاقة بالدين المسيحي المحرّف لتشويه المؤلفات الإسلامية خاصة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إنّ رد المسلمين تجاه رفض الورق الصليبي كانت عادية وفي نفس الوقت ضرورية ولولا شيوع الرفض لاستمرت عملية إغراق الأسواق الإسلامية بمثل هذه العلامات التي تشوه الأعراف الإسلامية المحافظة، ويبدو من خلال ما جاء من خلال كتاب صبح الأعشى القلقشندي أنّ أهل المغرب في زمانه أي في القرن التاسع الهجري يستعملون ورقا خاصا بهم دليل على عزوف الكثيرين عن استخدام الورق الأوروبي إما احتياطا من تدنيس القرآن والسنة، وإما انتصارا للدين الإسلامي.

تركت فتوى ابن مرزوق الحفيد فيما تعلق بالورق عموما والعلامات المائية خصوصا أثرا في الوسط الاجتماعي والعلمي¹ كما لعب فيها ابن مرزوق دورا رئيسا في توجيه السائلين والمهتمين بالورق نحو طريق الجادة والصواب، الأمر الذي جعل فتواه تتصدر الإجابات النادرة في مثل هذه النوازل التي مثلت حقيقة مشكلة كبيرة لهذه الصناعة في الغرب الإسلامي، وقد شكلت هذه

1- أحمد شربيتي، أم الخير عثمانى: العلامات المائية وأثرها في تجارة الورق بين أوروبا وشمال إفريقيا بين القرنين

18/13م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد16، عدد01، مارس 2020، ص 135

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الواقعة موقعا مهما في كتب النوازل واحتلت مكانة بالنسبة لكتاب المعيار المغرب للنشريسي والدرر المكنونة¹ ليحي المغيلي المازوني اللذين بفضلهما تمكنا من الإطلاع على محتواها في حوالي ثلاثين صفحة كاملة.

إنَّ التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي في مرحلة التراجع من خلال فتوى ابن مرزوق الحفيد قد أسقط جميع التأويلات التي أقصت وجود صناعة في هذه المنطقة بعدما أكد بشكل صريح أن في زمانه يُنتج الورق في مدينة فاس والأندلس ومشيرا في نفس السياق إلى صناعته في تلمسان قبل تاريخ هذه النازلة، ومنه فإن وجود هذا النص المهم في كتب النوازل قد رمّم بشكل مباشر حالة الصناعة الورقية في القرن التاسع الهجري والتي كانت تعيش في مرحلة الضعف، ولكن مع هذا فإن الموضوعية التاريخية تتطلب منا القول أن تأثير الأزمات الداخلية بين الدويلات الإسلامية في المغرب الإسلامي وبداية الغزو المسيحي شمالا في الأندلس قد تسبب بشكل مباشر في مواصلة الحواضر الإسلامية إنتاج الورق أو تطويره.

2/ العامل السياسي

شهد الغرب الإسلامي العديد من الأزمات السياسية التي أثرت على الجانب الصناعي للدويلات القائمة فيه، وهو ما أدى إلى تراجع النشاط الحرفي بشكل ملفت للإنتباه على غرار صناعة الورق الذي أصبح يُستورد من أوروبا.

إنَّ صناعة الورق في الغرب الإسلامي لم تعرف تطورا كبيرا مقارنة بالمشرق الإسلامي سوى في الأندلس، ففي القرن التاسع الهجري وصف القلقشندي ورق أهل المغرب والفرنجة بالرديء جدًا، و سريع البلى،² ولكن هذا الوصف كان مجرد نتيجة لإرهاصات سياسية قديمة تميزت بها المنطقة منذ القرون الهجرية الأولى والتي لم تسمح بتطور هذه الصناعة، خاصة في المغرب الأدنى والأوسط الذي وجدت الدعوة الفاطمية العبيدية فيه حقلا خصيبا لكي تضع حدا نهائيا

1- توجد المخطوطة في المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر العاصمة تحت رقم 1335، ج1، من الورقة 28 إلى الورقة 55

2- القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص517

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

للفنود السني¹ فيه، ففي عهدا أصبح اهتمام العبيديين بقمع الفقهاء ونشر المذهب الشيعي وكل ذلك كان على حساب الجانب الحضاري للدول السابقة مثل الرستميين والأغالبة والصفريين. إنَّ منطقة المغرب الإسلامي كانت تمثل المقصد الآمن لمن فقد الحرية في منطقة المشرق وكانت أرضا صالحة لنصرة المذهب الإسماعيلي بعد تعرض الشيعة للمطاردات في بغداد والشام وكذلك الكوفة واليمن وكل المراكز الشيعية في المنطقة والقريبة من مركز الخلافة العباسية في المشرق، بحيث تذكر المصادر التاريخية أنَّ أهل المغرب كانوا يتعاطفون مع آل البيت منذ عهد الأدارسة، وقد سمحت الفرصة لزعماء الشيعة في المشرق بأن يبدأوا الدعوة في المغرب، حيث يذكر القاضي النعمان أن إفريقية قد استقبلت الداعيين الشيعيين الأولين سنة (145هـ/762م) وهما أبو سفيان الحسن ابن القاسم وعبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني، ويقال أن الإمام جعفر الصادق هو الذي أوفدهما إلى المغرب وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة وينشرا فضلهم،² وبالتالي فإن هذين الداعيين قد مهدا الطريق لدخول أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب الإسلامي سنة (280هـ/893م) أي بفارق زمني يصل إلى مئة وخمسة وثلاثين سنة.

إنَّ النظم الإقتصادية الإيجابية التي أقامها العبيديون في المغرب الإسلامي لم تكن كافية لتغطية أعمالهم التي تسببت في عرقلة نمو العديد من الحرف التي بدأت تنتشر في القيروان مثل صناعة الورق وكذلك كبح انتشار هذه الصناعة في تيهرت الرستمية، وكيف يكون ذلك في ظل التقارب الكتامي الشيعي أمام ضعف الأمراء الأغالبة، بحيث بدأت تزداد شعبية أبي عبد الله الشيعي الذي كان يخرج للناس ويعلمهم طرق التواضع وكيفية معاملة الرعية وهو ما سهل عليه استقطاب الناس إليه حيث كان يقول: المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض فيا

1- محمود إسماعيل: الأغالبة (184_296هـ)، سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3،

2000، ص 187

2- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، التاريخ السياسي والمؤسسات، دار الغرب الإسلامي ط1، 1999، ص79

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني¹ ويقول ابن حماد الصنهاجي²: وإذا ركب نادى مناديه في الجيش: يا خيل الله اركبوا وكتب على أفاخذ الخيل: الملك لله وكتب في بنوده: سِيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدُّبُرُ³ ونقش في خاتمه الذي يختم به: «تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ»⁴ وفي خاتمه الذي يختم به على السجلات: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»⁵.

إنَّ مناقشة مسألة ضعف إنتاج الورق في المغرب الإسلامي ومقارنته بالمشرق مثلما فعل ذلك القلقشندي يجب أن يدرس من ظروف المنطقة وما مرت به من أهوال صعبة، ونحن لا نبرر فقط تراجع الصناعة الورقية بالوجود العبيدي، بل نضع إسقاطا مابين الإستقرار الذي شهده المشرق وأثره على تطور الصناعة والأزمة التي أحدثها العبيديون في المغرب الإسلامي، فالمطلع على سياستهم سيلاحظ استراتيجيتهم الخطيرة التي فرض بها المذهب على سكان المنطقة، بحيث يُذكر مثلا أن المهدي أمر بسب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه بدعوى أنهم ارتدوا بعده باستثناء بعضهم ك علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري⁶، وقد غالى دعاة الشيعة في عهد عبيد الله المهدي في سياسة البطش والفتك تجاه من يخالفهم في المذهب، فكانوا بغية ردع وترهيب خصومهم، يعمدون إلى أبشع طرق التعذيب والقتل والتكيل ممن كانت لهم سلطة عليهم خاصة أعيان المذاهب الأخرى والمخالفة والتي تمثل

1- المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط1، ج1، ص59

2- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي (ت628هـ): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص3

3- سورة القمر، الآية 45

4- سورة النمل، الآية 79

5- سورة الأنعام، الآية 115

6- القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص318

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

مركز ثقل بين أوساط العامة والمعروفة بعلمها وكثرة مصنفاتها وتأثيرها في المجتمع وأقصد منهم الفقهاء المالكيين الذين كانوا مستهدفين بالدرجة الأولى والذين كان لهم باع كبير خاصة في الحاضرة الكبيرة القيروان، وقد تقفن أصحاب المهدي في أساليب التشنيع والتتكيل فسملوا أعينهم وبقروا البطون وخلعوا الأسنان¹.

إن هذه الصور من سياسة التتكيل والتخريب التي تعرض إليها سكان منطقة المغرب الإسلامي أسقطت النواة التي تكونت في صناعة الورق في القيروان والتي دخلها المهدي يوم الخميس 20 ربيع الآخر سنة (297هـ / 910م)، وما كان على الناس سوى إذعان الولاء لهم بمساهمة من الجيش الكتامي، الذي كان دائما ينال الإطراء من الحكام العبيديين مثلما جاء في خطبة الخليفة المنصور التي قال فيها: يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا ثم واصل كلامه بقوله: اللهم إني أصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك تعبدا لنا، واعترافا بفضلنا وإرادة لما افترضه الله على العباد لنا².

لم تجد صناعة الورق في الغرب الإسلامي البيئة للتطور في القرن الرابع الهجري فبعد أن توفي المهدي في ربيع الأول سنة (322هـ / 934م) ظهرت حركات مناوئة لهم منها ثورة أبي يزيد الخارجي سنة (322هـ / 934م) فبعد وفاة المهدي، حاول أهل المغرب الثورة على العبيديين الذين انتصروا عليه بعد معارك كثيرة تسببت في غزو العديد من المدن سنة (336هـ / 947م). إن منطقة المغرب الإسلامي لم تعرف الإستقرار في القرن الرابع الهجري خاصة بعد توسع رقعة الحروب بانضمام الصنهاجيين للعصبية الكتامية حيث كان الخلفاء العبيديون حريصين على اختيار أحسن القبائل قوة من الناحية العسكرية وبأسا وشدة للتشيع³ زد على ذلك بعد نظر

1- فاطمة بلهاري: الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة، الجزائر، ص32

2- الجوزري أبو علي منصور العيزي: سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، ص

3- القاضي النعمان: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام تحقيق: آصف بن علي و أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ج1، 1963، ص358

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

العبيديين في الرفع من عدد الجيش لمواصلة التوسع شرقا نحو مصر، وبهذا نقول إن دخول هذه القبائل ذات الفروع الكبيرة في مواجهات متعددة مع القبائل الأخرى خاصة الزناتيين قد أدخل المنطقة في أزمت مستمرة كان لها أثر كبير في تراجع اهتمام السكان المحليين ببعض الحرف بسبب نقص الطلب عليها، سوى ما يدخل في اقتصادهم اليومي الذي يضمن لهم العيش والقوت خاصة الزراعة.

إنّ الحديث عن العامل السياسي في ضعف الإنتاج الورقي في الغرب الإسلامي لا يمكن ربطه بمدة زمنية معينة، فحقيقة أن العبيديين كان لهم أثر في تدهور المنطقة في القرن الرابع الهجري إلا أنها شهدت في نفس الوقت تعاقب العديد من الدويلات التي استمرت في التناحر فيما بينها خاصة بعد سقوط دولة الموحيدين حيث دخلت الدولة الحفصية والزيانية والمرينية في صراع مستمر، فمثلا اعتبر الحفصيون أنهم الأحق بخلافة الموحيدين على المغرب والأندلس متحججين على القرار الذي يقضي بتعيين أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ابن الأمير أبي زكريا¹ على ولاية إفريقية وجعلها في أبنائه من بعده، أما الصراع الذي كان بين الدولة المرينية والزيانية فقد فصل في أسبابه ابن خلدون بقوله: "كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة، وكان التخم بين الفريقين واديا إلى فيكيك وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بني مرين على ضاحية المغرب يستجيشون بني عبد الواد مع عساكر الموحيدين على بني مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازي إلى فاس إلى القصر في سبيل المظاهرة للموحيدين والطاعة لهم² وقد فصل الشيخ مبارك الملي في طول الصراع بقوله: "الضغائن بين مرين وعبد الواد قديمة، ناشئة عن الجوار في الموطن ثم في الملك وعن المنافسة في الإستقلال برئاسة زناتة، فكثرت الحروب بينهما³.

1- ابن خلدون: العبر، ج7، ص 131

2- نفسه : ج7، ص111

3- مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح: محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

1986، ج2، ص422

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

في خضم الصراع المتكرر بين الدويلات الثلاثة في المغرب الإسلامي انتهى عصر الصناعة الورقية في المغرب الأدنى والأوسط استنادا لما ذكره ابن مرزوق الحفيد أن الورق في عهده لا يزال سوى في مدينة فاس والأندلس، وبالرغم من أنه لم يشرح الأسباب إلا أن فرقة الإخوة وانشغالهم في كيفية التوسع لم يسمح للعامة من الإستمرار في الصناعة والإنتاج ولكن مع هذا لا ننفي وجود صناعات أخرى اشتهرت بها هذه الدويلات.

3/ العامل الخارجي

تسببت عدة عوامل خارجية في عرقلة نمو النشاط الصناعي في منطقة المغرب الإسلامي وعلى رأسها تخريب المهاجرين من قبيلة بني هلال وبني سليم للبلاد حيث دخلت في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي في فترة من الإضطراب السياسي والإقتصادي في إفريقية والمغرب الأوسط حيث يقول ابن خلدون: "ذلك وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبني سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلّها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرّومي كلّه عمراناً تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتمائيل البناء وشواهد القرى".¹

تُعتبر النظرة الخلدونية قاسية تجاه العرب القادمين من مصر والتي استغلها بعض الباحثين الأجانب في تمرير شبههم لإفراغ منطقة المغرب الإسلامي من تاريخها الحضاري المتنوع والمتكون عبر العصور حتى أسقط عليهم نظريته الخاصة بالبداءة والحضارة، وقد تبعهم بعض الدارسين العرب، حيث وصف الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب مثلاً حال إفريقية بعد الغزوة الهلالية بقوله: وفوق ذلك كله لا ننسى الكارثة العظيمة المؤلمة زحفة الأعراب من بني هلال وبني سليم في آخر عهد المعز بن باديس سنة (449هـ / 1057م) فإنها كانت القاضية على تمدن البلاد، إذ زعزعت أركان الحضارة العربية بإفريقية وذهبت برونقها اللامع كأمس الدابر وحتّمت على السكان الجلاء إلى الأَصْصاق ما بين الشمس والمغرب، فأصبح القطر بعد انتقالهم

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص188

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

أثرا بعد عين¹.

أمّا المؤرخ برنشفيك فقد سار على نهج ابن خلدون في وصف العرب القادمين من مصر بعدما وصفهم بأكبر مدد عرقي وصل إلى المغرب الإسلامي المتمثل في الغزوة المريعة التي قام بها أعراب بنو هلال وبنو سليم القادمين من الصعيد المصري، والتي قضت على توازن إفريقية السياسي والإقتصادي والاجتماعي².

أما ابن الأثير فقد وصف أخبارهم عند دخولهم أرض إفريقية بقوله: "شنوا الغارات، وقطعوا الطريق، وأفسدوا، وقطعوا الثمار، وحاصروا المدن، فضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم، وانقطعت أسفارهم، ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط"³.

أما عبد الواحد المراكشي فقد قال فيهم: "كانوا ببلاد يحيى بن العزيز، وهم قبائل من هلال بن عامر، خرجوا إلى البلاد حين خلى بنو عبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب؛ فعاثوا في القيروان عيثاً شديداً أوجب خرابها إلى اليوم، ودوّخوا مملكة بني زيري بن مناد، وهذا بعد موت المعز بن باديس"⁴.

وقد ذكر النويري نفس أعمالهم بقوله: "وفى سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان، وأخذ مؤنس باجة. فأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية. وشرع العرب في هدم الحصون والقصور، وقلع الثمار، وتعمية العيون، وخراب الأنهار"⁵.

أمّا المؤرخ غوتيه فقد اعتبر هاتين القبيلتين من أخطر القبائل الموجودة حيث كان أفرادها لا يتورعون عن مهاجمة الحجاج المتوافدين إلى مكة، كما أسهموا مساهمة فعالة في ثورة القرامطة،

1- حسني عبد الوهاب: ورقات، ج1، ص349

2- روبر برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار

الغرب الإسلامي: بيروت، 1988، ص31

3- ابن الأثير: الكامل، ج8، ص87

4- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص166

5- النويري: نهاية الأرب، ج24، ص217

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وقد نفاهم الخليفة الفاطمي إلى صعيد مصر تخلصاً من شرهم، وسكنوا على ضفة النيل اليمنى وبقي عليهم أن ينتقلوا للضفة اليسرى قبل أن يطلق لهم العنان نحو المغرب¹

واتبع شارل أندري جوليان غوتيه في الطرح واصفاً هجرة العرب بأنها كانت بلا منازع أهم حدث عرفته بلاد المغرب أثناء القرون الوسطى وحملهم مسؤولية تحول اقتصاد إفريقية من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعوي، معللاً ذلك بأن قدومهم المنطقة تسبب في تعميم النمط البدوي الذي عمل على تحويل الأراضي المعدة لزراعة الحبوب والخضر والأشجار المثمرة إلى غير ما جعلت عليه واختفت قرى ومدن صغيرة وخربت ولم تسلم إلا الأراضي الفلاحية الكائنة على طول الساحل حول المدن الباقية أو داخل الجبال التي أحاط بها الزحف العربي دون أن يفتحها، كما ذكر أن النتائج لم تكن في المجال السياسي فقط بل في الجانب الاجتماعي أيضاً².

أما روجي إدريس فقد وصف الهجرة الهلالية بالكارثة السياسية والإقتصادية التي لم يسبق لها مثيل بناءً على النصيحة التي أسماها بالمكيافيلية التي أسداها الوزير اليازوري للخليفة الفاطمي³.

أمّا المؤرخ بوفيل فقد اتبع ما ذهب إليه ابن خلدون في أنّ الهلالين دخلوا إفريقية كأسرار الجراد التي تلتهم كل البقاع التي تمر بها وكان من أهم نتائج هذه الأعمال التخريبية أن تعطلت مناطق شاسعة عن الزراعة تعطيلاً مستديماً. وزحفت عليها الصحراء. وقد عمد هؤلاء الأعراب الجفاة إلى أن يدمروا كذلك معظم الغابات رأساً بأنفسهم أو عن طريق قطعانهم، وبذلك أوجدوا النقص في الأخشاب لصناعة السفن⁴.

1-أ.ف. غوتيه: ماضي شمال إفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، الفرحاني، ليبيا، 1970، ص 299

2- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص98

3- إدريس الهادي روجي : الدولة الصنهاجية، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ج1، ص 245

4- بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة : الهادي أبو لقمة ،محمد عزيز ، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1988، ص117

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

ومن المؤرخين العرب الذين أخذوا بما جاء به ابن خلدون الدكتور حسين مؤنس الذي سمي الغزو الهلالي بالتغريبة الهلالية، كما أنه تحدث عن تخريبهم لمدينة برقة وأجدابية إلى غاية طرابلس وفزان حتى أنهم سادوا معظم سكان النواحي في المغرب الإسلامي واختلطوا بهم¹. من خلال ما تمّ طرحه من دور للغزو الهلالي لمنطقة المغرب الإسلامي نلاحظ أن العامل الخارجي قد ساهم في تدهور منطقة المغرب الأدنى والأوسط وهو ما أدى بكل تأكيد إلى تراجع الإقتصاد والإنتاج بصفة عامة، إلا أن بعض المؤرخين الآخرين لا يرون بالطرح الأول فايف لأكوست يذكر بأنها مجرد أسطورة ليست من قبيل الصدفة بل غذيت في إطار الأيدولوجية الإستعمارية، كما أنه يدحض ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن دخول بني هلال إفريقية كان بمثابة غزوات المغول لبلاد المشرق، فالفارق بينهما شاسع، كما يفند لفظة غزو، فهي في رأيه لا تعبر حقيقة عن الوضع وعن تنقل القبائل العربية الهلالية.

إن الغزو الهلالي ورغم محاولة بعض المؤرخين تمييع صورته في إطار ما يسمى بالموقف النقدي أمام الموقف الأول التقليدي لا يزال يسبح في بحر العموميات، فالجميع يعتمد على نفس المصادر التي كتبها في الغالب فقهاء يعادون في نفس الوقت أمراء بني زيري وأشياخ القبائل الهلالية، فلا عجب إذا وجد فيها كل فريق ما يؤيد نظريته فلا يمكن والحال هذه الفصل بينهما مهما طال النقاش² وبالتالي فإن جعلنا للغزو الهلالي كعامل خارجي جاء من باب الإشارة إلى الأحداث المؤثرة التي مر بها المغرب الإسلامي في تاريخه لأن هذا العنصر الدخيل لم يلق الترحيب الواسع في بداية الأمر من طرف السلطة السياسية وحتى من السكان المحليين بسبب التخريب المستمر من طرف هؤلاء في بداية وجودهم، فمن الطبيعي إذن أن يحدث اصطدام ثقافي وحتى حضاري بين ثقافتين تجتمعان على دين واحد ولكن تختلف في الذهنيات والتكوين العرقي والقبلي وحتى اللغوي الذي بدأ يذوب مع مرور السنوات في إطار المصالح والمنافع

1- حسين مؤنس: معالم تاريخ الأندلس والمغرب، ص 169

2- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ج2، ص98

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

المشتركة بين هؤلاء الذين كان لهم هدف مشترك وهو الدفاع عن الأرض والإقليم.

إنَّ إطلاقنا لمصطلح التخريب لا يعني أنَّ هؤلاء المهاجرين لم يؤثروا إيجابيا في المنطقة فرغم مضار الغزو ومساوئه الكثيرة فإنَّهم ساهموا في تعريب البلاد وتخفيف حدة اللّهجات المحلية في القرى البربرية التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية¹ كما كان الأعراب الرُّحل يسهرون بأنفسهم على أمن القوافل وكثيرا ما يتولون تموين المدن ويتعاقدون مع الأهالي لزراعة الأراضي المحيطة بالمدن².

ومنه فإنَّ عرضنا لهذه الجملة من الآراء حول آثار الوجود الهلالي بالمغرب الإسلامي هو من باب الموضوعية لكيلا نُسقط أحكاما عشوائية على فترات تاريخية قد تكون سببا في تشويه حقبة معينة وفق أهواء إنسانية في إطار البحث عن العراقيل التي تسببت في ضعف الإنتاج الورقي في الغرب الإسلامي.

بناءً على ما سبق من حجج جاء بها المؤرخون نرى بأنَّ القرن الرابع والخامس الهجريين قد تسببا في تعطيل عملية النمو الإقتصادي لمنطقة المغرب الأدنى والأوسط على وجه الخصوص ويبدو أن عدم عثورنا على الأدلة التي تثبت وجود صناعة ورقية في المغرب الأوسط يعود بالدرجة الأولى للخلفية التاريخية لهذه المنطقة التي كانت تعتبر همزة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى فقد شهدت تحولات سياسية أثرت على واقعها الصناعي الذي استمر حتى عهد الدولة الزيانية بالرغم من رواج بعض الحرف المحلية مثل النسيج والدباغة.

إنَّ مهنة الورق يجب أن تتوفر فيها شروط الإستقرار التي تجذب الخطاطين والنساخ وهو ما افتقدته الجهة الشرقية من المغرب الإسلامي والدليل على ذلك حينما استحكم نفوذ الموحدين في المغرب الأقصى ظهرت فاس من المدن الصناعية للورق بالرغم من استقرار الوضع على عهد الحماديين في المغرب الأوسط، لكن الإعتبارات تختلف بحكم أن الحماديين بدأوا في تأسيس

1- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999، ص 587

2- حمادي الساحلي: فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص 35

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الدولة التي تتطلب الإهتمام بشؤون أكثر أهمية من صناعة الورق ولكن مع ذلك فكّر المعز ابن باديس قبل ذلك في تطوير الصنعة من خلال المخطوط الذي نسب للفترة الزيرية، أما الموحدون فقد أقاموا دولتهم على أنقاض المرابطين الذين كانت لديهم حضارة سابقة وأرضية للإستمرار مع المحافظة على الإنجازات السابقة.

4/ العامل الطبيعي

إنّ صناعة الورق تتأثر بالعامل الطبيعي كون أن مادتها الأولية مصدرها البيئة المحيطة بالإنسان، والغرب الإسلامي قد عرف العديد من الأزمات الطبيعية التي أثرت على اقتصاده بصفة عامة، وقد ربط ابن خلدون الطبيعة والمناخ بتمركز السكان واستقرارهم حيث يقول: "اعلم أنّ هذه الأقاليم المعتدلة ليست كلّها يوجد بها الخصب ولا كلّ سكّانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لأهلها خصب العيش من الحبوب والأدم والحنطة والفواكه لزكاء المنابت واعتدال الطّينة ووفور العمران وفيها الأرض الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكّانها في شظف من العيش"¹، ومنه فإنّ البيئة والأقاليم المناخية تساهم بشكل فعّال في توجيه النشاط الإقتصادي لمنطقة معينة.

يعود سبب تفسيرنا لتراجع وضعف صناعة الورق في الغرب الإسلامي بالعامل الطبيعي إلى وضع تصور منطقي حول دور الطبيعة في ازدهار وتدهور صناعة معينة رغم أنه لا يوجد أي دليل يثبت أن أحد مكونات البيئة قد تسبب في خسائر كبيرة لعمال الورق في تاريخ المنطقة، وفي نفس الوقت قد أثبتت العديد من الشواهد أن الفيضانات مثلاً قد أفسدت المحاصيل الزراعية ومعها تعطلت المطاحن، ومن المعلوم أن الفيضانات إذا أفسدت الزرع ينجم عنها نتائج وخيمة على صناعات أخرى، وقد شهدت المنطقة سنوات من القحط وسنوات من الوفرة الزائدة التي تسببت في تهديم الجسور والقناطر وإغراق بعض المساكن وتهديمها وإتلاف المزارع، ومن هذه

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص109

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الأمطار تلك التي هطلت على أبي القاسم الفاطمي وفرضت عليه الإقامة شهرا متواصلا في سوق إبراهيم سنة (315هـ/997م¹).

من الفيضانات الكبيرة التي مست المغرب الإسلامي سنة (723هـ/1323م) بسبب الأمطار والثلج التي نتج عنها انعدام الفحم والحطب، كما أدت العواصف البردية القوية التي تحدث في آخر كل خريف خلال فصل الشتاء إلى إتلاف المحاصيل الزراعية وقتل البهائم والبشر كما حدث عام (679هـ/1289م)²

إنّ النماذج الكثيرة والمعتبرة التي ذكرت في الكتب التاريخية وحتى النوازل الفقهية حول الفيضانات تؤكد على المخاطر الطبيعية التي كان يواجهها إقليم الغرب الإسلامي والتي أدت في الكثير من الأحيان إلى حدوث خسائر معتبرة، ولا غرو أن الصناعات التي كانت مشهورة في المجال الجغرافي للمنطقة كانت تتأثر كثيرا خاصة التي كانت مادتها الأولية تعتمد على القطاع الزراعي مثل الصناعة النسيجية والورقية، علما أن الفيضانات لا تتسبب وحدها في تراجع الإنتاج، فقد عرفت أيضا مواسم للقحط شُبهت في المصادر بالعظيمة نظرا لنضوب المياه، ومن هذه السنوات الصعبة القحط الذي حدث سنة (266هـ/879م)³ والآخر في عام (395هـ/1004م) الذي أدى إلى حدوث مجاعة كبيرة أين انكشفت الستور وهلك الفقير وعدمت الأقوات وجلا أهل البادية عن أوطانهم وخلت أكثر المنازل، وكان الناس يوقدون أبواب بيوتهم وخشب سقوفهم، حتى أن ابن العذاري ينقل عن أبي اسحاق الرقيق أن أهل البادية أكلوا بعضهم بعضا⁴، ولم يسلم الأندلس من القحط ففي سنة أحد عشر وأربعمائة أصابها قحط شديد ومسغبة

1- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص455

2- خالد بلعربي: المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698_840هـ/1299_1442م)، دورية كان التاريخية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، عدد 04، 2009، ص 20

3- المراكشي ابن عذاري: البيان، ص117

4- نفسه: ص 257

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

عامة ووباء كثير كما أصاب المغرب القحط في نفس العام¹.

مثلت سنوات القحط أيما صعوبة على سكان الغرب الإسلامي الذين تركوا الصناعات الثانوية من أجل البحث عن قوت العيش، ومما زاد من تأزم الأمور هو مرافقة الأوبئة والطاعون لسنوات القحط وكان أشدها وطأة على الناس ذلك الذي ظهر في آسيا الوسطى سنة (746هـ/1346م) واكتسح أوروبا ووصل إلى شمال إفريقيا سنة (749هـ/1348م) وهو الذي أطلق عليه الأوروبيون الطاعون الأسود² نزل بالعُمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيّف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلّص من ظلالها وفلّ من حدّها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والإضمحلال أموالها وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر فخربت الأمصار والمصانع³.

وقد وقف صاحب نفاضة الجراب على هذا الطاعون بقوله: "وجدنا الطاعون في بيوتهم قد نزل، واحتجز منهم الكثير إلى القبور واعتزل، وبقر وبزل، واحتجز واختزل، فلا تبصر إلا ميتا يخرج، وكميتا إلى جنازة يُسرج، وصراخا يرفع، وعويلا بحيث لا ينفع، ففعلنا الهجوم، وألفنا الوجوم، وتراوغنا عن العمران وسألنا الله السلامة من معرفة ذلك القران"⁴.

مثل هذه الحوادث الكبيرة التي تصيب البشرية من أوبئة وطاعون تتسبب لا محالة في تعطيل العمل والصناعة وانشغال الناس بالبحث عن الدواء أو الإنعزال لفترة طويلة عن الخروج من المنازل، وكغيره من الأمصار فإن الغرب الإسلامي لم يسلم منها سواء كانت محلية أو عالمية،

1 - ابن أبي زرع: الروض القرطاس، ص118

2- فيلاي : المرجع السابق، ص251

3- ابن خلدون: العبر، ج1، ص43

4- ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، تحقيق: السعدية فاغية، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، 1989،

ج3، ص90

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وإن استدلالنا بالطاعون الجارف الذي أصاب العالم في العصور الوسطى يدخل في إطار الحجب التي نقدمها لتفسير ظاهرة تراجع الإنتاج الصناعي في العالم ككل لأن توجه البشرية في هذه المصائب يكون مصوباً نحو إيجاد العلاج لهذه المحنة في حين يتأخر الناس عن مواصلة نشاطهم الصناعي في هذه المدة التي قد تستغرق سنوات معدودة لكي يُرفع هذا البلاء.

إنّ مما يثبت عدم استطاعة الناس تأدية واجبهم الصناعي أثناء هذه الأزمات ما ذكره ابن عذاري المراكشي من أوصاف تدل على المعاناة الكبيرة التي كانت تقدهم حتى الحد من خطورتها بقوله: "لم يبق لأحد سبد ولا لبد، ولا طارف ولا تالد، ولا ذخيرة ولا مال، ولا عقار واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محناً يستعاذ بالله منها، وانتهى المد الواحد من القمح الفحص إلى سبعة دراهم، وأما أسواق المدينة ويقصد بها في حديثه عن مجاعة مراكش سنة (632هـ/1234م)، لم يكن بها ما ينطبق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه والحوانيت مغلقة".

أدّى تردد موجات الكوارث الطبيعية بالعدوتين المغربية والأندلسية إلى جعل حياة الإنسان محكومة برهان دائم من المؤثرات المناخية التي أظهرت عجزه عن التكيف معها أو الحد من خطورتها¹ إلا أنّ خبرة السنوات جعلته يُحاول التكيف معها خاصة مع بروز علماء وأطباء في المنطقة.

تسببت العديد من العوامل الطبيعية الأخرى في عرقلة إنتاج الورق في الغرب الإسلامي خاصة في المواد الأولية، فقد شكل الجراد القادم من المناطق الحارة خطراً كبيراً على المحاصيل الزراعية فالجرادة الواحدة تأكل كمية من النبات تساوي وزن جسمها، فلو كان متوسط وزن الجرادة هو غرامان، ولو فرضنا أن مساحة كيلومتر مربع من السرب تضم حوالي أربعمئة مليون جرادة، فإن هذا السرب يأكل ثمانمئة طن من المزروعات كل يوم²، ضف إلى ذلك أن أهم المحاصيل الزراعية التي يلتهمها الجراد كلها أساسية وتتمثل على وجه الخصوص في الذرة الرفيعة، القمح،

1- عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس ق6_8 هـ/12_

14م دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008، ص 29

2- غنيم كارم: الجراد وسيلة تخريب وإفساد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 8

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الشعير، قصب السكر، القطن، الكتان وغيرها، والملاحظ في هذه المحاصيل أنها من المواد الأولية في صناعة الورق خاصة القطن والكتان إلا أنها تعد من بين المزروعات التي يفسدها الجراد.

ذكرت المصادر جملة من هجرات الجراد المدمرة للمحاصيل الزراعية ففي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة عمّ الجراد الكثير في بلاد المغرب وفتك بها¹ ووصف ابن زرع الجراد الذي أصاب منطقة المغرب الإسلامي سنة خمسة عشر وأربعمائة بالكثير الفائق النهاية²، وفي القرن السادس الهجري ذكر ابن القطان أن الجراد أكل زرع قرطبة وهو الذي أدى إلى غلاء المعيشة ووصل المد من القمح إلى خمسة عشر ديناراً وكثر معه عدد الموتى في المدينة³.

وفي نفس السياق يعدد ابن القطان من هجرات غزو الجراد للأندلس بقوله: وأكلت الجراد زرع هذه السنة أي (526هـ/1132م)⁴ وحينما ذكر أنباء سنة (528هـ/1134م) قال: وأكلت الجراد ما كان على الأرض من زرع وكلاء⁵.

من الكوارث التي أدت إلى تراجع المواد الأولية في الغرب الإسلامي الحرائق التي خلفت دماراً بيئياً قضى على مجال عيش إنسان العدوتين وموارده، حيث طالت الأراضي الزراعية والغابات والمجالات الرعوية تارة وشبّت في الحواضر والأسواق التجارية تارة أخرى⁶ وكان لديها عدة أسباب منها ما قام به عبيد الله المهدي في حربه ضد زناتة وحين دخول جنوده لمدينة تيهرت سنة (299هـ/912م).

1- ابن زرع: المصدر السابق، ص 112

2- نفسه: ص 114

3- ابن القطان المراكشي (ت628هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي 1990، ص 226

4- نفسه: ص 230

5- نفسه: ص 235

6- عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص 69

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

يذكر ابن القطان أيضا أن قرطبة شبّ فيها حريق سنة (522هـ/1128م) الذي انتشر لهيبه في سوق الكتانين ثم انتقل إلى سوق البز فالتهم بضائع الناس وأموالهم، فنتج عنه مشاكل اقتصادية تمثلت في ضياع البضائع والسلع المعروضة منها والمدخرة واجتماعيا كشف الحريق عن معاناة التجار¹.

المبحث الرابع: انعكاسات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي

1/ انتقال صناعة الورق من الغرب الإسلامي إلى أوروبا

إن صناعة الورق تُعد من أهم إنجازات الحضارة العربية الإسلامية، وتعتبر أوروبا مدينة بفضل العرب عليها في كثير من المجالات العلمية، وخاصة صناعة الورق الذي كان شيوع استعماله على نطاق واسع من العوامل الهامة في انتشار الطباعة² وفي هذا الصدد يؤكد فيليب حتّي على أن هذه الصناعة من أجل الخدمات التي أسداها الإسلام إلى أوروبا، حيث يقول: ولولا صناعة الورق البلدية في الأندلس لما راجت سوق الكتب، ومن مراكش التي أدخلت إليها هذه الصناعة من الشرق انتقلت إلى إسبانيا في منتصف القرن الثاني عشر³.

يذكر الأستاذ حسني عبد الوهاب أن صناعة الورق أول ما دخلت إلى العدو الإفرنجية إنما كان جوازها من البلاد التونسية مباشرة وحصل ذلك في العصر الأغلبي، بحيث انتقلت الصناعة إلى صقلية حينما كانت تابعة لحكم المسلمين، وكانت عاصمتها بلرم (Palermo) مكتظة بالعلماء الإفريقيين وأصحاب المهن والحرف، ثم من صقلية تسربت صناعته إلى بلاد قلورية (Calabria) ولبارديا (Lombardia) من ولايات جنوب إيطاليا ومنها إلى مدينة ساليرنو (Salerno) حيث توجد بها أقدم جامعة إفرنجية للعلوم الرياضية⁴، ويؤيده في هذا الطرح الأستاذ عبد الحميد بحروني الذي أشار إلى أن الصناعة الورقية انتقلت من القيروان إلى

1- عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص 70

2- عبد العزيز بن محمد المسفر: المرجع السابق، ص 30

3- فيليب حتّي، العرب تاريخ موجز: دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1991، ص 187

4- حسن حسني عبد الوهاب: البردي والرق والكاغذ في أفريقية التونسية، ص 44

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

صقلية حيث كانت تابعة للدولة الأغلبية، بحيث يستدل على موقفه القائم على أن تقنيات صناعة الورق والأساليب المتبعة في تحضيره هي نفسها في كل الأقطار تقريبا، فخلال عشرة قرون متتالية من القرن الثامن الميلادي وحتى اختراع أول آلة ورق في القرن الثامن عشر لم تتغير العمليات الأساسية المستخدمة في صناعة الورق¹.

ويؤيد الأستاذ الحلوجي الطرح السابق بأن الصناعة تحولت من القيروان إلى مدينة بلرمو عاصمة صقلية الأغلبية ثم انتقلت إلى مدينة فابريانو (fabriano) في سنة (675هـ/1276م)، ومن هذه المدينة ومصنعها أنتجت عائلة أندريه جلفاني العديد من الورق الإيطالي الذي أغرق الأسواق العربية بل السوق الإسلامي جنوب الصحراء في إفريقيا، كما كان الورق يصنع أيضا في مدينة بولونيا (Bologna) في سنة (693هـ/1293م)²، وتعددت تسميات الورق في إيطاليا فقد أطلق على ورق بادوا (Carta bambaci) وورق مودينا (carta bambaxi) وورق بولونيا (charta de bambare Bologna) وأطلق على ورق بيستويا (Carla de bambacia)³.

إنّ انتقال الورق في الغرب الإسلامي كان عبر منفذين شهيرين هما صقلية شرقا والأندلس غربا بعد رواجه في القيروان وفي مدينة فاس وسبتة التي عبر من خلالها إلى العدو الأندلسية ومنها إلى فرنسا كان من أحد أسباب اليقظة الأوروبية التي تجاهلها الكثير من الباحثين، لأن رواج الورق في أوروبا ساهم بشكل ملفت في انتشار مؤلفات المفكرين، ولا نقصي بطبيعة الحال التراث الإسلامي بصفة عامة الذي انتقل عبر طريق ثالث وهو الإحتكاك المباشر زمن الحروب الصليبية في المشرق⁴، ومما يؤيد تأثر الأوروبيين بالحضارة الإسلامية بصفة عامة أن مطران قرطبة ألفارو كتب في القرن 3هـ/9م أن جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة

1- عبد الحميد بحروني: المرجع السابق، ص 169

2- الحلوجي: المرجع السابق، ص 276

3- جوناثان بلوم: المرجع السابق، ص 374

4- ماهر حمادة: المرجع السابق، ص 212

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

العرب وآدابهم ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهضة¹، كما أمر الملك الأراغوني بيدرو الرابع أو المسمى ببيتر الثاني (Pedro II) حاكم فالنسيا (Valencia) سنة (793هـ / 1338م) صانعي الورق بضرورة صنعه بشكل أحسن مثلاً كان يصنع سابقاً، كما فرض من خلال أمره العقوبة على المخالفين².

تُعتبر فرنسا البلد الإفرنجي الثاني الذي انتشرت فيه الصناعة الورقية في أوروبا أين أنشأت الطواحين في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي³ في مدن إسون (Essonne)، وتروا (Troyes) عبر الأندلس التي سقطت ثم مضى الزمن حتى قام الملك فيليب الثاني وخلفاؤه بجمع مختلف الكتب الإسلامية وهي التي مثلت قاعدة مكتبة الأسكوريال في مدريد.

تعود أقدم الأوراق في فرنسا إلى سنة (646هـ / 1248م) أي قبل صناعته وانتشاره الذي بدأ على مستوى مستشارية الملك منذ سنة (741هـ / 1340م)⁴، ومما يؤكد على شهرة فرنسا بصناعة الورق أنه في مدينة باريس شكل الوراقون جمعية سنة (800هـ / 1398م) كما تشكلت جمعية أخرى في مدينة تروا التي قامت بالاحتجاج على كثرة الطواحين حول العاصمة وتأثير ذلك على انخفاض سعر الورق، حتى أصدر الملك شارل الثامن (Charles VIII) وثيقة تحدد قائمة بأسماء أشخاص يحق لهم الاستفادة من امتياز صناعة الورق، كما انتقلت الصناعة فيما بعد إلى مدن مجاورة لباريس مثل ليون⁵، ومع مرور الوقت حلت فرنسا محل إيطاليا كممونة لأوروبا

1- روبرت بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة: السيد أبو النصر أحمد الحسيني، مطبعة عيسى الباجي الحلبي، ط1، 1957، ص 145

2- Matthias Koops: **Historical Account of the substances which have been used to describe events**, and to convey ideas, from the earliest date, to the invention of paper, 1800, p 51

3- المنوني، تاريخ الوراقة، ص34

4- Bernard Gineste: **Histoire de papier a Etampes des origines au milieu du 16 Siecle**, Etude des fligranes conserves, premier edision, 2013, p26

5- لوسيان فيفر وهنري جان مارتان: المرجع السابق، ص 54

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

بالورق وأصبحت معظم الطبوعات الإستهلاكية في ستراسبورغ (Strasbourg) تطبع على ورق يحمل السمة الفرنسية، وقد ظل الميدان حراً أمام وراقي تروا وتلاميذهم بسبب عدم ظهور صناعة الورق في ألمانيا وهولندا وإنجلترا، إلا أن الطواحين الورقية سرعان ما انتشرت في سائر أنحاء أوروبا ولكن بسرعة أقل مما كانت عليه في فرنسا¹، وتجدر الإشارة إلى أن النساء في فرنسا كن يعملن في مطاحن الورق فقد أكلت لهن مهمة فرز الخرق وتعليق الورق حتى يجف إلى غاية القرن الثامن عشر الميلادي²، كما عرف الأوروبيون أن الورق المصنوع من الكتان أو القطن أو القنب هو الأحسن³، مثلما عرفته الحضارات السابقة بسبب الخصائص التي تتميز بها هذه المواد النباتية.

ومن فرنسا انتقل إلى سويسرا في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر، أين كان يوجد في مدينة بال (Bâle) حوالي سبعة طواحين للورق التي كانت تقيم فيها عائلة غليزياني الإيطالية، ويبدو أن العديد من العائلات الإيطالية كان لها دور فعال في الترويج للصناعة الورقية في أوروبا بعد أن اشتد التنافس المحلي فيما بينها وبدأت تبحث عن أسواق أخرى خارج البلاد، خاصة في ألمانيا.

أما البلد الثالث الذي انتقلت إليه صناعة الورق فهو ألمانيا عن طريق التاجر الألماني أولمان سترومر الذي تدرب في إيطاليا وأنشأ أول مصنع للورق في ألمانيا سنة (792هـ / 1390م) ولأنه لم يستطع تأمين العمال المحليين استأجر عددا من العمال المهرة من إيطاليا⁴، ومن العائلات الألمانية المشهورة التي اهتمت بصناعة الورق في القرن الخامس عشر نجد أسرة هولباين (HOLBEIN) بمدينة رافنزبورغ (Ravensburg) التي يرجع إليها الفضل في اختراع

1- لوسيان فيفر وهنري جان مارتان: المرجع السابق، ص 60

2- Leonard N Rosenband: **Paper making in Eighteenth_century France 1761/1805**, The Johns Hopkins university press, 2000, p8

3- Charles Delon : **Histoire d'un livre**, Lebrairie Hachette, Paris, p107

4- شعبان عبد العزيز خليفة: المرجع السابق، ص 40

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

إطارات أسلاك النحاس الأصفر¹، أما بالنسبة للمدن الألمانية المعروفة بصناعة الورق نجد نورمبرغ (Nürnberg) التي بدأت تنتج سنة (793هـ/1391م) ومدينة لونبورغ (Lüneburg) سنة (834هـ/1431م)، ولايبزيغ (Leipzig) في سنوات 1380م إلى 1390م و غيرها من المناطق الأخرى.

انتقلت صناعة الورق إلى إنجلترا التي أنشئ أول مصنع فيها في هيرتفوردشاير (Hertfordshire) ما بين سنة (900هـ/1495م) و²1496 من طرف عمدة لندن جون تيت (John Tate) بعد تقديم الحكومة الإنجليزية مساعدة، وهكذا دخلت صناعة الورق إلى بريطانيا في ختام القرن الخامس عشر، وكانت العلامة المائية التي استعملها جون تيت في الورق عبارة عن نجمة مثنى داخل دائرة مزدوجة، وقد استخدم ونكن دي ويرد (Wynkyn) de worde ورق هذا المصنع في نشر كتابه خصائص الأشياء³ (of things) (On The properties) سنة 1495، ولكن الصناعة الورقية في إنجلترا كانت بطيئة نوعا ما خاصة بعد اندلاع الحرب الأهلية فيها (1642/1652م)، ولكنها بدأت تستعيد قوتها خاصة بعد الثورة التي حدثت على لويس الرابع عشر في فرنسا سنة (1675م) وهروب آلاف من البروتستانت إلى دول الأعداء مثل إنجلترا وألمانيا وأمريكا حاملين معهم صناعاتهم وأموالهم وحضارتهم، وكان من بين الذين هربوا إلى إنجلترا هنري بورتال (Henry portal) الذي أصبح من الشخصيات البارزة في الصناعة سنة (1034هـ/1625م)⁴، حيث حصل على امتياز صناعة الورق اللازم لطباعة ورق النقد في بنك إنجلترا⁵، ولكن الورق الإنجليزي كان أقل جودة من الورق الفرنسي والإيطالي

1- سفن دال: المرجع السابق، ص 81

2- Christopher J. Biermann: **Handbook of Pulping and Papermaking**, Academic press, second edition, 1996, p1

3- شعبان عبد العزيز خليفة: المرجع السابق، ص 41

4- أنظر الملحق: رقم 24، ص 296، وقعت على خريطة مرسومة يدويا حواضر انتشار الورق ابتداء من الصين ثم المشرق الإسلامي وصولا إلى الغرب الإسلامي ثم انتقاله إلى أشهر المدن الأوروبية.

5- نفسه: ص 42

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

خاصة في صناعة اللون.

عانت صناعة الورق في إنجلترا من قلة المادة الأولية خاصة وأن السكان كانوا يرتدون الصوف لذا اضطرت إلى الإستيراد من فرنسا ومن هولندا واستمر ذلك خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر¹.

استخدم الأوروبيون في أوراقهم العديد من العلامات المائية منها علامة الجرس وهي إيطالية الأصل، وكذلك الدوائر التي انتشرت في إيطاليا ثم انتقلت إلى إسبانيا والبرتغال وعلامة الزهرة في جنوب غرب فرنسا، كما استخدمت شعارات الأحرف التي تدل على اسم المصنع أو صانع الورقة²، وصورة بعض الحيوانات خاصة الأسد، وعلامات الصليب³ وعلامة رأس الثور وغيرها⁴ إن طواحين الورق قد تضاعفت في جميع أنحاء أوروبا بشكل إجمالي مما أدى إلى تزايد نسبة استهلاك الورق وإلى تزايد نشاط المطابع⁵ ففي القرن السادس عشر الميلادي وصلت إلى البلاد الإسكندنافية، حيث أنشئ أول مصنع فيها بمدينة ستوكهولم (Stockholm) ومن الشواهد الدالة على ذلك أن الفلكي الدنمركي تيشو برايي (Tycho Brachè) كان قد أقام طاحونته الخاصة بصناعة الورق في جزيرة هفن (Hven) حيث كان يوجد مرصده الفلكي⁶، لكن مع ذلك بقيت تستورد الورق عبر السويد والنرويج، في حين تذكر المراجع الأجنبية أن المملكة الدنماركية قد أقامت أوائل مصانعها سنة (978هـ / 1570م)⁷.

1-Philippe Gaskell: **A new Introduction to Bibliography**, Winchester, UK : St. Paul's Bibliographies , New Castle, 1995,p60

2- Theo. Laurentius , **watermarks in paper from the southe _west of france** ,1560_1869, leiden, p 3

3- أنظر الملحق: رقم 25، ص 297

4- أنظر الملحق: رقم 26، ص 298

5- لوسيان فيفر وهنري جان مارتان: **المرجع السابق**، ص 62

6- سفندال: **المرجع السابق**، ص 81

7- Davíð Ólafsson: **Silvia Hufnagel ,Paper Stories – Paper and Book History in Early Modern Europe**, De Gruyter, 2023, p 16

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

انتقلت صناعة الورق من البلدان الأوروبية إلى القارة الأمريكية بسبب الرحلات المستمرة لاكتشاف مناطق تحتوي على ثروات خارج القارة في ما اصطلح عليه بالكشوفات الجغرافية التي كانت عبارة عن استعمار مؤقت قبل السيطرة الفعلية على الأراضي الأمريكية الشمالية والجنوبية ففي سنة 1620م كانت احتياجات أمريكا من الورق تتم عن طريق الإستيراد من إنجلترا التي كانت صناعته بها قائمة و تتحكم فيه شركات رؤوس الأموال إلى غاية سنة 1690م أين أنشئ أول مصنع في مدينة فيلاديفيا¹ ثم في بنسلفانيا عن طريق رجلين من هولندا، كما تم تأسيس مصنع آخر سنة 1726م بالقرب من مدينة نيوجرسي وهو المصنع الذي أقامه طابع نيويورك الشهير وليام برادفورد، أما ثالث المصانع فقد أنشئ سنة 1728م في دوكستر في ماساشوستس بواسطة جماعة من منتجي الورق.

2/ تقنية صناعة الورق بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية

بعد سقوط غرناطة آخر الحصون الإسلامية في شبه الجزيرة الأندلسية في عام 897²هـ/ 1492م إثر معاهدة الإستسلام بين حاكم غرناطة أبي عبد الله محمد بن الأحمر الصغير، وبين ملكي قشتالة فرناندو وإيزابيلا انتهت حلقة فريدة من التاريخ الإسلامي الراقى وحتى العالمي في أوروبا الغربية الذي زادت شدته بعد الإضطهاد الذي تعرض له المسلمون بسبب محاكم التفتيش التي كانت ذراعا للسلطة باسم الدين في وجه القوى المناوئة للحكومة عن طريق مصادرة جميع الممتلكات والأراضي لصالح الدولة³ وكذلك سجن وتعذيب وإحراق كل ما هو إسلامي في المنطقة، وقد دفعهم كل ذلك تعصبهم الديني المسيحي تجاه الإسلام ونسوا لما كانت بلدان أوروبا تتمزق في القدر والحطة كيف كانت إسبانيا تتنعم بمدن نظيفة منظمة، ذات شوارع معبدة ومضاءة وكان في ميسور قرطبة وحدها أن تعتز بنصف مليون من السكان، وسبعمئة مسجد

1- Lyman Horace: **A History Of Paper_ manufacturing in the United States**, 1690_1916, New York, 1916,p 3

2- المقري: نفح الطيب، ج4، ص 525

3- عادل سعيد بشتاوي: **الأندلسيون المواركة**، انتارناشيونال برس، القاهرة، 1983، ص215

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وثلاثمائة حمام عمومي، وسبعين مكتبة عامة، وعدد كبير من الوراقين¹.

إن وضع مقارنة بين صناعة الأندلسيين للورق في ظل الحكم الإسلامي وإسبانيا المسيحية يعد أمراً مهماً لأن المستشرقين لا يزالون يستعملون أساليب التقزيم والإقصاء المتعمد لكل ما هو إنجاز إسلامي، والجدير بالذكر أن التقنية الإسلامية بقيت مسيطرة على الفكر الأوروبي لسنوات طويلة ليس فقط في إسبانيا وإنما في الدول الأوروبية قاطبة رغم الإنجاز الألماني المحقق في ابتكار الطباعة، وإن كثيراً منهم لا يفرق بين ما قدمه المسلمون في مجال الفكر الحرفي والتقنية وما تم تطويره فيما بعد أثناء الثورة الصناعية الأوروبية لذلك وقع الكثير منهم في خطأ الإسقاط الزمني بين العصور الحديثة والعصور الوسطى التي كانت تقنيات الورق فيها يدوية.

مما يثبت بقاء الفكر الأندلسي في إسبانيا المسيحية في ميدان صناعة الورق هي رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب المكناسي² (ت1214هـ/1799م) في صفة سفير إلى المنطقة في حدود سنة (1193هـ/1779م) حيث أعطى وصفاً دقيقاً للصناعة بقوله: وقد أرونا بشقوبية الدار التي يصنع بها الكاغد، وذلك أنهم عمدوا إلى وادي شقوبية وأخذوا منه ساقية كبيرة ابتنوا عليها الدار المذكورة والآلات التي يخدم بها الكاغد كلها بحركة الماء، وكيفية ذلك أنهم يجمعون من خرق الكتان المتلاشي شيئاً كثيراً يجلب إليهم من سائر البلدان، وقد أرونا من ذلك مخازن مملوءة منه، ويخرجون منه شيئاً فشيئاً إلى نساء عجائز يميزن منه الجيد والوسط والرديء، وعندهم صهريج من خشب كبير تصب فيه أنابيب الماء يرسلونها وقت الإحتياج إليها ويمسكونها بعد، فيجعلون في الصهريج المذكور الخرق من جنس واحد بعد تمييزه، ويطلقون عليه الماء حتى يمتليء الصهريج ويغسلون الخرق المذكورة من الأوساخ حتى ينظفوها كما ينبغي.

1- روم لاندو: الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1977، ص 177

2 - المكناسي أبو عبد الله بن عثمان : المسطاطي، ولد بمكناس المغربية ، من المقربين للبلاط في عهد السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي، وعين كاتباً له، وحمل كذلك لقب الوزير ، قام بعدة رحلات كسفير الى إسبانيا وإيطاليا واستنبول. أنظر: ابن زيدان السجلناسي: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص129

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

يستمر المكناسي في وصف الصناعة الورقية وخطواتها في إسبانيا المسيحية بقوله: ويخرجونها من الصهرج ويجعلونها في موضع آخر متراكمة بعضها فوق بعض ويتركونها أياما إلى أن تتلاشى وتنتن رائحتها وتتغن، ويقطعونها بعد ذلك إربا إربا، ولهم موضع فيه جفن مستطيل، رؤوسها حدائد مثل المدي لها حركات بالماء تضرب بالجفن المذكور، فيجعلون الخرق الممزقة فيها، وترسل حركات الماء على قطع الخشب وتضرب في الجفن على الخرق إلى أن تصير مثل العجين وينقلونها إلى موضع آخر فيعيدونها بالخدمة إلى أن تصير خدمة ذلك الغاية المعتادة، وعندهم صهرج آخر يملأونه ماء، ويجعلون فيه الكتان المخدوم ويحركونه بأعمدة ويأتي المعلم بالقالب من السلك الرقيق فيغمسه في الماء، فيرفعه¹ وقد علق به شيء من ذلك الماء الأبيض فيقبضه من عنده معلّم آخر ويضع القالب على حصيرة صغيرة من الحلفاء على قدر قالب الكاغد، فيضع القالب عليها وقد علق بها ما كان به، وهي ورقة ويجعل حصيرة فوقها مثلها، ويجعل عليها قالبا آخر وهكذا حتى يجعل رزمة مثل نصف قامته ويجعلونها تحت تخت، ويديرونها عليها حتى يخرج جميع ما علق بها من الماء، ويأتي معلّم آخر ويخرج الرزمة من التخت وينتزع الحصيرة العليا ويزيل الورقة التي تحتها ويجعلها على لوح، ويستمر على عمله إلى أن يزيل جميع ما بتلك الرزمة من الأوراق².

يستمر المكناسي في سرد ما شاهده خلال مراحل الصنع بقوله: ثم يجعلها أي الأوراق بعضها فوق بعض وبها بقية بلل فيضعها في خزين معد عنده لذلك وقد أدخلني إليه فوجدته مملوءا من ذلك، وقد أدخلني موضعا آخر فوجدته مملوءا من أطراف صغار من جلد البقر، وأصفاق ورقائق الجلد فيطبخون من ذلك شيئا فشيئا ومأؤه هو بمنزلة النشا، فحين يطبخ يخرجون الماء من الطنجير ويصبونه في جابية من الحجر، ويأتون بالرزمة من الكاغد، وقد يبست

1- المكناسي أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب : الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي

للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص131

2- نفسه

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وتلاصقت أوراقها، فيجعلونها في ماء الجلد المذكور إلى أن يتخللها البلل، ويجعلها تحت تخت ويديره عليها إلى أن يخرج جميع ما علق بها من ماء¹.

في آخر العرض يذكر المكناسي أن العامل يقوم بإخراج الورقة من تحت الآلة التي تستعمل لعصر الورق والتي أطلق عليها اسم التخت، ثم يقوم بإزالة الأوراق الواحدة تلو الأخرى بعد أن ينفخ على كل منها وينشرها على أحبال حتى تيبس وذلك للمرة الأخيرة قبل عملية البيع إن هذا الوصف الدقيق الذي جاء به المكناسي مكننا من معرفة أحوال صناعة الورق في إسبانيا المسيحية بعد مرور قرابة مائتين وست وتسعين سنة عن سقوط غرناطة أي ثلاثة قرون كاملة، ويعد هذا مصدرا فريدا من نوعه لوضع تصور عن تطور الصناعة من عدمها في المنطقة.

إن صناعة الورق مابين العصر الوسيط والحديث في شبه الجزيرة الأيبيرية بقيت محافظة على الطريقة الإسلامية التي كانت موجودة في شاطبة وبلنسية أيام الحكم الإسلامي فيها وإن طرحنا للمشاهدة الحضرية التي دونها المكناسي في القرن الثامن عشر هي من الدلائل التي نستفيد منها حينما ندرك أن تقنية الدفع بالماء هي فكرة إسلامية محضة، فلم تكن مطاحن المطرقة المائية العاملة بقوة جريان تيار الماء اختراعا يُنسب للنصارى الإسبان فقد عرفت مثل هذه المطاحن منذ قرون في العالم الإسلامي فالسلاطين الأندلسيون حرصوا على تطوير البنية المائية فيها وهذا ما تجلّى في العدد الكبير من شبكات القنوات والقناطر المائية التي كانت تزود العديد من المواقع الحضرية مثل مدينة الزهراء التي كان في جوفها كتلة متشابكة من الأنابيب، الكثير منها من الرصاص حسب ما اكتشف من خلال الحفريات الأثرية².

من خلال ما أورده المكناسي نلاحظ أن مراحل صناعة الورق في إسبانيا المسيحية في العصر الحديث تشبه إلى حد كبير ما كان عليه المسلمون سابقا، فقد بقي هؤلاء محافظين على المادة الأولية وهي الكتان الذي سبق وأن جعلناه من الخرق التي كان يُبحث عنها عن طريق

1- المكناسي: المصدر السابق، ص 132

2- شريف عبد الرحمن جاه: لغز الماء في الأندلس، ترجمة: زينب بن ياية، هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة، ط1،

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الجمع من المنازل أو الشراء من أماكن معينة، ثم الخطوات المتتالية الأخرى والمتمثلة في عملية الغسل والعرك والنشر في الشمس، كما لم تتغير فكرة سقاية الورق بمختلف المواد المتوفرة سواء كان ذلك ماء النشا أو مكون آخر.

إن أسلوب الوصف الدقيق الذي قدمه لنا المكناسي من خلال الرحلة الدبلوماسية التي قادته إلى إسبانيا في إطار استرجاع الأسرى وتوقيع معاهدة صلح تدل بشكل ملفت للإنتباه أن الرحالة كانوا يُختارون بعناية قصد جلب أهم المعطيات التي تساعد دولهم في تطوير تقنية معينة وهو ما حصل مع المكناسي الذي زار مصنعا من مصانع الورق في إسبانيا وأمدنا بمعلومات عن حالة هذه الصناعة بعد نهاية العهد الإسلامي فيها، ولولاه لما أمكننا وضع مقارنة مع ما كان سابقا وما هو موجود في عصره رغم أن فترته بعيدة عن دراستنا إلا أنها بدون شك كشفت لنا وضعية هذه الصناعة بعد الأندلس الإسلامية.

إن الملاحظات والمشاهدات التي قدمها السفير والوزير والمؤرخ محمد بن عثمان المكناسي¹ تبرز مدى عراقية الصناعة الورقية المتجذرة والمنقلة عبر خبرات بشرية متعددة، وأهمية التواصل في الكشف عن أسرار الحضارات التي كتمتها بعض أقلام الحاقدين بسبب خدمة أطراف معينة، لكن التاريخ دائما ما يفضح هؤلاء من خلال شواهد تكون عفوية في بعض الرحلات أو متعمدة ومقصودة بتوجيه من سلطة معينة.

بالرغم من مرور سنوات على الغزو الصليبي في الأندلس الإسلامية لم يستطع هؤلاء الإستغناء عن التراث التقني لصناعة الورق، فقد بقيت جميع المدن الإسلامية القديمة كشاطبة و بلنسية مصدرا لإنتاج الورق فيها، وكيف للإسبانيين ترك المعامل القديمة التي اشتغل فيها المسلمون لقرون عديدة والذهاب إلى أماكن أخرى خاصة في سنواتهم الأولى للغزو، ولولا تلك الآثار الباقية لما استطاعت إسبانيا الدخول في منافسة مع المصانع الأوروبية الأخرى خاصة

1- المكناسي: رحلة المكناسي إحرار المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر

الحبيب 1785م، تحقيق: محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003، ص14

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإيطالية والفرنسية.

مثلت رحلة المكناسي إلى إسبانيا في إطار عمل دبلوماسي إسقاطا تاريخيا عن رؤية زمنية للماضي الجميل لهذه الصناعة في الغرب الإسلامي بصفة عامة في إطار التلاحق الحرفي الذي انطلقت نواته من الصين ثم إلى المشرق وصولا إلى المغرب الإسلامي، وإن سقطت الأندلس الإسلامية فإن حضارتها لا تزال شاهدة على مرور أحسن الفترات عليها في مختلف الجوانب العمرانية والصناعية والثقافية والعلمية، ولا تزال تقنيات صناعة الورق نفسها خاصة المواد الأولية رغم التقدم التكنولوجي الأوروبي مع اكتشاف الطباعة سنة 1454م من طرف يوهان جوتنبرج (Johanne Gutenberg) التي اعتبرت فنا ألمانيا عظيما أدى إلى تطوير الحياة البشرية في أوروبا¹.

3/ مآثر الورق الإسلامي على أوروبا بين الإنصاف والإقصاء

مثلت الإنجازات الإسلامية المختلفة شوكة حضارية في وجه الكثير من المستشرقين الذين لم يستطيعوا التخلي عن تعصبهم الموروث من أجدادهم الصليبيين، بالرغم من وجود البعض منهم ممن التزم بشيء من الموضوعية في الطرح مع ضرورة أخذ المعلومة بكل تحفظ في إطار النقد التاريخي لأن الإنصاف قد يحمل في طياته أهدافا أخرى إما حينية أو مستقبلية ولم تسلم الصناعة الورقية الإسلامية التي انتشرت في المشرق والغرب الإسلامي من الإقصاء الكلي في بعض المراجع الأجنبية واعتبرتها مجرد لا حدث في إطار انتقالها المباشر من الصين إلى أوروبا عبر اليونان وإيطاليا، وطرف آخر اعتبرها مجرد انتقال طبيعي في الحواضر الإسلامية لم تكن له أي إضافات سوى ما كان متعارفا عليه سابقا عند الصينيين واليابانيين، أما الإنجاز الكبير فهو أوروبي ألماني خالص بعد اكتشاف الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ولكن تبقى الشواهد التاريخية أحسن مقياس للرد على مثل هؤلاء لدحض آرائهم بكل موضوعية بدون

1- عبد الفتاح أبو علي، اسماعيل أحمد ياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ، السعودية، ط3، 1993،

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

تعصب ولا تكلف يسيء للمجهودات الإنسانية الأخرى.

إن الحضارة الإسلامية بعلومها وآدابها ومصنوعاتها ومحاصيلها الزراعية وبعض تقاليدها ومظاهرها انتقلت إلى أوروبا، ومنها صناعة الورق الذي اعتبر فتحا جديدا في عصر الثقافة والعلوم، وكان هو الأساس في ظهور الكتب وبالتالي الطباعة، ولولاه لما اطلع علماء جيل على ما أبدعه علماء الأجيال السابقة¹، مثلما انتقلت أيضا علوم أخرى خاصة بعدما أصبحت الأندلس مقصدا للكثير من أعلام النهضة الأوروبية يطلبون الإرتواء من فيضها².

من أشهر الباحثين الأجانب الذين كتبوا عن صناعة الورق في العالم مؤرخ الفن والعمارة الإسلامية والآسيوية³ جوناثان بلوم الذي تأثر بالحضارة الإسلامية فكتب عنها مؤلفات مشهورة منها: Architecture of the islamic west 700/1800 حول الفن والعمارة الإسلامية

وكتاب الفن والعمارة الإسلامية 1250/1800 The art and Architecture islam

وكتاب: Minaraet symbol of islam حول المآذن الإسلامية، بحيث أصبحت هذه المراجع من الدراسات القيمة جدا لما تحتويه على معلومات متنوعة وجديدة في الطرح.

إن المرجع الذي عبّر فيه جوناثان بلوم عن أهمية الورق الإسلامي من المشرق إلى الغرب الإسلامي يدل على تأثر هذا المؤرخ واعترافه بدور المسلمين الكبير في تطوير هذه الصناعة التي جاءت فصولها في كتاب: paper before print ,the history and impact of paper in the Islamic world. وقد ترجمه الدكتور أحمد العدوي تحت عنوان : قصة

الورق، تاريخ الورق في العالم الإسلامي قبل ظهور الطباعة، وقام بتصدير الترجمة الباحث جوناثان بلوم مثنيا على عمل الباحث العدوي سنة 1443 هـ / 2021م، وبحكم قيمة هذا

1- هاني المبارك، شوقي أبو خليل: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996/1417، ص58

2- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، 2009، ج2، ص 391

3- عبد الله البريدي : قصة الورق وتاريخه في العالم الإسلامي ، مجلة حكمة من أجل اجتهد ثقافي وفلسفي ، مؤسسة حكمة ، الرياض ، 23 / 06 / 2021 ، ص1

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

العمل العلمية تحصل على عدة جوائز منها : جائزة تشارلز روفرز موري لأفضل كتاب في تاريخ الفن عام 2003 The Charles rufus Morey ، وتقدير الجهد المشرف لصاحبه في جائزة ألبرت حوراني لأفضل كتاب Aalbert Hourani book Award of the Middle studies Association of North America والمركز الثاني في جائزة المركز البريطاني الكويتي عام 2002، ويتألف مؤلفه الأصلي من 270 صفحة درس فيه تاريخ الورق منذ اكتشافه في الصين وصولاً إلى أوروبا.

ناقش بلوم كيفية انتقال الورق الإسلامي نحو أوروبا في الفصل السادس وبالتحديد في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ودوره في وصول أوروبا إلى الطباعة على الورق، وقد أوضح موقفه بكل موضوعية بأن جوتنبرج الألماني لم يكن باستطاعته النجاح في العملية على الرق أو الجلود المستعملة منذ زمن الرومان، كما صرح في موقف مباشر أن أوروبا عرفت الورق من خلال مسلمي الأندلس وصقلية في اعتراف بفضل المسلمين في هذا المجال الذي سوف تدخل أوروبا به مرحلة ازدهارها ابتداءً من إيطاليا وألمانيا بعدما كانت تعيش الويلات من الكنيسة، كما أعطى بلوم في الفصل السابع بعض الأسباب التي جعلت المسلمين يتخلفون عن أوروبا في ميدان الطباعة حيث رأى بأن إخفاق العالم الإسلامي في قبول الطباعة يعد اللحظة الأساسية التي بدأ فيها التكافؤ التقريبي الذي كان قائماً بين جميع هذه الثقافات في الإختلال وبدأت الحضارة الإسلامية التي كانت ذات يوم أعظم من مثيلتها الأوربية في التراجع¹.

من الدراسات الفرنسية التي تناولت تاريخ الورق ما كتبه الباحث الفرنسي أوغستين بلانشيت (Augustin Blanchet) في مؤلفه: Essai Sur L'histoire De papier Et De Sa Fabrication حيث خصص فصلاً كاملاً حول صناعة الورق في المشرق الإسلامي

1- جوناثان بلوم: المصدر السابق ، ص 385

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

منذ دخوله عبر الصين وجاء هذا الفصل تحت عنوان: le papier chez les arabes d'orient أما في الغرب الإسلامي فقد نالت الصناعة رصيда لا بأس به في عنوان مبحثه الموسوم بـ: le papier a fez et en espagne أي الورق في فاس وإسبانيا¹، حيث أنه نقل عن المصادر الإسلامية احتواء فاس على حوالي أربعمئة مصنع للورق، كما أشار إلى عصر المرابطين والموحدين واستفادتهما من إنجازات الحكام السابقين في قرطبة، كما حاول المؤلف أن يجمع ما بين صناعة الورق في شاطبة الإسلامية والمسيحية بالرغم من تحفظه على ذكر دور المسلمين الكبير في تطوير هذه الصناعة سوى استعانتهم بالوصف الذي ذكره الإدريسي عن جمال الورق الشاطبي².

مع العلم أنه حاول إعطاء بعض الحجج عن دور اليهود في الصناعة الورقية بالأندلس. أما في مبحثه الخاص بصناعة الورق بإيطاليا le papier en italie فقد أشار في مقدمته عن تزويد صقلية والمدن البحرية بالورق القيرواني، إلى غاية انتشاره في زمن النورمانديين³. وفي كتاب White Magic the age of paper تحدث الكاتب لوثر مولر (Lothar Müller) عن حواضر صناعة الورق في المشرق الإسلامي في بغداد والشام ومصر، كما استعان بدراسة الباحث والمستشرق ومدير المكتبة الإمبراطورية في فيينا جوزيف فون كارباتشيك الذي حاول أن يثبت أن الحضارة العربية كانت بمثابة النموذج لصناعة الورق الأوروبي⁴.

ذكر لوثر مولر في مقدمة فصله حول الورق الأوروبي مايلي: سافر فن صناعة الورق عبر شمال إفريقيا إلى إسبانيا، حيث تم إنشاء مواقع الإنتاج في أهم مركز ثقافي إسلامي في قرطبة وإشبيلية وطليطلة وشاطبة بالقرب من بلنسية، وخلال توسع الخلافة قام العرب بتعديل

1- Augustin Blanchet : **Essai Sur L'histoire De papier**, paris, 1900, p 45

2- Ibid : p 47

3- Ibid : p59

4- Lothar Muller : **White Magic the age of paper**, translat,by Jessica Spengler,polity press , 2014 ,p7

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

وتطوير التكنولوجيا التي اعتمدها من الصينيين¹.

من الدراسات الأجنبية المنصفة والشاملة التي تناولت الحديث عن الورق الإسلامي الباحثة زيغريد هونكة (M/ Sigrid hunke: 1999) في كتابها *Le Soleil d'allah brille sur l'occident* بدور العرب على انتقال هذه الصناعة نحو أوروبا التي لم تكن تعرف هذه الصناعة والتي تقدمت في العالم الإسلامي بعد اكتسابها من الصين ومن ثم اقتبست أوروبا هذه الصناعة كما اقتبس غيرها من العرب².

تعبّر هذه الباحثة عن أسباب تأليفها للكتاب من زاوية نادرة جدا من طرف الأوروبيين بقولها أردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطني فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرّمهم من سماعه طويلا تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق³، كما تعترف الباحثة بطمس علماء أوروبة أو معظمهم على الأقل، ما للعرب من فضل وجهد حضاري، وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مائة كتاب تاريخي لا يجد اسما لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها⁴.

وفي حديثها عن الورق الأندلسي قالت: وأصبح مواطنو نورنبرغ ورافنسبورغ وبازل وكونستانز يسافرون جماعات وفرادى إلى برشلونة وبلنسية حيث كان يصنع بالقرب منها الورق الفاخر الناعم وذلك بشهادة الجغرافي العربي والرحالة الكبير الإدريسي الذي قال إنه لا يوجد مثله في العالم إطلاقا⁵، وذكرت في سياق آخر: إن بناء المطاحن كان اختصاصا عربيا حققه العرب أنفسهم ومنحوا أوروبا كل أنواع المطاحن ومنها المطاحن المائية و الهوائية⁶.

1- Lothar Mull : op. cit , p88

2- Sigrid hunke : **Le Soleil le soleil d'allah brille sur l'occident** , Edision Allbin Michel 1963, p 32

3 - سيغريد هونكة: المرجع السابق، ص9

4- نفسه: ص11

5- نفسه: ص 44

6- نفسه: ص45

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

من المؤرخين المشهورين التي أنصفوا الحضارة الإسلامية بخصوص مادة الورق الباحث الفرنسي غوستاف لوبون (M/ Gustave Le Bon: 1931) في كتابه حول حضارة العرب، *la Civilisation Des Arabes* بحيث أشار إلى أن المواد التي كان يكتب عليها الأوروبيون هي الرقوق وجلود الحيوانات، وكانت تباع بأسعار مرتفعة تقف عائقا أمام المؤلفات المكتوبة حتى أصبحت نادرة، فلولا العرب لضاع أكثر هذه الكتب الرائعة¹ أي اليونانية والرومانية.

من خلال كتاب غوستاف لوبون نجده يثني على مختلف الإبداعات الإسلامية، ففي الصناعة مثلا تجلت مهارتهم في صناعة النسيج والجلود والورق والخزف والزجاج فضلا عن المصنوعات المعدنية مثل الحلّي الذهبية والسيوف والمفاتيح والذهب والفضة التي استقى منها الأوروبيون طرق هذه الصناعات الفاخرة².

من المستشرقين الذين لم يهملوا دور المسلمين في انتقال الورق إلى أوروبا سفند دال Svend Dahl أمين جامعة كوبنهاغن في كتابه *Histoire de Livre*، ورغم تركيزه على الجانب الأوروبي إلا أن مقدمته حول تاريخ الورق قد كانت موضوعية لحد كبير حيث وضع عنوانا في كتابه أسماه: العرب يدخلون الورق إلى الغرب، حيث ورد فيه قوله: وفي القرن الثاني عشر وصلت صناعة الورق إلى أوروبا عندما أدخلها العرب أنفسهم في بلاد إسبانيا، حيث كانت طليطية بوصفها من أكبر المراكز الأدبية الأوروبية من أوائل مدنها التي صنعت الورق³.

في كتابه *paper making , the history and technique of an ancient craft* دافيد هانتير Dard Hunter منصفا إطلاقا في حق الإنجاز

1- Gustave Le Bon : *la Civilisation Des Arabes* , Librairie De Firmin Didot, Paris, 1884

,p518

2- عبد العزيز عبد المطلب السيد: أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب جوستاف لوبون نموذجا، دار العلم والإيمان للنشر، 2014، ص137

3- سفند دال: المرجع السابق، ص 41

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

الإسلامي الكبير في مجال صناعة الورق¹، فبالرغم من أهميته كمرجع مهم للتأريخ لعالمية هذه الصناعة منذ الفترات القديمة إلا أنه سقط في فخ الذاتية ولم يستفد من تجارب الباحثين المنصفين في الطرح، فقد ذكر في كتابه العديد من النماذج المساهمة في تطور الصناعة وكان حديثه عن الصناعة الورقية الإسلامية قليلة جدا.

من المقالات الغربية حول الورق نذكر دراسة الباحثة الأمريكية ثيا بورنس (Thea Burns) الموسومة بـ: paper before print والتي اتبعت فيها منهجا معاديا للإنجاز الإسلامي عن طريق نقد لاذع لدراسة بلوم حيث قالت إنه مجرد تخمينات ولم تكن بمستوى عنوانها المثير، كما رأت بأن الأوروبيين كانوا قادرين على التوجه نحو الصين ومعرفة طرق صناعته بدون وساطة العالم الإسلامي² كما ادعت أن بلوم لم يعتمد سوى على المصادر الأدبية رغم أنه عالم خبير معترف به، و رأت بأنه استعمل كلمات غير علمية وعامية لتكون في متناول الجمهور العريض. إن الزاوية التي لا يزال ينظر من خلالها الغرب إلى المنجزات الإسلامية تمثل عقدة صليبية قديمة رغم أن الحضارة الإسلامية قد حفظت لحضارات العالم الحديث ما وصلت إليه حضارة الأقدمين، كما أضافت إليها ما ابتكرته وتوصلت إليه في مختلف العلوم والفنون، ولولا هذه الفترة الزاهرة في تاريخ الحضارة والفكر الإنساني وعناية العرب بالحضارات القديمة السابقة لضاعت معالم تلك الحضارات، ولما وصلت حضارات العالم الحديث إلى ما وصلت إليه³

لم يستطع الغرب أن يتخلص من عقدة الحروب الصليبية وعدائه للإسلام والمسلمين فراح ينكر على علماء المسلمين ابتكاراتهم واختراعاتهم ويسلبهم إياها، ينسبها تارة لنفسه، وأخرى لغيرهم قصدا منه في أن يركز لدى الأجيال الأوروبية وأجيال المسلمين أن المسلمين لم يقدموا

1- أنظر في فهرس كتابه: paper making , the history and technique of an ancient craft dover

2-Thea Burn :**paper befor print** ,journal of the American institute for conservation ,architecture issue , vol 42, 2003, p,p 125,126

3- أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1433 / 2012، ص331

الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة

شيئا يذكر¹.

إن الكنوز الأدبية العظيمة التي أوجدها العرب في ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمي واختراعاتهم الثمينة تدل على نشاطهم الفكري وتؤيد الرأي القائل بأن العرب هم أساتذتنا في كل شيء، إذ أنهم زودونا بمواد جليلة القيمة في تاريخ العصور الوسطى، وبأسفار مجيدة في التراجم، وتركوا لنا صناعة لا مثيل لها، وفنا معماريا آية في الروعة والجمال، واكتشافات هامة في الفنون والصناعات²، وإن وعاء الورق الذي صنع في المشرق والغرب الإسلامي سوف يبقى من شواهد العصر على براعة اليد الإسلامية الأصيلة، وسيظل أبناء الأمة بمختلف أجناسهم من مطالعين و باحثين في مختلف التخصصات من أوائل المدافعين عنه في وجه الغزو الفكري الإستشراقي.

1 - عبد القادر سيد عبد الرؤوف: اثر الحضارة الإسلامية في المجتمعات الإنسانية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1994، ص 36

2- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1938، ص495

خَاتِمَةُ الْفَصْلِ الثَّالِثِ:

اسْتَطَاعَ مَجَالُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ إِنتَاجَ الْوَرَقِ وَالتَّحَكُّمِ فِي صِنَاعَتِهِ وَهُوَ مَا اسْتَنْتَجَاهُ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الْخَادِي عَشَرَ لِمَخْطُوطِ عُمْدَةِ الْكِتَابِ وَعَدَّةِ ذَوِي الْأَلْبَابِ، بِتَقْنِيَّاتِهِ الَّتِي كَانَتْ مُتَدَاوِلَةً فِي جَمِيعِ الْحَوَاضِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْإِنْتِاجَ عَرَفَ تَرَاجُعًا بِسَبَبِ عِدَّةِ عَوَامِلٍ سِيَاسِيَّةٍ وَطَبِيعِيَّةٍ وَخَارِجِيَّةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إِلَى لُجُوءِ الْمَنْطَقَةِ إِلَى الْإِسْتِيرَادِ مِنْ أُوْرُوبَا وَهُوَ مَا كَانَتْ لَدَيْهِ إِنْعِكَاسَاتٌ دِينِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ أَضْطُرُّ مِنْ خِلَالِهَا مُفْتِي الدِّيَارِ ابْنُ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ إِلَى إِصْدَارِ فَتَوَى مُطَوَّلَةٍ أَجَازَ فِيهَا اسْتِعْمَالَ الْوَرَقِ الْأُوْرُوبِيِّ، لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يَنْتَبِهَ الْخَطَّاطُونَ وَالنَّاسِخُونَ إِلَى الْعَلَامَاتِ الْمَائِيَّةِ الَّتِي تُوجَدُ عَلَيْهَا رُُمُوزُ الصُّلْبَانِ وَالْأَشْكَالِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَفِي خِصْمِ الْحَدِيثِ عَنِ تَارِيخِ الْوَرَقِ اخْتَرْنَا نَمَازِجَ مِنَ الْكُتُبِ الْأُوْرُوبِيَّةِ الَّتِي أَنْصَفَتِ الْحَضَارَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ فِي مَجَالِ تَطْوِيرِ الصِّنَاعَةِ وَإِسْهَامِهَا فِي النَّهْضَةِ الْأُوْرُوبِيَّةِ لِلإِنْتِاجِ الْوَرَقِيِّ.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراسة موضوع حواضر إنتاج الورق بالغرب الإسلامي (ق2_9هـ/8_15م) دراسة تاريخية حضارية، نخلص إلى النتائج التالية:

_ مثلت أوعية الكتابة التقليدية التي عرفت الحضارات السابقة بما فيها منطقة الغرب الإسلامي من ورق بردي ورق وجلود مختلفة مصدراً مهماً لتدوين مختلف المؤلفات والأفكار الإنسانية، والشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية، وساهمت في حفظ المعرفة لقرون عديدة وبالتالي فإنها تحتوي على معطيات تاريخية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها كونها تُعبر عن تراث حقيقي يستخدمه الباحثون المختصون كأداة مصدرة في عملية التأريخ، بحيث حفظ وعاء الرق مثلاً المئات من نسخ المصاحف التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا في المتاحف ومراكز المخطوطات والخزائن.

_ إن تاريخ اكتشاف الورق يعود إلى الحضارة الصينية وبالتحديد في عهد أسرة هان الغربية وهذا بعد دراسات علماء الآثار التي أجريت في القرن العشرين رغم أن الكثير من الباحثين قد ربطوا اكتشافه بشخصية تساي لون سنة 105م في فترة أسرة هان الشرقية، وبالرغم من هذا الاختلاف تبقى للصين براءة الاكتشاف الذي انتشر فيما بعد إلى الشرق الآسيوي بفعل العامل الديني في كوريا واليابان عن طريق الطلاب الذين كانوا يدرسون تعاليم البوذية وغيرها، ثم العامل التجاري بحكم القرب الجغرافي بين هذه الدول.

_ انتشر الورق في الحواضر الإسلامية ابتداءً من مدينة سمرقند في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، رغم تضارب الروايات في كيفية انتقاله، حيث اتفق إسماعيل الثعالبي في لطائف المعارف والقزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد على أن الإتيان كان عسكرياً بعد معركة طلاس بين الجيش الإسلامي والصيني سنة (133هـ/751م)، بينما تؤكد الشواهد التاريخية على وجود علاقات مبكرة بين المسلمين والصينيين قبل الموقعة منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله

خاتمة

عنه، إضافةً إلى عاملٍ مهمٍّ وهو الطريق التجاري الطويل الذي كان يجمع مختلف التجار بين العديد من المدن وهو طريق الحرير، فلا يمكن إذن التسليم برواية واحدة من الناحية المنطقية.

— بفضل إتقان المسلمين لصناعة الورق وتنافس الحواضر في هذا المجال ظهرت عدة أنواع للورق الإسلامي، حيث صنّفها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى حسب الجودة والقيمة، منها الورق البغدادي الكامل ثم الورق الشامي الكامل، ثم الورق المصري، إضافةً إلى أنواع أخرى ذكرها ابن النديم في الفهرست وهي مخصصة للورق الفارسي، وقد أدّى هذا الإثثار إلى إحداث تغيير على مستوى الكتابة في الدواوين وعند الورّاقين.

— يتداخل الورق مع عدة صناعات وحرف أخرى أهمها مهنة الوراقة التي شهدت نهضة كبيرة بعد رواج الورق وتداوله بحيث أصبح الورّاقون من بائعي الورق كونه المكان الممتاز لتجارته كما ساهم في تسهيل حركة التدوين مما أدّى إلى ارتفاع عدد المؤلفات التي تكونت على إثرها العديد من المكتبات العامة والخاصة، وشكل الورق من ناحية أخرى نهضة جديدة في صناعة الأقلام التي كانت تقليدية خاصة فقط للجلود وورق البردي ومعها ارتفع التنافس في مجال كيمياء الأحبار والمِداد الأسود والملون.

— ازدهرت صناعة الورق بالغرب الإسلامي في حواضر متعددة ابتداءً بالمغرب الأدنى في القيروان منذ القرن الثالث الهجري وفي فاس بالمغرب الأقصى في عهد المرابطين والموحّدين وكذلك شاطبة وبلنسية الأندلسية، ومعها تأكدنا من قيام هذه الصناعة التي كانت مهمشة في الدراسات التاريخية، أمّا في تلمسان فقد كانت توجد بها صناعة إلا أنها تعرضت للعديد من الأزمات التي حالت دون وصول معلومات حولها، وقد استشهدنا بذلك من خلال ما جاء به ابن مرزوق الحفيد في قوله: وقد كان يستعمل قبل هذا الزمان بتلمسان أمّا الآن فلا.

— إن التاريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي ينطلق أساساً من التتقيب عن شذرات متقطعة المعالم في الكتب والمخطوطات التي يمكن أن نستوحي منها بعض المعلومات التي تؤدّنا إلى تكوين صورة تاريخية عن واقع إنتاج الورق في المنطقة، مثل مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي

خاتمة

الألباب المنسوب للمعز ابن باديس الصنهاجي، وكُتِبَ الحِسْبَة لابن عبدون والجرسيفي إضافةً إلى كُتُب النوازل الفقهية التي دَوَّنت لأشهر فتوى حول جواز استعمال الكاغد الرومي لِقِيهِ المغرب الأوسط ابن مرزوق الحفيد، وبعض الكُتُب التاريخية العامة مثل مُقدِّمة ابن خلدون حول الصنائع وكذلك الجغرافية التي تَتَمَيَّز بالوصف المباشِر مثل كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي.

_ أدت صناعة الورق في الغرب الإسلامي إلى تطوُّر الخطِّ وفنون الزخرفة والتلوين مثل الخطِّ القيرواني والأندلسي والفاسي وغيرها، وعلى العموم فإنَّ الخطَّ والورق قد شكَّلا ثنائيةً مُميَّزة ارتبطت بمجالات الثقافة والفنون والتعليم والصنائع والدولة، خاصة بعدما أبدع الخطاطون في رسم الكتابة عليه بكلِّ لُيُونَة وانسيابية وتحكُّم كبير بعدما ظهرت شخصيات بارزة كانت بمثابة المدارس التي أرسَتْ معالم تكوين الشخصية المغربية والأندلسية وهو ما ساهم في خلق جو حضاري في مجال الفنون الكتابية وهي من الإيجابيات التي لا تزال ماثرةً إلى يومنا هذا.

_ ساهم مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب المنسوب جغرافيًا للمغرب الأوسط في فترة حكم المعز ابن باديس الصنهاجي في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي في تكوين صورة حَقِيقَة عن مراحل صناعة الورق في بابِه الحادي عشر بِمراحِلِه الأربعَة من تحضير المادَّة النباتية ثُمَّ الغسل والعرك والتقطيع وَ تحضير القالب وانتهاءً بِسَقَايَة الورق إلى وُصول الصنّاعة الورقية إلى أبهى صورها في الغرب الإسلامي، وهي مُتشابهة في جميع أقاليم العالم في الفترة الوسيطة، والتي يلزمها بطبيعة الحال المواد الأولية من القطن و الكتان والقنب وكذلك لحاء الأشجار والخرق القماشية وغيرها.

_ إنَّ تفسيرات تراجع إنتاج الورق في الغرب الإسلامي عديدة ومُختلفة الأزمنة منها العامِلُ السِّياسي المُتمثِّل في عَدَمِ استقرار المنطقة سواءً في القرون الهجرية الأولى أو المُتأخِّرة مثل الوجود العبيدي الذي أسقط الصنّاعة في المغرب الأدنى وبالتحديد في القيروان وكذلك الصراع الذي كان بين الدويلات الثلاث في القرن الثامن الهجري أي الزيانيين والمرينيين والحفصيين

خاتمة

وسُقُوط الأندلس نهائياً في القرن التاسع الهجري، إضافةً إلى العامل الخارجي في القرن الخامس الهجري والمُتمثِّل في الهجرات الهلالية من صعيد مصر التي عرقلت إلى حدٍ مُعيَّن إعادة بعث النشاط الصناعي في القيروان أو انتشاره في المغرب الأوسط في بجاية الحمادية مثلاً، إضافةً إلى العامل الطبيعي وما له من دور خطير في القضاء على المادة الأولية النباتية خاصةً مواسم القحط والجفاف إضافةً إلى الجراد.

_ أدت الحاجةُ بسكان الغرب الإسلامي إلى الإستيراد من الدول الأوروبية في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وهو ما خلق جواً من التوتر خاصةً لدى المؤلفين والخطاطين والنسّاحين، فصلَ فيه مُفتي الديار ابن مرزوق الحفيد بجواز استعماله بعد فتوى مطوّلة جاء فيها بمُختلف الحُجج والبراهين، كما قامَ الناسُ بإزالة العلامات المائية المسيئة للدين الإسلامي من الصلبان وما شابهها من رموز النصارى وهذا كُلُّهُ من باب حفظ الدين واستمرار نسخ العلوم المختلفة لكي لا تضيع المؤلفات الدينية المهمة.

_ اختلفت وجهات نظر المستشرقين الأوروبيين حول دور المسلمين في تطوُّر صناعة الورق بين مُنصفٍ مُعتدلٍ من أمثال جوناثان بلوم، سغريد هونكة، جوستاف لوبون، سفن دال، لوثر مولر وغيرهم، وإقصائي مُهمّشٍ لهذا الدور من أمثال: دارد هانتر، ثيا بورنس، بحيث يتمثّل الهدف من وراء ذكر هؤلاء الباحثين هو معرفة الأسباب الكامنة وراء دراستهم للحضارة الإسلامية بصفة عامة التي جذبت الأنظار، وما الورق إلا مثال حيّ نال قسطاً واسعاً من الدراسة، وقد استطاع المُعتدلون منهم أن يُقدِّموا لنا خدماتٍ جليّةً ويعترفوا بفضل المسلمين في تطوُّر الورق الأوروبي.

_ من النتائج المهمة هي اكتمالُ الخارطة الجغرافية لانتشار الورق الإسلامي في عصر الأنوار ابتداءً من سمرقند وصولاً إلى مدينة شاطبة وبلنسية الأندلسية في صورة حضارية راقية جمعت بين العمل اليدوي والذكاء الفكري والدعم السياسي والطلب العلمي والإزدهار الثقافي.

خاتمة

توصيات:

إنَّ البَحْثَ فِي تَارِيخِ إِنتَاجِ الْوَرَقِ الْإِسْلَامِيِّ لَا يَخْتَصُّ فَقْطَ بِالْفَتْرةِ الْوَسِيطَةِ بَلْ سَيَدْخُلُ مَرَحَلَةً جَدِيدَةً فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَفَقَ مُتَغَيِّرَاتٍ أُخْرَى سِوَاءَ كَانَتْ سِيَاسِيَّةً أَوْ دِينِيَّةً أَوْ اقْتِصَادِيَّةً وَبِنَاءً عَلَى مُوَاصَلَةِ التَّارِيخِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَا تَزَالُ تُوجَدُ إِشْكَالِيَّاتٌ أُخْرَى سَوْفَ يَعْرِفُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْفَتْرةِ الْحَدِيثَةِ نُوجِزُهَا فِي مَا يَلِي:

_ تمهيد:

بَيْنَمَا تَقَدَّمَتْ أُرُوبًا فِي تَدْوِينِ عُلُومِهَا بَعْدَ الْإِكْتِشَافِ الْأَلْمَانِيِّ لْجُوتنبرغ الذي اسْتَحْدَمَ الْحُرُوفَ الْمَعْدِنِيَّةَ الْمُتَحَرِّكَةَ فِي عَمَلِيَّةِ تَدْوِينِ الْكُتُبِ تَخَلَّفَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ مُوََاكَبَةِ التَّقْدَمِ، وَالْعَكْسُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفَتْرةِ الْوَسِيطَةِ فَقَدْ أَخَذُوا تَقْنِيَّاتِ الْمَطَاخِنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَحْدَمُوهَا فِي عَمَلِيَّةِ صِنَاعَةِ الْوَرَقِ.

_ الأسئلة:

- _ مَا هِيَ الْبِدَايَاتُ الْأُولَى لظُهُورِ الْمَطْبَعَةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ.
- _ مَا هُوَ دَوْرُ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي عِرْقَلَةِ بَعَثِ الْمَطْبَعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَاصَّةً بَعْدَ قَرَارِ بَا يَزِيدَ الثَّانِي سَنَةَ 1485مَ الَّذِي يَمْنَعُ الطَّبَاعَةَ وَأَسْبَابَ صُدُورِ هَذَا الْمَرْسُومِ.
- _ هَلْ تَخَوَّفَ الْعُثْمَانِيُّونَ مِنْ نَشْأَةِ الْمَطْبَعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَعودُ إِلَى عَامِلِ الْبَطَالَةِ الَّذِي سَوْفَ يَدْخُلُ فِيهِ الْمِنَاتُ مِنَ النَّسَاخِينَ وَالْحَطَّاطِينَ، أَوْ تَخَوَّفَ مِنْ تَحْرِيفِ الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ انْطِلَاقًا مِنَ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ.
- _ لِمَاذَا اسْتَطَاعَ الْيَهُودُ إِنْشَاءَ مَطَابِعَ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مُنْذُ بَدَايَةِ 1494مَ.
- _ مَا هِيَ انْعِكَاسَاتُ تَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ فِي صِنَاعَةِ الْوَرَقِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعِلْمِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ.

المحكمة

الملاحق



الملحق: 01، بردية أحمس مكتوبة بالخط الهيراطيقي باللون الأسود وبعض النصوص باللون الأحمر، تمّ العثور عليها في ماي سنة 2022، من طرف خبراء الآثار بمصر، وهي عبارة عن نصوص جنائزية كانت تستخدم في مصر القديمة لتكون دليلا للميت للعالم الآخر.

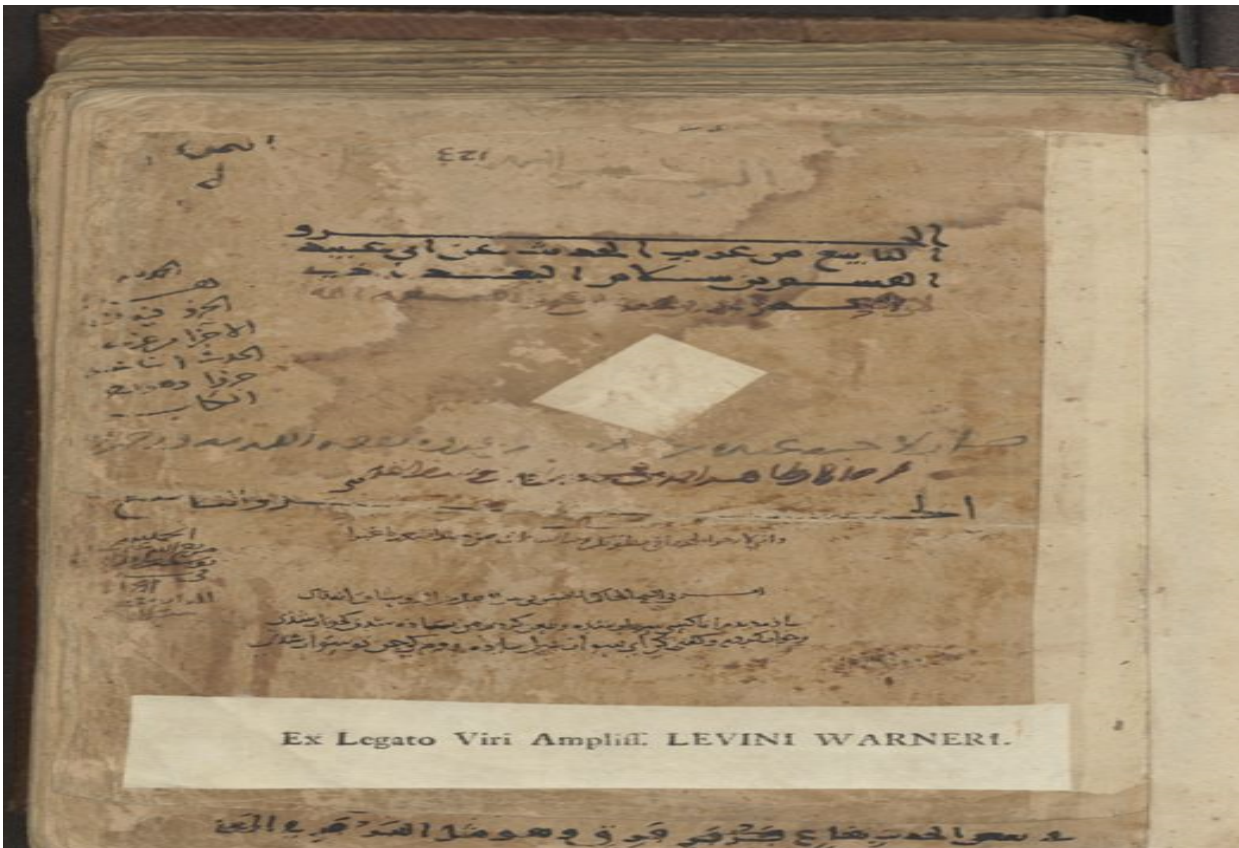


الملحق: 02، قطعة من كتف الجمل مكتوب عليها أسماء مجموعة من الأشخاص، دار الكتب المصرية رقم (1887. تاريخ) نقلًا عن أدولف جروهمان، محاضرات في أوراق البردي العربية، ترجمة: توفيق اسكاروس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010/1431 ص 99

الملاحق

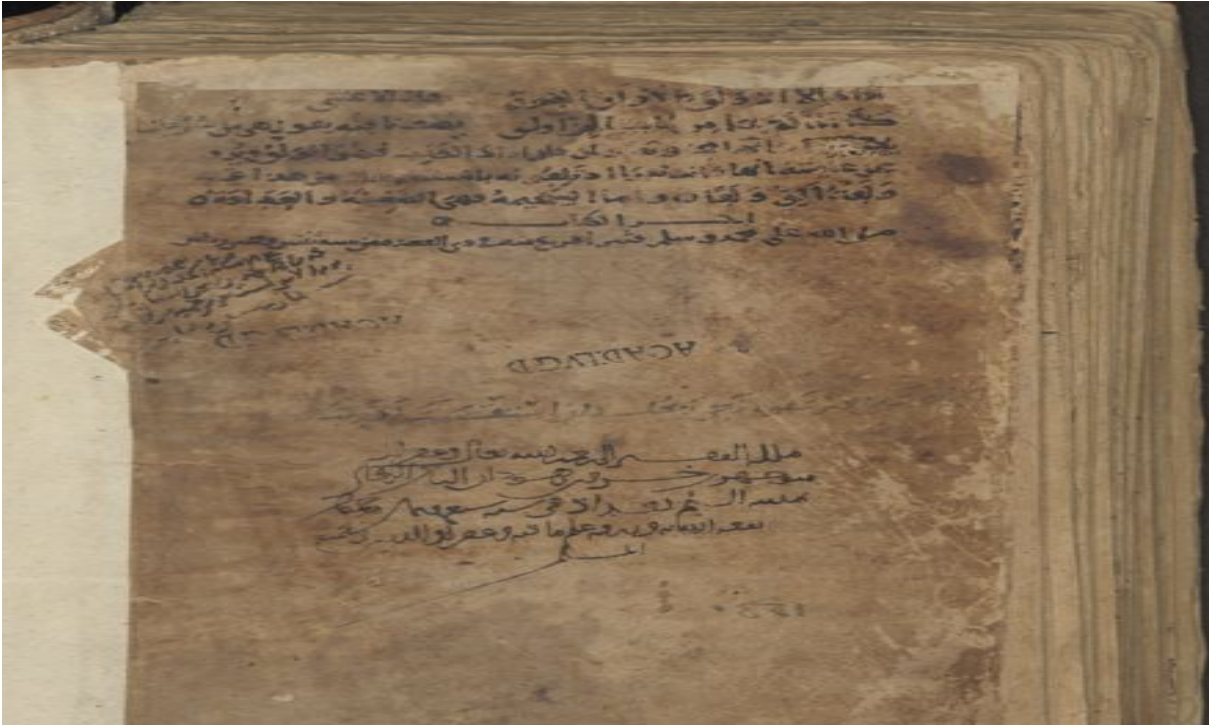


الملحق: 03، قطعة خشبية كتب عليها أوائل سورة النجم ، رقم (338 وثائق) ، دار الكتب المصرية، نقلا عن أدولف جروهمان، المرجع السابق، ص 100



الملحق: 04، الصفحة الأولى من الجزء التاسع من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم الهروي (ت224هـ/838م) مكتوبة على الورق، (رقم298 Or) مكتبة جامعة ليدين، هولندا .

الملاحق



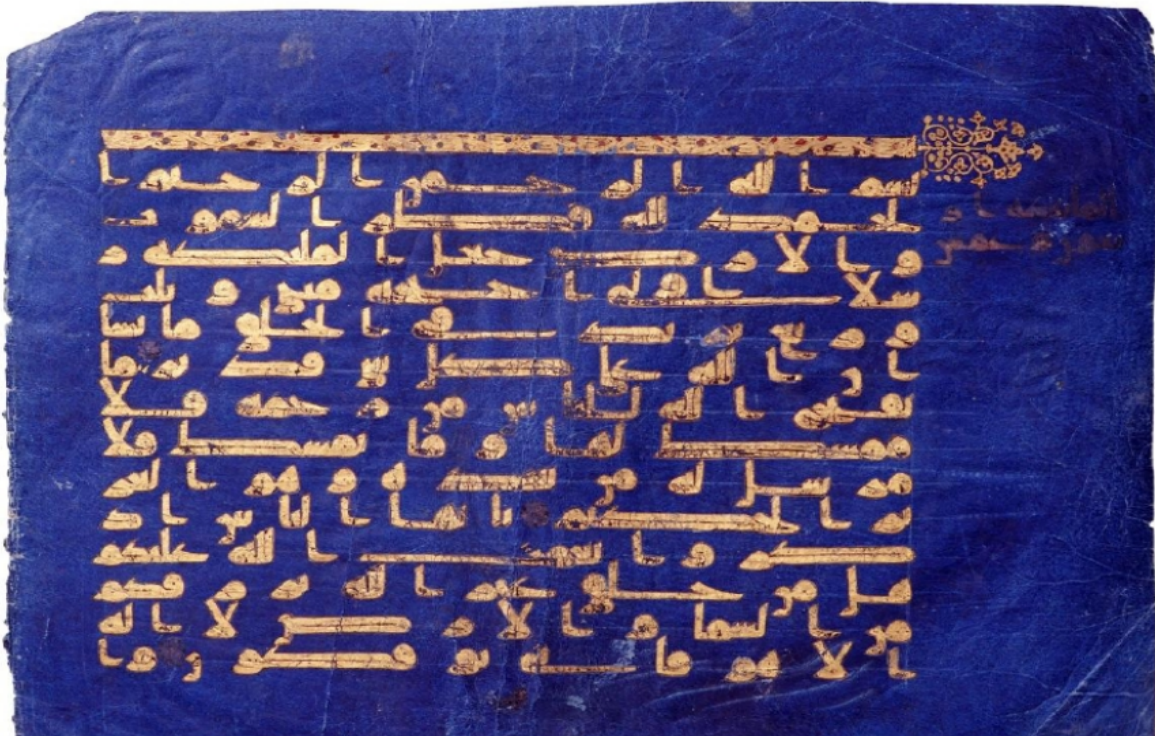
الملحق التابع: 04، الصفحة الأخيرة من الجزء التاسع من كتاب غريب الحديث (رقم Or298) مكتبة جامعة ليدين، هولندا. فرغ منها صاحبها سنة 252هـ



الملحق رقم: 05، هذا المخطوط نسخة من كتاب في علم الطب والجراحة بعنوان "التصريف لمن عجز عن التأليف" للجراح الأندلسي أبي القاسم خلف بن العباس الزهراوي يعود إلى القرن التاسع هجري.

المتحف الوطني دمشق، (رقم ع/ 39)

الملاحق



الملحق: 06، ورقة من مصحف نسخت على رَق أزرق تعود للقرن الرابع هجري، مكتوبة بالخط الكوفي موجودة
 بمتحف الفنون الإسلامية برقادة تحت رقم : RUTBI 196



الملحق : 06 تابع ، ورقة أخرى من المصحف بمتحف الفنون الإسلامية برقادة

الملاحق



الملحق: 7 ، صفحتان من مخطوط محاذاي الموطأ لمحمد بن تومرت الموحي
الموجودة بخرانة القرويين بفاس رقم : 181، نقلا عن: محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني ، الخط المغربي
بين التجريد والتجسيد ،دراسة تاريخية فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، مطبوعات أمينة الأنصاري،
فاس، ط1، 2013، ص 116

الملاحق



الملحق: 8 ، صفحتان من ربعة المرتضى الموحدي موجودة بـ: خزانة ابن يوسف- مراكش- رقم 1/ 432

نقلا عن: محمد عبد الحفيظ خطبة الحسني، المرجع السابق، ص106

الملاحق



الملحق: 9 ، ورقة من مصحف الأمير الزيري المعز ابن باديس

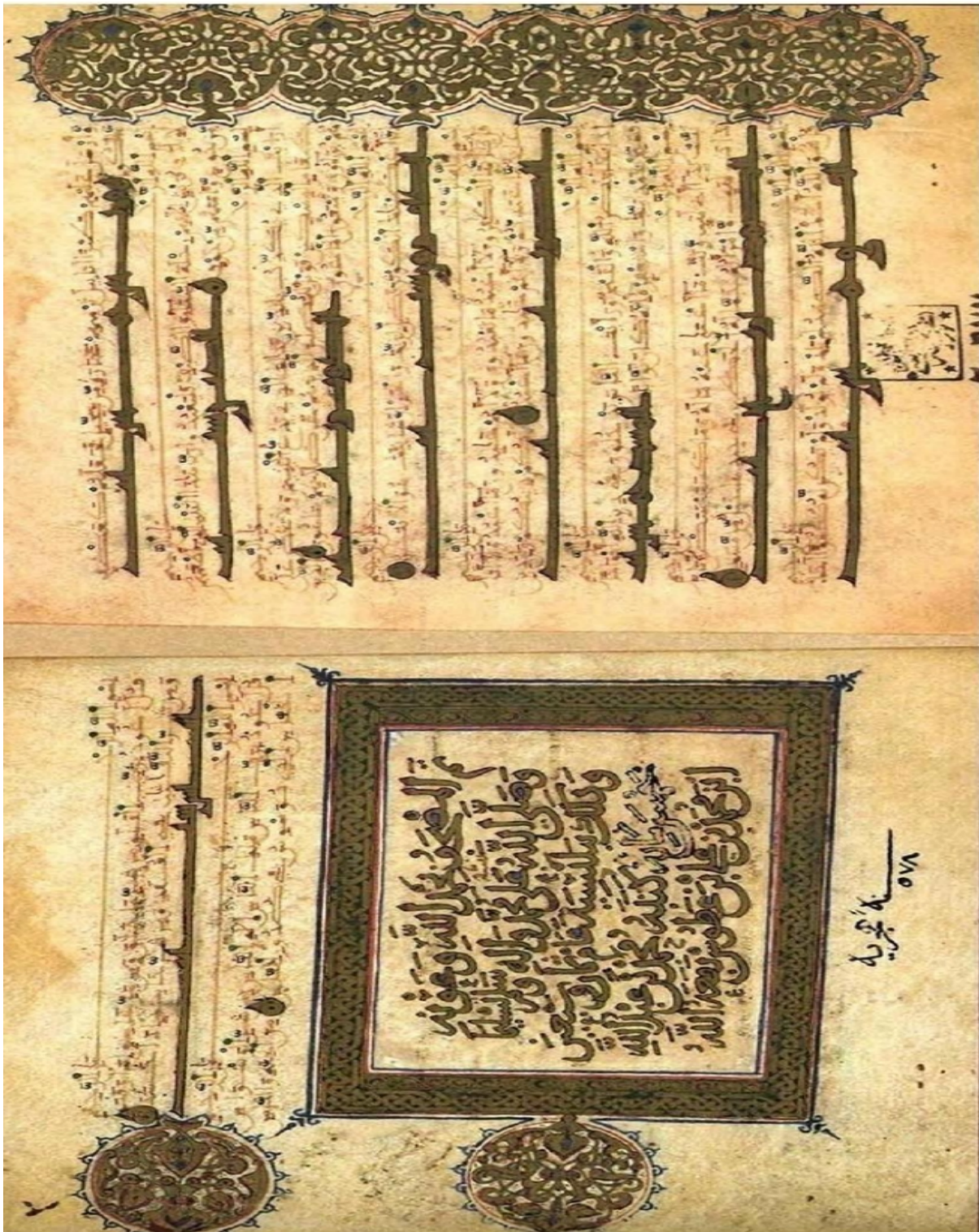
متحف الفنون الإسلامية رقادة، رقم : RUTBI 58

الملاحق



الملحق: 10 ، ورقتان من ربعة أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني
المكتبة الوطنية الرباط رقم ك: 2849 نقلا عن :محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، المرجع
السابق، ص 110

الملاحق



الملحق: 11 ، صفحتان أخيرتان من مصحف كتبت بخط ابن غوطس سنة 578هـ/1182م،
موجودة بمكتبة استنبول رقم : A6754

الملاحق



الملحق: 12 ، الصندوق الخشبي الذي وضعت فيه ربة أبي الحسن المريني الموجود بالقدس



تابع للملحق: 12 ، خاتمة من ربة أبي الحسن المريني التي كتبها بخط يده سنة 745هـ/1345م، الموجود بالمتحف المقدسي بالمسجد الأقصى رقم: م/ش/30

الملاحق



الملحق: 13 ، صفحتين من مصحف نسخ سنة 648 هـ / 1250 م بعد تولي أبي يعقوب بن عبد
الحق المريني السلطة سنة (647 هـ / 1249 م)
المكتبة الوطنية – باريس- رقم : 217

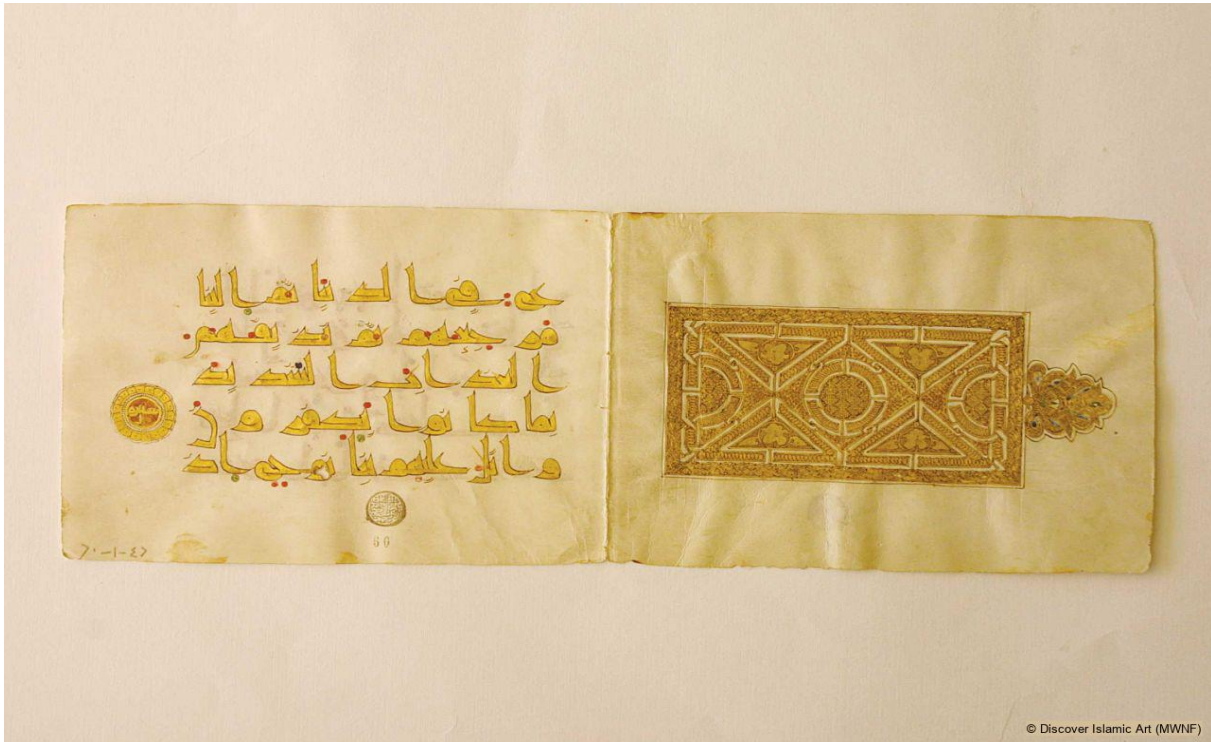
الملاحق



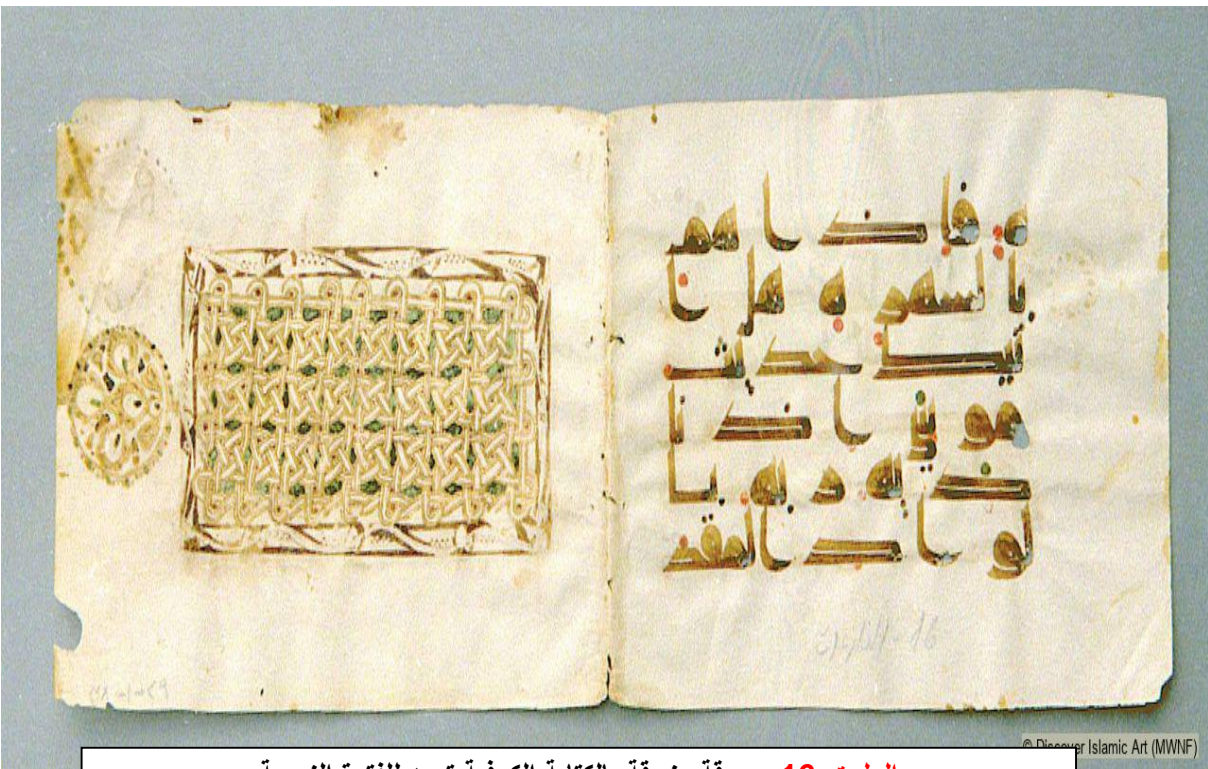
الملحق: 14 ، صفحة من مصحف كتبت بماء الذهب سنة 1300/700 م ، في عهد أبي يعقوب يوسف المريني .

متحف المتروبوليتان للفنون، نيويورك، رقم: (21. 37) Rogers fund 1937

الملاحق



الملحق: 15 ، ورقة مزوقة بالكتابة الكوفية تعود للفترة الزيرية
 متحف الفنون الإسلامية رقادة، رقم : RUTBI 158

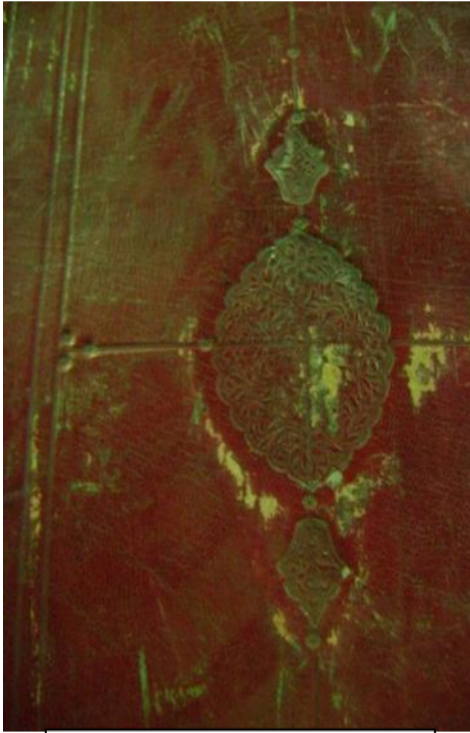


الملحق: 16 ، ورقة مزوقة بالكتابة الكوفية تعود للفترة الزيرية
 متحف الفنون الإسلامية رقادة، رقم : RUTBI 14

الملاحق



الملحق: 17 ، صورة لمصحف في جامع أبي محمد المرجاني بتونس في حالته الأصلية
نقلا عن عامر عجلان، مصحف مغربي بجامع أبي محمد المرجاني بتونس ينشر لأول مرة
،مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، مجلد6، العدد 30 ، نوفمبر 2021 ، ص 732



الملحق: 18 ، دفتين من المصحف الموجود في جامع أبي محمد المرجاني بتونس
المرجع السابق، ص 732

الملاحق

ثم صرنا كتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد.
وتروني أوكاد، بلا زمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد.
رحمة الله. وكان ذا أخض حسن، مروني مستحسن، فكان
يعلمني انتظام الحروف وإتقانها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعرفها

الخط الكوفي المغربي

ثم صرنا كتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد.
وتروني أوكاد، بلا زمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد.
رحمة الله. وكان ذا أخض حسن، مروني مستحسن، فكان
يعلمني انتظام الحروف وإتقانها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعرفها.

الخط المبسوط

ثم صرنا كتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد.
وتروني أوكاد، بلا زمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد.
رحمة الله. وكان ذا أخض حسن، مروني مستحسن، فكان
يعلمني انتظام الحروف وإتقانها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعرفها ..

الخط المجوهر

ثم صرنا كتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد.
وتروني أوكاد، بلا زمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد.
رحمة الله. وكان ذا أخض حسن، مروني مستحسن، فكان
يعلمني انتظام الحروف وإتقانها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعرفها ...

خط الثلث

ثم صرنا كتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد.
وتروني أوكاد، بلا زمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد.
رحمة الله. وكان ذا أخض حسن، مروني مستحسن، فكان
يعلمني انتظام الحروف وإتقانها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعرفها

خط المسند الزمامي

الملحق: 19 ، أنواع الخطوط المنتشرة في المغرب الإسلامي في حدود القرن الثامن هجري
الرابع عشر ميلادي.

الملاحق

قلم مشرقى



قلم مغاربي



قلم محرف



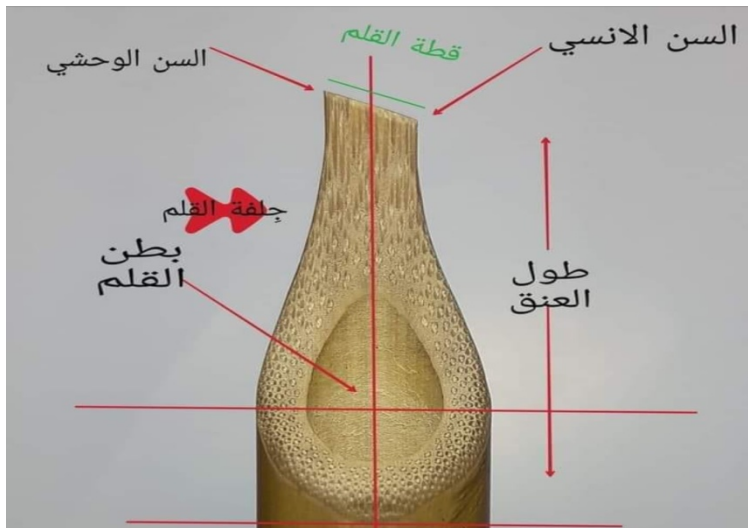
قلم مبسوط



قلم مجوهر

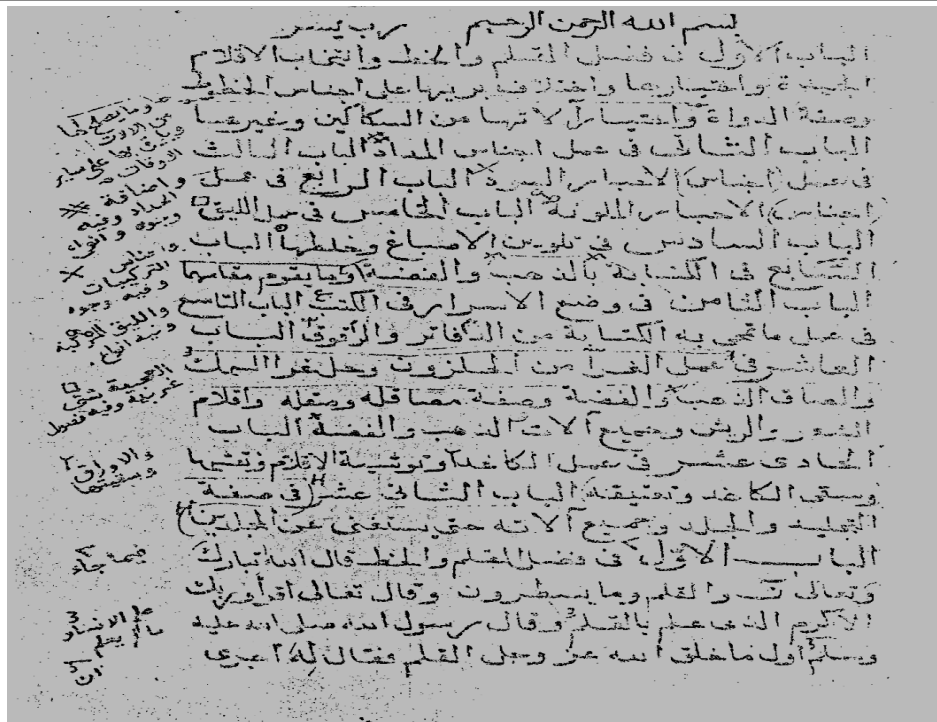


صورة تبين مقاطع القلم وتسمياتها



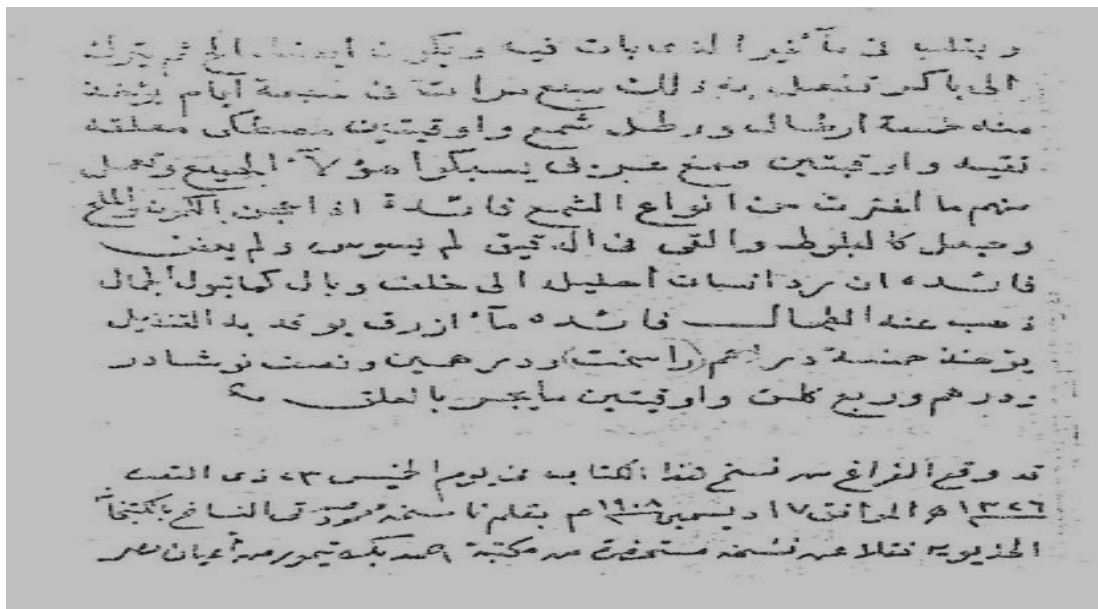
الملحق: 20 ، مجموعة من الصور تبين الاختلاف الموجود بين الأقلام في طريقة البري والتي تحدد نوع الخط والكتابة

الملاحق



الملحق: 21، أبواب مخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب
عن نسخة مكتبة شيكاغو المسجلة تحت رقم: (A12066)

نقلا عن : عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، تحقيق : نجيب مايل الهروي ، عصام مكية ، مجمع البحوث الإسلامية ، إيران
ط1، 1409، ص 19

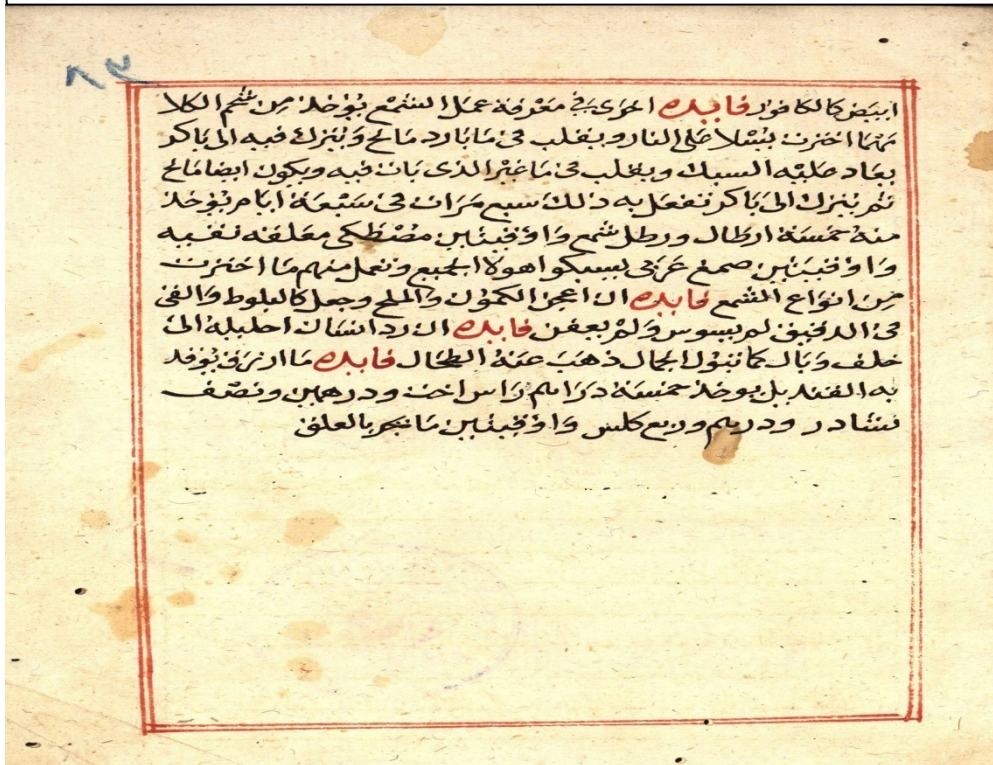


تابع للملحق: 21، خاتمة نسخة مخطوط عمدة الكتاب سنة 1908 كما هو مكتوب فيها بخط الناسخ محمود صدقي
الذي نقلها عن النسخة التيمورية .
أنظر تحقيق : نجيب مايل الهروي ، عصام مكية ، المرجع السابق، ص 20

الملاحق

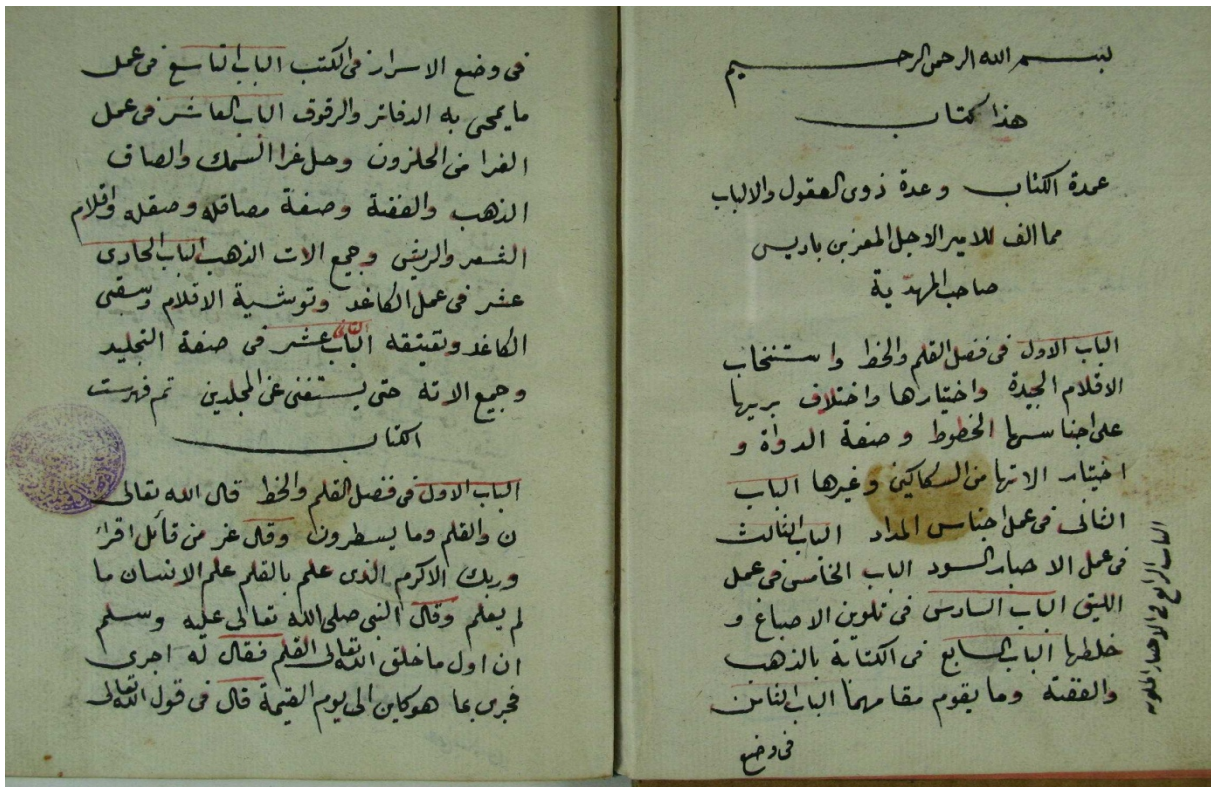


الملحق: 22 نسخة من كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب
دار الكتب المصرية، رقم 345 الزكية

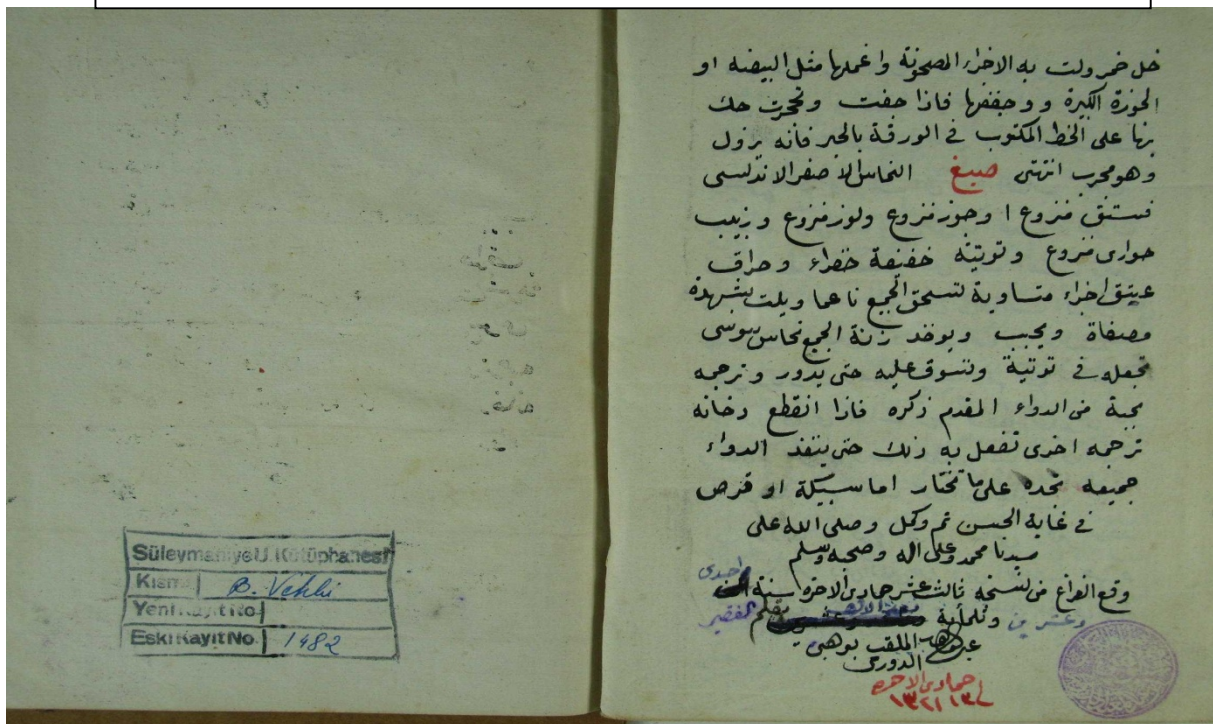


تابع للملحق: 22 الوجه الأخير من مخطوط عمدة الكتاب ، دار الكتب المصرية
رقم 345 الزكية

الملاحق



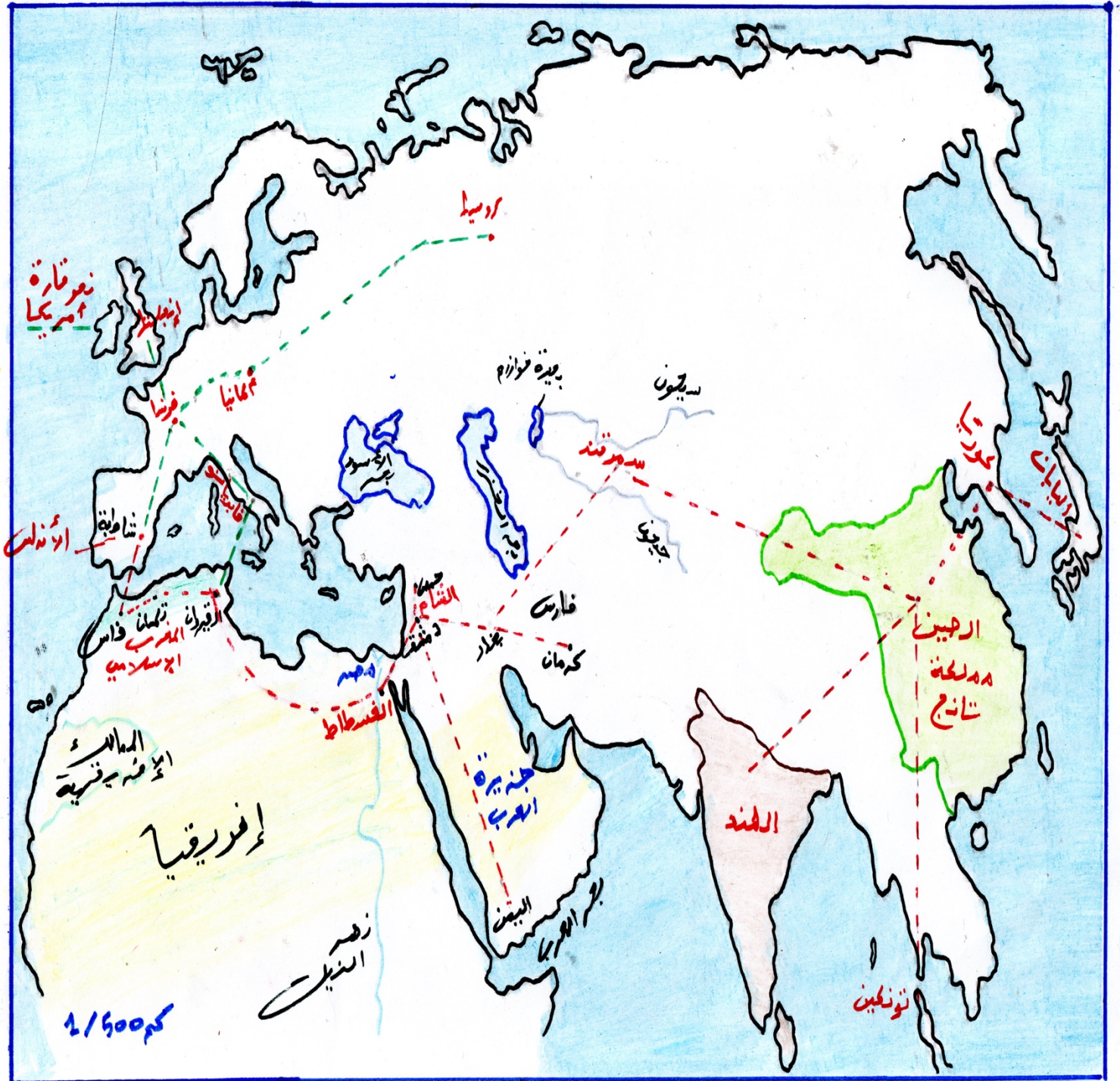
الملحق: 23 نسخة من كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب
المكتبة السليمانية ، اسطنبول رقم 1482



تابع للملحق: 23 الوجه الأخير نسخة من كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب
المكتبة السليمانية ، اسطنبول رقم 1482

الملاحق

خريطة انتشار صناعة الورق من الصين إلى الحرف الإسلامية ثم أوروبا بين (١٥٠٠-١٨٠٠ م)



المفتاح: الرصيد حوالي ٨٥م. -- كروتيا ٦٥م. -- البيان ١٥م. -- الهدى ٤٥م. -- ادفيتام ٢٥م. -- سم قنطرة ٢٥م. -- بخردق ٢٥م. -- الشمام ٢٥م. -- فارس ٢٥م. -- ايضا ٢٥م. --
ادفطاط ٢٥م. -- ادفير ٢٥م. -- تسكان ٢٥م. -- فاسق ٢٥م. -- الانه ٢٥م. -- ايليا ٢٥م. -- فرسنا ٢٥م. -- ايلي ٢٥م. -- ارجل ٢٥م. -- روسا ٢٥م.

الملحق 24: خريطة من إنجاز الطالب مرسومة يدويا، حاولت أن أتتبع فيها المدن التي عرفت بصناعة الورق ابتداء من الصين مروراً بالعالم الإسلامي ثم قارة أوروبا

الملاحق



الملحق: 25 رموز العلامات المانية على الورق الأوربي ما بين القرن الخامس عشر و الثامن عشر ميلادي .

Philippe Gaskell, A new Introduction to Bibliography, Winchester, UK : St.

Paul's Bibliographies , New Castle, 1995,p,p 68, 69

الملاحق



الملحق: 26 رموز العلامات المائية على الورق الأوربي ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي .

Bernard Gineste, **Histoire de papier a Etampes des origines au milieu du 16 Siecle**; Etude des fligranes conserves, premier edision, 2013, p,p, 8-26

قائمة

المفردات

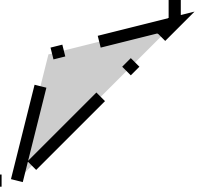
1 / الآيات القرآنية

2 / الأعلام

3 / الدول والممالك

4 / الأماكن

5 / المصطلحات



قائمة الفهارس

1/ فهرس الآيات القرآنية

السورة	ترتيبها	الآية	رقمها	الصفحة من البحث
الأنعام	6	مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ.	91	6
الأنعام	6	لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ	7	6
الطور	52	وَالطُّورِ 1 وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ 2 فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ 3	1، 3	13
فاطر	35	إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا	41	17
الأعراف	07	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۖ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ	145	17
القلم	68	ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ.	1	69
غافر	40	وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	41	125
الحج	22	إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ.	23	174

قائمة الفهارس

2/ فهرس الأعلام:

أ

- أبا هذيل العلاف المتكل: 16
أبو جعفر المنصور: 6، 34، 81، 133 .
أبو حمو موسى الثاني: 103، 153، 157.
أبو مسحل عبد الوهاب: 39
أبو منصور الماثريدي: 33
أبي العتاهية: 7
أبي الفضل ابن حنابة: 46
أبي جعفر الضبي الثمار: 38
إبراهيم بن الأغلب: 128
إبراهيم بن سعيد الحبال الوراق: 46
إسماعيل بن رباح: 94
ابن البيطار: 2، 3، 302
ابن الحاج: 49، 50، 51، 191، 52، 193، 194، 195، 196، 299
ابن شهاب العكبري: 65
ابن غطوس: 104، 163
ابن مرزوق الجد: 104، 132، 201
ابن مقلة: 73، 77، 158، 164، 320
الأثرم الوراق: 68
الإمبراطو هيدي: 23
الإمبراطور جينغ: 25
الخليل بن أبي نافع المزني الموصلي: 19

قائمة الفهارس

الصولي: 36 ، 73 ، 74 ، 75 ، 157 ، 303

الفضل بن يحيى البرمكي: 35

القلقشندي: ف، 35 ، 37 ، 40 ، 42 ، 47 ، 53 ، 54 ، 55 ، 59 ، 60 ، 69 ، 70 ، 74 ،

77 ، 79 ، 101 ، 109 ، 110 ، 112 ، 158 ، 181 ، 179 ، 202 ، 237 ، 238 ، 240 ،

273 ، 300

المأمون: 64 ، 72 ، 81 ، 126 ، 136 ،

المبرد النحوي: 7

المستنصر بالله: 82

المعتصم بالله: 6

المعز بن باديس: ، 103 ، 109 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185 ، 187 ، 227 ، 243 ، 244 ،

المكناسي: 260 ، 261 ، 262 ، 263

الملك الكامل بن العادل: 136 ، 199

ب

بشر بن الحارث الزاهد: 7

بلينيوس: 1 ، 2 ، 17

ت

تساي لون: 21 ، 23 ، 272

ج

جعفر بن يحيى البرمكي: 8

جوتبرج: 267

جوزيف نيدهام: ، 22 ، 310

قائمة الفهارس

جوناثان بلوم: 21، 22، 26، 27، 29، 36، 38، 45، 124، 125، 207، 208،
254، 265، 266، 275، 310،

ز

زياد بن صالح: 28

س

سترابو: 1

سلطان علي مشهدي: 44

ع

عائشة بنت حيان: 147، 203،

عبد الرحمن بن حبيب: 93، 324،

عبيد الله المهدي: 125،

علاء الشعوبي: 67

عماد الدين الشيرازي: 73

م

محمد الأمين: 14

محمد بن الليث: 7

محمد بن تومرت: 103

معاوية بن أبي سفيان: 83

ميمونة بنت شاقولة: 16

ن

نصر الدين خسرو: 41

قائمة الفهارس

نظام الملك: 83

هـ

هارون الرشيد : 7، 15، 35، 36، 37، 39، 72، 81، 201

هيرودوت: 1

ي

يوسف ابن تاشفين: 137

3/ فهرس الدول والممالك

أ

أسرة تانج: 30

أسرة هان الشرقية: 21، 24، 272

أسرة هان الغربية: 23، 24، 25، 272

إمارة بني مدرار: 97

الدولة الأموية: 14، 37، 43

الدولة الحفصية: 242، 244

الدولة الرستمية: 98

الدولة الزيانية: 103، 129، 130، 247

الدولة المرينية : 136، 147، 175، 242، 305،

الدولة الأغلبية : 96، 100، 109، 108، 124، 125، 126، 153، 140، 238،

239، 317،

قائمة الفهارس

م

مملكة غوغوريو: 26

4/ فهرس الأماكن

أ

أصفهان: 46

أشبيلية: 120

الأندلس: 83، 89، 91، 93، 97، 100، 101، 104، 114، 115، 116، 117،

118، 119، 120، 127، 131، 133، 135، 136، 137، 138، 139، 140،

141، 142، 143، 145، 146، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 156،

159، 162، 163، 165، 168، 170، 171، 172، 176، 190، 197، 198،

202، 199، 206، 207، 216، 222، 245، 238، 249، 253، 259، 255، 262،

263، 265، 275، 305، 306، 307، 319، 320، 322،

الشَّام: 40، 42،

الشَّهباء: 42

الصَّين: 21، 25،

الفسطاط: 15، 46، 47، 309،

القيروان: 93، 95، 96، 98، 99، 108، 122، 124، 125، 126، 133، 142،

158، 165، 179، 239، 240، 241، 244، 253، 254، 273، 274، ، 275،

304، 316، 321، 317،

الهند ، 13، 17، 27، 29، 31، 114، 180، 222،

اليابان: 27

قائمة الفهارس

اليَمَن: 45

[ب]

بجاية 105 , 115 , 117 , 275

بخارى: 31 , 32 , 33 , 34 , 113 , 311

بغداد: , 34 36 , 38 , 67

بلرم: 253

بولونيا: 254

[ت]

تلمسان: 129 , 273

تونس: 18 , 93 , 94 , 97 , 105 , 98 , 113 , 124 , 125 , 199 , 303 , 304 ,

305, 316, 317

تونكين: 27

تيانشوي: 24

[ج]

جنغسيان: 23

[د]

دمشق 5: , 40 , 41 , 42 , 45 , 49 , 58 , 83 , 84 , 96 , 147 , 168 , 169 ,

189 265 , 231 , 302 , 304 , 310 , 312 , 313 , 314 , 316 , 318 , 320

[س]

سمرقند: 32 , 272 , 275

قائمة الفهارس

[ش]

شَاطِبَة: 137 , 273 , 275

شينجيانغ: 23

[ص]

صقلية: 96 , 107 , 116 , 118 , 119 , 126 , 128 , 167 , 198 , 197 , 253 , 254 , 267 ,

[ط]

طبنة: 115 , 117 ,

[غ]

غانسو: 24

غاوزونغ: 30

[ف]

فأس: ل , ص 133 , 273

فالنسيا: 122 , 257

[ق]

قرطاجنة: 115 , 118 , 119 , 120 , 126

قرطاجنة: 117 , 120 , 128 , 121

قفصة: 115 , 121 , 126

قائمة الفهارس

ك

كاشغر: 32

م

متيجة: 118

مصر: 1, 4, 5, 6, 7, 8, 18, 20, 26, 32, 45, 46, 47, 48, 54, 55, 59, 60, 82, 93, 96, 105, 118, 124, 133, 134, 135, 136, 140, 151, 155, 158, 159, 173, 195, 196, 200, 241, 243, 244, 275, 300, 301, 307, 309, 311,

ن

نهر اليانغستي: 25

5/ فهرس المصطلحات

أ

البامبو: 217, 218,

التين: 224, 226

الجيلاتين 25,

الحسب, 52, 102, 113, 135, 144, 189, 190, 191, 274, 307, 310

الحلفاء: 119, 203, 204, 261, 322

الحواضر الإسلامي, 14, 28, 30, 31, 32, 43, 45, 48, 57, 58, 82, 113, 33,

124, 133, 147, 148, 149, 168, 161, 159, 169, 181, 210, 216

218, 221, 223, 238, 264, 272

الخيزران: 24, 25, 27, 214, 215, 216, 220

قائمة الفهارس

الرق: 13, 14, 62, 63, 68, 80, 86, 93, 98, 99, 100, 101, 102, , ,
103, 106, 107, 108, 109, 112, 127, 128, 129, 134, 140, 147, 272

الرقاع: 16

السليوز: 118, 121, 126, 206, 210, 214

الصمغ: 24, 65, 79

الطومار: 6, 52, 54, 55, 59, 60, 71, 72

العلامات المائتة 56 ,

القالب: 219, 274 ,

القلم الرياش: 72

القنب: 23, 25, 119, 205, 212 ,

المرخ: 210

النشاء: 225

النهر الأصفر: 25

التيلج: 79

[ح]

حبر الغبار: 77

[س]

سجل داشي: 30

[ك]

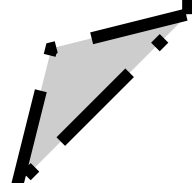
كاغد: 17, 46, 71, 114, 234

قائمة

المصادر

و

المراجع



قائمة المصادر والمراجع

1/ القرآن الكريم

آيات من سورة: الأنعام، الطور، فاطر، الأعراف، غافر

2/ المصايد المطبوعة

أ/ المصايد التاريخية

(1) ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،

دارالمنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

(2) ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، اعتنى به: محمد بن أبي شنب، مطبعة

جول كرنوبل، الجزائر، 1920.

(3) ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة، ج2

تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1410هـ/1995م .

(4) ابن الأثير أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ

ج5، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997

(5) ابن البيطار ضياء الدين (ت 646هـ) : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، دار الكتب العلمية،

بيروت.

(6) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج10، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط1، 1412/ 1996 .

(7) ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي (ت 737): المدخل، ج4، مكتبة

دار التراث القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

- (8) ابن السماك العاملي (ت535هـ) : رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.
- (9) ابن السيد البطلاني أبو محمد عبد الله بن محمد (ت 521 هـ): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ج1، تحقيق: مصطفى السقي، حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1996.
- (10) ابن الفرضي (ت 403هـ) : تاريخ علماء الأندلس، ج1، صححه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988/1408.
- (11) ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت: 438هـ): الفهرست، تحقيق : إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1417 / 1997.
- (12) ابن الوردي سراج الدين (ت 691 هـ) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور الزناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط1، 1428.
- (13) ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 567هـ) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، تصحيح :السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1955.
- (14) ابن جماعة الكفائي بدر الدين ابن أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي الفضل سعد الله (ت 733): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة الكتب العلمية، بيروت ، 1354هـ.
- (15) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق سهيل زكار.
- (16) ابن دستروييه (ت347هـ): كتاب الكتّاب، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2، 1967 .

قائمة المصادر والمراجع

- 17) ابن سحنون محمد (ت256هـ) : آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة المنار، تونس، 1972.
- 18) ابن سعيد المغربي الأندلسي أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ): النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق: حسين نصار ، وزارة الثقافة ، مطبعة دار الكتب ، 1970.
- 19) ابن سعيد المغربي الأندلسي، المرقصات والمطربات.
- 20) ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت703هـ). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج4 تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي ، ط 1، 2012.
- 21) ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج5، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط1، 2012.
- 22) ابن عبد الواحد الشماخي أحمد بن سعيد (ت928هـ): كتاب السير، ج1، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي ، وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان، ط2، 1996/1412.
- 23) ابن عبد ربه الأندلسي أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 328هـ): العقد الفريد، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404 .
- 24) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب ،تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت.
- 25) ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2 .
- 26) ابن كثير أبو الفداء اسماعيل(ت774هـ): البداية والنهاية، ج10، مطبعة السعادة، القاهرة.
- 27) ابن لب الغرناطي(ت 786هـ) : تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، ج2، تحقيق حسين مختاري، هشام الرامي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط1، 2004.

قائمة المصادر والمراجع

(28) ابن ناجي التتوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى (ت 839هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، تحقيق: محمد ماضود، المكتبة العتيقة ، تونس.

(29) ابن نباتة المصري جمال الدين (ت 767هـ): سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1964.

(30) ابن نجاح أبو داود سليمان ، (ت496هـ) : أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، تحقيق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2007/1428.

(31) أبو الحسن علي الماوردي (ت450هـ): أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1967.

(32) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت 333هـ): طبقات علماء إفريقية وطبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني ، بيروت . لبنان.

(33) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار المعارف ، مصر، ط3 ، 1391هـ.

(34) الأتليدي محمد دياب: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1990/1410.

(35) الأزدي أبو المطهر محمد بن أحمد: حكاية أبي القاسم البغدادي، عناية: آدم ميتز، طبعة هايدلبرج، 1902.

(36) الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت 360هـ) : التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق : محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط2، 1996/1412.

قائمة المصادر والمراجع

- (37) الأنباري كمال الدين (ت 577هـ) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ط3 ، 1405 هـ / 1985م
- (38) البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد (ت: 440هـ): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1403/1983.
- (39) التتبعي أحمد بابا أبو العباس (ت1046هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس ،ليبيا، ط2 ، 2000.
- (40) التتسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله : الطراز في شرح ضبط الخراز، تحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1420هـ.
- (41) الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، 2009 .
- (42) الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ) : لطائف المعارف ، تحقيق: هورث داني ، رقم 8542.
- (43) الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت255 هـ): الحيوان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424.
- (44) الجاحظ : رسائل الجاحظ، ج1، تصحيح: عبد السلام هارون، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 / 1965.
- (45) الجرسيفي عمر بن عثمان بن العباس (ت1212هـ): رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955.

قائمة المصادر والمراجع

- (46) الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، 1358/1938.
- (47) الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ): كتاب أحكام النساء، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1417/1997.
- (48) الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 405هـ): المستدرک علی الصحيحین، ج2، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411/1990.
- (49) الخطيب البغدادي أبو بكر : تاريخ بغداد، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1422/2002.
- (50) الخطيب البغدادي أبو بكر (ت463هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج1، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض .
- (51) الداني عثمان بن عمر أبو عمرو (ت 444هـ) : المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن دار الفكر، دمشق.
- (52) الذهبي شمس الدين : سير أعلام النبلاء، ج20، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.
- (53) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله : (ت 748هـ) ، تذكرة الحفاظ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1419/1998.
- (54) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله : سير أعلام النبلاء، ج11، دار الحديث ،القاهرة 1427/ 2006 .
- (55) الرازي فخر الدين (ت 311هـ) : رسالة زينة الكتبة، تحقيق: لطف الله قاري، مجلة عالم المخطوطات والنوادر، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، مج 16 ، عدد 2، 1432، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

- 56) الزبيدي محمد مرتضى (ت1205هـ): **حكمة الأشراف إلى كتاب الآفاق**، إخراج: محمد طلحة بلال، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة.
- 57) الزركلي الدمشقي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت1396هـ): **ج 5 ، الأعلام**، دار العلم للملايين ، ط15، 2002.
- 58) الزفتاوي محمد بن أحمد (ت 806 هـ) : **منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة**، مجلد15، تحقيق :هلال ناجي ، بروين، وزارة الثقافة والإعلام ،دار الشؤون الثقافية العامة ، الجمهورية العراقية ، 1986/1407 هـ .
- 59) السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771 هـ): **معيد النعم ومبيد النقم**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط 1، 1986 / 1407.
- 60) السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562): **الأنساب**، ج11، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ط1، 1962/1382 .
- 61) السيوطي جلال الدين (ت 911هـ): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية لبنان ، صيدا .
- 62) السيوطي جلال الدين : **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1967 / 1387 .
- 63) السيوطي جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974/1394.
- 64) الشهرستاني أبو الفتح تاج الدين (ت548هـ) : **الملل والنحل**، ج1، تحقيق :محمد السيد الكلاني، دار المعرفة للطباعة، بيروت 1980.

قائمة المصادر والمراجع

- (65) الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ) : الوافي بالوفيات، ج3 تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث ، بيروت ، 2003/1420.
- (66) الصولي محمد بن يحيى (ت 335هـ) : أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية ، دار الميسرة ، بيروت.
- (67) الصولي محمد بن يحيى : أدب الكتاب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر ، 1341.
- (68) الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر (ت 599هـ) : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.
- (69) الضبي المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت: نحو 168هـ): المفضليات ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون الناشر، دار المعارف ، القاهرة، ط 6.
- (70) الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملوك، ج7، دار التراث بيروت، ط2، 1387 .
- (71) العسكري أبو هلال (ت حوالي 395هـ) : الصناعتين، علي محمد البجاي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.
- (72) العلمي عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت 981هـ): المعيد في أدب المفيد والمستفيد، المكتبة العربية، دمشق، 1349.
- (73) الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس (ت 714هـ) : عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط2، 1979
- (74) الغزالي الطوسي أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505 هـ): إحياء علوم الدين، ج2، دار المعرفة، بيروت.
- (75) القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج6، تحقيق: سعيد أحمد أعراب ، مطبعة فضالة ،المحمدية المغرب، ط1، 1983/1981 .

قائمة المصادر والمراجع

- (76) القرطبي أبو عبد الله محمد شمس الدين (ت 671هـ): الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج11 تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384/ 1964 .
- (77) القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682) : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت .
- (78) القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج1 تحقيق: أحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ/ 1982.
- (79) القلقشندي أحمد بن علي (ت 821 هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (80) القلقشندي، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر: تصحيح محمود سلامة، مطبعة الواعظ مصر، ط1، 1906.
- (81) القيرواني إبراهيم الحصري (ت 453هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، ج2، دار الجيل، بيروت.
- (82) القيرواني أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق (ت 425 هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، 1994.
- (83) المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت حوالي 453هـ): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تحقيق : بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1414/ 1994 .
- (84) الماوردي أبو الحسن ، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة.
- (85) المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي ، (ت 647هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق : صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت ط1، 1426هـ/ 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

- (86) المقرئ التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ج5 تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997
- (87) المقرئ تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ): **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج1، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة، 1997.
- (88) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب**، تحقيق: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط1، 1409.
- (89) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب**، تحقيق: عبد الستار الحلوجي، عبد المحسن زكي.
- (90) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت 733): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج7، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423.
- (91) الهروي أبو القاسم بن سلام (ت 224): **غريب الحديث**، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، 1964/1384.
- (92) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ): **المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، ج1، اشرف علي حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1981/1401.
- (93) اليعقوبي أحمد بن اسحاق بن واضح (ت 292هـ): **كتاب البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422.
- (94) لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ): **معيان الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ.
- (95) مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.

قائمة المصادر والمراجع

(96) مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007

(97) محمد ابن مرزوق التلمساني (ت781هـ): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي

الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981.

(98) ناصر خسرو أبو معين الدين (ت 481هـ): سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد،

بيروت، ط3 ، 1983.

ب/ المصادر الجغرافية

(1) ابن حوقل البغدادي محمد الموصلي، أبو القاسم (ت بعد 367هـ): صورة الأرض، ج1، دار صادر، أفسست

ليدن، بيروت ، 1947.

(2) أبو الفدا عماد الدين (ت732هـ): تقويم البلدان ، دار صادر، بيروت ،لبنان.

(3) الإدريسي الشريف (ت 560هـ) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409.

(4) الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:(ت: 346 هـ)، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور

الثقافة ،القاهرة.

(5) البكري الأندلسي أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487) : المسالك والممالك، ج2، دار

الغرب الإسلامي، 1996.

(6) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

لبنان، 1983.

(7) الحموي ياقوت شهاب الدين (ت 626هـ) : معجم البلدان، ج1، منشورات دار صادر، بيروت 1374،

. 1995

قائمة المصادر والمراجع

(8) الحميري أبو عبد الله (ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة

ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980

(9) المقدسي البشاري أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت380هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة

مدبولي، القاهرة، ط3، 1411/ 1991.

(10) مارمول كربخال: إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،

مطابع المعارف الجديدة، 1408هـ/ 1988م.

ج/ المصادر المعجمية

(1) ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ) : لسان العرب، ج5،

(2) الحموي ياقوت: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار

الغرب الإسلامي، بيروت، 1414/ 1993.

(3) الزبيدي عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، ج7، دار

الهداية.

(4) الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت548هـ): أساس البلاغة، ج2، تحقيق :

محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1419/ 1998.

(5) الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ) : القاموس المحيط ، تحقيق: محمد

نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8 ، 1426 هـ / 2005 .

ج 10 ، دار صادر، بيروت ، ط3، 1414هـ.

قائمة المصادر والمراجع

3/ قائمة المراجع

- (1) آدم مئز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهدي أبو ريد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 5.
- (2) أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- (3) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، أصوله فلسفته مدارسه، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1969.
- (4) أتربي أبو العز وعبد العزيز حمد: نبذة عن الصين ، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.
- (5) أحمد شوقي بنين: تاريخ كتب الخزائن بالمغرب ، ترجمة: مصطفى طوبي، المطبعة والوراقة الوطنية ، مراكش، ط1، 1424 / 2003.
- (6) أحمد صبحي منصور: الحسبة دراسة أصولية تاريخية، مركز المحروسة، مصر، ط1، 1995.
- (7) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، 1968.
- (8) أحمد فكري: مسجد القيروان، دار العالم العربي ،القاهرة، ط1، 2009 .
- (9) أحمد محمد عوف: مدينة الفسطاط وعبقورية المكان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003 .
- (10) ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة : زكي اسكندر ومحمد زكريا غنيم، مكتبة مدبولي ،القاهرة ط1، 1411/1991.
- (11) ألمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية ، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
- (12) أيرج أفشار: استخدام الورق في المخطوطات الإسلامية كما سجلته النصوص الفارسية، دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر، المؤتمر الثاني لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ديسمبر 1993، 1414.

قائمة المصادر والمراجع

- (13) إبراهيم نمير سيف الدين وآخرون: مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- (14) إياد خالد الطباع : المخطوط العربي ،دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ،2011.
- (15) ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق : محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1،1408/1،1988.
- (16) اسماعيل ابن الأحمر وآخرون: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1972.
- (17) الألوسي عادل : الخط العربي نشأته وتطوره ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ط1، 2008.
- (18) الجبوري محمود عباد: خط و تذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتى عصر ابن البواب، الدار العربية للموسوعات ، بيروت، 2013 .
- (19) الحلوجي عبد الستار : المخطوط العربي، مكتبة مصباح ، السعودية ، ط2، 1409 / 1989
- (20) الحلوجي عبد الستار : دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات، مكتبة الصباح ، ط1 ، 1408 / 1988
- (21) الدالي عبد العزيز : البرديات العربية ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1404هـ / 1983.
- (22) السامرائي قاسم :علم الإكتناه العربي الإسلامي ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،ط1، 2001/1422.
- (23) السيد السيد النشار: في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، 1997.
- (24) السيد طه السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991.
- (25) العش يوسف: دور المكتبات العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط ، ترجمة نزار أباطة ومحمد الصباغ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان، ط1، 1411/1991.

قائمة المصادر والمراجع

- (26) الكسندر ستييتشفيتش: تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرنؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، القسم الأول، 1993.
- (27) المنوني محمد : تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،المغرب، ط1، 1991/1412.
- (28) المنوني محمد : حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.
- (29) المنوني محمد : قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999.
- (30) الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان، تونس، 2004.
- (31) بحروني عبد الحميد: الرق والورق في القيروان ، أعمال ندوة إسهامات القيروان العلمية والتقنية ، جامعة الزيتونة ،مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، جامعة الزيتونة، 2009.
- (32) بيدرسن يوهنسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ترجمة: حيدر غيبة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1979.
- (33) جروهمان أدولف : محاضرات في أوراق البردي العربية، ترجمة: توفيق اسكاروس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010/1431.
- (34) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية ،دار الوفاء، الاسكندرية 2001.
- (35) جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين ، ترجمة: محمد غريب جودة ، مكتبة الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995 .
- (36) جوستاف لوبون: حضارة بابل وآشور، ترجمة: محمود خيرت المحامي، الرافدين، بيروت، لبنان.

قائمة المصادر والمراجع

- (37) جوناثان بلوم : قصة الورق تاريخ الورق في العالم الإسلامي قبل ظهور الطباعة ، ترجمة: أحمد العدوي دار أدب ، الرياض، ط1، 1442 .
- (38) جيهان محمود السيد: الببليوغرافيا التحليلية، دراسة في أوائل المطبوعات العربية، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 2000.
- (39) حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس ،جامعة القاهرة ،كلية الآداب ، دار ضياء للنشر والتوزيع والطباعة، 1998.
- (40) حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ط1، 1998.
- (41) حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمة : محمد التونجي، مكتبة لسان العرب، دمشق، ط2، 2002 .
- (42) حسان صبحي مراد: تاريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر، الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 2003 .
- (43) حسن إبراهيم وطه شرف :عبيد الله المهدي امام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، 1947.
- (44) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج2، تحقيق:محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1972.
- (45) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980 .
- (46) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004.

قائمة المصادر والمراجع

- (47) حنان عبد الفتاح مطاوع: الفنون الإسلامية الإيرانية والتركية، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2010/1443.
- (48) خالد عزب : بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
- (49) خير الله سعيد ، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ج1، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان، ط1، 2011 .
- (50) خير الله سعيد : وراقو بغداد في العصر العباسي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط1، 2001/1421
- (51) دونالد.ر.هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة:أحمد فؤاد باشا، مطابع السياسة، الكويت، 2004/1425 .
- (52) ديروش فرانسوا : المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي ، ترجمة: فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2005 /1426.
- (53) ديروش فرنسوا : مصاحف الأمويين نظرة تاريخية في المخطوطات القرآنية المبكرة، ترجمة: حسام صبري، مركز نهوض للدراسات والبحوث، بيروت، ط1، 2023.
- (54) ديلا بورث: بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1997.
- (55) رضوى عاشور: ثلاثية غرناطة، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2001 /1422 .
- (56) رفيق خليل عطوي: صناعة الكتابة، علم البيان، علم المعاني، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
- (57) رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، إسبانيا الإسلامية، ج2، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.
- (58) زكي علي: علم البردي تراث مصري أصيل، القاهرة، 1997.

قائمة المصادر والمراجع

- 59) س.هـ. روبرتس: قصة البردي اليوناني في مصر في العصر اليوناني والروماني، ترجمة: محمود إبراهيم السعدني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005.
- 60) سارتون جورج : تاريخ العلم ، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان، ج1، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010 .
- 61) ستانود كب: المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة: محمد فتحي عثمان، الجزائر، 1982.
- 62) سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995
- 63) سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316_422هـ/ 927_1030م) معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، السعودية، 1415.
- 64) سعيد اسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، 1986.
- 65) سفند دال : تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ترجمة: محمد صلاح حلمي، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع .
- 66) سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ج1، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019.
- 67) سهيلة زين العابدين حماد: مدينة فاس منذ تأسيسها حتى نهاية دولة بني مرين، الفترة (192هـ، 869هـ)،
- 68) سهيلة ياسين الجبوري: الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق منشورات المكتبة الأهلية في بغداد ، مطبعة الزهراء 1381، 1962.
- 69) سير توماس أرلوند : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1970 .

قائمة المصادر والمراجع

- (70) سيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية على أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1964.
- (71) شاكِر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، 1978.
- (72) شعبان عبد العزيز خليفة: الببليوغرافيا أو علم الكتاب دراسة في أصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1997 .
- (73) شن غوي تشن: لمحة عن الثقافة في الصين ، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مكتبة مؤمن قريش، أبو ضبي، ط1، 2014/1435 .
- (74) شهابي عبد العزيز : تاريخ المغرب الإسلامي، مختصرات لطلاب الجامعات، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2013.
- (75) شوقي عطا الله الجميل عبد الله ، عبد الرزاق إبراهيم : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم جامعة القاهرة.
- (76) شوي غوانغ : جغرافيا الصين ، ترجمة: محمد أبو جراد ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ط1، 1987.
- (77) صلاح الدين المنجد : خطط دمشق ، نصوص ودراسات المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1949.
- (78) طه الراوي: تاريخ علوم اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021.
- (79) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، حضارة وادي النيل ، دار الوراق، بغداد، ط1، 2011.
- (80) عادل كمال: الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، دار السلام، 2005.
- (81) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة ،بيروت، لبنان، ط2، 1980/1400.

قائمة المصادر والمراجع

- (82) عامر سليمان : العراق في التاريخ القديم ، موجز التاريخ السياسي ، الموصل ، 1992 .
- (83) عامر سليمان: الكتابة المسمارية ، دار الكتب، الموصل، 1420 / 2000.
- (84) عامر سليمان: اللغة الأكديّة البابليّة ، الآشورية، تاريخها وتدوينها وقواعدها ، دار الكتب ، الموصل، 1991/1412.
- (85) عبد الحق معزوز: الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 2002.
- (86) عبد الحميد سالم: الحضارة المصرية في العصور القديمة، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية ط1، 1934.
- (87) عبد الرحمن أحمد البوريني: اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، عمان، ط1، 1998/1419.
- (88) عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، دار القلم بيروت، لبنان، ط3، 1979.
- (89) عبد العزيز بن عبد الله : الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ ، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، المغرب، ط1، 2001.
- (90) عبد اللطيف أفندي: البردي دراسة أثرية وتاريخية ، طرق الترميم والصيانة ، كلية الآثار، جامعة القاهرة
- (91) عبد اللطيف الخلافي : الحرف والصنائع وأدوارها الإقتصادية والإجتماعية بمدينة فاس خلال العصر المريني و الوطاسي (669. 960 هـ/ 1270 - 1550م) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1، 2011/1432.
- (92) عبد الله المنيف : صناعة المخطوطات في نجد ما بين منتصف القرنين العاشر حتى الرابع عشر الالهجريين أروقة الدراسات والنشر، عمان الأردن ، ط1 ، 2014/1435.
- (93) عبد المنعم أبو بكر، وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، مج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

قائمة المصادر والمراجع

- (94) عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، 1983.
- (95) عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
- (96) علي جمعة محمد : المكايل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة ، ط 2 ، 1421.
- 2001.
- (97) عمر أفا، محمد مغزاوي : الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، ط1، 2007/1428.
- (98) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 4، القاهرة، 1964،
- (99) فريدريش يوهانس : تاريخ الكتابة، ترجمة: سليمان أحمد الظاهر، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013.
- (100) فهمي هويدي: الإسلام في الصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، عالم المعرفة، جوان 1981.
- (101) فيتالي نومكين: سمرقند، ترجمة: صلاح صلاح، منشورات المجتمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات، ط1.
- (102) فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية إجتماعية ثقافية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
- (103) قصي الحسين: من معالم الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993/1414.
- (104) كرد محمد علي : خطط الشام، ج6، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1983 /1403.

قائمة المصادر والمراجع

- (105) كرد محمد علي : الإسلام والحضارة العربية ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2017.
- (106) كريم صامويل : هنا بدأ التاريخ ، حول الأصالة في حضارة وادي الرافدين ، ترجمة: ناجية المرايني، منشورات دار الجاحظ ، بغداد، 1980.
- (107) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف، بغداد، 1958.
- (108) لومير جاك : مدخل إلى علم المخطوط، الخزانة الحسينية، المطبعة الوطنية والوراقة ، ترجمة: مصطفى طوبي، ط1، 2006/1427.
- (109) ليفي بروفنسال: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.
- (110) ليوا وبنهايم : بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986 .
- (111) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ج1، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1995 .
- (112) ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1997 .
- (113) محمد طاهر المكي : تاريخ الخط العربي وآدابه ، مكتبة الهلال ، ط1، 1358. 1939.
- (114) محمد الجواهري: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992.
- (115) محمد الجودي: تاريخ قضاة القيروان، تحقيق: أنس العلاني، بيت الحكمة، قرطاج ، تونس، 2004.
- (116) محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني : الخط المغربي بين التجريد والتجسيد ،دراسة تاريخية فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، ط1، 2013.

قائمة المصادر والمراجع

- (117) محمد عبد الله الدرايسة: عدلي محمد عبد الهادي، الزخرفة الإسلامية، مكتبة المجتمع العربي ، عمان ،الأردن، ط1، 1435/ 2015 .
- (118) محمد عجاج الخطيب: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.
- (119) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون - الرابع عشر - العشرين -، دار الفكر، بيروت، 1979.
- (120) محمد محمد أمان: الكتب الإسلامية، ترجمة : سعد بن عبد الله الضبيان، مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض، 1990.
- (121) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر
- (122) مصطفى ربحي عليان، أمين النجاوي: مقدمة في علم المكتبات والمعلومات ،دار الفكر، عمان الأردن ط1، 1420/1999.
- (123) مصطفى طوبي : مقالات في علم المخطوط ، الرباط ، 2010.
- (124) مصطفى عليان ربحي: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء، عمان ط1، 1420. 1999.
- (125) مفتاح يونس الرباضي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول 132هـ/232هـ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 2010.
- (126) منصور محمد سرحان: المكتبات في العصور الإسلامية، مكتبة فخرآوي، ط1، 1417/1997.
- (127) مهندس حسن رجب: البردي ، دار المعارف، القاهرة ، يناير، 1980.

قائمة المصادر والمراجع

- (128) مولاي محمد الإدريسي الطاهري: استعمال الألوان في اصطلاحات ضبط المصاحف عند علماء الأندلس والمغرب بين التأصيل الفقهي والتطبيق المنهجي، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ط1، 2009/1430.
- (129) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، مؤسسة رمزي للطباعة، بغداد، 1972.
- (130) ناجية عبد الله إبراهيم: ريف بغداد، دراسة تاريخية لتنظيماته الإدارية وأحواله الاقتصادية (575_656 هـ/1179_1258م) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1988.
- (131) ناصر محي الدين ملوحي: وجيز كتاب اللغة العربية أصل اللغات العالمية، دار الغسق، 1441/2020.
- (132) نبيل علي يوسف: موسوعة التحف المعدنية الإسلامية، مصر منذ ما قبل الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2010/1431.
- (133) هلال ناجي: ابن مقلة خطاطا وأديبا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1 ، 1991.
- (134) هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة : أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1، 2002.
- (135) ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة ، الشرق الأقصى الصين ، ترجمة: محمد بدران، الجزء الرابع من المجلد الأول ، بيروت.
- (136) ول فرد كانكستر: نظم استرجاع المعلومات ، ترجمة : حشمت قاسم ، مكتبة غريب ، القاهرة، 1981.
- (137) ول فنسون إسرائيل: تاريخ اللغات السامية ، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1348 / 1969 .
- (138) يحيى وهيب الجبوري : الخط والكتابة في الحضارة العربية ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1994.

قائمة المصادر والمراجع

4/ المعاجم المعاصرة

- (1) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة.
- (2) سيد حسب الله، أحمد الشامي: المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض ، السعودية، 1988/1408.
- (3) محمد قلجي : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر، ط2، 1988 /1408

5/ قائمة المجلات والمؤتمرات والدوريات.

- (1) إبراهيم شبوح: سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية ، ج1، ماي 1956.
- (2) أحمد شربيتي، أم الخير عثمانى: العلامات المائية وأثرها في تجارة الورق بين أوروبا وشمال إفريقيا بين القرنين 18/13م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد16، عدد 01، مارس 2020
- (3) إدهام محمد حنش : جمالية المخطوط القرآني وتقاليدها الفنية، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد55، جمادى الأولى 1432هـ/2011م.
- (4) أسامة محمد فهمي صديق: العلاقات التجارية والثقافية بين المدن الصينية ومدن آسيا الوسطى الواقعة على طريق الحرير في عصر الأسرتين اليونانية والتي مورية المغوليتين ، المجلة العلمية لكلية الآداب ، جامعة أسيوط ، عدد 40 ، أكتوبر 2011 .
- (5) إيميل عطار : صنع الورق من نبات الحلفاء ، مجلة العرفان، عدد 143، مج 5، ج14، 1928.
- (6) حسن حسني عبد الوهاب : البردي والرق والكاغد في إفريقيا التونسية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، مج 2، ج1، شوال 1375/ ماي 1956 .

قائمة المصادر والمراجع

- (7) حسين علي محفوظ : علم المخطوطات ، مجلة المورد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، مجلد 5، العدد الأول، 1976 ، 1396.
- (8) حمدي البغدادي: زخرفة وتذهيب القرآن الكريم، مجلة الفرات، عدد 140، ذو الحجة 1433.
- (9) خالد بلعربي: المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698_840هـ/1299_1442م)، دورية كان التاريخية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، عدد 04، 2009
- (10) سهى محمود بعيون: كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد السابع، السنة الرابعة.
- (11) عامر عجلان: مصحف مغربي بجامع أبي محمد المرجاني بتونس ينشر لأول مرة ،مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية،مجلد 6، العدد 30، نوفمبر 2021 .
- (12) عبد العزيز السنيدي: الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية ، عالم الكتب ، مجلد 25 ، عدد 1_2 ، 1424 / 2003.
- (13) عبد العزيز وصفي: فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة، مجلة الشهاب، مجلد4، عدد4، ربيع الثاني1440هـ/ ديسمبر2018.
- (14) عبد الله البريدي : قصة الورق وتاريخه في العالم الإسلامي ، مجلة حكمة من أجل اجتهد ثقافي وفلسفي ، مؤسسة حكمة ، الرياض ، 23 / 06 / 2021 .
- (15) كوركيس عواد : الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج23، ج3، 1948 .
- (16) محمد المغراوي: الخط المغربي عند ابن خلدون، مجلة حروف عربية، ندوة الثقافة والعلوم ، الإمارات، العدد الرابع، السنة الأولى، تموز2001.

قائمة المصادر والمراجع

(17) محمود محمود حسن أحمد نصار: عبد الرحمن بن حبيب الفهري واليا على إفريقية (127هـ - 137هـ / 745م - 755م)، مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها، جامعة الأزهر، مصر، المجلد 11، العدد 1، 2017.

(18) هوداس: محاولة في الخط العربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حويات الجامعة التونسية ، العدد الثالث.

(19) يوسف بن أحد حوالة، ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية، رسائل جغرافية، دورية علمية محكمة، قسم الجغرافيا، الكويت، 1416، 1991.

6/ قائمة الرسائل الجامعية

(1) محمد بن عميرة : الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، قسم التاريخ بوزريعة. 2005.

7/ قائمة الكتب الأجنبية

- 1) ALFRED LUCAS: **Ancient Egyptian materials & industries**, CENTRAL ARCHAEOLOGY LIBRARY ,3 ED.
- 2) Plinius : **HISTOIRE NATURELLEE DE PLINE** , TRADITION: M.E LITTRÉ,PARIS, 1877
- 3) JACK SASON: **CIVILIZATION OF THE ANCIEN NEAR EAST**, VOL 04 , NEW YOWRK 1995.
- 4) SAMUEL NOAH KRAMER : **THE SUMERIANS** , THEIR HISTORI CULTURE AND CHARACTER , CHICAGO ,1963.
- 5) Zhi Dao: **History Of paper making in China**, deeplogic, 2019.
- 6) Basil Hall Chamberlain ,**Things Japanese**: Being Notes on Various Subjects Connected whit japon, london,1905.
- 7) Jonathanm. Bloom : **paper before print ,the history and impact of paper in the Islamic world** : Library of congress, 2001.

قائمة المصادر والمراجع

- 8) Ray Prytherch :**Harrod's Librarians' Glossary and Reference Book** , ashgate publishing, 8th ed, england,2005
- 9) Craig S. Abbott, William Proctor Williams,**An Introduction to Bibliographical and Textual Studies**, new York,the modern language association of America,2ed.
- 10) Augustin Blanchet: **Essai Sur L'histoire De papier**, paris, 1900.
- 11) Lothar Muller: **White Magic the age of paper**, translat,by Jessica Spengler,polity press , 2014.
- 12) Jean irigoien: **la datation par les filigranes du papier,codicologica, les matériaux du livre manuscrit**, leiden, 5, 1980.
- 13) Henri CORDIER, **HISTOIRE GÉNÉRALE DE LA CHINE** ,Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920.
- 14) Thea Burns :**paper befor print** ,journal of the American institute for conservation ,architecture issue , vol 42, 2003.
- 15) Sigrid hunke : **Le Soleil le soleil d'allah brille sur l'occident** , Edision Allbin Michel 1963.
- 16) Gustave Le Bon : **la Civilisation Des Arabes** , Librairie De Firmin Didot, Paris, 1884.
- 17) Dard Hunter: **paper making , the history and technique of an ancient craft dover publications** ,new york, 1978
- 18) A, h, Heath: **A manual on lim and cement their treatment and use in construction**, London, 1893.
- 19) Torres Balbas: Leopoldo Torres, Jativa y los restos del, Palacio de pino Hermoso, Al-Andalus, vol. XXIII, 1958
- 20) Javier, Florencio, **Condicion Social de Los, Moriscos de Espana**, Madrid, 1857.
- 21) Edwin Sutermeister: **chemistry of pulp and paper making**, new York,1920.

قائمة المصادر والمراجع

- 22) Matthias Koops: **Historical Account of the substances which have been used to describe events**, and to convey ideas, from the earliest date, to the invention of paper, 1800.
- 23) Bernard Gineste: **Histoire de papier a Etampes des origines au milieu du 16 Siecle**; Etude des fligranes conserves, premier edision, 2013.
- 24) Leonard N Rosenband: **Paper making in Eighteenth_century France 1761_1805**, The Johns Hopkins university press, 2000.
- 25) Charles Delon : **Histoir d'un livre**, Lebrairie Hachette, Paris
- 26) **ChristopherJ. Biermann**, Handbook of Pulping and Papermaking ,**Academic press, second edition,1996**
- 27) Philipe Gaskell: **A new Introduction to Bibliography**, Winchester, UK : St. Paul's Bibliographies , New Castle, 1995.
- 28) Theo. Laurentius : **watermarks in paper from the southe _west of france** ,1560_1869, leiden.
- 29) Davíð Ólafsson, Silvia Hufnagel :**Paper Stories – Paper and Book History in Early Modern Europe**, De Gruyter, 2023.
- 30) Lyman Horace: **A History Of Paper_ manufacturing in the United States**, 1690_1916, New York, 1916.
- 31) E. Lèvi Provençal: **Note sur un Coran royal du XIV° siècle** , J Hespéris , 1921.
- 32) **EMIL OTT: CELLULOSE AND CELLULOSE DERIVATIVES** , INTERSCIENC PUBLICHERS, LONDON , 1954.
- 33) sarthou carreras carlos: **datos para la historia de jativa**,1933.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	أ - ر
الفصل الأول : المعرفة الإسلامية بصناعة الورق في المشرق الإسلامي	
المبحث الأول : أوعية الكتابة قبل اكتشاف الورق	26-1
1. ورق البردي	7-1
2. الألواح الطينية	12-8
3. الرقوق والجلود والعظام	17-13
4. الألواح الخشبية والعصب	19 -17
5. صفائح المعدنية	21 -19
المبحث الثاني : اكتشاف صناعة الورق في الصين	31 -21
1. روايات اكتشاف الورق	24 -21
2. عوامل اكتشاف الورق في الصين	26 -25
3. انتشار الورق	27 -26
4. انتقال صناعة الورق الى المشرق الإسلامي	31 -28
المبحث الثالث : حواضر انتاج الورق في المشرق الإسلامي	47 -32
1. حاضرة سمرقند	33 -32
2. حاضرة الشام	42-40
3. الحواضر الفارسية	44 -43
4. الحواضر اليمنية	45
5. الحواضر المصرية	47 -45

فهرس المحتويات

61 - 48	المبحث الرابع : مميزات صناعة الورق الإسلامي
52 - 48	1. آداب صناعة الورق الإسلامي وبيعه أ/ الحذر من الغش ب/ التستر أثناء العمل ج/ الحذر من التدليس د/ الصبر والإتقان هـ/ المحافظة على العبادات
55 - 52	2. مقادير الورق الإسلامي
58 - 56	3. العلامات المائية في الورق الإسلامي
61 - 59	4. احصاء لأنواع الورق الإسلامي
92 - 62	المبحث الخامس : علاقة صناعة الورق بالحرف
69 - 62	1. صناعة الورق ومهنة الوراقة
75 - 69	2. علاقة الورق بصناعة الأقلام
80 - 75	3. علاقة الورق بصناعة المداد والأحبار
92 - 81	4. علاقة الورق بتأليف الكتب وتأسيس المكتبات أ/ المكتبات الخاصة ب/ المكتبات العامة د/ المكتبات المدرسية هـ/ مكتبات المسجد والجوامع
الفصل الثاني : انتاج الورق في الغرب الإسلامي	
113 - 93	المبحث الأول : التأريخ لصناعة الورق في الغرب الإسلامي
106 - 93	1. أشهر مواد الكتابة التقليدية في الغرب الإسلامي
109 - 107	2. التحقيب الزمني لصناعة الورق في الغرب الإسلامي
113 - 110	3. استعمال مصطلح الورق والكاغد في الغرب الإسلامي 3 . 1 مفهوم الورق

فهرس المحتويات

	3 . 2 مفهوم الكاغد
124 - 114	المبحث الثاني : المواد الأولية لصناعة الورق في الغرب الإسلامي
124 - 114	1. الثروة النباتية أ/ القطن ب/ الأشجار ج/ الكتان د/ القنب و الحلفاء 2. الثروة المائية أ/ مياه الأمطار ب/ الأنهار والعيون ج/ الآبار
141 - 124	المبحث الثالث : حواضر انتاج الورق في الغرب الإسلامي
128 - 124	1. القيروان
133 - 129	2. تلمسان
137 - 133	3. فاس
141 - 137	4. شاطبة
172 - 142	المبحث الرابع : نتائج صناعة الورق بالغرب الإسلامي
151 - 142	1. النسخ والتأليف
156 - 151	2. ازدهار المكتبات
167 - 157	3. الخط
178 - 168	4. الزخرفة والتلوين
	الفصل الثالث: الغرب الإسلامي من التحكم في صناعة الورق إلى الحاجة
202 - 179	المبحث الأول : إشكالية المادة المصدرة لصناعة الورق في الغرب الإسلامي

فهرس المحتويات

188 -179	1. المخطوطات الخاصة بصناعة الورق في الغرب الإسلامي 1. 1 التعريف بمخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب
190 -188	2. كتب الحسبة
195 -191	3. كتب الفقه و النوازل
202 -196	4. الكتب التاريخية والجغرافية.
228 -203	المبحث الثاني : مراحل صناعة الورق في الغرب الإسلامي
210 -203	1. جمع المادة النباتية والتحضير .
218 -211	2. الغسل والعرك والتقطيع
222 -219	3. تحضير القلب
228 -223	4. سقاية الورق
252-228	المبحث الثالث : تفسيرات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي
237 -228	1. فتوى ابن مرزوق في جواز استعمال الكاغد الرومي أ/ التعريف بصاحب الفتوى ب/ عرض وتحليل فتوى جواز استعمال الكاغد الرومي
242 -238	2. العامل السياسي
247 -243	3. العامل الخارجي
252 -248	4. العامل الطبيعي
271 -253	المبحث الرابع : انعكاسات تراجع صناعة الورق في الغرب الإسلامي
258 -253	1. انتقال صناعة الورق من الغرب الإسلامي إلى أوروبا
263 -259	2. تقنية صناعة الورق بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا المسيحية
271 -264	3. مآثر الورق الإسلامي على أوروبا بين الإنصاف والإقصاء
276 -272	خاتمة

فهرس المحتويات

298 -277	الملاحق
308 -299	قائمة الفهارس
337 -309	قائمة المصادر والمراجع
342 -338	فهرس المحتويات
345 -343	ملخص البحث

ملخص البحث :

مثل انتاج الورق في الغرب الإسلامي حلقة وصل في تطور هذه الصناعة بين مختلف الحواضر الإسلامية منذ انتقال تقنياته من الحضارة الصينية في القرن الثاني هجري، الثامن ميلادي، وقد جاءت مساهمة المنطقة المدروسة من خلال شهرة بعض مدنه على غرار القيروان وفاس وشاطبة في الصناعة، إلى جانب انفراد المغرب الأدنى و الأوسط بمخطوط عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب المنسوب للمعز ابن باديس الصنهاجي في القرن الخامس هجري الذي يحمل بابه الحادي عشر طرائق الصناعة في ذلك الوقت، بحيث شكل المخطوط الفكر الحرفي الذي برع فيه المسلمون، ومنه استطعنا وصف أهم الخطوات التي أتقنها العمال لإخراج وعاء جديد للكتابة شكل ثورة على المواد التقليدية، وساهم بشكل فعال في دعم الحركة العلمية خاصة في مجال التأليف والنسخ والخط، وبالتالي فإن إبراز دور مجال الغرب الإسلامي مثل ركيزة البحث لأن هدفه جاء كمحاولة لتغطية الفراغ العلمي الحاصل في التأريخ لهذه الصناعة مقارنة بالمشرق الإسلامي إضافة إلى الرد على الكتابات الأجنبية التي حاولت تقزيم مآثر المسلمين على أوروبا قبل اكتشاف الطباعة من خلال انتقال أسرار الصناعة عبر منفذي الأندلس وصقلية.

Summary of the Thesis:

The production of paper in the Islamic Maghreb was a crucial link in the development of this industry across various Islamic cities since the transfer of its techniques from the Chinese civilization in the second century of the hijri Islamic calendar, the eighth century AD. The studied region's contribution was through the fame of some cities such as Kairouan, Fes, and Xàtiva in industry. Additionally, the Maghreb distinguished itself with the manuscript entitled “*Omdat Al Kutab wa Odat Daoui El Albab*” attributed to *Al-Muizz Ibn Badis alSanhaji* in the fifth century of the hijri Islamic calendar. The eleventh chapter of the manuscript covered various techniques of the industry at that time. It embodied the handicraft thought in which Muslims excelled, through which we were able to describe the crucial steps mastered by workers in creating a new base for writing. This constituted a revolution against traditional materials and contributed actively to the scientific movement, especially in the fields of authorship, transcription, and calligraphy. Thus, highlighting the role of the Islamic Maghreb serves as a cornerstone in research, because it aims to fill the historical scientific gap in this industry compared to the Islamic Orient. Moreover, it responds to foreign writings that attempted to diminish the achievements of Muslims in Europe before the discovery of printing, by transmitting the industry's secrets through the outlets of Andalusia and Sicily.

Résumé de la thèse :

La production de papier au Maghreb islamique a été un maillon crucial dans le développement de cette industrie à travers différentes villes islamiques depuis le transfert de ses techniques de la civilisation chinoise au deuxième siècle de l'Hégire, le huitième siècle après JC. L'apport de la région étudiée passe par la renommée de certaines villes comme Kairouan, Fès et Xàtiva dans le domaine industriel. Par ailleurs, le Maghreb s'est illustré avec le manuscrit intitulé « Omdat Al Kutab wa Odat Daoui El Albab » attribué à Al-Muizz Ibn Badis alSanhaji au Ve siècle de l'Hégire. Le onzième chapitre du manuscrit traite les diverses techniques de l'industrie à cette époque. Il incarnait la pensée artisanale dans laquelle excellaient les musulmans, grâce à laquelle nous avons pu décrire les étapes cruciales maîtrisées par les ouvriers dans la création d'une nouvelle base d'écriture. Cela constitue une révolution contre les matériaux traditionnels et contribue activement au mouvement scientifique, notamment dans les domaines de la paternité, de la transcription et de la calligraphie. Ainsi, la mise en valeur du rôle du Maghreb islamique constitue une pierre angulaire de la recherche, car elle vise à combler le vide scientifique historique de cette industrie par rapport à l'Orient islamique. De plus, il répond aux écrits étrangers qui tentaient de diminuer les réalisations des musulmans en Europe avant la découverte de l'imprimerie, en transmettant les secrets de l'industrie à travers les débouchés de l'Andalousie et de la Sicile.

